DAMAGE BOOK

﴿فهرست كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾

صحيفه

صحيفه

﴿تمت﴾

﴿ هـذا ﴾

خلاصة الكلام

فى بيان أمراء البلد الحرام من
زمن النبى عليه الصلاة والسلام الى وقتنا
هذا بالتمام تأليف شيخ الاسلام ملك العلماء
الاعلام امام الحرمين وزين الزمان
المرحوم بكرم الله المنان مولانا
السيد احمد بن زينى دحلان
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

م

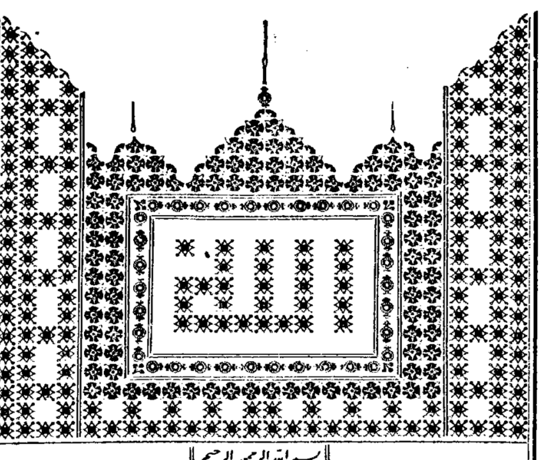
قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضى بالعجب العجاب من الاسلوب العجيب والاستطراد الغريب فمن ذلك غزوات الشريف غالب مع الوهابيه والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الاشرفيه وقصة دخول القرامطه مكة المشرفة وذكر بعض أحوال السلاطين ومن تولى من الولاة ولاية الحجاز الامين وغير ذلك من اللطائف الادبيه والانساب الهاشميه وليس الخبر كالعيان وستقر به بعد التأمل العينان

خذ ما نظرت ودع شيأ سمعت به ● فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

﴿ ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش التاريخ المسمى بالاعلام ﴾
(باعلام بيت الله الحرام وهو تاريخ مكة المشرفه حرسها الله)

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجوش عطى بجماليه)
(بمصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿ هجريه ﴾

*



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان ﴿وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾ واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وغرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتنبيها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاه وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاه وأنشد

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا ۞ من الندى والردى لم يعرف السمر

يقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له البر السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف ﴿وبعد﴾ فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني

من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاجداث فان في ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا بحال من مضى وغبر واعلاما بان ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء وافادة لمن يأتي بعد من البشر فان من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أعمارا وبوأ مسامعهم وأبصارهم ديارا ما كانت لهم ديارا وأعلم أهل الآفاق ببلاد ما كانت لهم مستقرا ولا دارا

فاتني أن أرى الديار بعيني
فلعلي أرى الديار بسمعي

وقد أفادنا الامم الماضون باخبارهم وأطلعونا على ما دثر وبقي من آثارهم فأبصرنا ما لم نشاهده بابصارهم وأحطنا علما بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين وبوأهم جنات عدن فيها خالدين وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وانما
لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فأردنا الافادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشاهدنا واعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله البر السلام وقد قلت في هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا
وتمحي من بعد اخلاق
وكلنا مر جمعا للفنا
وانما الله هو الباقي

يقال من أرخ فقد حاسب الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده بحديث دهره ومن قيد ما شهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد همو ما تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بهم كم فتتت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر في وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله التاريخ في كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه الاحياء لذكرهم ومآثرهم فحصل بذلك التثبيت له صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبي صلى الله عليه وسلم اياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة

﴿عتاب بن أسيد رضي الله عنه﴾

وهو بتشديد التاء وبفتح همزة أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضي الله عنه يوم الفتح فولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين في العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصاري وهبيرة بن شبل رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضي الله عنه فكان معاذ وهبيرة رضي الله عنهما يتناوبان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضي الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل واليا على أهل مكة الى وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وفاته ووفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل ان عتابا توفي يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولي امارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه (المحرز بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي ثم نافع بن الحارث الخزاعي) وخرج نافع هذا مرة للقاء سيدنا عمر رضي الله

﴿تنبيه﴾ لا يخفى على ضمائر أولي البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذي هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الارض على كافة بني آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمراء المؤمنين وعمره ورممه جملة من أكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ما شاهدنا من آخر أيام الصبا الى الكهولة ما عمره المهدي العباسي وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسي ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة تسعمائة وخمسة وتسعين وفارق

السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرعون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة فى أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقى ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق وأسند بالاخشاب فى أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم مالك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على أحسن وضع وأجمل صورة (٤) فامر أن يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الارضة والقبب أمكن وأزين فى سنة تسعمائة وسبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان الى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول فى جنة عالية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام فى أيام دولة السلطان الاعظم الهمام أجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوندكار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة من تخت قدر كسرى وايوانه الذى غذى بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصالحين وأمدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وجده ناشر ألوية الامن والامان فى جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الخضم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل أهل الكفر والالحاد

عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بنى خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضى الله عنه كونه جعل مولى من الموالى واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال يا أمير المؤمنين انه أقرأهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان ما بعمر رضى الله عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أى لعدم علمهم به وممن ولى مكة لعمر رضى الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشى) وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يحج بالناس فى زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولى مكة فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه (على بن عدى بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمى ونافع بن الحارث الخزاعى) المتقدم ذكره وفى أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر سنة خمس وثلاثين فامر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فحج بالناس ولما استشهد سيدنا عثمان رضى الله عنه كان أمير مكة (خالد بن العاص) المتقدم ذكره وولى مكة فى خلافة سيدنا على رضى الله عنه (أبو قتادة الانصارى وقثم بن العباس) وقيل وليها أيضا أخوه (معبد بن العباس رضى الله عنهم) ولما استشهد سيدنا على رضى الله عنه كان أمير مكة قثم بن العباس ولم يتفق لسيدنا على رضى الله عنه أن يحج بنفسه فى زمن خلافته لاشتغاله بالحروب فحج بالناس سنة سبع وثلاثين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وحج بهم سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس وفى سنة تسع وثلاثين حج بهم شيبة بن عثمان الحجبى وسبب ذلك انه قدم مكة يزيد بن شجرة الرهاوى عاملا لمعاوية رضى الله عنه على مكة وأخذ البيعة له بمكة ونازعه عامل على رضى الله عنه ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج بالناس ويحج بهم شيبة بن عثمان واستشهد سيدنا على رضى الله عنه سنة أربعين من الهجرة وولى مكة فى خلافة سيدنا معوية رضى الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومى وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضى الله عنه سنة ستين من الهجرة وولى مكة فى زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة ابن أبى سفيان وعثمان بن محمد بن أبى سفيان والحارث بن خالد المخزومى وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى بن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضى الله عنهما سنة اثنين وستين

وهدم بمعاول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القادر فى محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفى ذلك أقول

ان سلطاننا مراد الظل الله فى الارض باهر السلطان ملك صار من مضى من ملوك الارض وجاء عين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى * ملك سيغ صبغة الانسان ملك عادل فكل ضعيف * وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان * على قتل العدو يبتدران كل المسجد الحرام بناء * فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والافلا لا * انما الملك فى بنى عثمان

ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان أثرا باقيا على صفحات الزمان دالا على عظم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما أشار اليه القائل فى سالف الازمان

ان البناء وان تعاظم أمره أضحى يدل على عظيم البانى

جمعت فى هذه الاوراق من أخبار ذلك ما رق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كأنفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه مغنيا عمن تعلق بأسبابه أنيسا تحمل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ نافعه وفوائد بارعه ﴿وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الاعظم الشاب الاعدل الاكرم المطيع لله ولاوامر خير الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلا فضل الا فضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول حليا لا يخلقه كر الليالى والايام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب ﴿الباب الاول﴾ فى وضع مكة المشرفة

من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستمر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولى مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومى) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشأ أبياتا فبلغت عبد الملك فارسل فى طلبه فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها قيل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله القسرى) (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة ابن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز) المذكور ثم (محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياض ثم عبد الله ابن قيس بن مخرمة ثم عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى) وذكر ابن جرير أن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا امارة مكة لعمر بن عبد العزيز زمن ولايته عن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى) وتوفى يزيد بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهيم بن هشام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل ممن ولى مكة زمن هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين فولى الخلافة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة

شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها ﴿الباب الثاني﴾ في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ﴿الباب الثالث﴾ في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام ﴿الباب الرابع﴾ في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام ﴿الباب الخامس﴾ في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد التربيع الذي أمر به المهدي العباسي ﴿الباب السادس﴾ في ذكر ما عمره ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ﴿الباب السابع﴾ في ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسمعيل القزلباش ﴿الباب الثامن﴾ في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان ﴿الباب التاسع﴾ في ذكر دولة السلطان الاعظم الخاقاني حضرة سليم خان الثاني صاحب التكايا والمباني ﴿الباب العاشر﴾ في ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذي بأجله تأليف هذا الكتاب ﴿الخاتمة﴾ في ذكر المواضع والامكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء ﴿المقدمة﴾ في ذكر سند ما نقله في كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ أن من بركة العلم نسبته الى قائله وما لم يكن هنالك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي ثم قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي ثم المكي مكة

ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الاخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية فأما الاولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم أما أبو الوليد الازرقي فروينا مؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدي المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري الخرقاني النهرواني ثم المكي رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضي خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذاك من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر الصوفي عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القرشي اجازة ان أبا الحسن علي بن هبة الله الخطيب عبد الله بن

خلع وولي الخلافة مروان بن محمد بن مروان فأثبت ولاية (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) على مكة ثم عزله وولي على مكة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك) ثم تغلب على مكة أبو حمزة الخارجي وأخرج منها عبد الواحد وقصة هذا الخارجي مذكورة في التواريخ ثم جهز مروان بن محمد جيشا لاخراج الخارجي من مكة والمدينة وأمر على الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فأخرج جيش أبي حمزة الخارجي وقتله وولي مكة وولي بها أيضا لمروان بن محمد (الوليد بن عروة السعدي) ويقال أيضا ولي بها لمروان (محمد بن عبد الملك بن مروان) وانقضت دولة مروان بن محمد سنة مائة واثنين وثلاثين وقتل

﴿ابتداء دولة بني العباس﴾

وقام ملك بني العباس فكان أول خلفائهم السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فولي مكة في أيامه عمه (داود بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما ثم وليها أيضا في زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) وتوفي السفاح سنة مائة وستة وثلاثين وولي الخلافة أخوه المنصور وولي مكة في خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبد الله الحارثي) السابق ذكره أيضا ثم عزله وولي مكة (الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولي مكة (السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمس وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب فبايعته الائمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ومن في طبقتهما فوجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) ومعه القاسم بن اسحق واليا على اليمن يعني القاسم بن اسحق فخرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب اذاخر فانهزم السري ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة بمن معه ويخبره بمسير جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبلغه وهو بنواحي قديد قتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة في التواريخ وقيل ان الذي ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السري الى ولاية مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وستة وأربعين فعزله المنصور وولي

ظافر الازدي أنبأه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أنبأنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيوري قال أنبأنا به أبو طالب
محمد بن علي بن الفتح العشاري قال أنبأنا به أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي قال أنبأنا به أبو اسحق ابراهيم بن عبد
الصمد الهاشمي قال أنبأنا به أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الازرقي رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحق
الفاكهي فاني أروي مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبي القاسم محمد العقيلي النويري
المالكي تغمده الله برحمته قال أنبأني به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتني به المسندة
المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأني به الحافظ المسند بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سبط
الحميري اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفي اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التميمي كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني أحد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الحزامي عن أبي القاسم بن أبي غالب الهمداني عن أبي الحسن الانصاري عن مؤلفه رحمه الله تعالى

﴿الباب الاول في ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها﴾

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة
موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه لصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان
وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل الى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما
الازرقي جبل أبي قبيس والجبل الاحمر فانه قال أخشبا مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذي يقال له الاحمر وكان
يسمى في الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان مما يشرف على الجبل
المقابل لابي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمي الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد
اللام لان طائفة من الحبوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط

مكة (عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع
وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات باسنانه التي ولد بها وكانت
قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولي بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن
علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما واستمر الى سنة مائة وثمانية وخمسين وفيها توفي المنصور
وولي الخلافة ابنه محمد المهدي فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) الى
سنة مائة واحدى وستين فولي (جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين
فولي (عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهي ان محمد
ابن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولي مكة أيضا للمهدي وتوفي المهدي سنة مائة وثمانية وستين
وولي الخلافة ابنه موسى الهادي وفي أيامه تغلب على مكة (الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن
الحسن السبط) وذلك في سنة مائة وتسعة وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج بأتباعه الى مكة فدخل
مكة وبلغ الهادي خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته
ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج في هذه السنة في عدة من قومه وعسكر بذي
طوى وانضم اليه من حج من جماعته وقوادهم فلاقاهم الحسين واقتتلا يوم التروية فقتل الحسين
وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الزاهر وحمل رأس الحسين
الى الهادي فلما رآه تعب ولم يعجبه ذلك ومنع الآتين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل
بيته سليمان بن عبد الله بن حسن وعبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج
الاصبهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى فخ فصلى فيه باصحابه صلاة الجنازة ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة من
المسلمين ينزل لهم باكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان
الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وفد مرة على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها
ببغداد والكوفة وكان لا يملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسي وتوفي موسى
الهادي سنة سبعين ومائة فولي الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة في زمنه جماعة لا يعرف
ترتيبهم في الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحماد البربري
وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبيد الله
ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلي بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى والفضل بن

المسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة ولها شعاب كثيرة وعروزة اذا أشرف الانسان من جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهي تسع خلقا كثيرا خصوصا في أيام الحج فانه يرد اليها أفواج عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعا أفنيتها وجبالها ووهادها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلاء والرخا وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان) خلد الله ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه في أعلا (٨) درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت أشاهد قبل الآن في زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى أني أدركت الطواف وحدي من غير أن يكون معي أحد مرارا كثيرة أترصد خلوا لكثرة ثوابه أن يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثار على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بغيرها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله تعالى أعلم بالسرائر • حتى حكى لي والدي رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من أنت من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة وأتم طوافه • وحكى لي شيخ معمر من أهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندي وكنت أرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنت أرى القوافل

جاء

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان ابن عفان) رضي الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفي سنة مائة وثلاثة وسبعين جاءت الحبشة في زمن الحج الى جدة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفي الرشيد سنة احدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي الخلافة ابنه محمد الامين فولى مكة في أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما فضمت اليه المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضي مدة كتب اليه أهل المدينة يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم رجل من بني عجل ناسكا كان مقيما بجدة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أبقى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن علي الاصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السري بن منصور الشيباني قام بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن) المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا استحل القتال بمكة والله لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الفج فانحاز في ناحية ثم خرجوا الى العراق وصعد الناس عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من عرض الناس بلا خطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة تخوفا من بني العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج داود بن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم صلى بالناس الصبح بالمزدلفة وأقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه قتل أبي السرايا سنة مائتين فخاف تغير الناس عليه فعمد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الاول سنة مائتين وبقي شهورا ليس له من الامر شيء والامر للافطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم

تأتي بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال السلطنة الشريفة خائضون في بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمره وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لا الخيل والجمال والاحمال وكانت مكة في قديم الزمان مسورة فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقوب للسيل قصير دون القامة وهو سمت قطعة جدار بني الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل في يوم العطش الاكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظرة بها شبابيك من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان في جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه بابان بعقدين أدركنا أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شئ الآن ولم يبق منه الا قبع بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور في جهة المسفلة في درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقي الفاسي رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذي ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل قال وفي الجبلين آثار تدل على اتصال السور بهما انتهى ولم يبق الآن شئ من آثار السور الثاني مطلقا واول دور مكة كانت تنتهي الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى أن احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن آثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلى مكة

جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الامان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبي ان الجلودي خرج بالديباج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمدا) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنتين وقال الفاسي وولي مكة بعد الجلودي (هرون بن المسيب ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقي أن يزيد بن حنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولي مكة للمأمون (عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) مع المدينة وممن ولي مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وسليمان بن عبد الله ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل) الا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها وممن وليها للمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه واستمر الى أن توفي المأمون سنة مائتين وثمانية عشر فولي الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد فولى مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقي الى خلافة المتوكل وولي مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركي) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج ففوض اليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) نائبا عنه على الحج ودعي لاشناس على المنابر في الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفي الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره فولي الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم فولى مكة (علي ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور) الى سنة مائتين وتسعة وثلاثين فتوفي فوليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) فأرسل اليها بعض قواده وممن وليها أيضا في خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمر في ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبعة وأربعين وولي الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولي الخلافة المستعين بن المعتصم فولى مكة في أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) رضي الله عنهما وتغلب على مكة في أيامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند دار جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة

نزلت بمكة من قبائل نوفل • ونزلت خلف البئر أبعد منزل
حذرا عليها من مقالة كاشح • ذرب اللسان يقول ما لم يفعل

قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود مزار الى الآن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة ﴿وأما حدوث هذه الأسوار﴾ فقد قال التقي الفاسي رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الأسوار بمكة ولا من أنشأها ولا من عمرها غير أنه بلغني أن الشريف (١٠) أبا عز قتادة بن ادريس الحسني جد ساداتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال وأظن أن في دولته عمر السور الذي بأعلى مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب أربل في سنة ستمائة وسبعة ولعله الذي بني السور الذي بأعلى مكة والله أعلم قال ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان بمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي بأعلى مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة الى باب الماجن يعني درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذي كان موجودا في زمانه طريق المدعى والمسعى ومسيل وادي ابراهيم والسوق الذي يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ومما ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعني الذراع الشرعي وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبي وداعة السهمي أن سعد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتا بمكة وأنشد في ذلك شعرا

وأول من بوأ بمكة بيته • وسور فيها ساكنا بأثاثي

وينبغي لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الأزرقي وانما سميت الكعبة كعبة لأنه لا يبنى بمكة بناء مرتفع

عبد الله بن الحسن المثنى فانه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فضربه جعفر دنانير وصرفه في قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولي مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولي الخلافة المعتز بن المتوكل وولي مكة في زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المخزومي) قال الفاسي وممن ولي مكة في خلافة المعتز أو المهتدي أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمسة وخمسين وولي الخلافة المهتدي بن الواثق فولي مكة في زمنه (علي بن الحسن الهاشمي) كذا ذكره الفاسي ولم يرفع نسبه وقتل المهتدي سنة ست وخمسين ومائتين وولي الخلافة المعتمد على الله بن المتوكل فولي مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل العباسي) الملقب بزي ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسي ان المعتمد كان قد ولى أبا عيسى محمد ابن يحيى المخزومي ثم عزله بأبي المغيرة السابق ذكره فصار بها فقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه على رمح وممن ولي مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسي وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولي مكة للمعتمد أحمد بن طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته بهذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولي مكة زمن المعتمد (محمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضي محمد بن جار الله في تاريخه وأما ولاتها يعني مكة في خلافة المعتضد ثم في خلافة أولاده المكتفي والمقتدر والقاهر ثم في خلافة الراضي بن المقتدر ثم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عج بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان واليها سنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الأثير انه كان واليها سنة مائتين وخمسة وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولي مكة في هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشرها في مدة عقده له ومن ولاتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمداني بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير اني أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها في هذه المدة ابن مخلب وقيل ابن محارب ولم تعلم أول ولايته

﴿ذكر دخول القرامطة مكة﴾

عنهما قال حدثني جدي عن ابن عيينة عن ابن مليكة الحجبي عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدي لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم داره التي بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاما للكعبة ثم قال الازرقي قال جدي فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى ﴿وأما حكم بيع دور مكة واجارتها﴾ فقد ذكر الامام قاضي خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبي يوسف قال صاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن أبي حنيفة

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبي طاهر القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحجاج ونهبه الاموال لان هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التي ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لابد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمانية وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف ويصطنع الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قصد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما اشتفى من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ثم خفف فقالوا قرمطة ويقال للمتابعين له القرامطة وفي تاريخ ابن خلكان القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشئ بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشي مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطي من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع في الصلاة والاذان وغيرها فاعتقدوا وصدقوه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الا أن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه يحيى ويكنى أبا القاسم وسموه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا يسمونه يحيى بن المهدي فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى وكان من غلاة الشيعة فاظهر له يحيى أنه رسول المهدي وذكر له انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف واقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدي يزعم أنه من المهدي فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابي بتشديد النون كما في تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبي سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر في سنة ست وثمانين ومائتين انه يريد البصرة

أن بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبي يوسف وعليه الفتوى ذكره في عيون المسائل قال قوام الدين في شرح الهداية بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناءها ملك الذي بناه ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا ﴿وأما بيع أرض مكة﴾ فلا يجوز عند أبي حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبي يوسف يجوز ورجح الطحاوي قول أبي يوسف وقال رأينا المسجد الذي كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز البناء فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي يجري فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا ﴿وأما اجارة دور مكة﴾ فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى وروى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطني باسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروي أنه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان أهل الموسم

لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون
كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته الى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل
لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها
النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق على موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة
ومالك والاوزاعي رضي الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤا اسكانا وبيعا
واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك
عمل الناس قديما وحديثا

﴿وأما أسماء مكة المشرفة﴾ فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم أمك الفصيل ما في ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيأ ولذلك تسمى المعطشة أو لانها تنقص الذنوب أو تفنيها ومن أسمائها بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمي علم الشعر عروضا لان الخليل ابن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلد والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لمحل من قيقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادي والحرام والعرش وبره وحفر وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن أسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناشة أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها أسامي غير ما ذكرنا وللمجد الفيروزابادي رسالة في أسمائها قال الامام النووي رضي الله عنه ولا يعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء

فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره
ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق في عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد بمن معه من
الجيوش على نواحي هجر من نواحي البصرة وقوي أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم
وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة في التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحي الشام
ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانبا من العراق وتوفي المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولي
الخلافة بعده ابنه المكتفي وبقي القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في
أقطار الارض وتعرضوا للحجاج ونهبوه وقتلوا أكثر الحجاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفي
المكتفي سنة خمس وتسعين ومائتين وولي الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقي القتال بينه
وبين القرامطة في مواضع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابي رئيس القرامطة
وقائد جيوشهم وكان قد عهد الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة
الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبي سعيد في الحمام قتله خادم له صقلبي وكان
أبو سعيد قد استولى على هجر والاحسا والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم
منتشرا وفتنتهم قائمة الى أن دخل أبو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة
الملحدة اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم
نحس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا بهجر وسماها دار الهجرة وأراد نقل الحج
اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج
في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففي أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة
لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا
بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا
في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك
مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده قيل وهو
سكران وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام
والسيوف تنوشهم الى أن قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ
الصوفية في ذلك الوقت الشيخ علي بن بابويه ولم يقطع طوافه وجعل يقول منشدا

(ترى المحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا)

والسيوف تقفوه الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى وملؤا رؤس الشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار

مكة ومن الخواص اذا كتبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف ﴿وأما فضل مكة شرفها الله تعالى﴾ فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أي ماضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض بالاجماع لحلول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فيه قال اليشكري رحمه الله تعالى

جزم الجميع بأن خير الارض ما • قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت • كالنفس حين زكت زكي مأواها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن مكة شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد وأصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ولا ريب في الفضائل التي أثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته المعظم الذي اذا قصده عباده حط عنهم أقذارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الا باحرام وهي مثوى ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين • رضوان الله عليهم أجمعين • وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام • وغير ذلك من المزايا العظام • ولقد قال القائل

ارض بها البيت المحرم قبلة • للعالمين له المساجد تعدل

حرم حرام أرضها وصيودها • والصيد في كل البلاد محلل

وبها المشاعر والمناسك كلها • والى فضيلتها البرية ترحل

وبها المقام وحوض زمزم مترعا • والحجر والركن الذي لا يرحل

والمسجد العالي المحرم والصفا • والمشعران لمن يطوف ويرمل

وبمكة الحسنات ضوعف أجرها • وبها المسيء عنه الخطايا تغسل

وحفر ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب

(أنا بالله وبالله أنا • يخلق الخلق وأفنيهم أنا)

وصاح في الحجاج وهو على فرسه يقول يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا مافعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى الآية الشريفة ماذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه في سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فأخطأ نحره وخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيي بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ماقيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما في تاريخ القطبي فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فادوا بانفسهم وسعوا بارواحهم فوقفوا بها بلا امام وأعوا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فجمع الجميع مع مانهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه في بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك

العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا • لصب علينا النار من فوقنا صبا

لانا حججنا حجة جاهلية • محللة لم تبق شرقا ولا غربا

وانا تركنا بين زمزم والصفا • جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد المذكور وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله وفي تاريخ الخميس أن أبا طاهر القرمطي دخل مكة بأناس قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أبا طاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا مهنئا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده وجاءته الى منزلك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلدهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشدهن في الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد الى أن دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس ورماه الله بالآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطي في يوم النحر عاشر ذي الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة

وقال الامام مالك رضي الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿وأما حكم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى﴾ فذهب امامنا الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وبعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين في دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى أن يذهب من قلبه الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى في نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الاكثر الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها في نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضي الله عنه ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده • وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المقام بالطائف وحواليه على مكة وقال لان أذنب سبعين ذنبا بركبة أحب الي من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيآت بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطني فأعانني على ظاهري وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفي أربعين سنة لم يقض حاجته

البشرية في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا روى عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه في مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق في مصنفه • وروى عن وهيب بن الورد المكي رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار خفيا فاستمعت فاذا هي تناجي وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى ممن حولي من سمرهم وتفكههم باللغو وذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغي لهم واللهو والعبث لئن لم ينتهوا عن ذلك لا نتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه • وسئل الامام مالك رضي الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان

الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا القضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى أعلم • وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة في قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس • وحكى الفاسي في منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما • وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام • وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمله في سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهي رحمه الله تعالى ومحصل مذهب الامام أبو حنيفة رضي الله عنه من كراهة المجاورة مبني على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك في تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك في تردد الاولياء اليها في الاوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أولمحه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام • وكان دأب والدي رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت

أبو جعفر محمد بن الحسن وآخرون واسقطا فيه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة في طوله وعرضه لضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضر واجصا ليشد به فوضع حسن بن المزوق البنا الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك الشيخ محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله في الحجر الشريف وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي أرسل لاحمد بن أبي سعيد القرمطي أخي أبي طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بحكم التركي مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه قال العلامة القطبي في تاريخه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدناه فعض عليه بالنواجذ قال القطبي ثم ان الحجبة خافوا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده الله بسوء ثم أمر صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبع وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة في التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن وليها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقد له بها ولولديه (أبي القاسم وعلي) وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسي ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة واعاولوها بعد من المكتفي ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيد بمصر وممن ولي مكة (القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي) وذلك سنة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلي بن الاخشيد هذا ما تحصل من الكلام على ولاتها في هذه المدة

﴿ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوي لنفسه بمكة﴾

وفي سنة ثلاثمائة وواحد وقع في الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوي خطب لنفسه بالامامة في مكة وخلع طاعة العباسيين وكان أول خطبته الحمد لله الذي أعاد الحق الى نظامه وأبرز

الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لابد أن يحجوا فى كل سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة فى أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى فى ذلك اليوم وأجلس فى الحطيم ومرى أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظرى الى أحدهم أو يقع نظره على فيحصل لى بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكان يذهب به ويجلسه فى الحطيم ويقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم على فيحصل لى بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفى رحمه الله وان أولياء الله يخفون أنفسهم عن أعين الناس فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا من سعداء الدنيا والآخرة بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

زهر الاسلام من كامه وكمل دعوة خير الرسل باسباطه لابى أعمامه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكف عنهم ببركته أمر المعتدين وجعلها فى عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لا طاب بسيفى * من كان للحق دينا * واسطون بقوم * بغوا وجاروا علينا
* يجسدون كل بلاء * من العراق الينا *

وفى سنة ثلاثمائة وسبعة عشر كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفى سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت فى حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضا بالفاطميين ودخلها قائدهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدى ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعى لهم على منابر الحرمين وصارت الخطبة الاسلامية على قسمين فمن بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسى ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

﴿ذكر دولة الاشراف بمكة﴾

(ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة) طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسنيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثانى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن يملك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدى وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وستة وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بنى حسن وبنى حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدى فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفى جعفر المذكور تولى (ابنه عيسى بن جعفر) ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) كما سيأتى وفى مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة خمس وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدى صاحب مصر أميرا علويا بالمكة ولاه نائبا عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد من العرب فى هذه السنة وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم ومازال الامر حتى خطبوا

للعزيز

﴿الباب الثانى فى بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾ قال قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى فى كتابه شفاء الغرام لاشك ان الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلف فى عدد بنائها ويتحصل من مجموع ماقيل فى ذلك انها بنيت عشر مرات وهى بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وفى اطلاق العبارات فى بناء الكعبة تجوز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط وأعاده وأبقى الجوانب الثلاث وهى جهة الباب وجهة المستجار الذى هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها﴾ فذكره الامام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدثنا على بن مسلم العجلى عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام على زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال كنت مع أبى على بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وأنا وراءه اذ جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبى فالتفت أبى اليه فقال

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبي وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتي أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الي فجلست الى جانبه فقال يا محمد أين السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدي أبي فقال له عم تسأل قال اني أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له أبي من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعني التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبي يا أخا الشام احفظ عني ولا تروعني أما بدء هذا الطواف فان الله تعالى قال اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة أي رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا تسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى اني أعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة أن ما قالوه رد على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد فغشاهن بياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لي في الارض بيتا بمثاله وقدره وأمر الله تعالى من في الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما طوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى قلت هذا الحديث الشريف يدل على أن بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة في رواية وبألفي عام في رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهي المكي في أوائل تاريخ مكة حدثني عبد الله بن أبي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفي سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه أن موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت وانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم

للعزيز وتوفي العزيز سنة ثلاثمائة وست وثمانين فولي مصر ابنه الحاكم بأمر الله ثم انه في سنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين أرسل الحاكم بأمر الله الى صاحب مكة اذ ذاك وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر سجلا ينتقص فيه الصحابة رضي الله عنهم وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر فشق ذلك على الامير أبي الفتوح وفشا ذلك الامر في الموسم وحضر الحجاج وتداعت العرب من حوالي مكة من هذيل وغيرهم وحضروا في المسجد غضبا لله ورسوله فلما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفة واحدة بالحجارة والعصي على المنبر فكسروه حتى صار رضاضا ولم يدروا أنه على المنبر أم لا وكان يوما عظيما فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن بهذا المذهب القبيح ثم ان أبا الفتوح أظهر العصيان لصاحب مصر الحاكم بأمر الله بسبب طلبه سب الصحابة وخلع طاعة الحاكم وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس فقال في أول خطبته طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع لقبائل من العرب منهم آل الجراح واستمال منهم حسان بن مفرج فبذل له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يتخلوا عن أبي الفتوح ويخلوا بينه وبينه فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبي حسان فكتب مفرج الى الحاكم في شأنه ففرح الحاكم بذلك ورضي عن أبي الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة واليا عليها وفي مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفاتك عبد الله بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال لبني أبي الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تنحى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر وأورد له من الشعر قوله

وصلتني الهموم وصل هواك ۞ وجفاني الرقاد مثل جفاك

وحكى لي الرسول انك غضبى ۞ يا كفى الله شر ما هو حاكي

وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة ما لا مزيد عليه ۞ يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فأنف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى محا رسمها وذهب نقشها وردها اليها مع حنطة أرسلها لها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وكانت مثله في القوة فأخذت كفا من الحنطة وفركتها حتى صيرته دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه

﴿الثاني بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة﴾ وقد ذكره الامام أبو الوليد الازرقي فقال حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالي لا أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لي بيتا فاطف به واذكرني حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي قال فأقبل آدم يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه على شيء من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت في الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتا والجودي وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام انما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض والحال ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الازرقي في تاريخه قال حدثني أبي عن جدي قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرني عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلي عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده ومات * وقال الازرقي أيضا حدثني أبي قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن أبي معروف عن عبيد الله بن أبي زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لي بيتا حذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى

الخطابة لا تصلح ولم يزل أبو الفتوح واليا على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فمدة ملكه ثلاثة وأربعون سنة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه (شكر الملقب بتاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وفد عليه بعض العرب وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف شكرا لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربي الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي ولا تذكرني له فادرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه فلما عرفه أكرمه وفرح به فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وانه يريد شراءها منه فأتاه العربي بجلدها وأكرعها وقال له انك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك فما وجدنا غير الفرس فذبحناها وكانت نسيافتك من لحمها فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة دينار ورجع الى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له أحسنت ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس وأما الآن فأنت حر لوجه الله اهـ واستمر الشريف شكر الى أن توفي سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين في شهر رمضان وفي عمدة الطالب ان وفاته كانت سنة أربعمائة وأربع وستين وكان له شعر حسن منه

قوض خيامك من أرض تهان بها * وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب

قيل ان ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بعد محاربة بينه وبين بني حسين ولم يخلف بعده الا بنتا فولي الامر بعده (عبد الله) فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكره فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها وكان ممن ولي مكة من بني الطيب (محمد بن أبي الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر) وفي سنة أربعمائة وخمسة وخمسين قدم الى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي فدخل مكة سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب واستعمل العدل والاحسان لاهل مكة فرخصت الاسعار واستراحت الناس جدا وكثر الدعاء له واستمر بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول فقام الاشراف الحسنيون عليه وقالوا له اخرج الى بلدك واجعل لك بمكة نائبا من شئت فجعل على مكة (محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) واستنجد له الصليحي عسكرا وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فارسا وقيل ان الداعي للصليحي الى الخروج من مكة ان بني أبي الطيب كانوا قد انهزموا من مكة لما قصدها الصليحي فجمعوا وجمعوا وأرسلوا اليه يطلبونه الخروج من مكة وأن يولي عليهم واحدا منهم وكان قد وقع في جماعته الوباء

وقال الازرقى أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن أبى المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما حج قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا برحك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضى الله عنهما يفعل ذلك ٭ وقال الازرقى أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثنى هشام بن سليمان المخزومى عن عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى الا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك وان يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها قال فمذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف

﴿الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة﴾ روى الازرقى بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التى منح الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوّأ لابراهيم انتهى ٭ وقال الحافظ أبو القاسم السهيلى فى الفصل الذى عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الاول حين بنى شيث بن آدم عليه السلام انتهى ونعل مراد السهيلى بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الاساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها فى خبر وهب بن منبه رضى الله عنه هو البيت المعمور ولعلها

ومات منهم نحو سبعمائة فخرج منها على الصورة المذكورة وفى عمدة الطالب انه لما توفى شكر بقيت مكة شاغرة فملكها حمزة بن وهاس بن أبى الطيب داود السليمانى وقامت الحرب بين بنى موسى وبين بنى سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم وبقيت فى أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذى فى التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبى الفاتك كما تقدم قال الفاسى ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفى تاريخ السنجارى نقلا عن الوقائع وفى سنة أربعمائة وسبع وخمسين حج أبو الغنائم نقيب الاشراف ببغداد فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء فى الخطب للعباسيين ولم يدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة لقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر فأخذ محمد بن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التى كانت على الباب واستمر على الخطبة لبنى العباس وترك الاذان بحى على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار فقصده بنو سليمان الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبد الله بن موسى ويقال لسليمان الحرابى لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون ومعهم حمزة بن وهاس بن أبى الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبى الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه ففر الى ينبع فولى مكة (حمزة بن وهاس) فجمع محمد بن جعفر جموعا وقصد حمزة بن وهاس وكانت بينهم حروب حتى أخذ محمد ابن جعفر مكة من حمزة بن وهاس وكان محمد بن جعفر على غاية من القوة والشجاعة كر فى بعض حروبه على التركمانى فضربه بالسيف فقطع درعه وجسده والفرس حتى وصل السيف الى الارض فبهت الجند واستمر محمد بن جعفر الى أن توفى سنة أربعمائة وأربعة وثمانين فولى مكة أيضا (القاسم بن محمد بن جعفر) كذا قال الفاسى وقال غيره القاسم بن شميل بن محمد بن جعفر قال وهذا البطن يقال لهم الهواشم ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم الاصبهبذ بن سارتكين فى أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم وأقام (الاصبهبذ بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبعة وثمانين فجمع القاسم جموعا وكبس الاصبهبذ سنة أربعمائة وثمانية وثمانين واستمر القاسم واليا على مكة الى أن توفى فى صفر سنة

خمسمائة وثمانية عشر وقيل سبعة عشر وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا لطيفا من شعره

قومي اذا اخاضوا العجاج حسبتهم * ليلا وخلت وجوههم أقمارا

لا يعدلون براد هم عن جارهم * عدل الزمان عليهم أو جارا

واذا الطريد دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

واذا زناد الحرب أخمد نارها * قدحوا باطراف الاسنة نارا

ولما توفي القاسم بن محمد ولي مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعة وعشرين فولي مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفي سنة خمسمائة وتسعة وثلاثين نهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم الشريف وهم يطوفون لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي ودامت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفي فولي مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفي سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت فتنة بين القاسم وعمه قطب الدين عيسى واستولى على مكة عمه (عيسى) وقال الفاسي ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هذيل مكة ونهبوها وتعب الناس وفيها صادر القاسم بن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فملكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل وسببه أنه قتل قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه وكاتبوا عمه عيسى واقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه واخذه بعض أصحاب عيسى فقتله فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوقائع وفي أيام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقي فقتل من أهل مكة جماعة وانتصر عيسى على الحج العراقي واتباعه ولم يتمكنوا من دخول مكة فقروا مشاة وقد أخذوا جميع جمالهم وأسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واستمر عيسى بن فليتة الى سنة خمسمائة وخمس وستين فنازعه أخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك وبقي عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هذيل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ ما في الجلاب

﴿انقراض دولة العبيديين﴾

وفي سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل دولتهم

خيمة غير البيت المرفوع وانما رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وأبقى البيت المعمور الى أن رفع زمن الطوفان وفي ذلك ارتكاب المجاز مما يصحح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها ﴿الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة﴾ قال السيد الامام التقي الفاسي رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الآثار فبناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول حقيقي والله تعالى أعلم وأحكم وروى الازرقي رحمه الله في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه في الارض من قبل الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى الآن الركن العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور الى الركن اليماني احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه في الارض من الركن اليماني الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبني واسمعيل عليه السلام ينقل له الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبني ويحوله له اسمعيل عليه السلام في نواحي البيت حتى انتهى على موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسمعيل ائتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسمعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عز وجل استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فاضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصاب الحرم من كل ناحية وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها

دولتهم مذكورة فى التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبى ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى بن فليتة الى أن توفى سنة خمسمائة وسبعين وفى الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقى مقاتلة بالزاهر ولما توفى عيسى بن فليتة ولى مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسى فوليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقى حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبى قبيس بعد نهب الحجاج وأخذ أموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب ونهبت مكة وأحرقت بها دور كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (للقاسم بن مهنا الحسينى) أمير المدينة فاستمر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع فى ذلك طاشتكين فولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التى كانت على أبى قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المناسك فى هذا العام

﴿ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم﴾

قال الفاسى بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير انه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الاخير هل هى ولايته أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر وفى أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبى صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج فى البحر على طريق عيذاب وكان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدى الحلبى حج فلما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيأ وأراد الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومسامحته فلما طلع الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا يفى بمصالحنا وهذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وعرفه ان البلد ضعيفة وانما مدخل ما يكفيه وان ذلك هو الذى حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفى دينار وألفى أردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو فى خطبته للخليفة العباسى ثم لمكثر ثم السلطان صلاح الدين

﴿ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام﴾

قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمر أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجىء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقى الدين الفاسى رحمه الله تعالى روينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودى وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال وروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبى قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن احد وقال الازرقى رحمه الله قال

أبى وحدثنى جدى عن سعيد ابن سالم عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفى ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن البيت فيما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل • قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى فى كتابه العرائس فى قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس القرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فأتى ابليس الى فرعون وقال ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هى أختى وخاف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله فانه ليس مسلم فى هذه الارض غيرى وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلى وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليهما منذ فارقته الى أن عادت

اليها اكراماله وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها فدهش فى حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى عنى فوالله انى لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهى جارية قبطية جميلة وردها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وهبنى هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء وهو يضيف من يأتيه وقد أوسع الله عليه وبسط له فى الرزق والمال والخدم فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج

من بين ظهرانيهم وأمرهم أن يبدؤا فيبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليه سر بهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم الا أنا فجاء بعجل سمين مشوى بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت ٭ قال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت ٭ قال السدى فحملت سارة باسحق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه فى حجره وأخذ اسحق الى جانبه فغضبت وكان سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت فى يمينها فقال لها ابراهيم اخفضيها واثقبى أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء والخفاض بالمهملات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسمعيل واسحق كما تهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت أن لا تساكنها فى بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى ابراهيم أن يأتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فعمد بهما الى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وأمرها أن تتخذ

وفى سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفى سنة خمسمائة وخمسة وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثر وهرب داود الى وادى نخلة ومات هنالك وبه ينتهى الشك السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كانت فى ولاية مكثر وفى سنة خمسمائة واثنين وتسعين عند خروج الحاج وقعت بمكة ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر وسقطت أحجار من الركن اليمانى من الكعبة الشريفة وقال أبو شامة فى ذيل الروضتين فى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شئ لم يعهد وفى سنة خمسمائة وسبعة وتسعين وقيل ثمانية وتسعين وقيل تسعة وتسعين انتزع مكة من مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادتنا الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبه انقرضت دولة بنى فليتة الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف وكان ذا بأس ونجدة وشوكة فجمع بنى عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بنى حراب من أولاد عبد الله المحض بن الحسن المثنى ثم استأصلهم جماعة فصاروا معه وملك ينبع والصفراء وسبب طمعه فى ملك مكة ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بنى فليتة على اللهو وتبسطهم فى الظلم واعراضهم عن العدل اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعنف لرعاياهم فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة منهم اليه وسألهم المساعدة على ما رومه من الاستيلاء على مكة وبعثه على المسير اليها ان بعض الناس فزع اليه مستغيثا به فى ظلامة ظلمها بمكة فوعده بالنصر وتجهز فى جماعة من قومه فما شعر أهل مكة الا وهو معهم بها ولا تنبها على ما هم عليه من اللهو والاهمال فلم يكن لهم عنها ومنه طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه فى ابتداء ملكه لها وانما أرسل اليها ابنه حنظلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة بن قتادة ولم يحصل لمحمد ظفر وعمت البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة سنة ستمائة وواحد وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة تخرج فى مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير فى اعتماره فى مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم

عن بشأنه ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تر داعيا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر أحدا ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فما رأت أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء • وفي لفظ النبوة لولا أنها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا لله عزوجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله • قال الامام أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في تفسيره لا يجوز لاحد أن يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام فانه فعل ذلك بأمر الله تعالى • وقد روي ان سارة لما غارت من هاجر لما ولدت اسمعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزل ابنه وأمه هناك وركب من فوره من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى {ولماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره} في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له ورجاله موثقون الا انه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح كذا في فتح الباري بشرح البخاري • وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وان شربته لتشبع أشبعك الله به وان شربته لقطع ظمئك قطعه وهي ضربة جبريل وسقيا الله اسمعيل • وعن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء • وفي صحيح البخاري قال أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الا ماء زمزم أجتزي به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع • وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر انه طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه مسلم وشفاء سقم • وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا شربه مجربا (قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودي الشافعي عالم المدينة في

وكان الظفر له عليهم فهربوا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير ووقع حرب أيضا بين الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة

(مصارع آل المصطفى عدن مثل ما • بدأن ولكن صرن بين الاقارب)

ثم حارب ثقيفا وأهل الطائف وملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه جدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بنبله وسمو الهمم العلية لمثله وذلك ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة يأتيه ببغداد فسار متوجها اليه الى أن وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج لملاقاته العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تذل فيها الاسود والله لا دخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه فكتب اليه الشريف قتادة الجواب ومن جملته قوله

(بلادي وان جارت علي عزيزة • ولو أنني أعرى بها وأجوع)
(ولي كف ضرغام اذا ما بسطتها • بها اشتري يوم الوغى وأبيع)
(معودة لثم الملوك لظهرها • وفي بطنها للمجدبين ربيع)
(أأتركها تحت الرهان وأبتغي • بها بدلا اني اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك في أرض غيركم • أضوع وأما عندكم فأضيع)

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب في رجوعه أرسل له الناصر معه مالا وكسوة فاخرة ولم يظهر له التعب مما جرى من فعله وجعل الامير الذي جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا بنيل هذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظر في ذلك ثم جمع بني عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال لهم يا بني الزهراء عزكم الى آخر الدهر بمجاورة هذه البنية والاجتماع في بطحائها واعتمدوا بعد اليوم ان تعاملوا هؤلاء بالشر يرهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبونكم بالمال والعدد فان الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم غدا الشريف على الامير وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال الامير يا شريف أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفة ابن عمك وأنا مملوك تركي لا أعلم من الامور التي في الكتب ما علمت ولكن

عصره ومؤرخها ومحدثها وقد أخذ عنه ناس ممن أخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا
يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون منه الى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى * رجعنا الى القصة قال ومرت رفقة
من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم
فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها
في الحجر بسكون الجيم وشب اسمعيل فتزوج اسمعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني اسمعيل العرب العاربة والعرب
العرباء وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسمعيل * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزور هاجر وابنها
فأذنت له واشترطت أن لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فأتى الى بيت اسمعيل فوجد امرأته فسألها أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل عليه السلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما يتعيش به فقال لها عندك ضيافة من طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسمعيل قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا فأقرأك السلام وقال غير عتبة بابك فقال الحقي باهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم الى مكة وقدم على منزل اسمعيل فوجده غائبا في الصيد فقال لامرأته أين
صاحبك قالت ذهب يتصيد ورحبت به وقالت اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن فأكل وشرب فقالت له
يا عم هلم حتى أغسل رأسك وأزيل شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر
فغسلت شقه الايمن ثم الايسر ثم أفاضت الماء على رأسه وبدنه الى أن فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال
لها اذا جاء صاحبك فاقرئي عليه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلما جاء اسمعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك
أحد قالت جاءني شيخ من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فأصلحته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك
السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم أمرني أن أثبت معك وقيل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى أن بني عليه فيما بعد

فقد رأيت ان هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي وحاشا الله أن أحمل هذه الابيات عنك
الى الديوان فأكون قد جنيت على بيت الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنته رضي الله عنها
والله لو بلغ هذا الى حيث أشرت يعني الخليفة لترك كل وجه وحول جميع الوجوه اليك حتى يفرغ
منك ما لهذا ناصر ورفاه ان كان خطر ببالك انهم استدرجوك فلا تسر اليهم وقل حيلا فأصغى اليه
الشريف قتادة وشكر رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال الرأي عندي أن ترسل من أولادك من ان
وقع عليه شيء ما يهمك ولا يقع ان شاء الله ومعاذ الله أن يجري الا ما تحبه وسترى ان شاء الله من الخير
ما لا يخفى عنك فأعجبه قوله وفعل فبعث ابنه راجحا ومعه أشياخ من الشرفاء فدخلوا بغداد واجتمعوا
بالخليفة الناصر وقابلهم بالاعزاز والاكرام وأنزلهم أشرف الاماكن ثم عادوا الى مكة وكان
الشريف قتادة عند ذكر هذه القضية يقول لعن الله أول رأي عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا
لأصحابنا ينبهنا عند ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فاذا نزع
الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم
صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ومن
جملة كتابه قوله

(بني عمنا من آل موسى وجعفر * وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بني عمنا انا كأفنان دوحة * فلا تتركونا يجتني القنا فنا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل * بدا بأخيه الاكل ثم به ثنى)

فلما أقبلت الجنود الناصرية أتته بنو حسين فكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر
شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاه مفاخر رتبه وأقطعه قرى متعددة وتوفي الشريف قتادة سنة
سبع عشرة وستمائة في سن التسعين كما تقدم وقيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم
بحقيقة الحال فولي مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم
الحسن وراجح وادريس وعلي فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان قاتلا جريا أقتل اقباش الناصري
لاتهامه أنه واطأ راجح بن قتادة أن يوليه مكة ثم علق رأسه في ميزاب الكعبة واستمر على ولاية مكة
الى سنة ستمائة وتسعة عشر فانتزعها منه الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر
والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد
أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش فحاربه الشريف حسن ثم كان

ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها كذا فى قصص الانبياء وروى فيها أيضا عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال أشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاآ ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ مدا صوتى فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعى الله فأسمع الله صوته جميع من فى الدنيا ومن سيولد (٢٥) ممن هو فى أصلاب الرجال الآباء وأرحام الامهات ﴿وأما

أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام﴾ فقد اختلف العلماء فى أن المأمور بذبحه اسمعيل أو اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهما وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبى ومجاهد والحسن البصرى رضى الله عنهم أنه اسمعيل قال الامام أبو زكريا النووى رحمه الله تعالى فى كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق عليهما السلام والاكثرون على أنه اسمعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال فى ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال

قالوا لما أرى ابراهيم فى المنام أنه يذبح ابنه وتحقق انه أمر ربه قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فأخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرى أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله ما يريد الا ذبحك فقال لاى شئ فقال يزعم ان الله أمره بذلك

الظفر للملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما علا الملك المسعود من مكة جعل أمرها نيابة (لنور الدين على بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة فخرج اليه نور الدين الى الحديبية وكسره فهرب الحسن راجعا ثم رحل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد وادركه أجله هناك وفى سنة ستمائة وستة وعشرين ولى مكة للملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعود) ثم توفى فى تلك السنة الملك المسعود واستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن على بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور ولما توفى الملك المسعود كان أبوه الملك الكامل صاحب مصر موجودا فولى على مكة (طغتكين التركى) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى الى من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة فسمع الخطيب يقول على المنبر فى حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين المحترمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفى سنة ستمائة وتسعة وعشرين وقيل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة فأخرجوا نائب الملك الكامل وهو طغتكين التركى ثم جاء جيش من الملك الكامل فأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) فى آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا فى تاريخ السنجارى والحاصل أنه من سنة ست وعشرين وستمائة وما بعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع ملوك اليمن اما أصولا أو نوابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن قتادة ودامت ولايته الى آخر ذى الحجة سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل ينطوى على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضى فى تاريخه وان كان فى بعض ما ذكره مخالفة لما فى تاريخ السنجارى باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضى بتمامها قال العلامة الرضى فى تاريخه ذكر أهل التواريخ المعتمدة انه فى سنة ستمائة وست وعشرين التى توفى فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى طغتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين ففر نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبعة وعشرين وستمائة فوصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة فاستولوا على مكة فجهز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسر واستولوا على مكة بأميرهم

قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لامر الله تعالى وأقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه فقال انى أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذى رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عنى يا ملعون فوالله لامضين لامر ربى فنكص ابليس على عقبيه ورجع بخزيه وغيظه فلما خلا ابراهيم فى الشعب ويقال ذلك فى ثبير قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فقال حدثت ان اسمعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصيبك من دمى فينقص أجرى وان الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واستحد شفرتك حتى تجهز على فتذبحنى فاذا أنت أضجعتنى لتذبحنى فاكبنى على وجهى ولا تضجعنى لشق فانى أخشى ان أنت نظرت الى وجهى ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك فى وان رأيت ان ترد قميصى الى أمى فانى أرجوان يكون أسلى لها فافعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها فى يده ثم اجتذبها اليه ونودى أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحة فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثنى الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أخرج الله هذا الكبش من الجنة قيل رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهى ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء أن الكبش وهو الذى فدى به اسمعيل كبش أملح أقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد ابنى آدم ❊ فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد أمر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده ❊ والى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى وأمر والده وانقياده الى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها الامر الله تعالى واطاعة زوجها ❊ اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين ❊ قال الازرقى ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته

الاول طفتكين فأسرف فى القتل ونهب البلاد وأخاف أهل مكة خوفا شديدا ثم عاد الشريف راجح بجمع عظيم وأمده صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مكة ودخل عسكر مصر من غير محاربة وذلك فى سنة ثلاثين وستمائة ثم فى سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا أمير صاحب مصر فلما أن وصل الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر واصل بنفسه على النجائب فخرج الشريف راجح فجاء الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفى سنة اثنين وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله الى سنة أربع وثلاثين وستمائة وفى سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول فى ألف فارس فتلقاه الشريف راجح فى ثلاثمائة فارس ودخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور الدين على أهل مكة باموال كثيرة وفى هذه السنة مات الملك الكامل صاحب مصر وخطب بمكة لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح فى ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفى هذه السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح بن الملك الكامل ألف فارس ومعهم الشريف شيحة بن قاسم الحسينى أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة فدخلها الشريف شيحة فلما بلغ ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسينى فر هاربا من مكة وأخلاها وفى سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن تجهز وخرج الى مكة بجيش كثير فهرب المصريون وأحرقوا دار السلطنة بمكة فدخل السلطان نور الدين على بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن على بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح الى المدينة واستنجد أخواله من بنى حسين على ابن أخيه الحسن بن على بن قتادة فأنجدوه فخرج راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس قاصدا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب بالحرون وكان فارس بنى حسين فى زمانه فبلغ ذلك الشريف أبا سعد الحسن بن على بن قتادة وكان ابنه أبو نمى فى ينبع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبى نمى فى ذلك الوقت سبع عشرة سنة أو ثمانى عشرة فخرج فى أربعين من ينبع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفى ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسنى

السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار بن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه فولي البيت بعده ثابت بن اسمعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا وغوا ثم توفي ثابت فولي البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقيقعان بأعالي مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتقعقع فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا بأجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو ودون السميدع الى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول ونحن قتلنا سيد الحي عنوة • فأصبح فيها وهو حيران موجع (٢٧) وما كان يبغي ان يكون خلافنا • بها الملك حتى أتانا السميدع فذاق وبالا حين حاول ملكنا وعالج منا غصة تتجرع فنحن عمرنا البيت كنا ولاته ندافع عنه من أتانا وندفع وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع وكنا ملوكا في الدهور التي مضت وكنا ملوكا لا ترام فتوضع ثم نشر الله بني اسمعيل وخؤلتهم جرهما وكانت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الارض فلا يأتون قوما ولا ينزلون بلدا الا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنهم العماليق وكانوا ولاة مكة وكانوا انتهكوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها فأخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وغرقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه وولاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن أعز العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والاموال وطم

وهو اذ ذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أبا نمي ويحسن فعله

ألم يبلغك شأن بني حسين • وفرهم وما فعل الحرون
فيا الله فعل أبي نمي • وبعض الناس يشبهه الحزون
يصف بار بعين على مئين • وكم من كثرة طابت تهون

ثم ان أبا نمي دخل مكة بعد هزم الجيش مسرورا منصورا فاكرمه أبوه بان جعله شريكاله في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءها قالت له يا بني انك تقف اليوم موقفا ان ظفرت فيه بعدوك قال الناس ظفر ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فانظر لنفسك فانه لا موت قبل فراغ العمر فشكر لها ذلك وقال جزاك الله خيرا فلقد نصحت وأبلغت ثم ردها وقاتل قتالا ما سمع بمثله حتى ظفر وأقام الحسن بن علي بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفي سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جماز بن حسن بن قتادة) من دمشق في عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة في رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن علي بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها جماز بن الحسن بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (غانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه وتوفي الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا طوالا من الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر غانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبو نمي وعمه ادريس بن علي بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمرا الى الخامس والعشرين من ذي القعدة فجاء بجيش المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن فجمع ادريس وأبو نمي جموعا فقاتلوا ابن برطاس وهزموه وأسروه ثم افتدى نفسه ورجع من حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبو نمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعا وانفرد بها أبو نمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فتلقاه الشريف أبو نمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشترك معه في أمر مكة ثم توجه الى بلده فانفرد بها ادريس وأخرج أبا نمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا فخلص فقتل

البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بنى اسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فأخرجت جرهما من البلاد ووليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم فى ذلك مضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم ان يساكنهم فأبت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فنزعت ابل لمضاض بن عمرو فدخلت مكة فأخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتأكلها فتبع مضاض أثرها فوجدها فى بطن وادى مكة فأبصر الابل تنحر وتؤكل ولا سبيل اليها ورأى انه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا • أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولم يتربع واسطا فجنوبه • الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا • صروف الليالى والجدود العواثر

وأبدلنا عنها الامى دار غربة • بها الذئب يعوى والعدو محاصر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بهذا البيت والخير ظاهر

وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة • فأبناؤه منا ونحن الاصاهر

فأخرجنا منها المليك بقدرة • كذلك يا للناس تجرى المقادر

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة • كذلك عضتنا السنون العواثر

وسحت دموع العين تبكى لبلدة • بها حرم أمن وفيها المشاعر

بواد أنيس لا يطار حمامه • ولا ينفرن يوما لديها العصافر

وفيها وحوش لا تريب أنيسه • اذا خرجت منها فما ان تغادر

فياليت شعرى هل يعمر بعدنا • ظلماهما جياد ومفضى سيله والظواهر

وهل فرج يأتى بشئ نريده • وهل جزع ينجيك مما تحاذر

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسمعيل لا ينازعونهم فى شئ ولا يطلبونه الى أن كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب بمكة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذى جمع أمر قريش فسمى مجمعا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القائل

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر

هم ملكوا البطحاء مجدا وسوددا •

الشريف ادريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبو نمى مكة واستقل بولايتها فاستنجد عامر بن ادريس بجماز بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعا وقصد مكة وأخرج أبا نمى ثم عاد أبو نمى بعد أربعين يوما ومعه جموع فأخرجهما واستمر بها

﴿ذكر من مات من الزحام بباب العمرة﴾

قال الفاسى وفى سنة ستمائة وسبعة وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلا وفى سنة ستمائة وثلاثة وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبى نمى وبين بنى أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبو نمى من مكة وجمع جموعا وأخرج بنى أخيه والعسكر اليمنى فورد جيش من مصر مع الحج لاخراج أبى نمى وكان على مكة سور فأغلق أبو نمى أبواب السور ومنعهم من الدخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبو نمى زمن الحج فأقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم ناس الى جهة منى فكمن لهم أبو نمى فى تلك الناحية وهجم عليهم فقتل أميرهم ثم نادى مناديه من قتل رجلا فله فرسه وسلبه فغشيت العرب بالترك وأخذوا خيلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصادروا معه فكسروا ما وجدوه بمكة من العسكر وفر من فر الى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشا كثيفا وأراد أن يسير بنفسه فعذله بعض الصالحين ومنعه وأدركه مكاتيب الشريف أبى نمى وهداياه وهو يعتذر اليه فقبل عذره وأبقاه على امارة مكة ثم فى سنة ستمائة وثمانية وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسينى) صاحب المدينة وأعانه بعسكر فخرج منها أبو نمى ودخلوا مكة ثم عاد أبو نمى وأخرجهم منها وفى سنة ستمائة وتسعة وثمانين وقع بين الشريف أبى نمى وبين الحاج فتنة بالثنية من الشبيكة وانتهى الامر الى أن هجموا مكة وشهروا بها نحو الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين نحو أربعين نفسا من جانبهم ولد الشريف أحمد بن قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمر الشريف أبو نمى منفردا بمكة الى سنة سبعمائة وواحد فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حميضة ورميثة) ثم توفى الشريف أبو نمى بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولدا ما بين ذكر وأنثى ولما توفى صلى عليه وطيف بنعشه سبعا على جرى عادتهم ودفن وبنى عليه قبة بالمعلا وكان فاضلا كريما شجاعا وكانت ولايته مكة انفرادا ومشاركة لابيه وعمه نحو خمسين سنة الا أوقات يسيرة زالت ولايته عنها وبقى ملك مكة فى بنيه ثم بعد وفاته استمر ولداه حميضة ورميثة الى الموسم وفى هذه السنة حج الامير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبى نمى وشكيا اليه أن أخويهما

وهم طردوا عنها عراة بني عمرو وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصي كذلك الى ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فاقتضينا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار ﴿الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة﴾ ذكر الازرقي في ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهي بسنده الى سيدنا علي بن أبي طالب أيضا رضي الله عنه أنه قال أول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم

فبنته العمالقة قال السيد التقي قلت هذا يقتضي ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضي أن العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبري في القرى وذكر المسعودي في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد في بناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك وذكر الازرقي شيأ من خبر العمالقة يقتضي سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان بمكة حي يقال لهم العماليق كانوا في عز وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض وأسرفوا على أنفسهم وأظهروا المظالم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فأخرجهم الله بأن سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم بجرهم فكانوا سكانه الى أن بغوا فيه أيضا فأهلكهم جميعا ﴿السابع بناء قصي للكعبة المعظمة﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب أن قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه أحد ممن بناها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه أن قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد

ظلماهما واستبدا بامارة مكة واتما ماقد قهراه اوآتاهما الخسف فولاهما الامير بيبرس على مكة وقبض على حميضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفي سنة سبعمائة وثلاثة عاد رميثة وحميضة من مصر واليين على مكة وأظهرا العدل ثم رجعا الى الجور فبعث اليهما صاحب مصر جيشا فانهزما ثم عادا وفي سنة اثني عشر وسبعمائة حج الناصر قلاوون صاحب مصر ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه وفي سنة سبعمائة وثلاثة عشر وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس مدرعين ومعهم أبو الغيث بن أبي نمي فلما سمع بهم حميضة ورميثة فرا الى حلي من أرض اليمن واستولى أبو الغيث على مكة وقصد جاعن معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفر بهما الا انهما بالسراة فرجع الى مكة وأقام الجيش بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث قصر في حق الجيش وكتب لهم خطا بانه غني عنهم فعادوا الى مصر ولما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث بجمع من العرب وانتزع مكة منه وقتله على فراشه وذلك سنة سبعمائة وأربعة عشر وبعد أن قتله جره الى داره ثم استدعى اخوانه للضيافة فأتوه فقدم لهم أخاهم أبا الغيث مصلوقا في جفنة وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في يد كل واحد منهما سيف فاذعنوا له واستمر حميضة مستقلا بامر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمسة عشر بولاية من الناصر صاحب مصر وجاء معه جيش فهرب حميضة الى الحلف والحليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد ان أخذ ما جمعه من النقد والبز نحو مائة حمل وأحرق الباقي بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الحلف والحليف وكان حميضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره لحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة وأسروا ابنا لحميضة وأخذوا جميع ما معه من الاموال ورجعوا الى مكة في شهر ذي القعدة وهرب حميضة الى العراق وقصد السلطان خدابند من سلاطين التتار وكان مسلما فاكرمه وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بان يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالبا الافطس وأرسل الشريف حميضة الى أمراء العرب فاجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا الى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابند في أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حميضة العرب قتالا شديدا بوسذحتى قال الافطس ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

التقي الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وأن قصيا أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف انه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء الخليل بل يزيد عن الثلاثين مقدارا قليلا وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا اقتصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال ومنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عنادا له والله تعالى أعلم ، وكان مبدأ أمر قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لانه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فرحل بها الى الشام فولدت له رزاحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حرام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له يا ولدي أنت أكرم أبا منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشية الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حليل ابنته فعرف حليل نسبه فزوجه ابنته حبى فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك حليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حبى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب الخمر فأعوزه في بعض الاوقات ما يشرب به من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الامثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما صار المفتاح الى قصي تناكرته خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فحاربهم وأخرجهم من مكة وولي قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجنابة بمكة

حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة ثم ان الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخلها الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الا فرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أو ابنا له يقيم عندنا فامنه وسامحه بذنوبه السالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحميضة وأرسله مع عدة من الاتراك لاحضار حميضة فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الاحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل حميضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابنده أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان برضا من رميثة فجهز الملك الناصر جيشا من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حميضة فلم يظفروا به بل ترك مكة وفر منها وبقي متجعا الى أن قتل بالشرق قيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وبقي رميثة على ولاية مكة ثم قبض عليه بهادر مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولى الناصر سنة تسعة عشر (عطيفة بن أبي نمي) وجهز معه جيشا وحج الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القحط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لاصحاب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد والزمه أن يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة أطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

﴿ذكر الفتنة بين الترك والسكاكرة﴾

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفا من التكارير ووقعت فتنة بين الترك والتكارير بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشباك المشرف على المسجد من رباط هناك فأمر جماعته بالكف فامسكوا وفي سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الامير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذي الحجة والخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشا ويستأصل الاشراف فقيض الله له قاضي القضاة جلال الدين القزويني فوعظه وعظا بليغا وصرفه عن نيته فرضي على رميثة وأبقاه واليا على مكة بمفرده ورحل عطيفة الى مصر واستمر رميثة الى سنة سبعمائة وأربعة وثلاثين فاشرك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها

رميثة

فلما جمع قصي قومه اليه أذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفي ذلك يقول القائل

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر
وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم * به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدأه وبنى دار الندوة وهي في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها * قال الازرقي ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصي كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا الطواف بيت الله تعالى مقدارا قال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن زاد عمر رضي الله عنه في المسجد الحرام وتبعه عثمان رضي الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصي أول ملك من بني كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما أشركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان * وكان اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهي سدانة البيت الشريف أي توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب اليها من الخارج فيستقي الحاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحاج وكانت وظيفة فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحاج عدلهم الاسمطة في أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقي رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضي الحج * قلت وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك ولا أدري متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون

رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمسة وثلاثين فرجع عطيفة وشاركه الى اثناء سنة سبعمائة وستة وثلاثين فتنافرا فأقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادي مر ثم هجم رميثة مكة في شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة وبعض أصحابه وأقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبعة وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة وبعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفي بها سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان موصوفا بالشجاعة والكرم

﴿ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف وأمير الحج المصري﴾

وفي سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقبة بن ادريس بن قتادة وبعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى في أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول وفات كثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفي سنة سبعمائة وأربعة وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فنزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان لكبره وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد قلاوون فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فردت اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع أبيه

﴿ولاية الشريف عجلان بن رميثة﴾

وفي سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون أبيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال في حياة أبيه وجاء معه أخوه ثقبة وخرج الى وادي نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما الى مر الظهران ثم لحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يجداه وأخبرا انه توجه الى مصر فلحقاه بمصر فقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفي قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده أخوه الكامل شعبان فكتب الى عجلان بالولاية وتوفي الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجيء ابنه عجلان من مصر وولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفي أثناء الزينة توفي أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما في تاريخ الرضي شريكا لاخيه حميضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو

خمس سنين ومنفردا نحو خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة كريما شجاعا ممدوحا

﴿ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان في ولاية مكة﴾

وفي سنة سبع وأربعين أو ثمانية وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادي مر فخرج اليه الشريف عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم انسع الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولداه الجيش وأحمد فرجع متوليا مكة وأخرج منها اخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة وفي سنة سبعمائة واحدى وخمسين حج الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين الشريف عجلان وحشة فاغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه عنى قيل انه لما أحس بهم هرب الى جبل هناك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا ونهبت محطته عاقبها فنزل من الجبل على أمان من المصريين فقيدوه وقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل في جماعته نادى بأعلا صوته ان كان القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن الخيول وأركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره نهبا ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فاكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من وادي ينبع ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هناك ثم شفع فيه فاعيد الى مصر ثم توجه منها الى بلاده فوصلها في ذي الحجة سنة سبعمائة واثنين وخمسين وفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة ولي مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان عوافقة بينهما وكان ثقبة قد وليها عفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان فاقام بخليص الى أن دخل مع أمير الحج فاصلح الامر بينه وبين أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة اثناء سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمراء الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن عطيفة وفر عنه القواد والعبيد وذلك في موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان وألبسوه الخلعة من الزاهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر واصطلح مع عجلان وشاركه في ولاية مكة سنة سبعمائة وسبعة وخمسين ثم انفرد بها ثقبة في ثالث عشر

تحتها ويقاتلون عندها والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصي لعبد الدار لالحقنك يا بني بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحربها الا أنت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا يؤكل من هذا الموسم طعام الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدر عنكم ففعل قصي كلما كان بيده من أمر قومه الى عبد الدار وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شئ صنعه لعظم شأنه ونفاذ سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا هلك فقام على أمره بنوه من بعده ثم ان بني عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بني عبد مناف أحق من بني عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بني عبد الدار على ما جعله قصي لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمي هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما • سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولي الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن وتوفي

عبد شمس بمكة وتوفى نوفل بالعراق ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعلم خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره غيره وبه كان يكنى فقال عدى بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالقلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد لانحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فاطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد فى جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء بقداحهم وأعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله ابن عبد المطلب أصغرهم سنا وأحبهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت رجل أبيه حتى أثر فى وجهه شجة لم تزل فى وجه عبد الله الى أن مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فابق الناس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى أن يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتى بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمى ولا وحش ولا طير قال الزهرى وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت فى قريش ثم فى العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

((الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة)) قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد

عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة ثم اشتركا فى موسم سنة سبعمائة وثمانية وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزلا سنة سبعمائة وستين بعد ان استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا فولاها (الشريف سند بن رميثة ومحمد ابن عطيفة بن أبى نمى) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند باليمن مع أخويه فوصل الى مكة ولاتم العسكر والامراء

﴿ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر﴾

وفى سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم ينادى عليهم الالاون كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز عسكر للحجاز وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لا حاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا أياما حتى عزلته الاتراك وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فاطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادى مر فلما وصل عجلان وادى مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هنالك الى أن توفى فى شوال سنة اثنين وستين وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة

((ذكر شراكة أحمد بن عجلان مع أبيه فى ولاية مكة))

ثم أشرك معه ابنه أحمد فى شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء لسند على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة ونازع فى الامر ولم يتم له ومات بالحديد سنة سبعمائة وثلاثة وستين واستمر عجلان وابنه الى سنة سبعمائة وأربع وستين ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه فى الخطبة والدعاء بأعلى زمزم فولى ابنه أحمد ذلك وكان شجاعا وجمع من الاموال والخيل ما لم يجمعه أحد قبله من هذا الفرع وفى سنة سبعمائة وستة وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف اردب قمح وقرر ذلك فى ديوان السلطان شعبان صاحب مصر ونقر ذلك فى دعائم المسجد الحرام وذلك باق الى الآن من جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب الباسطية وفى سنة سبعمائة وخمسة وثمانين وقعت فتنة بين حاج التكرور والمغاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر

الصالحي قدس الله تعالى روحه في كتاب سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه في السيرة النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخل الا من شاؤا وكان البحر قد رمى سفينة الى ساحل جدة فتحطمت ورمى اسمه باقوم وحدة وواف مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومي أن يقدم معهم الى مكة فقدم اليها وأخذوا أخشاب السفينة أعدوها لسقف الكعبة • قال الاموى كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم ويحمل فيها الرخام والخشب والحديد الى الكنيسة مع باقوم الى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريب مرسى جدة بعث عليها ريحا فحطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق بين بحر الروم والحبشة يعرفها على جدة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهزها له من بندر السويس أو الطور أو نحو ذلك • قال ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم • قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد الا نشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون أنها تحفظ الكعبة وهدايا ها وان رأسها كرأس الجدي وظهرها وبطنها أسود وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عتبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجو أن يكون الله تعالى رضي لنا ما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو خال النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مالكم الا حلالا ليس فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة • ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة وبني عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل

الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبعة وسبعين فانتقل الشريف عجلان للجديد من وادي مر ثم توفي به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلي عليه وطيف به اسبوعا ودفن بالمعلى وبني عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين سنة

((ذكر اشتراك محمد بن أحمد بن عجلان لابيه في ولاية مكة))

ثم استمر أحمد بن عجلان الى سنة سبعمائة وثمانية وسبعين فأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان ودامت ولايتهما الى أن توفي أحمد سنة سبعمائة وثمانية وثمانين

((ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام))

وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان توفي الشريف أحمد بن عجلان أقام ابنه محمد مائة يوم ثم قتل في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة قتله أمير الحج المصري وقيل قتل في أيام منى بسوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب في سواد الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن عجلان كان في حبس أبيه جماعة من الاشراف منهم عمه محمد وخالاه أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد أن يطلقهم فأبى ثم كحلهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان بمصر عنان بن مغامس فارا من أحمد بن عجلان فأضمر السلطان ولاية (عنان بن مغامس بن رميثة) عوض محمد وسيره من مصر مع الحج المصري ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصري أن يحتفل بمحمد لئلا يتشوش فيفر فيفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد للقائه فلما حضر عند المحمل وثب عليه باطنيان فجرحاه جراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة سبعمائة وثمانية وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلنوا بولاية عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد ففر بوا من ثبت لهم من جماعة محمد وثبتت ولاية مكة لعنان بن مغامس وله قصة عجيبة في فراره من مكة الى مصر خوفا من أحمد بن عجلان

((قصة فرار عنان بن مغامس من مكة الى مصر))

وذلك ان الشريف أحمد بن عجلان كان قد قبض على عنان وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان وأحمد بن ثقبة وابنه علي وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من السجن ففطن بهم الحراس وفر منهم عنان وما شعر أحد به هنالك فسار الى جهة سوق الليل فصادف كبيش بن عجلان وجماعة يفتشون عليه بضوء معهم فاختفى في محل هنالك وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه في بيت له بشعب علي في صهريج ووضع عليه حشيشا فمضى الى كبيش انه غمه لجأ الى البيت وفتشه سوى

الصهريج

معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر فاختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمينا لامانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ (٣٥) كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعا واتوا به ورفعوه الى ما يحاذي موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة في محله وفي ذلك يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي

تشاجرت الاحياء في فصل خطة * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا لها بالبغض بعد مودة * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جد جده * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد * فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمة * وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب والبد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافى به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأي هاد ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * يروح بها هذا الزمان ويغتدي

(ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها للعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ستة دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ((تنبيه)) اختلف في سن رسول الله صلى

الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأخرجوا له ركائب الى المعلى وحملوا عليها حشيشا لضيق أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعابدة عند امرأة كان يعرفها فأخفته بالباس ثياب النساء وغدا الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان وأتت بكلام فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة ووصل خليصا وقد كانت ركائبه فسأل عن ناقة لصاحب له غنمي بها وأخبروه ان صاحبها كان اذا فرغ من علفها قال ليت عنانا يخلص فينجو عليك فكان ما عناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة واستولى عليها بمن معه من العرب ونهب الاموال التي بجدة والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر والتف عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقل كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة

((مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة))

وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا لانه كحله محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشرك لانه كان من أجل بني حسن وأسعدهم خيلا ورجالا وسلاحا وكان يدعي لهم معه على زعمه ورأى ان ذلك تقويم لامره فكان الامر بخلاف ذلك فنما الامر الى السلطان وعرفوه ما وقع من الاختلال فعزل عنانا

((ولاية علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي على مكة ورجوعه الى مصر حيث لم يمكنه منها عنان))

وولي مكة (علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي) ووصل الخبر بولايته في ثاني شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادي ثم توجه علي بن عجلان الى مصر

((ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان في ولاية مكة))

فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصري وجاء علي مع المحمل فلما بلغ عنانا ذلك تهيأ للقاء المحمل فلما كاد ان يصل خوف بآل عجلان فرجع الى الزاهر وأقام بها وحج بالناس علي بن عجلان بعد ان قرأ توقيعه بالحطيم وسار بعد الحج بمن معه من الاتراك الى الزاهر فهرب عنان ومن معه ولما رحل الحج المصري نزل عنان بمن معه الوادي وشارك علي بن عجلان في جدة ثم سافر عنان الى مصر في اثنا سنة سبعمائة وتسعين فاعتقل هناك واصطلح علي بن عجلان مع

الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة وقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم ((التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام)) وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ((العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي)) بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعلية جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي بلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك

في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الاسود فهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق الى الآن كما سنذكره في زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

((فصل في تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة)) قال أبو الوليد الازرقي رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين اللذين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال الفاسي ما يقتضي خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار يضرب بها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل • وذكر الازرقي ان الامين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار فضرب بها صفائح صرت على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كلها ذهبا فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره بعمل ذلك فكسر اسحق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه

الزيارة

الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين وفي اثنائه شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فوصل مكة في نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح هو وآل عجلان وكان معه القواد ومع علي الشرفاء واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربعة وتسعين فولى مكة علي بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هموا بقتل عنان في المسعى فهرب ولم يظفروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلي بن عجلان السلطان بمصر فدخل عنان مكة ليتجهز بعد ان أخليت من العبيد فأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه علي بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض على عنان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جماز الحسيني صاحب المدينة وعلي بن مبارك بن رميثة وولده وذلك سنة سبعمائة وتسعة وتسعين ورجع علي بن عجلان الى مكة متوليا من الظاهر برقوق

((موت الشريف عنان بمصر))

ثم نقل عنان الى مصر سنة ثمانمائة وأربعة وحصل له مرض اقتضى ابطال بعض جسده فعولج لذلك باضجاعه في محل حمي بالنار فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمسة عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا مقداما جوادا كريما أجاز الشاعر ابن العليف في قصيدة بثلاثين ألف درهم واستمرت ولاية علي بن عجلان الى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين وكان مغلوبا عليه من الاشراف وذلك انه بعد وصوله من مصر بشهر قبض على جماعة من الاشراف والقواد فخودع فيهم فأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه ما لا تصل قوته اليه

((قتل الشريف علي بن عجلان))

فأفضى الحال الى أن قل الامان بمكة وبجدة فقصد التجار ينبع ولحق أهل مكة لذلك شدة وما زال القواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولي مكة أخوه (الشريف محمد بن عجلان)

((ولاية الشريف الحسن بن عجلان))

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لانه كان قبل ذلك توجه الى مصر مغاضبا لاخيه علي فلما وصل خبر قتل علي الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فجاء الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبعمائة وثمانية وتسعين وهرب منه بعض الاشراف ثم خرج الى بئر شمس لقتالهم فساروا منه الى وادي مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له

المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتاكلت فأبدلها بخشب آخر والبسه صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ما وقع بعد الازرقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قطع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرهما وسبكهما دنانير وصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه واعيدت كما أشار به قال ومن ذلك ان ام المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلاما لها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا فنعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين ابن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر انفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها قال وممن حلاها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ما ذكره التقي الفاسي رحمه الله قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسلمر ارامن بفعل ذلك وجبوا واهينوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركي وبالفارسية تبركا وتمناجاي وترجم باللسان التركي كتاب روضة الشهداء لمولانا جامي وضمنه من لطائف النظم والنثر ما يستحسنه ومن محاسن السجع ما يخف على السمع وهو كتاب مقبول

الزيارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وعمت له ولاية مكة وحاسن الناس من الرعية والتجار وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الشريف حسن بن عجلان على ولاية مكة الى سنة ثمانمائة وتسعة فأشرك معه ولده بركات بن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنقالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كنباية وكتاب يخبر فيه انه أنهى اليه ان الناس في صلاة الجمعة لا يجدون ما يستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن المناوي حسن اليه ان يجعل ما يستظل به الناس وانا بعثنا خياما تنصب في المطاف فجاءت تلك الخيام ونصبت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها ضرر لعثار الناس باطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري بأيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشرة تكلم الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركة لاخيه بركات فولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولديه بمكة ويدعى في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثنى عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري منافرة حصل بسببها قلق في الحاج ونهب لكثير منهم حال توجههم لعرفة ومنى وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان أمير الحاج لما وصل الى ينبع أعلن للناس ان أمير مكة معزول وانه يريد محاربته فنما الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال ما لم يجمع مثله أحد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة وتعبت الخواطر وتوقع الناس فتنة عظيمة فبينما هم كذلك اذ لاطف الله وأتى الخبر من مصر ان السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع خادمه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وألبس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول تخوفا من الشريف لما بلغه ما هو فيه من القوة فتكلم الاغا فيروز مع الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأجابه الشريف الى ذلك مع اشتراط ان يسلم اليه الامير جميع ما معه من السلاح الى وقت خروجه فمضى فيروز المذكور وذلك وسلم أمير الحاج جميع ما معه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدي مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة في هذه السنة يومين لاختلاف وقع في الشهور وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف في حقه ما حمده

متداول بين الناس الظرفاء وكان وصوله الى مكة فى افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان فى البيت الشريف خشبة من أخشاب خشبه المنيف انكسرت وصار الماء ينزله من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضى مصر يومئذ قدوة علماء الموالى العظام مولانا حامد أفندى وهو اليوم مفتى ممالك الاسلام بالباب العالى أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد قدم الى بلد الله الحرام وقاضى مكة يومئذ الافندى مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قينى أسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على هذا الاخلال وعرضاه على الابواب الشريفة السليمانية فلما وصل العرض الى المرحوم المقدس المغفور الاقدس السلطان سليمان خان حاز أعلى غرف الجنان أرسل الى مفتى الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا أبي السعود أفندى المفتى الاعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله فى هذه المسئلة جوازا وعدم جواز فكتب اليه بجواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فأرسل بجواب المفتى الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم على باشا فأرسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضى مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع أمر شريف سلطانى مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع أحمد جلبى مؤن العمارة والاخشاب اللائقة لهذا العمل وكان كاتبه مولانا مصطفى جلبى ومعماره مصطفى المعمار وقبل الشروع فى العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء فى ذلك فجلس مولانا الافندى محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فى الحرم الشريف واستحضر مفتى العلماء الشافعية عليه المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى ومولانا الشيخ نور الدين على بن ابراهيم العسيلى ومولانا القاضى يحيى بن فارس ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتفاوضوا فى هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة مكسورين نازلا عن محاذاة بقية اخشاب السقف الشريف من وسطها مقدار اثنى عشر قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما نحو الباب الشريف نزل أيضا نحو أصابع عن محاذاة أعواد السقف الصحيحة هبوطا الى أسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا أيضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج مال الى جانبه من العود المكسور وشهد معه أحمد الجيماني المصرى وغيره

عليه الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا احد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هناك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض رجال الشريف وفى سنة ثمانمائة وخمسة عشر وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل جماعة فركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

﴿ذكر الجمل الذى دخل المسجد الحرام﴾

قال العلامة الفاسى ان فى أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدروا فتركوه الى ان أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود واستلمه ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك محاذيا للميزاب ودموعه تتساقط وألقى نفسه على الارض فمات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمة

﴿ذكر الفتنة التى حصلت فى المسجد بين القواد والمصريين وتسمير أبواب المسجد وجعله اصطبلا للخيل﴾

وفى سنة ثمانمائة وسبعة عشر لما كان يوم الجمعة خامس ذى الحجة حصلت فتنة بين القواد والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل بسبب طول مقامها فى المسجد وسبب ذلك ان أمير الحاج المصرى أدب بعض العبيد بالعمرة على حمل السلاح لنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه فى اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من اليوم المذكور دخل جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات الحرب وانتهوا الى مقام الحنفى فلقيهم الترك والحجاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلافة أسفل مكة فظهر عليهم المصريون وانتهب السوق وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا باب بنى شيبة والباب الذى عند المدرسة المجاهدية فسمرت الابواب وأدخل جميع خيله المسجد وجعلت فى الرواق الشرقى قريبا من رباط الشرابى وباتت فى المسجد الى الصباح والمشاعل موقدة فى المسجد ومشاعل المقامات موقدة أيضا ونهب القواد الحاج الذى بالابطح وخارج المسجد فخرج الشريف حسن وانضم الى القواد بموضع بأسفل مكة وحضر اليه فى بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة وذكروا له ما وقع فأظهر التعب وكراهة ذلك فرجعوا الى أمير الحاج المصرى وأخبروه بمقالته وأخبروه انه أخطأ فى امساك القائد وضربه فأمر باطلاقه وطلب منهم ان صاحب مكة يخمد هذه الفتنة فرجع الجماعة الى الشريف وأخبروه والتمسوا منه اخماد الفتنة والعفو عن هذه الزلة فبعث ولده الشريف أحمد الى أمير الحاج فخلع

وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى أمثال ذلك ان يسقط الى أسفل وتتزعزع الجدران بسقوطه ويغلب فى الظن اختلال فى جوانب السطح يؤدى الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة ما رأينا وحركوا طائفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة عن هذه المدة المديدة وان رياح تنسفها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل هى قائمة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير أخشابها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتسويلات التى تنبو عن مسامع العقلاء وهولوا الامر على عوام الناس وغوغائهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة على العوام وكتب مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر تأليفا واسعا فى الرد على أولئك المعاندين واستند الى نقول كثيرة وهدم على الجواز وجاءنى رحمه الله تعالى يعرض على الشباب على ما هدانى من القول بالجواز ونقل لى عن المحب الطبرى فى كتاب استقصاء البيان فى مسألة الشاذروان بسنده حديث عائشة رضى الله عنها فى هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير فى الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن غى صاحب مكة اذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندى الاعظم قاضى مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضى القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكى طيب الله مثواه وجعل الفردوس الاعلى مأواه وناظر الحرم الشريف المكى يومئذ أحمد جلبى المذكور فحضروا جميعا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير الى سيدنا

عليه الامير وخرج من عنده ونادى بالامان واطمأنت الناس وأمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان القائد الذى وقعت الفتنة بسببه يقال له جراد واتفق ان تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الادباء فى ذلك

وقع الغلاء بمكة * والناس أضحوا فى جهاد
والخير قل فهاهم * يتقاتلون على جراد

وفيه تورية لطيفة واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمانية عشر وثمانمائة

((ولاية رميثة بن محمد بن عجلان))

فولى السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة فى العشر الاول من ذى الحجة وصرح فى توقيعه انه ولى نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

((رجوع الشريف حسن فى ولاية مكة))

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقان وبعث ابنه بركات الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت فى العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسعة عشر فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ باب المعلى قاومه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول وأزال من كان هنالك بالرمى بالنشاب والاحجار فعمد بعض العسكر الى الباب فحرقه حتى سقط على الارض وهدموا بعض السور ومما يلى الجبل وبركة الشامى ودخل منه بعض العسكر ورقوا موضعا من الجبل ورموا أصحاب رميثة بالنشاب وحاصل الامر انهم دخلوا مكة بعد حصول قتال بين الفئتين وخرج جماعة من أعيان مكة ومن الفقهاء والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وقابلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط اخراج معانديه من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين فأقام هنالك حتى أصبح ودخل مكة لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد فى السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرأ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان للمعاندين خمسة أيام فخرجوا الى اليمن ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا فتغير القواد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوى رميثة بن أبى نمى وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبى نمى وأولاد على بن مبارك بن رميثة وأعانوا بولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة ومياب بن على بن مبارك وجعلوا الكل منهم اتوا بجدة فظهر عليهم الشريف حسن فهربوا من جدة وقصدوا مكة فخار بهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الزفتاوى فقتلوه وقتلوا معه جماعة ثم فروا الى جهة اليمن فى

ومولانا الشيخ الاعظم محمد البكري ان يأتي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جاري عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدرر الاجياد * فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي رحمه الله وكان عاقلا محتشما ذا رأي صواب محض وله فضل تام وفكر صائب (٤٠) عام وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة احدى وستين وتسعمائة * ثم لما كشف عن تلك الاعواد في السقف وجدوها كما ظنوا وأبدلوها بأعواد جيدة في غاية الاحكام والاستقامة وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر ثواب ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد انقراض ذلك وامتثالا بما أمكن كتابته وكتبت لهم كلاما يتضمن التاريخ وهو * الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشرائع المحمدية وسقفها بالتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه وخصصه بكثير الجامع مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وآتاه الحظ الاوفر من ملك سميه نبي الله سيدنا سليمان بن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان خادم الحرمين (ولاية الشريفين الخافقة ألويته نصرا وراياته ظفرا في الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأصلح أرضها المقدسة وجدرانها المتخذة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب أبجد (وكان تجديد سطح بيت الله مالك الدولة سليمان) ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه المطالب اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع في تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وبسمر عسامير الحديد فأزال ما بين

شوال سنة ثمانمائة وعشرين وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده فسر بذلك والده وشيعه للامر

((ذكر قيام الشريف بركات بن حسن بولاية مكة))

وفي سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تخلى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه واستعطفه أبوه فلم يفد وأغراه بعض جماعة من المفسدين على نهب جدة ففعل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم نكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفي سنة ثمانمائة وثلاثة وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض امارة مكة لولديه بركات وابراهيم وانفصل عن الامارة لرغبته في العبادة ولكبره وضعفه وتوجه عقب الارسال الى حلي في شهر صفر فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربعة وعشرين وجاء عهد مكة له ولابنه بركات ولم يسم لابراهيم فحصل التنافر بين الاخوين فخرج ابراهيم الى اليمن ثم جاء ومعه جمع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة وألزموا المؤذن بالدعاء له فدعا له الخطيب مع أخيه وأبيه بالنكرة عليهما واستمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وستة وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه ابراهيم لانه أمره بعبايته ذوي راجح فلم يفعل وجاءت خلعتان للشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك المظفر بن الملك المؤيد وجعل للشريف حسن ألف أحمر تحمل اليه من مصر في مقابلة تركه المكوس على الخضراوات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولي مصر السلطان برسباي فجعل امارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان وكان باليمن فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج قيروز الناصري فدخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فتسقط حرمته فخرج الشريف حسن الى لقاء المحمل على جري العادة ولبس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور مقابلة خاصة وقال له بلغنا أن مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة بكلام الحساد الباطل فلما بلغنا ذلك لم نفعل فعل أهل الظلم والجور الذين اذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأضروا العباد فأجابه الامير بأن هذه بلادكم خلفا عن سلف وان مولانا السلطان محب لكم وسوف تعلمون صحة قولي اذا رجعت وجاءتكم المكاتيب منه بعدم صحة ما نقل لكم عنه فلما أن سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان فلما وصل الامير الى مصر وذكر للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحرزه من الفتنة وحفظه للحاج وقدم له الهدية رضي السلطان فأرسل الى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار وقضى جميع مطالبه

•(ولاية الشريف على بن عنان بن مغامس على مكة)•

وفى سنة ثمانمائة وسبعة وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى الى مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار فدخل مكة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

•(رجوع الشريف حسن فى الامارة)•

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف حسن وعزل على بن عنان لموجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رقق فيه المعانى وعرفه ان عزله من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة من السنة المذكورة

•(ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩)•

ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين توجه الى مصر للقاء السلطان برسباى فاجتمع به وأجله وأعظمه وقرره على أمر مكة وذلك فى العشرين من جمادى الاولى سنة ثمانمائة وتسعة وعشرين وقد أصابته علة فتجهز للرجوع فأدركته منيته فتوفى بمصر سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سنة سبعمائة وخمسة وسبعين وكانت مدة ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ستة عشر سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من الفضلاء أجازه بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك ياحسن • وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن
وهى طويلة

•(ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله)•

وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى بن حسن بن على بن قتادة وكان الشريف بركات بن حسن هذا أديبا فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد أجاز له جماعة منهم الحافظ العراقى والهيثمى والبرهانى والمراغى وحدث عنه البقاعى وغيره

•(ذكر استدعاء السلطان برسباى الشريف بركات الى مصر)•

قال القاضى جمال الدين بن ظهيرة ان السلطان برسباى بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه

الاحجار من الحفر وتحت طرف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة وا-
هـذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم
الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمـر
فوصل ووضع فى الخزانة العامرة (وأما عمارة المطاف الشريف) فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة
يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا و
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقربا الى الله تعالى (٤١) بتجديد فرش أحجار المطاف وتـ

الطائفين
وتحلية الباب ا.
والميزاب المعظم المه
خليفة الله تعالى الاعظم
سلطان الروم والعرب
والعجم من اصطفاه الله
تعالى واجتباه لترميم بيته
الحرام واختاره وارتضاه
بخدمة الركن والمقام
السلطان ابن السلطان
الملك المظفر أبو الفتوحات
السلطان سليمان خان
تقبل الله منه صالح
الاعمال وبلغه مايؤمله من
السعادة والاقبال ولما تم
ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا
عمر الله قبلتنا

•(فصل فى ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها)•

اما التعاليق فقال
المسعودى فى مروج الذهب
كانت الفرس تهدى الى
الكعبة أموالا وجواهر
فى الزمان الاول وكان ابن
ساسان بن بابك أهدى
غزالين من ذهب وجواهر
وسيوفا وذهبا كثيرا الى

الكعبة • وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل
عن الازرقى فى أشياء أهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث
اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفيحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى
كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع
والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهب

الى مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه
يرسل به الى الخليفة فأبوا ان يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة
كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل
ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله
الشريف فعلقت قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة
ابن المعتمد على الله (٤٢) وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس
سنة ست وستين وكان وزن ... سنة ثمانمائة وستين ... درهما فضة وعليها خارجا عن ذلك ثلاث أزرار بثلاثة سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لاربع خلون من صفر فعلق هذه القصبة مع تعاليق الكعبة (قلت) وسيأتي ان هرون الرشيد كتب أن يكون ولي عهده بعده محمد الامين ثم عبد الله المأمون وبايع لهما على ذلك أعيان مملكته وكتب مبايعتهم وأرسل نسخة ذلك العهد الى الكعبة وعلقها في الكعبة ثم لما وقع بعده الاختلاف بينهما وأرسل الامين عسكر القتال أخيه المأمون أرسل الى مكة وأخرج كتاب العهد من الكعبة ومزقه فمزق الله ملكه وانكسر عسكره وانتصر المأمون وجاء الى بغداد وحاصر الامين الى

بركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلاقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه عن الروح الزكية وولاه أمر مكة البهية وطلب الشريف بركات لاخيه ابراهيم ان يكون نائبا عنه بمكة اذا غاب وتوجها الى مكة فوصلاها في ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة وخمسة وأربعين فعزل بأخيه علي ثم أعيد

•(ولاية علي بن حسن بن عجلان)•

وفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ما يتحصل من عشور المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب مصر ثم في سنة ثمانمائة وأربعين جاءت المراسيم بأن نصف عشور جدة من المراكب الهندية يكون لامير مكة وفي سنة اثنين وأربعين توفي سلطان مصر السلطان برسباي فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباي وملك مصر وأرسل للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سيدون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر الحرمين ومشد العمائر بها وفي هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بني نمي وبين السيد علي بن حسن منافرة فسافر السيد علي صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا في المسعى وقتل جماعة من الفريقين

•(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)•

وفي سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذي يأتي بالمحمل وفي سنة خمسة وأربعين وقيل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

•(ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة)•

وولى مكة أخاه الشريف علي بن حسن ووصل الى مكة في رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه الى اليمن واستمر الشريف علي الى شوال من السنة المذكورة فقبض عليه الاتراك وعلى أخيه ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأظهروا مرسوما بولاية أخيهما الشريف أبي القاسم بن حسن وكان بمصر فقام بحفظ مكة ولده زاهر بن أبي القاسم

•(ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن على مكة)•

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر في ذي القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

•(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبي القاسم)•

أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى • ثم لما فولي وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام الصبا وقد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يهتم بذلك بل أخبرني نجار انه عمل لاحدهم مخطاما كامن الخشب مؤلفا من عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينكل ويحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المخطاف ونزل قنديلا وفك تلك الاعواد وغمس ذلك القنديل ووضع في كمه الواسع ثم

فولى مكة الشريف بركات وشاع فى آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على جرى العادة فى أكمل عدة فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن نفروا ثم خرج بعد النزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

•(رجوع الشريف أبى القاسم الى مكة)•

فعاد الشريف أبو القاسم الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين

•(رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة)•

فلما كان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضى عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضى عنه وأعاد والده الى مكانته ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادى الابار ثم توجه الى مصر ومات بها هو وأخوه على سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين وكان الشريف على بن حسن فاضلا كريما ذا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

اذا نال العلا قوم بقوم • رقيت علوها فردا وحيدا

•(استدعاء السلطان بجقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث لعلو سنده ورجوعه الى مكة)•

وفى سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الرميلة وبالغ فى اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادى الاولى محرما بالعمرة فطاف وسعى بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة فى الصبح لابسا خلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم وفى سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين مرض الشريف بركات فعرض لابنه محمد أن يكون ولى عهده من بعده

•(وفاة الشريف بركات)•

ثم توفى الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادى مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلى عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلاة وبنى عليه قبة ورثاه الشعراء

أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله عنه وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قريبا فى البيت الشريف فتكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا الى حد المخمصة فتعذر فى ذلك ان وقع فعله منا. والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر فى غاية الصون فى أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت فى أيامه قناديل كثيرة أعداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهى محفوظة معلومة عند الناس باقية يرونها فى سقف البيت الشريف فى أوقات فتح الكعبة لسائر الناس . وقد وصل فى وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالى الشريف السلطانى جاويش اسمه محمد جاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه ببشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالى السلطانى وهو رجل فى غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقى وغير ذلك من الاكرام وأدخل فى عداد خواص جاوشية الباب العالى وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف فى هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من شرفاء بنى عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبى نمى خلد الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضى المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسينى المكى المكين لا زال حرم الله الامين مشمولا فى أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين فى بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك القاضى مكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين

لطفى بك زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام
معمر المسجد الحرام الامير أحمد وفقه الله وسدد واكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصرالله تعالى بها الاسلام
وأيد تأييدها دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر
ليعلق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث فى الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف
النبوى تعظيما لسيد الانام وقال على ذلك الوجه المليح تحية ٭ مباركة من ربنا وسلام فلما وصل محمد جاويش الى مكة
المشرفة شرفها الله تعالى بما فى يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال
وعومل بنهاية الاحترام
والاقبال وألبس الخلع
الشريفة الفاخرة وأنعم
عليها بالضيافات
والانعامات الوافرة
وحضر الى المسجد الحرام
بنفسه النفيسة سيدنا
ومولانا المقام الشريف
العالى السيد حسن المشار
الى حضرته العالية أدام
الله عزه واقباله ومعه
أكابر السادة الاشراف
وجلس فى الحطيم الكريم
تجاه بيت الله المنيف
ومعه سيدنا ومولانا ناظر
حرم الله تعالى شيخ مشايخ
الاسلام السيد القاضى
حسين الحسنى المومى اليه
خلد الله عظمته واجلاله
عليه وباقى من ذكر وسائر
الاعيان والاهالى وكافة
العلماء والفقهاء والموالى
واجتمعت الناس حول
الكعبة الشريفة وامتلأ
الحرم الشريف بذلك
الموكب المنيف وفتح باب
بيت الله تعالى وأحضرت
الخلع الشريفة السلطانيه والقناديل السنية الخاقانيه وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة فى الاقطار فى
والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهورى يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين
فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على
المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والتأمين الى أن
فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتى الطواف فى مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر
الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع

٭(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)٭

وجاء جواب عرضه ثانى يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا فى اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفى شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية فى والده وتأييده فى ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات فى رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاثة وتسعمائة متوليا على مكة مظهرا العدل فى الرعية ودانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه فى البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفى سنة ثمانمائة واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباى وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضى مكة القاضى برهان الدين بن ظهيرة القرشى المخزومى وأرسل مراسيم تقتضى رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفى سنة ثلاثة وسبعين وثمانمائة غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورابغ وقتل شيخهم رومى وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثين ألفا من المواشى وفى سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات والقاضى ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضى أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من أقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباى ثم رجعوا

٭(ذكر من مات جوف الكعبة من الزحام)٭

وفى سنة احدى وثمانين مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون نفرا

٭(ذكر صلاة الشريف هزاع بن محمد بن بركات التراويح بالختمة)٭

وفى سنة اثنين وثمانين صلى بالناس السيد هزاع بن الشريف محمد بن بركات صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل مالا يحصى وأوقد من الشموع فى تلك الليالى مالا يحصى وكان فى كل ليلة يخرج من بيت والده فى زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويتلقاه من باب المسجد القضاة الاربعة ويمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلى خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلى على يمينه فقيه وعن شماله القاضى أبو السعود ابن ظهيرة وفى ليلة الختم زف المصلى المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد

نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيما لأمر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى خلافته الزاهره وأبد أيام سلطنته القاهره وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا متيمنا مسعودا رقمته الليالى والايام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها واطباقها (٤٥) وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن روى ثم توجه محمد جاويش بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أكابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شأن وقدر من مجاوريها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وفتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق ذلك القنديل تجاه وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جيران سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله يطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لا زال فائقا سلاطين العالم وخلفاءها وراقيا باقدام اقدام عزمه ملوك الدنيا وعظماءها

هو العادل الظلام للمال والعدا • خزائنه قد أقفرت وديارها

عليهم بنور الله ينظر قلبه • فلم يخف اسرار القلوب استتارها

به ملة الاسلام عال منارها • بعدم الله الصليب وأهله

فلا زالت الافلاك تجرى بنصره • ولا زال عنه قطبها ومدارها

•(فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها)• ذكر

فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربعة وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن فخرب حصونها وأوديتها وأخذ الاموال وغنم غنائم جزيلة منها ورجع سالما

•(ذكر حج السلطان قايتباى)•

وفى هذه السنة حج السلطان قايتباى واحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده يسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا لجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر من كرم الاخلاق واللطف ما لا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا وشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن بركات للقائه الى الصفراء فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وصار السلطان يلاطفهم ويشكر لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا له هنالك سماطا فلما كان يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة وسلموا عليه وانصرفوا وركب فيمن معه ودخل مكة ليلا وكان قاضى مكة ابن ظهيرة هو الملقن له الادعية الى ان دخل من باب السلام فدخل بحصانه فعثر فطاحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناوله اياها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث لم يدخل محرما فقرأ رجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعى عاد الى الزاهر فى صيوانه وبات هنالك وركب فى الصبح فى موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه حتى النساء ودخل مكة فى أوفى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب النبى ومد له الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية من الضبط فى مدة غيبته واستمر السلطان قايتباى على سلطنة مصر الى ان توفى سنة احدى وتسعمائة

الازرقى وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميرى من ملوك اليمن فى الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع أسعد وانه رأى فى منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع • ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال أسعد فى ذلك وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معصبا وبرودا وأقمنا به الى حيث كنا • ورفعنا لواءنا المعقودا
قال الازرقى أيضا حدثنى سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلى شئ منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شئ • وكانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر فى المال فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن اسمعيل بن ابراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال كسى النبى صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولا يخاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهى من القباطى • فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى ثم
الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطى أول رجب وتكسى الديباج الابيض فى عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى اليه أن الازار الذى تكسى به الكعبة فى العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذى يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج أن يجدد لها ازارا على عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذى تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر فى عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادى الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه فى كل شهرين ازارا وذلك فى سنة أربعين ومائتين • ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم

•(وفاة الشريف محمد بن بركات)•

وفى سنة تسعمائة وثلاثة توفى الشريف محمد بن بركات فى الحادى عشر من محرم بوادى مر الظهران وحمل الى مكة وصلى عليه ودفن بالمعلاة وبنى عليه قبة ولما وصلوا به من الوادى الى مكة ضجت البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ستة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكان موته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثى وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مصاص من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت فى المنام فى أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفى وان الشيخ عليا المذكور الرائى للرؤيا يغسله وكأن دملا يخرج منه القيح ويسيل فاراد الشيخ على ان يكتفى بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نقه نقاك الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفى الشريف محمد بن بركات المذكور وطلبت لغسله فرأيت الدمل الذى كنت رأيته فى المنام ورأيته يخرج منه القيح فلازلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائى

•(ولاية الشريف بركات بن محمد)•

فتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ فى كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ فى مصر على نحو أربعين شيخا وأجازوه وأجازه بمكة جماعة وجاء التأييد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع فى لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربعة وتداخلا مع أمراء الحج فسعوا له فى ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغورى

•(ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات)•

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادى مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه أمير الحج المصرى فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها فانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصرى الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذى الحجة

وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسنديس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات في قلب دالات وقد تزاد في حواشي تلك الدالات آيات أخر مناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة مادام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ماجرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسنديس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة تخربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر ووقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمزاياهم أجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام ﴿واما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس﴾ فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع

ثم تأهب لقتال هزاع وأقبل هزاع نحوه بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقا تاسع جمادي الاولى سنة تسعمائة وسبعة وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

(وفاة الشريف هزاع)

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفي خامس عشر رجب من السنة المذكورة

(ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات)

فولي مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني وكان أيضا مغاضبا لأخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء

(رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له)

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بأن ماوقع انما هو بمباطنة أمير الحج لأخيه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجازاني ثم قبض الشريف بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجازاني وأخذ أمواله وقتله تغريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجازاني جمع جموعا وتقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمانية وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وبادر أهلها وأخذ أموالهم وسبى الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمنحنى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاختلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فعاد اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأظهر له المجاورون من الاروام الصدق فكسر والشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ودخل مكة من اذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة وقاتلوهم عند باب المعلاة مقاتلة شديدة وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى بالجرادة وانه أقحمها الخندق الذي حفره الاروام حول سور المعلاة وكان عرضه سبعة

كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال سمعت ابن أبى مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت فى الاسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوى شيأ فشيأ • وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبى سفيان ـاها الديباج مع القباطى ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطى وحبرو أمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوى ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيبها وطيب جدارتها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حاضرا فى المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكيم ابن أبى فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست الى عبد الله فى منعة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يخلق جدورها وطيبها ورأيت ثيابها التى جردها عنها قد وضعت بالارض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فتجردها عن خلقانها وتحفر لها حفرة تدفن فيها ما بلى منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضى الله عنها ما أصبت فيما فعلت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضى الله عنهم فى ذلك رجوع أمره الى السلطان وقال الامام فخر الدين قاضى خان رحمه الله تعالى فى كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به فى أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره وفى تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى فى ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شئ له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسى فى منظومته

أدرع وجعل يضرب فى الجيش بسيفه فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لاجل بعض الاصلاحات فجاء الشريف أحمد ودخل مكة فى غيبة الشريف بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الارقاء وأمهات الاولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة فاجتمع بأميرها وجعل له ستين ألف أشرفى أحمر على ان يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة فتركه بينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن فى ثالث عشر ذى القعدة فخرج الى ملاقاة التجريدة فخلع أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه فلم يزالوا الى ان وصلوا مدرسة الاشرف قايتباى فقبض على الشريف بركات ومن معه من الاشراف وجعلهم فى الحديد ونهبت بيوتهم وأخذت خيولهم وأباعهم ونادى فى البلد للشريف أحمد الجازانى وحج بهم أمير التجريدة وهم فى الحديد ثم رجع بهم الى مصر فتعب السلطان الغورى لذلك وأمر باطلاقهم من الحديد وأنزل الشريف بركات فى منزل خاص به هو ومن معه من الاشراف ثم ان الشريف بركات ما زال ينتهز الفرصة حتى أمكنه الله ففر الى مكة أواخر سنة تسعمائة وثمانية وفى تاريخ الرضى سنة تسعمائة وتسعة ولم يشعر به الغورى الا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه فبالغ فى التحفظ على من بقى بمصر من الاشراف وجعل عليهم حرسا وأخرج الحاج فى هذه السنة بقوة عظيمة من العسكر والمدافع خوفا من الشريف بركات فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث مكاتيب لامير الحج يؤمنه ويأمره بالحج على أسر الاحوال ويعرفه انى من خدمة السلطان ولا يحصل منى شئ فى أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر السلطان رضى عنه وجهز اليه عياله وجميع ما كان له بمصر وفى غيبته هذه عن مكة قتلت الاروام المقيمون بمكة أخاه الشريف أحمد صاحب مكة فى الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

﴿ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات﴾

وبعد دفنه ألبس الامير على العساكر أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الجازحتى يأتى أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغورى بذلك ثم ان الشريف حميضة قابل أمير الحج المصرى ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد حميدان بن شامان الحسينى وكان بعض الاشراف من بنى حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حميدان فقبله وفى الحى زير يضرب وقد تهيؤا للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها

فعقدوا

وماعلى الكعبة من لباس • ان رث جاز بيعه للناس ولا يجوز أخذه بلاشرا • للاغنياء لا ولا للفقرا وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادى فى السراج الوهاج لا يجوز قطع شئ من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بنى شيبة فانهم لا يملكونه • فقد روى عن ابن عباس وعائشة انهما قالا يباع ذلك ويجعل ثمنه فى سبيل الله تعالى انتهى • وقد ورد فى الحديث لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة فى سبيل الله قال القرطبى من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها كعمرها وقناديلها لا يجوز صرفها فى غيرها انتهى فعلى قول القرطبى يكون كسوتها أيضا حبسا عليها كعمرها وقناديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشى من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى فى قواعده قال ابن عبدان امنع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأى الامام والذى يقتضيه القياس أن العادة استمرت قديما بانها تبدل كل سنة وتأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذى يظهر لى أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فامرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها فهى لمن عينها له وان جهل شرط فيها عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم فى سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بنى شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم • وللعلماء المتأخرين رسائل فى حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لى الآن الوقوف على شئ منها

•(الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى أيام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أحدث فيه من التوسع والزيادة فى زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر

فعقدوا بها على الشريف بركات

{زواج الشريف بركات بالشريفة}

فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبى نمى ابن بركات

{ولادة الشريف أبى نمى ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذى الحجة}

فولدت له الشريف أبا نمى المذكور ليلة التاسع من ذى الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ونرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول انه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمانية هجم الشريف بركات عن معه من العرب من عنيزة وغيرهم على مكة وشرعت العرب فى النهب فأرسل الامراء الشريف بركات وضمنوا له ان يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار فقال حميضة مالى قدرة فأعطاه الامراء من مال الصر الذى جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حميضة ثم ان السلطان الغورى أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشرة وان المعول فى الامور عليه فأمر ان يخلع على أخيه قايتباى ويدعى له ولابنه على بن بركات ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفى سنة تسعمائة وثلاثة عشر خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومى الزبيدى الذى كان سببا فى نهب مكة زمن أخيه أحمد الجازانى ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومى وأولاده الثلاثة وأخاه مشهور بن رومى وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغورى ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغورى

{وفاة على بن بركات بن محمد بن بركات}

وفى هذه السنة توفى على بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعنى محمدا وقايتباى وفى سنة تسعمائة وخمسة عشر بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغورى بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار فقابلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف بخلعة وهدية سنية وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

{وفاة قايتباى بن بركات بن محمد بن بركات}

وفى سنة تسعمائة وثمانية عشر توفى السيد قايتباى وفى شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغورى يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمى ابن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاضيا مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى ونجم الدين بن

والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف)* اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احترام الكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت الى قصى ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصى قومه وأمرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقعدون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصى ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة فى الجانب الشامى كما تقدم بيانه ويقال (٥٠) انها مقام الحنفية الذى يصلى فيه الآن الامام الحنفى الصلوات الخمس وقسم قصى باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كثرت البيوت واتصلت الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحل المسمى الآن بشعب على وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمان خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم ازداد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه فرأى انه يزيد فى المسجد الحرام فأول زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه *(فنبدأ بذكرها فنقول)* روينا بالسند المتصل المذكور سابقا فى المقدمة عن الامام أبى الوليد الازرقى قال أخبرنى جدى قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام * ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وبقيت دور واحتيج الى ادخالها فى المسجد وأبى أصحابها من بيعها

يعقوب المالكى وولداه القاضى محمد والقاضى تاج الدين وجماعة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمى وعمره اذ ذاك ثمانى سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغورى بالاعزاز والاكرام وأجلس السيد أبانمى على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح وكان السلطان الغورى يتجهز للخروج الى قتال فسأل السيد أبانمى ماذا ترى فقال انا نفتح لك فتحا مبينا فاستبشر الغورى بذلك ثم جعله شريكا لوالده فى أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفى سنة تسعمائة وعشرين حجت زوجة السلطان الغورى ومعها ولده محمد دوكاتم السر محمود وفاكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل ما يحتاجونه أتم قيام وسأله ان يتوجه معهم الى مصر ليجازوه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة فلما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة فى شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

﴿ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢﴾

وفى سنة اثنتين وعشرين كان القتال بين السلطان الغورى والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الجراكسة وفقد السلطان الغورى فى المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط فى التواريخ ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضى صلاح الدين ابن أبى السعود بن ظهيرة معتقلا لاجل مصادرة الغورى يطلب منه عشرة آلاف دينار فجهز فأمر بحمله الى مصر واعتقله ثم فأطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضى تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأى ارسال مكتوب اليه ولا يبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات وابقاء الشريف أبى نمى على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغورى وكتب القاضى صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع وسأل منه ارسال ابنه الشريف محمد أبى نمى الى الحضرة السلطانية يتشرف باللقاء ويكون دليلا على الرضا والبقاء فقبل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطانى أرسل ابنه أبانمى وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة فى حبس الغورى وأرسل بهم بعد اكرامهم الى

فقال لهم عمر رضي الله عنه أنتم نزلتم في فناء الكعبة وبنيتم به دوراً ولا تملكون فناء الكعبة وما زالت الكعبة في سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبواباً كما كانت بين الدور وقيل ان ثم دم جعلها في محاذاة الابواب السابقة • ثم كثر الناس في زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دوراً حول المسجد هدمها وأدخلها في المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهدم دورهم وأدخلها في المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال انما جرأكم علي حلمي عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضي الله عنه

فما ضج به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فضججتم مني وصحتم علي ثم أمر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الازرقي رحمه الله متى كانت زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما • وذكر ابن جرير الطبري وابن الاثير الجوزي في تاريخهما ان زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت في سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة • أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل • قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهد الهاشمي العلوي رحمهم الله تعالى في كتاب اتحاف الورى بأخبار أم القرى في حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعين مكانه الذي كان فيه لما عفاه السيل فأتي به وربط بلصق الكعبة في وجهها وذهب السيل بأم نهشل بنت عبيدة بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلاً هائلاً فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فهاله ذلك وركب فزعاً الى مكة فدخلها بعمرة في شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر

الى مكة

(ابتداء المحمل الرومي سنة ٩٢٣)

وأرسل الامير مصلح بيك بمحمل رومي وكسوة للكعبة وصدقات ولما وصل الشريف أبو نمي الى مصر قابله السلطان سليم بالاجلال والاكرام وأعاده شريكاً لوالده وعمره اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وبعث معه أمراً سلطانياً بقتل حسين الكردي صاحب جدة من جهة الغوري وهو أول من بنى السور على جدة وولي على جدة الخواجا قاسم الشرواني فجاء بالامر السيد عرار ونزل جدة وأغرق حسين الكردي المذكور في البحر بعد ان ربط في ظهره صخرة ولما ان قدم الامير مصلح بيك بالمحمل الرومي والامير العلائي بالمحمل المصري خرج الشريف للقائهما هو وابنه في عرضة من قومه فالتقوا في الزاهر ولبسا الخلعة وسار امام الامراء والمحمل خلفهما الى ان أوصلاهما الى باب السلام فأدخل المحملان الحرم وجعل أحدهما على يمين مدرسة الاشرف قايتباي والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصري رباطاً كان في مسيل الوادي هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذي الحجة سنة تسعمائة وثلاثة وعشرين في الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمي ولم يحج في تلك السنة المحمل الشامي وخطب يوم التروية الشريف النواكيري ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة ودعا للسلطان في الموقف الاعظم

(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولي نظر ذلك الامير مصلح قال العلامة السنجاري وقد تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف أردب والسلطان مراد بن سليم بن سليمان زاد خمسة آلاف أردب فيجب على أهل مكة وسائر الاقطار الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه
انا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى
زمزم بمقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل اليها فأتى
بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله
عنه الردم الذي بأعلى مكة صونا للمسجد وبناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم
في سنة اثنتين ومائتين فكشف عن بعض أحجاره وشوهدت فيه صخار عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون
هذا الردم ردم بني جمح بضم
الجيم وفتح الميم وبعدها حاء
مهملة وهم بطن من قريش
نسبوا الى جمح بن عمرو بن
لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك • أقول المراد بهذا
الردم الموضع الذي يقال
له الآن المدعا وهو ما كان
يرى منه البيت الشريف
أول ما يرى وكان الناس
يرونه خصوصا من يريد
الحج من ثنية كدا وهي
الحجون اذا وصلوا هذا
المحل شاهدوا منه البيت
الشريف والدعاء مستجاب
عند رؤية بيت الله تعالى
وكانوا يقفون هنالك للدعاء
واما الآن فقد حالت
أبنية عن رؤية البيت
الشريف ومع ذلك يقف
الناس للدعاء فيه على
العادة القديمة وعن يمينه
ويساره ميلان للاشارة
الى انه المدعا • قال مولانا
القاضي جمال الدين محمد
أبو البقاء بن الضياء الحنفي
في كتاب البحر العميق في
مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا والسيد
ظهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت • ونقل حافظ الدين النسفي في المنافع عن صاحب
الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كدا ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك
مستجاب الدعاء لمن قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى • وكان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط
المائة التاسعة ووفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون
ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله

•(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)•

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وستة وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل
بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبو نمي

•(وفاة الشريف بركات سنة ٩٣١)•

واستمر الشريف بركات الى ان توفي رابع عشر ذي الحجة وفي تاريخ الرضي لست بقين من ذي القعدة
سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلى عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلا وبني عليه
قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته
نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبو نمي

•(ولاية الشريف أبي نمي استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)•

فولي مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد
واقبال وسعد يستخدم به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية
ابنه أبي نمي ويقول لم تزل الاكدار على متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف
أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك
والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة
الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية فخمدت
بولايته نار الفتن وأجمع بمكة وجه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم ودانت له رقاب الامم وفي سنة
تسعمائة وأربعة وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاخذ جازان وصاحبها اذ ذاك عامر بن عزيز
فأخذها الشريف وفر صاحبها وأقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا
واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمسة وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج
منها قائد الشريف وأقام فيها نائبا من جهته وأضافها الى ما افتتحه من اليمن ثم ورد سليمان باشا مكة
فواجهه الشريف ليلة دخوله في الحجر ولما أراد التوجه الى مصر بعث معه الشريف أبو نمي ابنه
السيد أحمد فقابله مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين
المالكي فوصلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم وأجلس السيد أحمد بن
الشريف أبي نمي مسامتا له على يساره وأحسن اليهم وأشرك السيد أحمد مع أبيه في امرة مكة

•(جد الاشراف آل منديل وآل حراز)•

عليه وسلم ومارفعه الاسيد نا عمر رضى الله عنه بالردم الذى بناه فارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكنى أنظر فى جميع عمرى فى المدعا بوقف فيه تبركا فالالائق استمرار وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى أعلم • ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذى بناه عمر رضى الله عنه فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى أثناء هذا مرتفعة عن ممر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبى من المسجد الى ان (٥٣) يخرج من أسفل مكة وهذا السيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليمانى من المسجد وينحرف الى أسفل مكة وقوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادي ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة فى كل عشرة أعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التنظيف وتبديل الحصى ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك تمام الاهتمام فاندثرت أعمالهم لطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح ذلك

﴿واما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فى المسجد الحرام﴾ فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفى كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور أبواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه • وكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضى الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان أول من اتخذ

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل وآل حراز وتوفى السيد عرار هنالك وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبعة وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو نمى من وادى مر الظهران ومد له سماطا هنالك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع ولبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده وامتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

•(ذكر قتال الشريف أبى نمى الافرنج بجدة)•

ومن مناقب الشريف أبى نمى قتاله الافرنج وذلك انه فى سنة تسعمائة وثمانية وأربعين خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وخربت غالب البنادر ثم قصدوا جدة فى أواخر السنة ونزلوا المرسى المعروف بأبى الدوائر فى خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم مولانا الشريف أبو نمى بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة فى جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء فى نواحى مكة من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فشاهدوهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف يتوجهون الى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام باغلا ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم واقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة فقال بعض الناس لمولانا الشريف ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه بانى نويت ان أنحر ما أملكه ويملكه أولادى وأحفادى واذا نفدت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله ولما قرب زمن الحج رد أمره الى ابنه الشريف أحمد ان يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه توجهوا الى لقاء مولانا الشريف أبى نمى بجدة لالباسه الخلع فقابلهم ولاقاهم وهو شاكى السلاح لابس درعه على هيئة المقاتل ولما ان قرب الامراء أمر باطلاق المدافع فاطلق لمقابلتهم نحو ثلثمائة مدفع فألبسوه الخلع الواردة صحبتهم وانصرفوا راجعين ولما رأى الافرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين ولما بلغ مولانا السلطان سليمان ذلك زاد فى اكرام المشار اليه وسمح له بنصف معلوم جدة الى غير ذلك من الانعامات التى لا تحصر

•(فتنة بين الشريف أبى نمى وأمير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨)•

وفى سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين الشريف أبى نمى وأمير الحاج محمود باشا وذلك ان محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على الشريف أبى نمى يوم النحر وقتله هو وأولاده فى ساعة واحدة فظفرهم الله به ووقع فى أيديهم وأرادوا قتله ثم ان الشريف خشى على الحاج وامسك

للمسجد الاروقة انتهى وقال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان رضي الله عنه أن يحول الساحل من الشعيبة وهي ساحل مكة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضي الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان (٥٤) واستمرت جدة بندرا الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهي على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كله في أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل وأما الراكب المجد والساعي على قدميه يقطعهما في ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخي الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها لأن مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة في أكثر من نصف النهار من أقصر الايام بسير الاثقال وهاتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد ثم رأيت في موطا الامام مالك رضي الله عنه حديثا صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه صورته عن مالك أنه بلغه ان ابن عباس كان يقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطائف وفي مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة وجدة والله أعلم ﴿ثم وقعت زيادة الشريف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه﴾ هو صحابي ابن صحابي أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق رضي الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قوي قسم الليالي الى ثلاث فليلة يصلي قائما الى الصبح وليلة

عن قتله وأمر باطلاقه ثم ذهب الشريف ليلة النفر الى مكة والناس في أمر مريج فلم يرد ذلك الجبار الاطغيانا فنادى ان الشريف معزول فلما سمع الاعراب ذلك نهبوا الحاج وأخذوا أموالا كثيرة وعزموا على أخذ مكة أيضا فبلغ ذلك الشريف وعلم هلاك الحاج فركب بنفسه وأثخن في العرب الجراح وقتل بعضهم فخمدوا واستمر أمير الحاج بمكة والناس في أمر مريج بحيث عطلت أكثر شعار الحج ورحل كثير من الحاج من غير رمي للجمار ثم رحل محمود باشا وهو يتوعد الشريف بالعزل والنقمة من السلطنة ثم كان عكس ما أضمر فلما وصل الخبر من الابواب السلطانية أرسلوا التأييد والاعتذار لمولانا الشريف عما وقع من محمود باشا وانه قوبل بما يستحقه من النكال وكان ذلك من كرامات صاحب مكة وقبل هذه الفتنة كان السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن أحمد بن الاستاذ الفقيه المقدم باعلوي بالفقيه المشهور صاحب الشبيكة أرسل من حضرموت كتابا لمولانا الشريف أبي نمي يقول فيه ما عليك من الطباخين والعبيد والفلاحين وأنت منصور عليهم مع اشارات كثيرة لم يفهم معناها الا بعد وقوعها وأرسلها مع خادمه فحفظ الشريف الكتاب فوقعت تلك الواقعة عني فلما أراد الخادم ان يسافر الى حضرموت طلب من الشريف جواب الكتاب فقال له الشريف شيخك صفته كذا وكذا وجعل يصف السيد فقال له الخادم هذه صفة سيدي عبد الله بالفقيه فقال له الشريف رأيته في وقت الواقعة وهو امامي يذود الناس عني وكان الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري حج في هذا العام ونزل من منى للطواف والسعي وكان عنده في منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصل للشيخ محمد حالة جلال فجعل يدور في المجلس الذي هو فيه وقد امتلا غيظا ويشير بيده كأنه يدفع شيأ ويقول حوش يا حرفوش فاستغرب الحرفوش ذلك ثم ان الشيخ لما سكنت حالته قال للحرفوش الآن وقعت بمنى فتنة عظيمة وكان الامر كذلك (ويحكى) عن بعض مشايخ اليمن انه أمر بعض فقرائه وهو باليمن ان يجذب ماء من بئر عندهم في بلده ويكبه في الارض في ساعة الوقعة ثم عاد الى شعوره وقال وقعت فتنة عظيمة بمنى وطفأناها بهذا الماء ومحمود باشا صاحب الواقعة كان ممن ولي اليمن وأرسله داود باشا صاحب مصر بخلع للشريف فلما وصل الى مكة كأنه لم يرض بما قوبل به من الشريف فعاد الى مصر وهو تعبان في نفسه فلما صار أمير الحج سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت منه هذه الفتنة ثم انه ورد متوليا اليمن سنة تسعمائة وستين فلما وصل الى جدة لم يحتفل به جماعة الشريف لما سلف منه فارسل للشريف يعتذر ويحلف له أن ما وقع منه كان عن غير اختيار وانه تاب الى الله عز وجل ورجع فقبل الشريف عذره وأرسل الى خدمه فتلافوا ما فرط منهم في حقه ثم انه صعد الى مكة للطواف فخرج أناس لملاقاته وبشروه برضا

يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا • وكان ممن أبي البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولي عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وأمر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه النابغة الجعدي

حكيت لنا الصديق لما وليتنا • وعثمان والفاروق فارتاح معدم (٥٥) وسويت بين الناس في الحق فاستوى • وعاد صباحا حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين ابن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها نحوا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف ليجدد بناءه﴾ خرج أهل مكة خوفا فتأخر العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبدا دقيق الساقين وعبيدا له من الحبوش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة • وقال الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله في تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن

الشريف ففرح بذلك وقابله مولانا الشريف من تربة الشيخ محمود هو واخوته ففرح غاية الفرح وأنزلوه مدرسة قايتباي وجعلوا له سماطا فأقام يومين ورجع الى جدة متوجها الى اليمن

•(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)•

وفي سنة تسعمائة واحدى وستين توفي السيد أحمد بن أبي نمي والسيد أحمد هذا هو جد السادة الأشراف آل منديل وآل حراز وكان أكبر من الشريف حسن وكان مشاركا لأبيه بأمر سلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة أن يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام

•(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى سنة ١٠٤٩)•

وفي سنة تسعمائة وثلاثة وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على اليمن على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له فوصل المحمل فبرز مولانا الشريف للقائه الى بركة ماجن ولبس الخلعة ودخل الشريف مكة ومعه المحمل والأمير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجيء هذا المحمل الى سنة ألف وتسعة وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفي سنة أربعة وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الأمر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الأمر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلي وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلي الى نجد وما دخل في ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم وكان جامع الأشتات الفضائل حاو بالمحاسن الشمائل وله النثر الفائق والشعر الرائق وتوفي ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وخمسة وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالحم دخلت على مولانا الشريف أبي نمي معزيا له في ولده السيد بركات فانهات دموعه فأخذها عندليل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقي • هام العلى رفع المهيمن شانه
لا تبك مرحوما أتى تاريخه • بركات أنزله اللطيف جنانه

•(وفاة الشريف أبي نمي سنة ٩٩٢ ومدة ولايته مشاركة واستقلالا ٧٢ وعمره ٨٠)•

فسري عنه بعض ما كان فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنتين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا لوالده

الزبير ان يجعل الطين الذي يبنى به الكعبة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فأرسل الى صنعاء اليمن طلب منها جصا نظيفا محكما فأتوا به فبنى به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا في البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان أدار سترا على فناء البيت وكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر في البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابا غربيا في مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطا قصيرا

على انه من الكعبة فأزال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهي على قواعد ابراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعا عرضية لا طول لها فزاد في طولها تسعة أذرع فصار طولها في السماء سبعة وعشرين ذراعا ﴿ولما فرغ من بنائها﴾ طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا من أعلاها الى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحوا من عشرة أذرع • وكان فراغه من عمارة البيت الشريف في سابع عشر رجب سنة أربع وستين من الهجرة فخرج الى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة الى هذا اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار في هذا اليوم في كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس ابن الحسني جد ساداتنا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بني حسن يقال لهم الهواشم لانهماكهم على اللهو واللذات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرت القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلاد ترقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال

ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصي لما توفي الشريف أبو نمي امتنع من الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في المسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتعامل وسألها فقالت يموت ابني ولا تصلي عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رآى وأعقب الشريف أبو نمي كثيرا من الذكور والاناث فمن الذكور الحسن وثقبة وشبير وراجح ومنصور وسرور ومنهم أحمد وبركات لكنهما توفيا في حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبي نمي الشريف حسن

•(ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالا)•

فولي مكة بعد موت أبيه ولبعض الفضلاء من أهل مكة في تاريخ وفاة الشريف أبي نمي

يا من به طبنا وطاب الوجود • قد كنت بدرا في سماء السعود
ما صرت في الترب ولكنما • أسكنك الله جنان الخلود

٩٩٢

ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر ان الشريف أبا نمي كان من أكابر العلماء وأجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي سنة تسعمائة واثنين وثلاثين حملت به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والديانة كما جمع جده صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كأنه معهد للكمالات الجلية ومعقد لخناصر أرباب الهمم العلية وكان آية عظيمة في حل المشكلات مع وفور العقل وصحة الفراسات نشر العلماء المفاخر وألحق عاجزهم بالماهر فانتظموا في سوحه انتظام اللآلي الاكاليل ونظموا في محاسنه ما يضاهي زواهر الاكاليل وكان يجيز على التأليف والقصيدة الالف وأكثر فأبرزت له مخدرات العلوم من أنواع ما ينظم وينثر وهو أول من كتب في التوقيعات يجري على الوجه الشرعي والقانون المحرر المرعي فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على ذلك من بعده من الملوك ويكتب على القصص وهي الانهاآت ليجاب الى سؤاله زاد الله في نواله وكتبه فلان ويعهر الحجة والقصة ويكتب على الاقرار باسمه فقط من غير ان يعهر عليها ولما توفي والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد وهناه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التي هي منزله جعل له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت في بعض الطراز هي هذه

يا سائلي عن محل الملك من كتب • له السعادة ما ان سارت الفلك

أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتجملاتهم الى التنعيم فهجم بعبيده وذويه يدخل مكة وهي يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن فليتة ففر عن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية في ولده الى الآن والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس أرضها بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائرها ولم يغير منها شيأ فهي الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله ابن الزبير * فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي وهو من ثقات الرواة فتحادثا في أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن ابراهيم وان بدا لقومك ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشهور رجعنا الى ما نحن بصدده في ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام * وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان

هذي الديار التي قد عز منشؤها * فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها * بنظم بيت كدر زانه السلك
ما منزل الملك الا ما حوى حسن * وفي بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك في الطراز فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبي نمي بيت التاريخ فأنشأ داره المعروفة به وكتب في طرازها شعرا أنشأه له بعض الفضلاء وجاء فيه بقوله

(ما منزل الملك الا ما حوى ثقبه)

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن فاتفق انه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة وجعل يقرأ الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر هي هذ

ان بيتا بناه خير مليك * أسس الملك كفه واشاده
فاق في وصفه وحسن بناه * كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف * أنا بيت الملوك دار السعاده

(موضع دار السعادة ودار الهناء)

يقال ان دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوي زيد ينزله وأما ذوو بركات فينزلون في دار الهناء ويقال انه كان في موضع بيت الشريف نمي الذي تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(فاجابه بقول الطغرائي من القصيدة)

أريد بسطة كف استعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلي

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف وامر له بألف دينار وفي أيامه في سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبي فتح الكعبة في رمضان على جري العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الضجة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفر وابه ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثيرا من

الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشي يتبعون الافياء فاذا قلص قامت المجالس * قال وحدثنا جدي حدثنا عبد الرحمن بن
الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها في المسجد وكان مما اشترى
بعض دار جدنا الازرقي وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا
كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع الينا قال
فركب رجال منا الى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار
ابن الزبير يعدنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج ابن يوسف وحاصره وقتل ولم نأخذ منه شيأ * قال وذكر جدي أنه سمع
مشيخة أهل مكة يذكرون أن عبد الله بن الزبير سقف المسجد غير أنهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك ابن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة * قال وحدثني جدي حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن قرة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد في زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب قال وروى جدي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زاذان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك في زمان عبد الله بن الزبير

﴿ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام﴾

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى كان الوليد
جبارا ظالما أخرج أبو نعيم في الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن
حيارة بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطي لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في دولته
الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه * وقال ابن أبي عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد
دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه قال أبو الوليد الازرقي قال جدي عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك
وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس
الاساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سرادقات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد

السرقات أقربها فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبي وقد ترجم مولانا الشريف
حسن بن أبي نمي العلامة المحبي في كتابه المسمى خلاصة الاثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر
وأطال في ترجمته فما ذكره قوله نشأ في كفالة والده سعيد دار ثم ساجد اولبس الخلعة الثانية بعد أخيه
أحمد في سنة اثنتين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التي لصاحب
مكة ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية واستمر مشاركا لوالده في الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين
وتسعين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على
أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال
تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم
القدر مفرط السخاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقداما صاحب فراسة عجيبة

﴿فراسة الشريف حسن بن أبي نمي في أحكامه﴾

(حكى) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها
ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض
الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه فقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من
خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا حبل كان عندي اشتراه مني فلان
فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة
ثم وجدت السرقة بعينها في المحل الذي ظنها فيه ومن ذلك انه اختصم عنده رجلان مصري وعماني
في جارية فادعى كل منهما انها له وأقام بذلك بينة فأجال فكرته الوقادة وطلب قليلا من الحب وقال
لها ما اسم هذا في بلادكم فقالت بر فحكم بها للمصري فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انه اختصم لديه
رجلان شامي ومصري في جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما اني سأحكم بحكم فان
ظهر لي أن الحق بيد أحد كما غرمت الآخر ثمن الجمل فأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه
فاستخرج فتأمله وقضى بالجمل للشامي وأمر المصري بتسليم القيمة فقيل له في ذلك فقال رأيت مخه
منعقدا فاستدللت بذلك فان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهي تعقد المخ وأهل مصر
يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن
مالا بالمزدلفة أي ليكون محفوظا مدة مقامه بالمزدلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى
منى وجد المال قد حفر عنه وأخذ ولم يظهر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه
اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فأحضرها ثم
تاملها

الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في باطنها وعلى الأركان التي في جوفها ويقال ان الحلية التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوي تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد

﴿الباب الرابع في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بني مروان وآل الى آل عباس الامرة والسلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حال ايناسهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وخرق وكان رقص لهم وصفق وكانت ثغور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو مواسم ورياح عزتهم في رياض عزتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ويجري على حسب مطويهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم الايام فأظلمت اشراقهم وأذرى بالهيب العكس يانع اوراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تخت الملك الى تحت حافر الحمار فانكتب عليهم الارض وما بقي لهم الا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الأتراب الى باطن التراب وسيقوا للعذاب الى يوم الحساب فسحقا للدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتي تحليها وتجنيها ولا بقاء منها على مجتليها ومجتنيها ذلت عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشي وفتكي وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكي ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ٭ قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة بني الحكم وولده ٭ وأخرج ابن مردويه عن

تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا فأشرفهم على العصا وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا نعم هي عصا فلان فأحضره وسأله فأنكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسناء سنها نحو العشر سنوات فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها ابنة فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية له فطلب الشاهدين وأخذ يستدرجهما عدهما وانهما من مشاهير من جاور بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة فأدياها كما سبق وانها ابنة فلان الجبرتي ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تزيد على ثلاثين سنة وانهما ما خرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشاغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يسبهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصدا اتلافهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة وانه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به ارقاء الناس من أيديهم ثم قال في الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتآليف الجليلة فيجيزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبري تقرب الى خدمته بشرح القصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخني مؤلفي ٭ ببيت شعر ما ذهب

أحمد جود ماجد ٭ أجازني ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا النزر جدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله ذا فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب (يحكى) انه كان في مجلس تصدر بعض الناس على بعض بني عمه فيه فظهر أثر الغضب على ابن عمه ففطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودني للعجب ويجرني من عطف أريحتي ساعد الطرب قصيدة أبي الطيب المتنبي التي أولها

فؤاد ما يسليه المدام ٭ وعمر مثل ما يهب اللئام

فسلي بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم تلميحه الى قوله فيها ولو لم يعل الا ذو محل

ويروى ولو ان المقام له علو ٭ تعالى الجيش وانحط القتام

(ويحكى) انه سقط من يد بعض بني عمه خاتم به حجر ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا

الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الامر والنهي وافرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة ومادام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال ومازال لكل زمان دولة (٦٠) ورجال ﴿فأول من ولي منهم السفاح﴾ أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد سرا فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولا سفا كاقتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم مالا يحصى كثرة وتوطأت الممالك من الشرق الى أقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته أربعة أعوام وجرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمار من سفك الدماء منهم ﴿وولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله﴾ هو اسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظلوما غشوما وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وآذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتلا وضربا ممن أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فسجنه فمات في السجن لكونه أفتى بالخروج عليه وسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة

الشريف لم لاتقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال الست من أبناء أمير المؤمنين فلمح مولانا الشريف الى قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها • وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(ولمح ابن عمه لقول المتنبي)

كذا الفاطميون الندى في أكفهم • أعز انمحاء من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبري أرجوزة في محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها بشرح سماه حسن السريرة وأطال في ذلك ثم قال في خلاصة الاثر انه لم يزل حاميا حوزة البيت المعظم وذابا عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحجازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال في سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد منها سواع ولا يختلس منها ولا قدر صاع وربما ترك المتاع أو المنقطع في القفر السبسب ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركب فيوجد سالما من الآفات ولو طالت الاوقات مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد والسالكين لهذه المواطن والمقاصد ولم يعهد هذا الا في زمن هذا الملك العادل ولم ينقل مثله عن مثله من الملوك الاوائل فلقد كانت هذه الطرق مخوفة والمخالف كلها غير مألوفة حتى من أراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لابد له أن يأخذ خفيرا من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب في نفسه وماله ولا يرثى في أخذ الثار لحاله واطالما نهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء في تلك المشاعر وجدلت الاجساد لديها واذا سرق متاع قل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين في الارض بالفساد فذبسط الله بساط الامان وبولايته ألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم مايذهب للناس في هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من الصلب وقطع الايدي وتكليف أحدهم بالقتل ان لم يرد الى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرضية حتى صلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادي الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى علم الملوك البقايا فشكر كل سعيه في هذه المآثر الجيدة وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة الحميدة وكثر حجاج بيت الله العتيق وضربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عيانا فيستخيرون الله تعالى في ان تكون بلده لهم مسكنا وأهلها اخوانا وكان في القواعد القديمة

لولاة

الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول ووطئت له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة • وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى أن انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بمسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثبات تداذا قوي السيل عليه ولذلك لم يزد في أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولي عمارة المسجد لابي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي • وكان من شرطته (٦١) عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جد مشافع بن عبد الرحمن الشيبي وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الاعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هنالك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبي جعفر طاقا واحدا باساطين الرخام دائرا على صحن المسجد وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبد الله الحارثي والي الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك في عامين وقيل في ثلاثة أعوام • وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم (قوله بركات) المذكور من أولاد الشريف حسن من عقب بركات الشريف سعيد العمري ابن مساعد بن مبارك بن هزاع بن عبد الله بن عمرو بن بركات بن حسن بن أبي نمي

لولاة مكة الكرام أن ينادي بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلاده ولا يقيم بمكة الا خواص أهلها من ذوي البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد في المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

•(وفاة داود بن عمر الانطاكي صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨)•

وفي تاريخ الرضي في سنة ثمان بعد الالف توفي العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكي البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع بمولانا الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية في الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحد أخوانه أن يمد يده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فأعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فانظروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

•(وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي سنة ١٠٠٨)•

وفي هذه السنة توفي الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم في البر

•(وفاة الشريف حسن بن أبي نمي سنة ١٠١٠)•

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن الى نجد غازيا فتوفي هنالك ثالث جمادى الآخرة وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة فحمل على البغال الى مكة ووصلوا به في ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة رحمه الله وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

•(عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم)•

وله أولاد كرام وذرية فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فأولاده الذكور أبو طالب وحسين وباز وسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى وهزاع وعبد العزيز ومضر وعنان وجود الله وعبيد الله وبركات ومحمد الحارث وقايتباي وآدم قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي وقد كان انتهاء صعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندري ما يريد وما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار

والذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الايدى منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامته فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له خيرى الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده • وحج المنصور فى ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على يده الأموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سلك الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى • وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصود بالعظم فائدتها وهى (٦٢) لما حج كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلى ولم يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجىء المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلى بالناس فخرج ذات ليلة فى السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أقلقنى وأمرضنى وأشغل خاطرى فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى وصغيت الى باذن واعية أنبأتك بالامور من أصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله واقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل عن غيرى فقال أنت آمن على نفسك وقل فانى ألقى اليك السمع وأنا شهيد بالقلب فقال ان الذى داخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض هو أنت فقال أيها الرجل كيف يداخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى والحلو والحامض فى قبضتى ومن يحول بينى وبين ما أريد من ذلك فقال هل داخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والطين وأبوابا من

بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصرى وأبو جهل يعظ الحسن البصرى اهـ وأرخ بعضهم وفاة مولانا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة جواهرا • فى سلك بيت صغته بنضار
حسن عفا عنه العزيز بطوله • وأحله أوج الجناب البارى

•(ولاية الشريف أبى طالب بن حسن بن أبى نمى)•

ولما توفى مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال فى خلاصة الاثر كان من أمره انه لما كبر أبوه فوض أولا نيابة الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فات دولاها شقيقه الشريف مسعودا وكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك مسلك أمر ضيا فتوفى وهو شاب فآلت الى أبى طالب صاحب الترجمة وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وبعد ما حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحاج ان يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا والده عند المطاف الخلعة الثانية فألبساهما ثم جهز من اتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية فى هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريرا بذلك فاجيب الى ملتمسه ورجع بهرام بالتقرير وصورة منشوره مطولة مذكورة فى ريحانة الخفاجى

•(ما كتب فى منشور الشريف أبى طالب)•

ومن جملة ما فى ذلك المنشور ثم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلى لفظه العظيم ممن فى دارة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبى طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف ويصرف المستحقين بحسن التصريف ويصرف من لا يستحق برأيه الشريف أقمناه مقام نفسنا فى ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة كافية من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن فى جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها انا أعطينا القوس باريها فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب وفتح له بمفاتح النصر كل مغلق من الابواب ما سقطت من أكف الثريا الخواتم وزقت على منابر الاغصان خطب الحمائم والسلام

وفاة

(وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠)

وفي سنة وفاة الشريف حسن توفي ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبي طالب سنة تسعمائة وخمس أوست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه وهنأه الله بما صار اليه وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام بأعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد فهابته النفوس وانصف في أحكامه وسار السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة واذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي وكان سخيا ندي الكف

(ومما يحكى) من كرمه انه زار النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي أمر مكة فلما أمسى نزل في واد هناك هو ومن معه فاضافه رجل من أهل الوادي يقال له السوداني فذبح الذبائح ومد الموائد وقدمها ثم بلغه أن الشريف أباطالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له فعمد السوداني الى أربع أوخمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني وجاء بها اليه وقال له ياسيدي هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التي تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال ائتني بها فملأها له ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفي أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا صدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لايسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس في دولة الشريف حسن مايشينها الا ابن عتيق ويقال انه كان ساعيا بعمر الشريف حسن فلما توفي وتولى ابنه الشريف أبو طالب قبض على ابن عتيق وحبسه وأراد أن يحقق مظالمه فيردها الى أهلها فايس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك في جمادى الآخرة سنة ألف وعشرة وأرخ بعض الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغيه • ابن عتيق الطاغيه • نار الجحيم استعوذت • منه وفات ماليه
لما أتى تاريخه • أجب لظى والهاويه

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الحبور مالكا لازمة الامور والعلماء كافة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه

(وفاة الشريف أبي طالب سنة ١٠١٢)

الى ان توفي راجعا من بعض غزواته بمحل يقال له العشر من نواحي بيته في العشر من جمادى الآخرة

الخشب والحديد وحجاب منعهم السلاح واتخذت وزراء فجرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لايذكرونك وان أحسنت لايعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وأمرت أن لايدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعاري والمحتاج وما أحد منهم الاوله حق في هذا المال فمازال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لايحجبوا عنك يقولون في أنفسهم هذا قدخان الله فمالنا الانخونه فاتفقوا على أن لايصل اليك من أخبار الناس الاما أرادوه ولايخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم وكان أول من صانعهم وداراهم عمالك بالاموال والهدايا والرشاء فتقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم وافسادهم وصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فان سألت عنه قالوا أساء الادب فادبناه وجهل مقامك فضربناه فابقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام واني سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكي فقال له وزراؤه لم تبكي لابكت عيناك فقال اني لاأبكي على فقد سمعي ولكني أبكي على المظلوم يصرخ ببابي يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعي فان بصري لم يذهب فنادوا في الناس ان لايلبس الاحمر الامظلوم لاميزه بالنظر فاعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلاماتهم انظر يامسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لاتجمع الالواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبرا في الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ماله على وجه الارض مال ومامن مال الاودونه يد شحيحة تحويه وتصونه عن كل أحد فمازال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ماقدر له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لامانع لما أعطى ولامعطي لما منع وان قلت اجمع المال ليشتد به سلطاني فقد أراك

سنة ألف واثنتى عشرة فغسل هنالك وكفن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير السيد ابراهيم بن بركات وصلى عليه يوم الاربعاء ضحى ثانى عشر جمادى الآخرة ودفن بالمعلى وبنى عليه قبة فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار ويحمى سادا تنا بنو حسن من استجار بقبره ولا ينال من استجار به مكروه

﴿ولاية الشريف ادريس بن حسن﴾

فولى مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبى نمى ومولده سنة تسعمائة وأربعة وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وبين ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا قاصدا الى الروم بما وقع عليه الاتفاق فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بخلعة الاستمرار وقرئ توقيعه بالحطيم حادى عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال فى خلاصة الاثر فى ترجمة الشريف ادريس وكان من أجل الناس من سراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان يكنى أبا عون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له فى الربع فى جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة فكثرت أتباع فهيد من الاشراف وغيرهم بحيث صار موكبه يضاهى موكب الملك وكان اذا جلس وقفت الترك عن يمينه وشماله واتخذ رماة للبندق نحو مائتين أو أكثر ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس وعجز عن مداراته الشريف ادريس ولما اشتد أمره أخذ بجانب اكمل الدين القطبى وأراد أن يصيره مفتيا فلم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فارسل الشريف ادريس لابن أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان توجهه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس وكتب اليه أن يأتى بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير حلى محمد بن بركات الحرامى ونودى فى البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع الشريف فهيد من الذكر ومنع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يخطب له وكان يومئذ فى بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشار اليه أعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من الشريف ادريس مقدار شهر مهلة ليتأهب للخروج من مكة الى حيث أراد فاعطاه ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع فامتنع فانضم الى بعض أكابر الحج المصرى وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع

الله عبرا فمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ما كنت أنت وولد أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة تدرك الا بالصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغنى عنك ما كنت فيه شيأ • قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالى فيما خولت ولم أر من الناس الا خاليا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فروا منى قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل وانى ضامن لمن هرب منك أن يعود اليك • وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وأذنوا الفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس واذا بالرجل قد غاب من بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تأتونى به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه فى الطواف فتقدم اليه الحرس وقال انطلق معى والا هلكت وهلك من معى فقال كلا لا يقدر عليك وأخرج من جيبه ورقة وقال ضعها فى جيبك فلا ينالك منه سوء فانه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه الا السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله رزقه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه لى لآخذه عنك وأتلقاه منك • فقال قل اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك ما لا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الى وأنا المسىء

الى نفسى فما بينى و بينك تتودد الى بالنعم و أبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك الى انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته و أخذت الورقة فى جيبى واذا بالرسل تسعى الى تستعجلنى فأتيته واذا هو جر يتلظى فلما رقع نظره على سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لى ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكى الى ان بل لحيته وأمر لى بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام • قلت وأنا أروى هذه الحكاية عن والدى الشيخ علاء الدين أحمد القادرى الخرقانى النهروانى الحنفى نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأنى بهذه الحكاية العز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن القاضى زين الدين أبى بكر بن الحسين العثمانى المراغى عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزى • قال أنبأنا الامام أبو الحسن على بن أحمد بن البخارى عن الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى قال له أنبأنا محمد ابن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن على بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابورى عن ابراهيم ابن أحمد الخشاب حدثنا أبو على الحسن بن عبد الله الرازى حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشى قاضى اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكى يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله • وفى سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثورى فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه فجاؤا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه واندقت عنقه فمات لوقته فى سابع الحجة وقت السحر فحفر والمائة قبر ودفنوه فى أحدها ليعموا قبره على الناس و بر الله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم فى عظمة سلطان السلاطين

بالسلطان أحمد فيقال انه أنعم عليه بامارة مكة فعاجلته المنية ومات هناك فى سنة عشرين بعد الالف وقيل فى تاريخ موته مات بالروم فهيد بن الحسن واستمر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة فى الاحوال المهمة ونافره بنو أخيه عبد المطلب ابن حسن لامر فقام الشريف محسن فى موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا فى الطاعة وطابت نفوسهم

(دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق)

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن فى الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمعوا هنالك بذوى عبد المطلب حين كانوا مغاضبيه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلى من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها على باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده فامتنعا وأقاما نحو ثمانية أيام ورجعا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من القتاديين دخول الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف ادريس وتجاوزهم فى التعدى وعمت البلوى بما يصدر عنهم من الامور المشتملة على التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متغافلا عما يصنعونه ولم يلق سمعه الى ما ينهى اليه من فعلهم ولا ينصف أحدا من شكايتهم وراجعه الشريف محسن فى شأنهم مرارا وردد القول عليه فكانت الشكوى الى غير منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بنى عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)

وفوضوا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك فى سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان السادة الاشراف نيتهم اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم فى البلد وحركة عظيمة وقسمت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد النداء فى البلد للشريف محسن استقلالا لاقبل وصولهم المقعد منهم الجبالية المحمولون فى مدرسة السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفى ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادى ينادى بالبلاد للشريف محسن

وما أحقر سلطان البشر المخلوق من ماء مهين وما أسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ويعلم ان الملك لله الواحد القهار لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى مناما يدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرنا ﴿وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي﴾ ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقلد أمور المسلمين ونزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة ... بأميرها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها ... ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما ... ويسرها ان قام هذا الخلف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى ... شعرا أسرحه وآخر أنتف

هذا حباه الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والري وما يليها فتأدب وتميز وجالس من العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا علي العلماء والقضاة وأحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر فأنشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا ... مسيرة شهر بعد شهر نواصله

وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا ... اليك ولكن أهنأ البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فأمر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكف الناس عنا ... ما يريد الناس منا

انما همتهم أن ... ينبشوا ما قد دفنا

ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه ومن ألطاف الله تعالى ان الجماعة بالمسجد الحرام قائمة ذلك اليوم والاسواق فاتحة وفيها الاقوات ولم يحصل تغير أبدا فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالامر ويكون الكف عن المحاربة سنة أشهر منها ثلاثة يكون الشريف ادريس فيها في البلد وثلاثة في البر فاتفق الحال ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده ثم خرج ادريس من مكة ليلة المولد وقال في خلاصة الاثر ونقل الثقات انه لما ضويق عليه وأجلبت عليه الاشراف ومن معهم بحيث انه أصيبت جويرية بين يديه بالبندق فسقطت ميتة بين يديه فارتاع لذلك وحزن ووضع مسندا بلا طيفا على وجهه وبكى لفقد الناصرين فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن فقالت له على م ذا الحزن والعناد دعها الاين أخيك فقد وليتها مدة طويلة فحينئذ أرسل الى الشريف محسن والاشراف وطلب منهم مهلة شهرين في البلد وأربعة أشهر خارجها ليتأهب للسفر الى حيث شاء فأعطاه الشريف محسن ذلك وشرط عليه أن لا يحدث شيأ من المخالفات فاستمر شهري محرم وصفر فمرض فيه حتى خيف عليه

﴿وفاة الشريف ادريس سنة ١٠٣٤﴾

وفي ليلة المولد خرج من مكة فطاف للوداع الا في محفة وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة عند جبل شمر ودفن بمحل يسمى ياطب ومن الاتفاق العجيب ان ياطب حسابه بالجمل اثنتان وعشرون سنة وهي مدة ولايته مجبورة فان ولايته احدى وعشرون سنة ونصف وعمره ستون سنة ووصل خبر وفاته الى مكة في مستهل رجب وصلى عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله تعالى واستمر الشريف محسن على امارة مكة وعرض الى الابواب السلطانية بما وقع فجاء الجواب بالتأييد وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف وأربعة وثلاثين وكان القارئ لمرسومه العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي وكانت ولادة مولانا الشريف محسن سنة تسعمائة وأربع وثمانين ونشأ في كفالة عمه أبي طالب لان أباه الشريف حسينا توفي في حياة أبيه الشريف الحسن بن أبي نمي كما تقدم وكان الشريف محسن كثير الفضائل قال العلامة العصامي في تاريخه قام بالامر الشريف محسن وأحسن كما أحسن الله اليه ونهض من الاحكام الاحكام ما وجب عليه فصفت من الامن مناهله ونجحت من طريق الجهل مجاهله وقد ألف العلامة أحمد بن الفضل باكثير تأليفا في مناقبه ومحاسنه سماه وسيلة المآل بذكر فضائل الآل ومدحه الشعراء بقصائد وأرخوا عام ولايته فمن ذلك قول الامام علي بن عبد القادر الطبري

عام ولاية المليك محسن ... ابن الحسين بن الشريف الحسن

من رام أن يضبطه فقد أتى • تاريخه خير ملوك الزمن

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى أبيات فى آخرها التاريخ وهو هذا

فلهذا قد جاء تاريخه المقرون باليمن المؤرخ عامه

ولى الملك محسن بن حسين • أنجز الله نصره وأدامه

ومن الوقائع الغريبة فى مدة ولايته انه خرج فى خمس وثلاثين بعد الالف غازيا الى جهة الشرق فاتفق انه فى هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر الطبرى فتأهب والده لها بجميع ما يحتاجه من السماط والحلوى على القاعدة المعروفة

•(نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية الى الائمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب)•

فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيورى ان لا يباشر العيد الا خطيب حنفى فتوجه الامام عبد القادر الطبرى الى الوزير مصطفى السيورى وراجعه فى ذلك فقال الوزير تراجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل ما يحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع فشهق شهقة الامام عبد القادر كانت موته وظننت صعقة فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى الفليوى المكى ونزلوا بجنازة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فياله من فرح انقلب الى مأتم وسرور تبدل الى حزن ومأتم وتقطع قلوب عيال أنتهن المصائب غافلات فدموع الحزن فى دم الدلال سافكات ولم يزل مولانا الشريف محسن منفردا باعراده قامعا الانداده آمنا فى سربه عزيزا فى حزبه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد من السلطنة العلية أحمد باشا متوليا على اليمن فلما انكسر مركبه بجدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة فى صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين فى جدة غواصين لطلب أسبابه فعينوا له أقواما غاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يخرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبد الرحمن المرشدى مفتى السلطنة بمكة بمكاتيب منه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبى نمى قال فى خلاصة الاثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب مالأة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمونها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود انى

لو شكا باطن الارض • من الكانوا حيث كا
ان أرادوا كشف أمرى • قد سترناه كشفنا

ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها فى جارية كان يحبها حبا شديدا

أما يكفيك انك تملكينى • وأن الناس كلهم عبيدى

وكان المهدى يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث فقال يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا لا سبق الا فى حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدى انه وضع له هذه الزيادة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بالرد تأدبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدى أشهد ان قفاك قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر ألف عدل ثياب خز فأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لى وجبة لولدى محمد المهدى فقال لا يجىء منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدى أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها فى عبيده وخدمه فى ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو والصيد الا انه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادى بقتلهم حيث وجدهم وقال النجم عمر بن فهد فى حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدى العباسى وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شئ لم يتم لاحد قبله ونزل المهدى دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبى فى ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه فقال له ان معى شيأ لم يحمل لاحد قبلك فكشف له من الحجر الذى فيه صورة قدمى ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذى يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدى بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء وشربه وأرسله الى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم وأعطاه المهدى جوائز كثيرة وأقطعه خيفا بوادى نخلة يقال له ذات القريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار • وذكر حجبة الكعبة للمهدى انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن فجردت الكعبة منها وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح

لا أريد الملك لنفسي انما أريده لك وهو بينما انفذ كل من استطعت من آل أبي نمي وثبطهم وحل عزائمهم فوعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور فولاه شرافة مكة ونادى له في جدة وأبان عزل مولانا الشريف محسن ثم قدر الله ان الباشا مات في تلك الايام وعد الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كيخيا الباشا لمولانا الشريف محسن بوفاة الباشا وطلب منه عشرة آلاف قرش ليتوجه بها الى اليمن قال والبلاد بلادكم فبلغ فعل الكيخيا الشريف أحمد بن عبد المطلب فاستمال العسكر فقتلوا الكيخيا ومن بقي من جماعة الشريف محسن وصادر التجار وأهل البلد فأخذ منهم جملة من الاموال ونأهب لحرب الشريف محسن فلما بلغ ذلك مولانا الشريف محسنا خرج لهم الى الحديبية موضع مقابل لجدة فخرج اليه بعض الاتراك وأخذوا قطيع غنم لعرب فقاتلهم بعض الاشراف فقتل السيد ظفر بن سرور ابن أبي نمي والسيد أبو القاسم بن جازان وغيرهما ومن الاتراك نحو الخمسين ثم انحاز كل الى فئته وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن ان السيد مسعود بن ادريس دخل مكة واستمال الاشراف بني حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بمناصفة مكة ان هو استمال الاشراف اليه فكر الشريف محسن راجعا الى مكة وترك على جماعته هنالك السيد قايتباي بن سعد بن بركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين وردوا مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة الى مكة في سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف محسن للقائه بجيش جرار الا ان غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود بن ادريس فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن اختلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان أطلق جماعة الشريف أحمد مدافعين وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

•(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨)•

واستمر هنالك الى ان توفي سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبني عليه قبة هنالك تزار

•(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧)•

ودخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف وفر من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى وممن اختفى من الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي مفتي السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث في طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه فأظهره من أضمره فنهب داره وقبض عليه وحبسه

الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة الى أن اسود وهاشم كسيت ثلاث كساوى من القباطي والخز والديباج وقسم المهدي في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهي ثلاثون ألف ألف درهم ووصل بها معه من العراق وثلثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضي مكة يومئذ وهو محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وأمره أن يشتري دورا في أعلى المسجد ويهدمها ويدخلها في المسجد الحرام وأعد لذلك أموالا عظيمة واشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا في فجاج مكة واشترى كل ذراع بكسر في مثله مما دخل في المسجد بخمسة عشر دينارا فكان مما دخل في ذلك الهدم دار الازرق وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بني شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثلاثة وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل في المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربري فعمرها وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء قلت وتداولت الايدي عليها بعد ذلك الى أن صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغي والثاني كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباي وبناهما مدرسة ورباطا في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها سقفات بمكة وأقطاعا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانه غير انه شرع في أوقاته الخراب لاستيلاء الايدي الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدي في أعلى المسجد وكذلك في أسفل الى أن انتهى به الى باب بني سهم ويقال له الآن باب العمرة والى باب الحياطين ويقال له الآن باب الحياطين وكذلك زاد من الباب الشامي الى منتهاه الآن وكذلك زاد في الجانب اليماني أيضا الى قبة

الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان ماورا ء مسيل الوادى فهذه كلها الزيادة الاولى للمهدى وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قرب جدة فى موضع كان فى أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعيبة فجمعت هنالك لان مرساه قريب بخلاف بندر جدة لان مرساه التى تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصارت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتحاكى العربان ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك ٭ وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حفر لها فى الارض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع كشف منه السيل العظيم الواقع فى سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فحج المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب من وراء المسجد قد اتسع من اعلاه وأسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحو الوادى عردوبها فى بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الاخضر اللاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى وكان هذا الوادى مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى ٭ فلما رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد أراد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التى على حافة المسيل فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدمنا ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو واد حدور يخاف ان حولنا ه عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلوا السيول فيه

وأخاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى

٭ (سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى) ٭

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن فى السجن كما سيأتى قال الرضى فى تاريخه اختلفت الاقوال فى سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فقيل تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب فى خطبة عقدها للتى خطب بها فى زواج سلطانة بنت على شهاب وكان الشريف أحمد طالب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال فى ابتداء الخطبة الحمد لله الذى أعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبد المطلب معزيا لابسا صوفا أبيض أى وكانت عادتهم لبس السواد فى مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة والملع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة قرطاسا من الشيخ المذكور يسميهم بغاة جائرين ظالمين ويوجب قتالهم بخطه المعروف واسمه الموصوف وكان الشريف أحمد بعد ان حبس الشيخ عبد الرحمن المرشدى يخرجه فى كل شهر لضرورة دوائه وهو فى اصفاده واحزانه فأقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضع للعزيز قدرا وان كنـ ـت مشارا اليه بالتعظيم

فالعزيز الكريم ينقص قدرا ٭ بالتعدى على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جراءته فى ثلبى وقوة جنانه لحربى فجعل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى يعتذر ويحسن التعليل عما قدر فقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما قصد من القطعة ما قيل ولع الحر بالعقول رمى الحشر بتجنيسها وبالتحريم ٭ ثم قال والله انى لاعلم انه افضلكم على الاطلاق وقد عرلى العفو عنه الا انه جاء نكرا اذ جعل نفسه عقلا وجعلنى حمرا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل فى الحبس الى الموسم فورد الحج المصرى وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج للقائه الشريف أحمد والبسه الخلعة على جرى العادة وخرج بالناس ولم يحج أحد من أهل مكة فى هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادى عشر من ذى الحجة جاء مولانا الشريف من أوحى اليه ان الامراء عزموا على اطلاق الشيخ عبد الرحمن المرشدى وتخليصه من يد مولانا الشريف فبعث من ليلته الى الحبس

٭ (قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فى السجن) ٭

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع حاكم عتيق بن عمر فى القاضى أحمد أخى الشيخ عبد الرحمن لصحبة

فتنصب فى المسجد و يلزم هدم دور كثيرة و تكثر المؤنة و تكبر ولعل ذلك لايتم فقال المهدى لابد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره و ربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادى الى آخره و ربعوا الوادى من فوق الاسطحة وطلع المهدى الى جبل أبى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة فى وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت و يجعل مسيلا محلا للسعى وشخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به * ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة (٧٠) العظمى وهذه هى الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام هذا ملخص ماذكره الازرقى والفاكهى والحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى تواريخهم رحمهم الله تعالى ﴿وههنا اشكال﴾ مارأيت من تعرض له وهو ان السعى بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التى أوجبها الله تعالى علينا فى ذلك المحل المخصوص ولايجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا فى ذلك المكان المخصوص الذى سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ماذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى فى الحرم الشريف وحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم * وأما المكان الذى يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض من المسعى الذى سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعى فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا و بنيت تلك الدور بعد ذلك فى عرض المسعى القديم فهدمها المهدى وأدخل بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يحول تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذ ذاك فكان الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عنهما والامام مالك بن أنس رضى الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعى وأحمد بن حنبل و بقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعهم رضى الله عنهم على صحة السعى من غير نكير نقل عنهم * و بقى الاشكال فى جواز ادخال شئ من المسعى فى المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف

كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبد الرحمن فقتلوه صبرا فى تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة حيدر الشامى أحد تجار مكة بدلا عن القاضى أحمد بن عيسى المرشدى لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم النحر جاء الامر الى مولانا الشريف وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد تفرطنا فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدى حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها كما سيأتى وفى الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان وكان أحمد الشريف بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة أخذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوى وهو الذى بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على الشهادة وكان كثيرا ما يكنى عنها بطلوع الشمس ولما دخل مكة واستولى عليها صادر كثيرا من الناس وأخذ أموالهم ولم يرحم أحدا وعاقب كثيرا ممن كان قبل استبعدها عنه وسخر منه وكان له اخوان وجلساء قبل الولاية فجعل لهم الاذية واستمر متغلبا على مكة فحبس من حبس وقتل من قتل فنفرت الناس وجلت عن مكة وخالفت القبائل وتقطعت الطرق وأكثر العسكر الفساد فى شرف البلاد وسكنوا بيوت الاشراف وانتهكوا حرمتهم وكان ممن فر منه واختفى الشيخ جمال الدين محمد باقشير فتوجه مع الحج المصرى الى مصر مختفيا وفى ليلة خروجه مختفيا صادف فى خروجه فى طريقه الشريف أحمد عائدا من العمرة فكتب بطاقة وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد فاوصلها اليه فقرأها فى ضوء الشمع وكان يسير به ليلا بدلا عن المشاعل فاذا فيها

تستحل الدماء وتحرم بالعمـ ـرة دعها وعن دما الناس أمسك
مارأينا والله أعجب حالا * منك وا لها ما أفانك متنسك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف وبقى الشيخ جمال الدين باقشير بمصر الى ان قتل الشريف أحمد فرجع الى مكة واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة ولم يف للشريف مسعود بن ادريس بتلك العهود بل أراد قتله ففر الى قانصوه باشا والتجأ اليه فوجد قانصوه ملوا على الشريف أحمد فلما أقبل قانصوه قاصد اليمن لاقاه الشريف مسعود من ينبع أو الحوراء وجاء معه مختفيا وكان قانصوه مأمورا ان ينظر فى أمر مكة ويولى فيها من يختار ولما ان قضت الحجاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا مخيمه وخيام العسكر فاشار قانصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد الماس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قانصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر

حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا لا يصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه (فصل) ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل في التعدي على المسعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباي المحمودي سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يستخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته وما آثره الجميلة واعتقاد في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباي أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ست (٧١) وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التي في المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما اذكره وهو انه كان بين الميلين ميضأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن ابن قلاوون وكانت في مقابلة باب علي حدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنه الذي هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبني بها رباطا لسكن الفقراء فمنعه من ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عبيد المالكي والقاضي علاء الدين الردادي الحنبلي وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضر النقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لانك مباشر في

سفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون في الخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فصاد ثاملا ثم نصبا الشطرنج

•(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)•

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع فقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فاظهروا انهم مقتولا ونشر العلم ونودي المطيع للسلطان يقف تحته فوقفت العساكر تحته وخلع على الشريف مسعود بن ادريس وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

•(ولاية الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩)•

فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا معتقدا للعلماء والافاضل فبلغت به الناس المنى وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

•(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩)•

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو ألف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

•(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠)•

وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

•(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سادتنا
آل عون أمراء مكة حالا الى آخر الدوران)•

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على تولية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاءتهم مراسيم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا

هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المعيرة أيضا بازالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباي وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباي نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى حصمه المنصب وأمر أمير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء خوفا من انكار العملة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض (٧٢) وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا لطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى أن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور والله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباي مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الامر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون تسوية ايوانه باد خال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها العلامة أضعاف ثمن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لارضها فبقي في ايوانه ازورار بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوف من السنين وقال واتما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن روى ﴿فصل﴾ قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين ومائة ما لخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وحرفوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة

عظيما سالما ولي مكة بعد أخيه الشريف مسعود وهو اذذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وأمراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتخلف عن جنازة الشريف مسعود لذلك فألزموه بذلك حقنا للدماء العالم وما زالوا به حتى رضي وحصل بولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن الى ان خرج بالناس سنة أربعين

●(نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده محمد ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)●

وفي شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله وأرسل الى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي لانه بقي هناك بعد ان توفي والده وأخبره انه يريد ان يجعله شريكا لولده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع ولده في النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الامر وتجرد للعبادة الا انه كان يدعى له على المنبر معهما

●(وفاة الشريف عبد الله بن حسن سنة ١٠٤١)●

واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بعد ان خلع نفسه الى ان توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلي عليه ودفن في قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وجود وحسين وهاشم وثقبة وزامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية والخلعتين وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبي نمي صبرا في مضرب بالمبعوث فجاء الخبر للسيد علي بن بركات بن أبي نمي فاستنجد بني عمه جميعا فأجابوه فخرج معهم مولانا الشريف زيد بأمر مولانا الشريف محمد بن عبد الله ففتحها وقتل من رأى في قتله الاصابة ورجع الى مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أخذ مكة فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر فرجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الاتراك وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهما عساكر الى قوز المكاسة أسفل مكة قال

الاشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بنى هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب على رضى الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل فى مقابلة هذا الباب باب فى المسجد يعرف الآن بباب حزورة ويحرفه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادى ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة واذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة ومن الجانب اليمانى وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليمانى من المسجد المتصل بالوادى تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذى عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل فى قرب الركن اليمانى من المسجد فى أسفله دار أم هانئ لان دارها رضى الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة سادتنا الاشراف آل الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضى الله عنها بئر جاهلية حفرها قصى بن كلاب أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضا تلك البئر فى المسجد الحرام وحفر المهدى عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بنى سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد

من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتى ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر البناة والمهندسون فى بناء الزيادة ووضع الأعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا فى نفس الخشب كما أدركناه وكان فى غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد فى غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفى المهدى رحمه الله لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذى أراده وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادى

العلامة العصامى وكان خروجهم فى عشرين من شعبان فى مثل سقوط البيت وفى الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكر بن هنالك فحصلت ملحمة عظيمة

●(قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله فى وقعة الجلالية سنة ١٠٤١)●

وقتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الاستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادى مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

●(ولاية الشريف نامى بن عبد المطلب سنة ١٠٤١)●

ومعهم الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى فنودى له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن فى ربع مكة لكن لم يشركوه فى الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاوراغا ان يسلمها اليهم فمنع من ذلك فجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا غالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى غالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر فى مكة وصادر الشريف نامى بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير العسكر الذين كانوا مع شريف مكة وفر بقية العسكر الذين كانوا معه الى جدة ثم الى سواكن ولما كان اثناء شهر ذى القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف بدر السيد على بن هيزع يريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد على المذكور وأخبر الباشا وولى الامر فيما وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكرى ومعهم خمسة صناجق سافروا برا وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكرى وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بلبسهما والتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجوم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامى عيونا يبصرون له العسكر فى وادى الجوم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادى ليلا فشعر بهم العسكر المصرى فلحقتهم الخيل

●(فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي)● ولد بالري في سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فأخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه ● وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض بشفته العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيستمر فمه مفتوحا وكل به أبوه في صباه خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا كريما يعجبه المدح دخل عليه مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بؤسه ونواله فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي قبل أن يتمها أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له جعلنا لك المعجل والمؤجل ثم قال بل عجلناهما لك جميعا وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلي بقصيدة أولها

سليمى أزمعت بينا فأين لقاؤها أينا

فأعطاه سبعمائة ألف درهم وكان اكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي وبادروا وكانوا بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدي وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى ● وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدي من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله أعلم ● ولم تطل مدة موسى الهادي وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي شابا وعمره أربع وعشرون سنة في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ● واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق

فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أو ستة هجانة وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامي وأخبروه بما نالهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلالية ومعه أخوه سيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن ادريس لاربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة احدى وأربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم في اثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس وانحدر الى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى في البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمأنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد

●(دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين
وخروج الشريف نامي الى تربة)●

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذي الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل المحمل المصري عقب دخوله ولم يكن معهم حجاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والرئيس يدعو له والمنادي ينادي له في شوارع مكة ثم سأل عمن تخلف من العسكر فاخبر بجماعة منهم تخلفوا وانهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس في السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

●(توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامي في تربة)●

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الاشراف والعسكر الى تربة لمحاصرة المتحصنين بها فحاصروهم وخرج من الحصن بعضهم بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة وزينت البلاد سبعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنتين وأربعين وألف فرجعوا ودخلوا مكة [illegible] عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريفين نامي وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

●(تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى)●

فشنقوا الشريفين بالمدعى في ر وشنين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بتخريق سواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به في شوارع مكة ثم علقوه بالجميزة التي في المعلى وبقي حيا الى آخر النهار فأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده في الهواء وتخلف أمير الحاج المصري والشامي الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا أواخر صفر واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفي الى رحمة الله وكانت مدة الشريف نامي مائة يوم ويوما على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا الشريف زيد سنة ست عشرة وألف بارض بيشة وكانت أيام

به فوقها فى مقصبته فدخل القصب فى مخارجه فماتا جميعا وقيل بل قتلته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه هرون الرشيد ليولى العهد ولدا صغيرا من أولاده عمره عشر سنين وكانت أمه الخيزران قد استبدت بالامور العظام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادى عن ذلك وقال لها ان وقف امير على بابك ضربت عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعك أمرت جواريها أن يغموا وجهه ببساط جلس على جوانبه فانسد نفسه الى أن مات • (وولى الخلافة بعده بعهد من أبيه أخوه هرون الرشيد العباسى الخامس من العباسيين) • ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده فى الرى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه الخيزران أم الهادى وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

يا خيزران هناك ثم هناك
أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفى ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك أو يرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما فى عام واحد وكان يصلى فى خلافته كل يوم ألف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام • وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ويعظمه وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام أبو يوسف رضى الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره • ويروى عن أبى معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدى من لا أعرفه ثم قال لى الرشيد أتدرى من يصب عليك قلت لا قال انا اجلالا للعلم • وأراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت أيام الرشيد أيام خير كأنها أعراس وله أخبار فى اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى • وأسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى طرق الروم فغزا أهلها وظفر وعاد فيم

ولايته مواسم لاهل الفضائل تجبى اليه ثمرات العلوم والاداب من كل طائل ويقابل بالبشر والنائل ويباحث العلماء فى دقيق المسائل وفى سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فساراليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لا تعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

• (وقوع الفناء فى الخيل بمكة سنة ١٠٤٣) •

وفى هذه السنة وقع الموت والفناء فى الخيل بمكة وسمته العامة أبا مشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذوه لمولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفى عشرين من ذى الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصرى وسببها انهم تزاحموا عند سقيا الماء بالزنابيز فثارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضروا مدفعا عند الزنابيز وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثانى يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

• (منع العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٧) •

وفى سنة سبع وأربعين وألف ورد أمر سلطانى مضمونه ان العجم لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعد النزول نادى منادى الشريف على الموجود منهم فى ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذى الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا ودار عليهم العسكر واخرجوهم من بين الحجاج فخرجوا على أشنع حال وفى هذه السنة غزا مولانا الشريف بنى سعد وعامد ورجع سالما غانما وفى سنة تسع وأربعين وألف حج بشير أغا الطواشى من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه فى الحج فاذن له واخرج دستورا مكرما بيده ومعناه جواز تصرفه فى كل ما يريد من عزل وتوليه فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر الى خارج البلد فلما نظر اليه ترجل عن فرسه وسار الى أن قبل ركبته ومشى الى ان أمره بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر عاوقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة الاريحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه الغير فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا فى عدم اللقاء وحاجزا عن التساقل بعد الارتقاء ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا والله يكفيك من ذلك وطب نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما ان وصل بشير أغا الى رابغ أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كاحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد

بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطي وغيره وقال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمهما الله في حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التي حج فيها ماشيا هي حجته في سنة سبع وسبعين ومائة وقال وفي بعض حجات هرون اخلى له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببغلته وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فوقف له هرون الرشيد وأقبل عليه فصاح به ياهرون فقال لبيك ياعم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هي يعني الحجيج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل ياعم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف في ماله حجر عليه فكيف أنت تسرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدي الله عز وجل فازداد بكاؤه وكثر نحيبه وأراد جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكي ويتضرع ويستغفر

﴿فصل﴾ وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد قال والهادي الى مكة قبل الحج في سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبأ لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين في أول البعث وأسلم فيه جماعة رضي الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده في سبيل الله طلبا لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب اللواء السلطاني

وان السلطان توفي في أوائل شوال فولي بعده مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد خان أخو السلطان مراد فورد بشير آغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير آغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير آغا ونا كبه وقال (الله رحمت ايله سلطان مراد) فحين سمعه بشير آغا اندهش في جمعه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة في منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا * فكان به أمر نفى ذلك الامرا

فحفظ البيت وكتبه بالسواك على رمل في صحن نحاس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير آغا الى ان حج وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذي رآه مولانا الشريف زيد في منامه الشاعر المشهور محمد الانسي في قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فاجازه بألف دينار وفي هذه السنة عصى أهل الحجاز فغزاهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذي الحجة وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومنعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فخف فقطعه الناس بغاية المشقة وفي سنة ألف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكي لصنجق جدة مصطفى بيك وكان متوليا صنجقا فقط من سنة اثنين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفحل أمره وشرع في التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وتوغل في بلاد الشرق حتى وصل الى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفري بقتل مصطفى بيك وأمره أن يقتله مهما أمكن وفي هذه السنة ورد بشير آغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فجاء الى مكة وطلع الى الطائف للتنزه مع الصنجق المذكور في أوائل سنة سبع وخمسين وألف فطلعا وهما في أعلى درجات النعمة واستمرا الى هلال رجب فنزل مصطفى بيك مكة من طريق كراء فلما وصل الى النقب الاحمر ظهر له العربي المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وألفه وأقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفري شاب آخر فلما قرب منه وحياه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فاعطاه يمينه فضربه الجعفري من جانبه الايسر بجنبيه في وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه ثكلاه فلما طاح

قال لرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لا تدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره في ذي القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الضجيج مثل ماذهب أمس

•(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)•

وفي سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

•(قتلة زفر افندي قاضي المدينة)•

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهي ان حضرة زفر أفندي قاضي الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفترداريه وثب عليه شخص فضربه بالسلاح في ظهره فانفذه من صدره فاكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضي الله عنه وامام الشافعية قائم يصلي في المحراب الفجر فقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر نفس وهو يقول يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه واتهموا مولانا الشريف زيدا بقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضي ذلك فحشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فوجهوا المدافع اليه وشرعوا ينادون اخرج عنا فبعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكر مصر فحلفوا لهم بانه لا علم للشريف زيد بذلك ولا شعور له ولا موهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفي اليوم الثاني استدعى وجوههم لينظر في حال قتلة الافندي ويبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة في بعضهم فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم في ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج فشفعه فيهم ثم تعسكر والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه في نزوله هذا الى بندر جدة كان مغاضبا لمولانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها ترددا السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا في دولة الشريف نامي على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة فعند نزوله الى جدة لحقه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودي له في البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنة

المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بك بن تغري بردي المهمندار أسكنه الله تعالى في دار القرار جنات تجري من تحتها الانهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبي أفندي ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوي الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاه زاده يومئذ قبل ان يلي تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغادر ولكن حصل له ثواب مانواه من الخيرات والاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر في هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والاجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة الى يوم التناد وألهمه العدل في الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد • قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر في أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكفالة تسع درجات فجعل في المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذي كان يخطب عليه بمكة ووضع في عرفة وذلك في أول حجات الرشيد في سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك • وفي سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية ابن أبي سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم في وجه الكعبة وفي الحجر • قال أبو الوليد الازرقي حدثني جدي عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبي سفيان وساق ماقدمناه في ذلك ثم قال وذلك المنبر الذي جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتي بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسي فأراد ان يحج فأمر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلها مالا كثيرا • وفي أيامنا التي

ستين وألف قرب موضع قبر السيدة ميمونة رضى الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الاشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولغيطاس بيك ومن معهما فاعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا يوصلونه الى جدة ثم بعد مدة جاء الامر بعزله فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز

(وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣)

وتوفى السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف وأما غيطاس بيك فجاء فى سنة احدى وستين أميرا على الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للملاقاة على العادة وانما أخل بالقانون القديم وهى المناكبة فصافحه بيده ومن تلك السنة تركت المناكبة وبقيت المصافحة فقضى حجه وذهب وقيل فى أسباب فتنة غيطاس بيك ان سببها رضوان بيك العقادى أمير الحاج وكان غيطاس بيك من مماليكه ففى سنة ثمان وخمسين وقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فاضمر رضوان بيك عزله وتوليته الشريف مبارك بن بشير بن حسن الى ان وصل الى عسفان ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طالب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه فى ذلك وعرفه أن رضوان بيك حمل بهذا الفعل لكثير مما أبرم وان هذا الامر لا يكون الوصول اليه الا بشق الانفس فاقتضى الامر ان أعيد مولانا الشريف زيد وجهز واقدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للامر الاول الذى بيد رضوان بيك وأمر القاصد بالجد فى السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذى الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف فنزل من المابدة فى الآى أعظم الى ان دخل من باب السلام والامر بين يديه الى ان وصل الحطيم وفتحت الكعبة فقرأ مرسومه الوارد ولبس القفطان وكبتت الآثار لرضوان بيك بما وقع فدخل مطويا على حنق فحج ورجع وهو جاهد فى هوى نفسه فأخذ سنجقية جدة لغيطاس بيك وقربه لانتهاز فرصته حتى وقعت تلك الفتنة وقيل سببها اتهامه مولانا الشريف بقتل قاضى المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفى سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف حمود بن عبد الله واحتفل فى زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد حمود بعدة قصائد وفى سنة اثنتين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار يقع فى كل شئ

أدركناهم من الشباب الى المشيب شاهدناهم ما نبرع لها سلاطين عصرنا وسنذكرها فى محلها ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ اعلم أن ما ينفعه العاقل ويدخر عنه الا الابله أن الدنيا دار الاكدار ومحل الهموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والامراء والكبراء ويقال لكل بشر غنى قامة من الهم وقيل

لقد قنعت همتى بالخمول * وصدت عن الرتب العاليه

وما جهلت والله طيب العلى * ولكنها تؤثر العافيه

وقيل أيضا

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه

وكن فى مقام اذا ما وقفت * تقوم ورجلاك فى عافيه

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

فى كل بيت كربة ومصيبة * ولعل بيتك ان رأيت أقلها

فارض بحال فقرك واشكر الله على خفة ظهرك ولا تعد طورك تجد ذلك نعمة خفية ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظا وافرا من هذه العظات * ومن ذلك ان هرون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطرى حيث شئت فان خراج الارض التى تمطرى فيها يجبى الى ومع ذلك كان أتعبهم خاطرا وأسنهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور

﴿تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون﴾

وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الامين شديد الترفه والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة وولده الثانى من جارية سوداء اسمها مراجل من جوارى المطبخ ماتت فى نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك وأهلا لان يكون خلفا عن أبيه فى خلافته وما قدر أبوه ان يجعله ولى عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولى عهده محمد الامين فى سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالامين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولى العهد بعد محمد الامين فى سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبى ٣ ولقبه المؤتمن وقسم ملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

الله قلدهم رونا خلافته • لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا   وقدم الامر هرون لرأفته • بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فاراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلق كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من أولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم بمبايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهز الى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه في وسط الكعبة الشريفة (٧٩) ليشتد الوثوق به ولا يقع خلاف في ذلك

حتى تعب الناس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فأعقبه الغلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلي بترك التسعير فنادى المنادى بذلك فأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

•(حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣)•

وفي سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به في المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التنظيف فاقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة ظاهرا وباطنا ثم جيء بالجير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقي من التراب والطين وجدد سليمان آغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد آغا الكزلار بالامر لاتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فأوجدوه في مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه ثمة وقتلوه وبقي سليمان آغا على العمارة وفي سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد جهينة لقتالهم بالعساكر المصرية ومعه غالب الاشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولي الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

•(وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧)•

وفي سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفي يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فمدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبي القاسم الحلي حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الـ • أرض من لم يزل مدى الدهر محسن

فالمعالي قالت لنا أرخوا • قد ثوى في الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد وحسنا وأما ابنه حسين فمات في حياة أبيه وخلف محسنا ولي من امارة مكة كما سيأتي ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بنجد فرديف ملك الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله ابن حسن بن أبي نمي فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف عبد الله بن حسن هو الذي طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه في الامر مع ابنه محمد كما تقدم فلما توفي الشريف زيد انحازت الاشراف بأجمعها الى دار السيد حمود ولم يبق مع الشريف سعد

قال ابراهيم الموصلي
خير الامور بغيه
وأحق أمر بالتمام
أمر قضى احكامه
مولاي في البيت الحرام

ولم يغن ذلك التدبير عما رقمه قلم التقدير في لوح المقادير والله على كل شيء قدير وقال

ولو كانت الدنيا تنال بفطنة • وتدبير رأي نيل أعلى المراتب
ولكنما الاقدار تجري بقدرة • من الله لا تعدى تدابير طالب

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وذكر محمد بن الصباح الطبري ان أباه مشى مع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل الرشيد يحادثه في الطريق ويشكو همومه ويتنفس عنده نفثات المصدور الى أن قال يا صباح أظنك لا تراني بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر أمير المؤمنين ويفديه بأرواحنا ويعيش سالما من الآفات فقال انك لا تدري ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأومأ الى من معه بالتنحي عنه فأبعدوا عنهم وهم يرمقونه بطرف خفي ثم قال أمانة الله يا صباح اكتم أمري فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة أكتمها عن كل احد وحولي رقباء لكل واحد من أولادي يعدون أنفاسي علي فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختشوع رقيب الامين وفلان وعد ثالثا نسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصي أيامي وساعاتي ويستطيل عمري وحياتي ويظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا يركبني فيأتوني به أعجف ضعيفا يزيد في علتي ويضاعف علي مرضي ثم طلب منهم برذونا يركبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكره وهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الى

نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفانى الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى أن بلغنى وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذى قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز فى يد غلمانه مغلوب عليه فى ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شانه متاسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شئ وكان ربك قديرا * ولما جردت المنية مومى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشد الرشيد مخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط أعماله (٨٠) وأدرجته فى أكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود فقضى كأنه لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا * وقد حكى الرشيد انه كان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى قبرا فى هذا المحل فحفروه فقال قربونى الى شفيره فحملوه فى قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وزادت عبرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولابد من هذا المصير وامر ان ينزل الى لحده من يقرأ ختمه فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد فى القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائة وتقدم ان مولده بالرى سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى

* (فصل) * ولما توفى الرشيد ولى الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سيئ التدبير و بقائه كثير التبذير ضعيف الرأى أرعن لا يصغى الى قول المشير * ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار فى العذارى واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية ابن عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف الف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وأرسل الى الكعبة المعظمة من جاء بصحيفة عهد والده له ولأخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماه الناطق بالحق ودعى له على المنابر ومن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك وانى أنصحك وأصدقك ولا أكذب فى نصحك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على

الاجاعة بحصيرهم العدد فترددت الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد أفندى وكان عين الدولة بمكة لانه محقق جدة وشيخ الحرم المكى * ووقعت رجة عظيمة بمكة فى التولية على المسلمين فمن يقوم مقام الشريف زيد بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا فى البيوت والمنائر فرد الامر الى عماد أفندى شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد وأرسل الخلعة اليه فلبسها فى بيته فقيل لعماد افندى ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمرا سلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولى العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد بشرط انك قائم فجاء جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود راجعون الى عماد أفندى فقال لهم نحن البسنا الشريف سعد بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطانى فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفى خلاصة الاثر ثم راجعوا عماد أفندى فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود نحن حمود شيخنا وكبيرنا ولا نرضى الا به وكان عند عماد أفندى السيد راجح بن قايتباى من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشى اسمه بلال ومملوك تركى اسمه ذو الفقار وكان شيخا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بيته فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأى سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر فى المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بنى عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

* (جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧) *

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفى اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا فى البيوت والمنائر وركب جماعة السيد حمود على الجبل الذى خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمر ورموا بالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر بهم الحال وكل يوم يصعدون فى قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم وعينت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع الباس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضر من الشريف سعد الى الدولة العلية بانتهاء ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده

نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شؤم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقة النفوس عليه ولذلك تأثير فى الظاهر والباطن فأبى الامين منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع على بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون ألفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال أمر المأمون يحسن بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه ويضعف الامين فى لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن أهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو فى جنب حوض مع جواريه يصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع فى أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة التى فى أنفها لصائدتها فرفع الامين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعنى فان الجارية فلانة صادت مشنفتين وأنا ما صدت شيأ فرجع مسرور باهتا واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين ياطاهر اعلم انه ماقام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأبى موسى الخراسانى وأصحابه الذين بذلوا أموالهم فى قيام الدولة العباسية فكان مآلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فيمن ذكر من مقيمى الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبى مسلم الخراسانى أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدى وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الامين وأمرهم بقتله فقتلوه وأخذ رأسه وطيف به فى مدينة بغداد ونودى عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرم سنة

خطوط الاعيان وذهب به عبد الله المذكور سابقا بلال أغا الى مصر وسلمه صاحب مصر فارسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد حمود ينقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين فوجد والعرض فى تركته فلم يجد نفعا وصدر أيضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان بها وعليه خطوط الاعيان من أهل المدينة وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية فلما كان اليوم الثانى والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بان الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفى السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطانى فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطانى وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا أحد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى أن حصل بينهما التنافر والفراق وقام كل منهما فى مقاومة صاحبه على ساق وذلك باسباب عدم ايفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فازمع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادى مر يوم الاربعاء ثامن ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام عن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصرى فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد ابن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان فانهوا اليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم وقالوا لامير الحج انا أيها الامير لاندع أحدا يحج الا ان نأخذ ماهو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفى فالتزم للسيد حمود ان ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها فقبل ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذى الحجة خرج اليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه وأعطى خادم السيد حمود الخمسين الالف قبل الصعود وبقى السيد حمود ومن معه بالوادى الى ثالث عشر وقيل عشرين من ذى الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فترددت الرسل بينهم ثم عقدوا مجلسا حضره الامراء ووجوه أركان الدولة وعماد افندى لسماع الدعاوى التى بينهم فارسل الشريف سعد بلال أغا وكيلا عنه فى الخصومة والدعوى فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد الفتك به فى ذلك المجلس فذهب مسرعا فزعا

ثمان وتسعين ومائة ٭ وقال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبني في ليلة مقمرة بجنته فقال ماترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فسقاني ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت بشعر النابغة الجعدي كليب لعمري كان أكثر ناصرا ٭ وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم فتطير من ذلك وقال غني غير هذا فغنت تقول أبكي فراقهم عيني فأرقها ٭ ان التفرق للاحباب بكاء مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت أما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك

مااختلف الليل والنهار ولا ٭ دارت نجوم السماء في الفلك الا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك ومالك ذي العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشاطئ قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقام مغتما وقمت عنه فأخذ بعد ليلتين وقتل تجاوز الله تعالى عنه وعظم قتل الامين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر بن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فنفذ ذلك على طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره الى ما آل

﴿فصل﴾ لما تم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم ماتم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة ٭ وكان من أتم رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والادب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الادب فضل وأضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه ٭ ومن انصافه انه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضا وضرب الدنانير والدراهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون في صفر سنة أربع ومائتين

فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيى وكيلا عنه وتطالبا على يد الحاكم الشرعي وطال المجلس ولم يقع بينهما اتفاق وادعى على السيد حمود بأنه أخذ أموال الامين طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعي وطلب مولانا السيد حمود ان يتوجه الى الديار المصرية ويرفع أمره الى الحضرة السلطانية فأذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامي وسائر الحجاج توجه معهم حتى وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد حمود من بدر الى ينبع في شهر صفر وأرسل ولده أبا القاسم والسيد أحمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب ابن زامل بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوي عنقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولي بعد عزل عمر باشا بمكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل بصحبة القاصد لينظر ماتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية والخيل التي معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم واستمر الحال كذلك الى شهر جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها ان السادة الاشراف الذين بينبع قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فوجا بعد فوج فأشار بعض الاشقياء على الباشا بامساك السيد أبي القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل عليهم حرسا واستمر السيد حمود بينبع ولما ان سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد محمد فانه طلب ان يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فخرج السيد محمد مغاضبا لاخيه ولحق بالسيد حمود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطاقه بالزاهر لارادة لحوقهم ثم جاءه خبر وورود خلعة له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب ولما سمع السيد حمود باعتقال ولده أبي القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب ما لا مزيد عليه ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد حمود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق فلما وصلت الى ينبع اعترضها السيد حمود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من الاشراف وجمع من جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن في السيد أبي القاسم بن حمود والسيد محمد بن أحمد الحارث وأصيب في هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما

وصل

وتوفي الامام علي بن موسى الرضا في سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولي ان بعض نصحائه قال له انك في برك بأولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والامر فيك أقدر على برهم والامر فيهم وكلم العباسيون في اعادة لبس السواد فأبى فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذي افتتح قرة حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء ممتحنين في أيامه يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة ان لم يأكلها أحد أحدثته النفاضة من ساعته لبردها فأكل فمات لوقته وما أمن المأمون من اظفار ريب المنون (٨٣) ونقل من الملك الى الهلك جسمه المصون وواراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن في طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ مون أو عن ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس

(فصل لما مات المأمون ولي بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد) مولده سنة ثمانين ومائة وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة وذكر الصولي قال كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيدي واستراح من الكتاب فقال يا ولدي وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لا تعلمه شيأ فانشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد قال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا وبعث الى سمرقند وفرغانة أمولا لشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك

وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من بها من اتباع السيد أبي القاسم والسيد محمد الحرث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لا يليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم في قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمر الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله عن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى الغاية عن حالهما بسؤالات كثيرة حتى ظهر له انهما مظلومان فأمر بالافراج عنهما واحضارهما لديه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أنزلهما في بيت نقيب الاشراف وأكرمهما وأيضا بالامزيد عليه ثم مشى السيد محمد الحرث الى مكة خفية على ركائب وتأخر السيد أبو القاسم بن حمود واستمر بمصر الى ان توفي بالطاعون ولم يزل السيد حمود بينبع بعد الواقعة المشروحة ثم انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبني ظفر وبني حسين ولم يزل على هذا الحال وهو في غاية الاعزاز والاجلال الى ان أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد حمود بالطائف وقيل بالمبعوث سنة احدى وثمانين وألف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الاساس عند ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وأقاما في أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفي سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهرات والرمم العظام وأما بندر جدة فكان أعظم من ذلك فكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والخافة وصارت كيلة الحب عندهم خمسين محلقا ثم لطف الله فوردت جدة المراكب المصرية بالغلال وجرايات أهل مكة وفي هذه السنة وردمع الحاج الشامي حسن باشا وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكي والنظر في أمر مكة ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس منهم محمد ظافر بعض خدم مولانا الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفي خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف سعد فلما بلغ الشريف سعدا مافعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها وهو في تخت الى باب السلام ثم استلم المصر المكي ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر ما بيده ان كان بيده عزل أو تولية وكادت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بانه لا يقع منه محذور وتوثق منهم وخرج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد ووقع بمكة بحيث عزل السوق فلما ج ونزل فرق حسن باشا الصر على أهاليه ولم يجتمع مولانا الشريف سعد بالباشا الى ان سعى

الا تزال عنا جاريا لك قال كيف تحاربوني وأنتم عاجزون عن حربي قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا أطيق ذلك ولكن أنظروني لا نظر لي بلدا أستقل بهم فيها ولا تتضررون بي وكفوا عني سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل اليها في سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملة المحمدية الغراء وخذل فيها الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الاسلام والمسلمين ❊ ومخلصها ان ملك الروم كان اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شيء منها ومزق الكتاب الذي ورد عليه وأمر أن يكتب في

ظهر قطعة منها ❊ بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرؤه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه ولاحقت العساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون ألفا من النصارى وأسر منهم ستون ألفا وهرب ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى أن فتحه وأسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوح الاسلام ومدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل فيها قصيدة أبي تمام التي سارت بها الركبان وطنت حصاتها في الاسماع والآذان وهي

السيف أصدق انباء من الكتب ❊ في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ❊ متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة ❊ بين الخميسين لا في السبعة الشهب فتلاحقته
أين الرواية بل أين النجوم وما ❊ صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ولو تبين أمر قبل موقعه ❊
ما يخفى ما حل بالاوثان والصلب فتح تفتح أبواب السماء له ❊ وتبرز الارض في أثوابها القشب فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ❊
نظم من الشعر أو نثر من الخطب تدبير معتصم بالله منتقم ❊ لله مرتقب في الله مرتقب لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا ❊ من نفسه وحدها في جحفل لجب عداك حر الثغور المستضامة عن
برد الثغور وعن سلسالها الحصب حتى تركت عمود الشرك منعفرا ❊ ولم تعرج على الاوتاد والطنب

بهم سما أمراء الحج وضمنوا عدم المخالفة وطيبوا خاطر مولانا الشريف فاجتمع به في الحرم ثاني محرم الحرام خلف مقام الحنفي ساعة وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين وأصلحوا بينهما ثم قام مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف أتاه الى منزله هو وأخوه الشريف أحمد بن زيد فلما أرادوا الانصراف ألبس كلا منهما قفطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفي اليوم العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوي ألف دينار فنزل من عنده وسافر من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق كما سيأتي وفي ثالث ربيع الاول من هذه السنة ثار عسكر مولانا الشريف من تأخير المرتبات ونصبوا مع شيخ العبيد ونهبوا ما قدروا عليه من السوق وأقاموا بالمعلى يوما وليلة ثم نزلوا متوجهين الى اليمن فخرج اليهم السيد حسن بن زيد وضمن لهم الوفاء ورجع بهم وفي الخامس من ربيع الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا لاخيه مولانا الشريف سعد وتكلمت العساكر المقيمون بمكة مع مولانا الشريف في أمره وانه كان ممن أثار الفتن ينبع في العسكر مع السيد حمود فأظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المطلوبين مهما أمكن وحصل ذلك عند قاضي الشرع فسكنت الفتنة وفي خامس عشر ربيع الآخر وقعت مناورة بين عسكر مولانا الشريف وافترقوا فرقتين وتقابلوا بالسيوف على باب مولانا الشريف وحصل في الفريقين جراحات ثم اصطلحوا وفي هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قبيلة بني سعد لخروجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فأرسل الى أخيه مولانا الشريف سعد يعرفه بذلك فأرسل اليه بجموع جزيلة وقبل وصولهم دانوا للطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة الارواح وفي ثاني رجب من هذه السنة وصل الى جدة سلطان من سلاطين العجم فأرسل اليه مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحريرات ثم دخل مكة وادى الحج ونال منه مولانا الشريف مالا عظيما وفي شهر رمضان في التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة فقتلت رجلا وفي هذه السنة طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكا له في مكة فوافقه على ذلك وفوض اليه ربع مدخول مكة فطلب أن يدعى له في المنبر معه فأمر مولانا الشريف بذلك ثم عرض الى السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج ألبس كل منهما خلعة وفي سنة احدى وثمانين وألف لما كان يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل أعجمي بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادي بالفارسية انه المهدي وجلس في صحن الطواف الى ان فرغ الخطيب فلما أراد ان ينزل قصده الاعجمي بالسيف وأراد ضربه فرد في وجهه باب المنبر

ان الاسود أسود الغاب همتها • يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن • جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين صروف الدهر من رحم • موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها • وبين أيام بدر أقرب النسب

انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذى يزرى بجوهر العقود وتنزه فى رياض ألفاظه ومعانيه واجتنى ثمار البلاغة من معاطف أزهاره ومجانيه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه • وكان المعتصم من أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء الاسلام على ذلك وأذاقوهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الرديه مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلميه بل حمله على ذلك مجرد

الجهل والعصبيه وما كان أغناه هو وأخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عدوانا وبغيا وما لهم والدخول فى هذه المسالك الضيقة الا لاوغيا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما أسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزهم بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا • ولما جرد عليه الاجل سيفه أنشد ما نظم المعتصم

ظهور الحصن ولا يأمن الحصون
ولا منعه عن حسام الحمام مال ولا بنون
كل حى لاقى الحمام فمودى • ما لحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا ترعى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى • ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث والايام رهنا فى العصر الجلود
وأرانا كالزرع يحصدنا الدهر فمن بين قائم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويمضى • ليس حكم الله بالمردود
ليس ينجى من المنون حصون • عاليات ولا حصار حديد

ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى لا من قبلك وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه • وتوفى الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين ﴿فصل﴾ وولى الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله فى تاسع ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائتين • ومولده لعشر بقين سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه أشناس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا مجوهرا وتبع آباه فى القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر

فتلاحقته العامة من العساكر والمجاورين فضربوا الاعجمى بالسيوف الى أن أثخنوه جراحة وسحبوه الى ان أخرجوه من باب السلام ثم جرته العامة الى المعلى وجعلوا عليه قمامة وأحرقوه ولما نزل الى جدة حسن باشا المتقدم ذكره بارز مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليه من جدة وطلع الى الحج ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وألف فلما فرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمى برصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فأصيب فى فخذه فوقع من فوق حصانه فاحتمله العسكر الى التخت ونزلوا به وقتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء الى ان وصلوا باب الباسطيه مسكنه وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل من منى بمن معه من العسكر والاشراف فى لباس الحديد ونزل الى بيته واعتدت عساكر حسن باشا الحصار وجعلوا المدافع على باب السدرة ورباط الباسطيه ومن جهة باب الشبيكة ومن جهة سويقة واقتضى الحال تحرز مولانا الشريف أيضا ولم يزل الحال هكذا الى الصبح فاجتمع أمراء الحج عند مولانا الشريف فأخبرهم ان هذا الامر ليس لى به خبر وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله ولا لى علم به وطلب مولانا الشريف محاسبته ما دام فى قيد الحياة عما هو له من مدخول جدة لانه منعه من غير أمر يقتضى ذلك بعد انعام السلطنة عليه به وحصل فى الدعوى وكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى السبورى وزير جدة من جهته فجاء الى حضرة القاضى وادعى على الباشا المذكور وأحضر دفتر سنة جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش فتوسطت الامراء فى ترك البعض فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ ثلاثين ألفا فترك عشرة وأخذ عشرين ثم ان الباشا المذكور توجه الى جدة فى سابع عشر ذى الحجه ثم توجه الى المدينة المنورة فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له محمد نظافر السابق ذكره ان يبعث لمولانا السيد أحمد بن محمد الحرث بن الحسين بن أبى نمى ويوليه شرافة مكة فبعث اليه فجاء الى المدينه فألبسه حسن باشا خلعة فى الروضة الشريفة ونادى له فى البلد وأمر بالدعاء له على المنبر وأرسل الى جدة يريد ذخيرة ليتوجه بها الى مكة فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه الى ينبع وتحقق ان حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحرث

• (صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن الحرث حين ولاه حسن باشا امارة مكة بالمدينه) •
فكتب الى السيد أحمد كتابا الذى فيه مع الذى مثله من الاعتراف بحق الاكابر مع مزيد اللطافة ومضمونه كما فى تاريخ العصامى بعد مزيد الثناء وجميل الدعاء ان هذا الذى معنا به من نقمه صلك لبرد الملك وأثوابه فهذا أمر أنت بيته الاسلى ومثلك أحرى به وأولى فانك أنت الشيخ والوالد الحائز لكل

عمره • قال الخطيب كان أحمد بن داود حاضرا فقال الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه
هل هو علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أولم يعلمه فقال ابن داود بل علمه فقال فكان يسعه ان لا يدعو الناس
اليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم ان
يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر ان يعطى الرجل ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن داود من يومئذ ولم
يرتفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد الازدي شيخ الكسائي • وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثير الاكل أكثر بني
العباس رواية للشعر ومن شعره

في واقعة حال له
حيال بالنرجس والورد • معتدل القامة والقد
فألهبت عيناه نار الجوى
وزاد في اللوعة والوجد
أمات بالملك وصالا به
فصار مالكي بسبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده
فأنصفوا المولى من العبد

قال الصولي أجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة واللطف • مات بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين • وحكى انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون واستل عينيه وأكلها فسبحان العزيز المتعالي وتبارك القوي القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال (ثم ولي بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي) مولده سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطاه المتوكل وكان سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى بلبس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضي مصر ابن أبي الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهميا معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن • ومن أفعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة ومنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت أمية قد أتت • قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله • هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا •

طريف من الكمال وتالدو ان كان هذا محكم الاساس والبنيان جاريا على مقتضى رسوم السلطان فنحن بالطاعة أعوان وان كان الامر خلاف ذلك وانما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر وتلفيقات ذلك المذمم الغير الظافر فاحل حلمك ان تستخفه أوان تستنزله اخلاط الاشارب وغوغاء الجيش فارسل اليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الامر لم يكن على هواي وانما هو الزام مع علمي بان هذا الابتداء لا يكون له تمام والسلام ولما بلغ حسن باشا ان الشريف سعد قد ذم جميع أحواله وعزم على حربه وقتاله وتجهز للمسير اليه والركوب عليه وضع في الحواء من حديد قريبا من مائتين غلاء بالرصاص والحديد يرمى بها من بعد الى الجيش فثبطه السيد أحمد الحارث عن ذلك وسهل الامر فيما هنالك فترك الحركة واستقر وأقام بالمدينة واستمر وكان السيد حمود بن عبد الله بالمبعوث فبعث اليه السيد أحمد الحارث وحسن باشا يطلبانه اليهما للمعونة واتفق ان مولانا الشريف سعد بعث اليه أيضا يطلبه ويستدنيه ويخبره بما وقع فاتفق وصول الرسولين اليه في يوم واحد فتوجه قاصدا جهة مولانا الشريف سعد فوصل اليه وهو بجهاية القرب من ينبع كذا في تاريخ البخاري وفي خلاصة الاثر فعزم سعد وأحمد الى المدينة وصمما على القتال وكان حمود نازلا بالمبعوث في المربعة المنسوبة الى السيد محمد الحارث فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولا من الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه اليهما للانضمام ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات ومضمون كتاب ابن الحرث بعد الثناء واظهار الود والشوق ان أخاك لم يكن له بهذا الامر بال ولم يلتفت اليه بالمقال والحال وانما الملقى ولدي محمد الى الشمري وكرر على القول مرة بعد أخرى ولم أوافقه حتى رأيت جدك النبي في المنام قائلا لي وافق ودع الاوهام فحينئذ رجعت وانقصد ان أخوك الذي تعرفه ولا تنكره فأقبل الينا فهو أعظم جميل نذكره فتفكر حمود ساعة وقال كأني برسول سعد يصحبنا ان لم يأتنا قبل الغروب اذا راكب منح فقدم اليه وأخرج مكتوبين من سعد وأحمد مضمونهما استحثاثه في المسير اليهما وان حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب وكشر عن نابيه للطعن والضرب واستشهد سعد بقول الشاعر

وما عاظت رقاب الاسد حتى • بأنفسها تولت ما عناها

وأتبعه بقوله وأنت تعلم ان الامر الذي يعنينا يعنيك وأدري بما يؤول اليه الامر في ذلك وهذه ألف دينار صحبة الواصل اليك وأدرك أدرك أدام الله فضله عليك فقال له بعض الحاضرين ما رأيت لمن تتوجه قال الى سعد صاحب الفضل ومولاه فان بيني وبينه في ضريح الحبر عبد الله عهودا وعار علي فيها والذي عبد الله لكثعت وجهه بالسيف دون ذلك ثم توجه على الركائب يومه الثاني وقوض

الاخيه وفارق المبانى حتى وصل الى سعد وآخيه وعما بعل يقال له مخافوا فى ذلك عزل حسن باشا وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانه والذخيرة التى طلبها حسن باشا وأرسلت له من جدة فتعرضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه الى الابواب وجاء لمولانا الشريف خلعه مع ذلك القاصد فلبسها ثم وفى خلاصة الاثر عند ذكر هذه الخلعة وكان ارسالها ضربا من المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينه على طريق غزة وتوفى فى الطريق وتوجه معه محمد ظافر واغاة القلعة وذهب محمد ظافر الى غزة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل أنهم أحضروا له ثوب الباشا الذى ضرب بالرصاص فيه وزاد الاعداء فى الكلام وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربى المشهور بالرودانى اذ ذاك فى القسطنطينيه وكان مجاورا بالمدينه ثم بمكه وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه تشفع عنده فى شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير واجتمع بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل أشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قضية حسن باشا حضر عند الوزير واتضح ذلك الحال فوجد مكانا فسيحا للمقال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم باخراج أمر سلطانى الى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكرى من مصر الى مكه وكتب الى حسين باشا صاحب حلب ان يحج فى هذا العام بألفى عسكرى وينظر فى أمر الحرمين ولا يبرم شيأ دون اشارة الشيخ محمد بن سليمان وأمر الشيخ بالحج واصلاح البلد وتوليه من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرميه وكثر الهرج والمرج واستمر مولانا الشريف ينبع الى ذى القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادى عشر من ذى القعدة

﴿ غريبة ﴾

ولما كان يوم الثالث عشر من ذى القعدة جاء رجل من أهل وادى النجوم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول يا أهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته انى أديت الامانة الى شريف مكة وهو ان أمرا يريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج بجميع الناس يوم الجمعة يصلى بهم ركعتين ليرفع هذه البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه فوصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالزيان فصليت البارحة العشاء ونمت ثم قمت لصلاة أصليها واغتسلت من عين هنالك فغشينى نور طبق الافق فوجدت خشية ثم رفعت رأسى وأنا كالغائب

فى قتله فقتلوه رميا وهذا الفعل السيئ محا جميع محاسنه وصار ماء عذب من زلال احسانه مغلولا باجاجه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة أفضح فضيحة وهذه الحلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة • ووقعت فى أيامه عجائب منها ان النجوم ماجت فى السماء وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويداء بناحية مصر باحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع فى قرية طائر دون الرخمة فصاح يامعشر الناس اتقوا الله أربعين مرة وجاء من الغد ففعل ذلك فكتب واخبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيها شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك فى رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل الى مكة مائة ألف دينار ذهبا لاجراء ماء عين عرفات اليها فصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطى رحمه الله • وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى كتابه اتحاف الورى بأخبار أم القرى فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهى عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير فى تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهى عين بازان انتهى • قلت عين مشاش موجودة الى الآن وهى من جملة العيون التى تنصب فى دبل عين حنين وهى تجرى وتضعف أحيانا بانقطاع المطر ومجراها معروف • ولما كثرت المماليك فى بغداد ودخلوا فى أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مملوك أبيه وصيف التركى لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركى وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو فى مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقى الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ثانية فماتا جميعا فلفهما معا فى بساط ومضى هو ومن معه ولم ينتطح فى ذلك شاتان • وكان قتله فى ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فى القصر الجعفرى وكان بناه المتوكل ولما قتل

دفن فيه رحمه الله تعالى هو و وزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى ◆ وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة (وولى بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسي) بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهن بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه ليلي الخلافة بعده والله أعلم بذلك ◆ وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فلم يأمنوه وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه فقصده بمبضع مسموم فأحس بذلك وأراد قتل الطبيب فقال انك تصبح طبيبا وتندم على قتلي فأمهلني الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا ◆ ويحكى انه بات ليلة في وعكه فانتبه فزعا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك فقال أفسدت ديني ودنياي رأيت والدي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لأجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فاستمر مهموما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قلائل وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك ففرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر لذلك رجل من الاعاجم فقرأه بلسانه وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال هي أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر وهي مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذي أراده وصار مغتما مهتما به ◆ وكان على خلاف رأى أبيه في آل أبي طالب وعاد قبر الامام الحسين بعدما كان هدمه أبوه وأمر بزيارته ورد على آل الحسين حائط فدك ◆ وقصته مشهورة وهي مما تنقمه الشيعة على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كانوهمه ◆ قال أبو منصور الثعالبي رحمه الله في العجائب ان أعرق الاكاسرة في الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة

فشاهدت النور وقد اجتمع دائرة مكتوبا فيها نحو اثني عشر سطرا أولها لا اله الا الله والثاني الله نور السموات والارض والثالث بخط لخط شئ ولم أعرف بقية الاسطر غير هذه الثلاثة فأردت ان أميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ بشق الايسر فاردت ان أميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد غمرتني رائحة المسك فقال اسمع وع انا شمشائيل رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناد بأعلى صوتك من أسفل مكة الى أعلاها وقل للملك ان سلمت يوم عرفة سلمت فأمر مولانا الشريف بالاحسان اليه ثم صرفه وعاد من يومه ولم يعتمد مولانا الشريف رأيا في قوله وحمل الناس قوله على التخليط والتغليط واذا نظرنا الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر ورئيسه محمد جاوش ونزلوا بجرول خارج الشبيكة فخرج اليهم الوزير والحاكم وبعث مولانا الشريف لمحمد جاوش هدية من جملتها فرس عربية بمذهب وكذلك أخوه الشريف أحمد فشكر فعلهما ثم اجتمعا به واستخبراه عن مجيئه بهذا العسكر فلم يخبرهما وقال لا علم لي وانما جهزت بهذا العسكر الى مكة وقيل لي يصل اليك الحاج حسين باشا صاحب حلب والامر اليه وأمرني حضرة الباشا صاحب السعادة ان لا أدخل البلد بهذا العسكر ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا وانه من الحرمين لكم فقابلوه بما يليق به فانه عين للوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي ان يتلقى المشار اليه وأرسل معه كاتب الحرابة محمد حلبي وفي اليوم الثامن من ذي الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاوش ان يترفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف لقاء الامير ولبس الخلعة وامتنع من ذلك فعند ذلك فهم مولانا الشريف المراد من هذا المنزل وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الامير المصري وانتظر مجيء مولانا الشريف لتلقاه فلم يأته فأرسل اليه يسأل عن سبب التأخر فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد جاوش عن الترفع من طريقه فبعث اليه ان اقبل واترك العسكر الجمانية فلا يضيق بكم الطريق وترددت المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن في ان لا يحصل شيء من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما وطلعوا من الجحون ونزلوا على الزاهر ولبسا الخلعة ورجعا من الشبيكة وهو أول الاختلاف فانه لم يعهد من صاحب مكة انه خرج لقاء الامير من الجحون فلما وصلا الى منزلهما أطلقا الصناجق الرهائن فرجعوا الى العسكر كذا في تاريخ العصاري وفي تاريخ الرضي ان مولانا الشريف لما خرج من الجحون وقف منتظرا الارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب للحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على الحرب

أشهر * قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنتصر بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة ﴿ثم ولي بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله أخو المتوكل على الله﴾ واغا قدمه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلي الخلافة أحد من أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله * ومولده سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركي وباغر التركي حتى قيل في ذلك خليفة في قفص * بين وصيف وبغا يقول ما قالا له * كما يقول الببغا فاستمر كذلك وهو يترصد لهما الى ان ظفر بوصيف التركي فقتله ونفى باغر التركي الذي كان سطا على المتوكل وقتل به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه في العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلا دينا اخباريا مطلعا على التواريخ متجملا في ملبسه وهو أول من أحدث الاكمام العراض فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا أشراف مكة بني حسن أعزهم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود الى الاتراك في سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يل الخلافة أصغر سنا منه وخلعوا المستعين بالله في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجيشوا الى بغداد جيشا كبيرا لبس المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال أشهرا وكثر القتال وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى أمر المستعين بالله الى ان خلع نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه وانحدروا الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس في الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خائفا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه ليصفو له الملك ولم يكن في خزائنه مال

الحرب والقتال فأرسلوا اليه الخلعة بنهاية الاسراع وفي هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا الى البيضاء من جهة اليمن بأمر الامير فرحان صاحب حج اليمن بالعود من هنالك وان لا يدخل مكة فرد الحج من يلملم فلما وصل الامير فرحان صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المتوكل على الله اسمعيل وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقد صد صلى الله عليه وسلم عن البيت فتعب غالب فقهاء الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التي فيها ما اشتمل عليه من العتاب والتعريض والتعريض على أخذ مكة ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي والجمال محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين المبري فسألهم مولانا الشريف عما رأوه وفهموه من حسين باشا فأخبروه انهم لا قوة ورأوا منه غاية الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندي علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامي وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل الطواف ليلة ثمان بعد ان أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس محلاة تساوي ألف دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة المغرب بالمعلى وتصافحا على ظهور خيولهما وقبل الباشا المذكور يد مولانا الشريف أحمد وأظهر الفرح بلقائه وأبدى من الخضوع ما قصر به العين وهو مضمر ما أضمر شمر الحسين وأمر مولانا الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه في السير ولم يزل الى باب السلام فقال لمولانا أتأذنون لنا ان نشرب عندكم قهوة اذا فرغنا فأذن له مولانا الشريف ودخل الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعي ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركي وكان نزل بها أغاة الكتاب حج في هذه السنة واستمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع الى مولانا الشريف واستمر عنده يظهر اللطف والمؤانسة ويستدعي الحديث بأنواع المؤانسة الى أن مضى نحو نصف الليل فخرج من عنده فأركبه مولانا الشريف فرسا أخرى من خيله ولما كان يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف وأخوه مولانا الشريف أحمد للقائه على جري العادة للبس الخلعة الواردة مع الامير الا انه نزل عسكر اليمن وطلع من الجون وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما نزلنا من الجون نظرت بعين الفراسة واذا هو قد جمع عسكره الى العسكر المصري وأظهر في طي ذلك غدري وأوقفهم موقف البراز وكل في يده حراز وخافه الملبس للدروع والكل منهم خدوع فعلمت انه أمر بيت بليل وقدمنا في الحصون من ظهور الخيل فلم نزل حتى خاص الى سعة وأخذنا ناحية مرتفعة فأرسلنا له السيد الحسين بن حسن بن

لم يرفه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها فأبت عليه وشحت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن باغر وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه من رجله فأوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وأحضروا أبا عبد الله محمد بن الواثق بالله ولقبوه المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهبا ونصف اردب لؤلؤ ومكوك زمرد وثلث اردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأهل الناس الترحم عليها

حيث ظهر عندها هذا المال وشحت به على ولدها • وكان المهتدى كثير العبادة ليس له من الامر شيء وكان قد اطرح الملاهى ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه بايديهم وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما

﴿وولى الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد﴾ وتلقب المعتمد على الله وستأتى ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

﴿الباب الخامس فى ذكر الزيادتين﴾ التى زيدتا فى المسجد الحرام بعد تربيعه الذى أمر به المهدى بن المنصور العباسى وشرع فيه واسمه فأدركته الوفاة قبل اتمامه فتم الامر لابنه الهادى بن المهدى المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم فى الجانب الغربى

يحيى وطلب امضاء الخلعة بعد انتهاء على مفارقة الاحياء فأرسل يأمرنا بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعددنا بساطا على سورة فأرسلت أقول ماجرت بهذا عادة وشرب القهوة من غير هذه المادة فأرسل يقول ان فى هذا تعظيم شأن السلطان ولكم منا الامان وان لم يكن منكم وصول الينا فلا خلع لكم لدينا فعند ذلك ثبت جنان فرمى راجعا وفى القتال طامعا فنادى مناديه الامان الامان فلما علم الانصراف عن وطاقه واثبات اشتقاقه أرسل بالخلع منشوره فعلمت ان الامر شوره فلبست الخلع أنا وأحمد ورجعت أشكر الله وأحمد ثم ركب مولانا الشريف حاجا بالقوم وهو محترس من ذلك الخائن وبات بعرفة ثم صعد الى عرفات واستمر فى منزله بعرفات الى أن نفر الباشا الى المزدلفة مع المحملين فعند ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف الاعظم ثم الى المزدلفة ثم الى منى ولما كان ثانى يوم النحر الذى فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا تأخر أمين الصرة فى وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف بطلبه فوجده عند الباشا وبعثوا بالمقوته الى عنده لالباسه فأرسل يعرفهم ان القواعد جرت بايتائهم اليه وامتنعوا فعلم حينئذ القضية

•(ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ووصوله الى الديار الرومية سنة ١٠٨٢)•

ولما علم انه لابد من القتال أو الارتحال رأى ان القتال فى هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل التشريف واختار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثانى عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف فأصبح الصباح الا وقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى تربة ثم الى بيشة وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاث كما سيأتى بيانه وحاصل الامر انه تولى شرافة مكة أربع مرات سيأتى ان شاء الله تعالى بيانها فى محالها فهذه المرة الاولى وكانت مدة ولايته فى هذه المرة ست سنوات الا أحد عشر يوما وقيل الا احدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثانى عشر من ذى الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش فى منزل الشيخ محمد بن سليمان بن على واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان

•(ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣)•

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى وأظهر الباشا أمرا سلطانيا بتولية المشار اليه شرافة مكة وألبسوه خلعة الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وسلمهم

كتب

من المسجد الحرام قبل الزيادتين فى أيام المعتمد على الله العباسى ثم بنيت الزيادة الكبرى فى الجانب الشمالى من المسجد الحرام فى أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى فى الجانب الغربى من المسجد الحرام فى أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هؤلاء الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه فى المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ماتذكر فى ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسببا لحصول الفوائد والانس وتوقيفا على أحوال الدهر وتعريفا عما يحدث من الحوادث فى كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر عن قبله فى غدر هذه العجوز العميا وهذه الفوائد فى الحقيقة هى نتائج علم الاخبار ليعتبر

كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعاونة وكل ذلك كان برأى الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره فانه الذى سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا الفعل المقدور

•(صورة كتاب الوزير للسيد محمود بن عبد الله بن حسن)•

ومن جملة من له كتب مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد محمود بن عبد الله بن حسن المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع كما سيأتى ونقظ كتابه مفرع ذؤابة هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد محمود نظم الله عقوده وأباد حسوده وبعد فلا يخفا كم ان الكعبة البيت الحرام ومطاف طوائف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل فى هذه الدولة العثمانية آمنا الاهله من النوائب ورو ضا مخصبا بأحسن الاطايب الى أن ظهر من السيد سعد من الامر الشنيع ما يشيب عنده الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية وأذاقهم كأس الدون رؤية فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطانى أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة وتفويضها الى الشريف بركات فيعمل فيها بحسن التصرفات وتكونوا له عونا وظهيرا وناصحا ونصيرا وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل نسبته الى مكة المكرمة الغراء تهدونه الى طريق الصلاح وترشدونه الى معالم النجاح والفلاح وأنتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل والله على ما نقول وكيل وأما بقية الكتب فكلها بهذا المضمون الا ان العبارة مختلفة فلا حاجة الى التطويل بنقلها وفى المشرع الروى للسيد الشلى فى ترجمة السيد عبد الله الحداد ان الشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو فى الحرم يعنى السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير المطلوب فدعا له بذلك

•(تهنئة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة واستشهاده من القرآن وماوقع لولده بعد موته سنة ١٠٨٦)•

فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون ملكا ثم ان مولانا الشريف بركات نزل من منى الى مكة فى موكب عظيم وجاءه الناس يهنونه بالملك من السادة الاشراف والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد وممن جاءه مهنيا الشيخ محمد بن أحمد الزرعة فقرأ عند لقائه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات من آل ابراهيم بن بركات بن أبى نمى فعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستحضار

المعتبر حال نفسه بحال غيره فى هذه الدار فان من قواعد الحكمة ان أفعال الفاعل متشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل المختار وان دار الآخرة هى دار القرار وقد وجدت محل القول ذا سعة • فان وجدت لسانا قائلا فقل لما قيل متعلقة العبيد الا ترال الخليفة المهدى بالله صبرا حمد والى الناس وأخرجوا منه ابن عمه جعفرا ﴿أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله ابن الرشيد العباسى﴾ ولقبوه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين وولد سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها فتيان وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما لوائين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده صغير كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولى عهده وكتب بذلك معاهدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وأرسلها الى مكة فعلقت فيها وما أفاد من هذه التدابير حذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلا مدبرا شجاعا متطلعا بامور المملكة متبصرا متفقدا لاحوال الرعية وكان أخوه المعتمد منهمكا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية غير ملتفت لامور المملكة فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات كثيرة • وكان ميمون النقيبة مظفرا فى الحروب وكان ظهر فى أيام المعتمد على الله طاغية الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس اسمه بهبول يدعى انه أرسله الله الى الخلق وادعى علم المغيبات وقتل فى المسلمين حينئذ كرا صولى انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادى على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند الزنجى نساء شريفات يطؤهن ويمتهن فى الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب فى الاسلام وملك هذا الكافر مدنا كثيرة أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دار مملكته كواسط ورامهرمز وما والاهما فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر من حنكته وقائع الحروب ووسمته قوارع الخطوب واتخذهم جنا وأيدا ورضى بهم ساعدا وعضدا وتعصب لعمود

الاسلام وأخذ السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب فخلت السودان من لمعان الصارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا مابين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور غير مجبور الى أن قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام ومحا ورود ذلك الظلام واستردت المدن التي أخذها بالكفر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد (ولقبوه الناصر لدين الله) وصار له حينئذ لقبان ودخل الى بغداد في عظمة وعلوشان ورأس ذلك (٩٢) الكافر على رمح ورؤس كبار عسكره على الرماح ودعا له المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد وأحبه الناس وبعد صيته وكثر في بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا في لهوه ولذاته وشرب الراح وله اسم الخلافة وجميع الامور يتعاطاها الموفق بصدر منشرح ويسدد غاية السداد وفي أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربي قبل زيادة باب ابراهيم وكان في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبي جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضي * فلما علما رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ماتهدم من المسجد الشريف وجهز من المال بسبب ذلك فشرع في عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين من المعقود عليهما وركب السقف ونصب في أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد الى أن أكمل ذلك في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين في جدار المسجد الشريف في ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش في لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أطال الله بقاءه

لكن جوزي الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كما جوزي سنمار وذلك ان الشيخ محمد الزرعة توفي سنة ست وثمانين وألف وله ولد رجل في غاية العدالة وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها لابن ابن له بأربعة آلاف فقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزك ماله وقد استغرقت الزكاة ماله وصار لبيت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان ينزل عند القاضي ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف في هذا المال وأقام على نفسه الخواجا محمد سكيكر بالتصغير وكيلا مفوضا في حفظ ماله والتصرف فيه وأخذوا المال بالكره ورتب له القاضي معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرخ بعضهم ولاية الشريف بركات بقوله بارك الله لنا في بركات الآن فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذي الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى الحطيم واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم يتضمن عزل الشريف سعد بن زيد وتولية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا داعي الكعبة لمولانا السلطان ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبير العسكر وحسين باشا في منزل الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمرا سلطانيا يتضمن نظره في الحرمين واصلاحهما والتصرف في أحوالهما فأذعن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام وفق التصريف فنشر منشور العسف وبث جيوش التكبر فنفرت عنه القلوب وشرع في اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه في كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفي رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان في الخلاوي الموقوفة ممن له بيت وعيال فروجع في ذلك فلم يقبل وأظهر والدفاتر فما أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لا بأنه تقضي له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها لبعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيري زاده من وقف الدورق الكائن بأعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من عمائر السلطان جقمق وانه كان موضع دشيشة للفقراء وأخذ مابأيدي الناس من حب السلطان جقمق الوارد الى مكة وحب السلطان سليمان الواصل من مصر لاهل مكة وكذلك حب السلطان قايتباي ومال المصرية وعمر بذلك تكية في محل وقف الدورق المذكور وطبخ فيها شربة للفقراء بالحب المذكور وقال السنجاري وما أحسن قول المهتار الشاعر المكي ومن لم يدرك هذا الوقت المبكي

وظائف الناس قد صارت مفرقة * مابين عبد ومعتوق وآفاق

وأهل مكة قد غارت نجومهم * فما ترى كوكبا يبدو بآفاق

وعمر الشيخ محمد بن سليمان عدة أوقاف بمكة كانت خربت قد استولت عليها الايدي ونصب الشيخ

بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثانى نقش كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضى يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما فى ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين والجداران المذكوران لا وجود لهما الآن بل محاهما الدهر والازمان وعفا أثرهما القديم الجديدان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الاثر أيضا بعد زمان الدهر يفجع بعد العين بالاثر • فما البكاء على الاشباح والصور وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام أبى عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى رحمه الله تعالى • وكان الموفق بالله ولد نجيب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأموره وظهرت به نجابة وقوة فخشى الموفق منه على نفسه وعلى أخيه المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فأودعه بطن الحبس ووكل به من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذى قدره الله تعالى له • ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وتباغضت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرآسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شئ يوغر صدور الملوك والانفراد والاستقلال مما يتفانى عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك وما هى الا جيفة مستحيلة • عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها • وان تجتذبها نازعتك كلابها ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على المملكة ورضا الناس عنه واشتغاله بالفحص عن أحوال الرعية عن الملاهى والملاذ فاستعان المعتمد على الله فى هضم جانب أخيه بصاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة الخيرات لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموال كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج

علماء العصامى مدرسا شافعيا فى مدرسة قايتباى ونصب الشيخ محمد المغربى القدامسى مدرسا مالكيا فى المدرسة المذكورة ومدرسها الحنفى قاضى الشرع ونصب مدرسا للحديث الشيخ عبد الله العباسى عوضا عن المدرس الحنبلى وصرف على الدشيشة من كراء جقمق وقايتباى وأموال الحرمين ومن الاوقاف الباقية والحاصل انه تصرف تصرفات كثيرة يطول الكلام بذكرها وفى سابع محرم من سنة ثلاث وثمانين ورد مكة السيد حمود بن عبد الله بن حسن بعد ان كاتب مولانا الشريف فراجع فيه الشيخ محمد بن سليمان وحسين باشا الى ما نضا من خروجه وعدم حضوره ولاية الشريف بركات فاعلمهم الشريف بركات ان الصلاح فى اصلاحه وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطنة له فى دخوله جهارا وكان دخوله فى اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر أن يتوجهوا الى الطائف خلف الشريف سعد وأخيه فجاءهم الخبر بخروجه من الطائف وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم وتوجه الى عبادة ثم الى تربة وفى الخامس والعشرين من المحرم توجه السيد حمود الى الطائف بالعساكر الصارجية وفى السادس والعشرين توجه الشريف بركات بالعساكر المصرية وتأخر عنه محمد جاوش أياما ثم لحق به ومن معه من العسكر ثم توجهوا الى المبعوث وفى ثالث صفر أمر الشيخ محمد بن سليمان ان تدهن السوارى المكتوب فيها أبطال المكوس ليظهر للناس ما فيها من الكتابة فدهنت ولما كان ليلة المولد الشريف أمر بترك الدفوف ومنع من ذلك أهل الزوايا وفى خلاصة الاثر فى ترجمة الشريف بركات قال وفى أيامه عمرت الخاصكية المكية المعروفة الآن بمكة بين الزابين والمدعى وصرف عليها أموالا كثيرة وعم نفعها وفى اليوم الثانى عشر من ربيع ورد الخبر من مصر بقتل محمد طاقور الطاغية المذنبة واستمر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعدا توجه الى بيشة فنزل مولانا الشريف الى الطائف واستمر هنالك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى دورة بنى حسين لمصاهرته اياهم واستمر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة ودخلها ليلة دخول الحج المدينة واجتمع بأمير الحج الشامى ثم ارتحل من المدينة ثانى ذى الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستمر الى ان رجع الحج الشامى فلم يتفق له معه مسير فتوجه فى أول سنة أربع وثمانين وألف الى الفرع واستمر بها مدة ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع اليهم الشريف أحمد وحضر القتال ابن بركات ثم لما كسر حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد وأما أخوهما السيد حسن بن زيد فتوفى باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب فى أواسط سنة أربع وثمانين وألف

فى زهرتها وانضارتها وما كانت نحرابا بيابا أكثرها مأوى البوم والصدا ولا تفرز رعيتها من جور ولا تهابد داعر ها الله تعالى بعدلة مولانا السلطان الاعظم وخليفة عصرنا الاكرم الافخم الذى عمر بعدله البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد ومحق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الاحفاد بالاجداد فكاتب المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أثناء الموفق ليخف أمره عليه بذلك ويهون وجرت بينهما من ذلك شؤون واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يراسله تارة ويداريه ويباعده تارة ويدانيه ومضى على ذلك أيام وانقضى عليه أعوام الى أن مالت قناة حياة الموفق كل الميل ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل وهى جسده ووهنت (٩٤) قواه ولان له حصانه ولا وواه وخانه بدنه من جلده فلما من بعد حظم القنا فى لبة الاسد فلما اشتد حاله وتحقق شدة بلائه مآله بادروا الى الحبس وكسروه وأخرجوا منه ولده المعتضد وآووه ونصروه وجاؤا به الى رأس الموفق فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدى لهذا اليوم خبأتك وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة أيام فعطف الموت على الموفق فركب طبقا عن طبق الى أطباق الثرى بالعنق ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والحق وكانت وفاته رحمه الله فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فى موته أخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عن قليل بأخيه ملحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا لاحد من البشر وان صروف الدهر تأتى بالعجب والعبر وانها لا تبقى ولا تذر فما طال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد خذلان الناس من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر الخؤون الغادر وانتقل من سرير الملك الى ظهر الهلك ومضى كأن لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وكانت وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ﴿وولى الخلافة بعده فى تاريخه ابن أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى﴾ مولده سنة ثلاث وأربعين

خرج هو وجميع السادة الاشراف والعساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فحصروا خنادق قبل وصول مولانا الشريف اليهم وتأهبوا للمقاتلة فأقبل عليهم بجيوشه ونزل بدرا وأقام بها مدة مصابرا لهم وهم متحصنون فى جبالهم وسوره عليهم وسعاته فى بعض قبائلهم مبالغة لانهم عن الآخرين مع انه فى كل عشرة أيام أو أقل يرمهم بالحركة اليهم والركوب عليهم ثم يحل عزمه عن القتال فعل ذلك بهم مرارا عديدة مع طول الاقامة فتفرق أكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء أخرى صاروا لا يعرفون حركته ولو عزمت فى اثناء ذلك وثب عليهم وثوب الاسد فكسرهم واستأصلهم وأقام فى قتالهم نحو ستة أيام وجيوشه تحمل آدباش حرب الى بدر وقطع نخيلهم واما جثث القتلى فهى متراكمة على بعضها فى كل جبل وواد من تلك الجبال والاودية مع سبى النساء والاطفال حتى أبادهم ومهد تلك الاقطار وأجرى فيها أحكامه ولما جاء الخبر لمكة زينت ثلاثة أيام وكانت هذه الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك المعظم وكان دأبه ثمت الاشراف انكون كلمتهم واحدة حتى انه اتفق ان السيد حمود بن عبد الله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن ابن أبى نمى الآتى ذكر ولايته شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فلما انتظم موقف الحرب وآن وقت الطعن والضرب أقبل عليهما هذا الملك العظيم وأقسم عليهما الا ما اصطلحتما فى هذا الموقف واعتنقا واصطلحا وأولاهما الطافا توالى
﴿وفاة السيد حمود بن عبد الله بن حسن سنة ١٠٨٥ وكذلك وفاة السيد أحمد بن محمد الحارث فى السنة المذكورة﴾
وكانت وفاة السيد حمود المذكور فى سنة خمس وثمانين وألف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضى الله عنه وجعل على قبره تابوت وعليه حوطة وفى السنة المذكورة توفى أيضا السيد أحمد بن محمد الحارث المتقدم ذكره حين ولاه حسن باشا المدينة المنورة وكانت وفاته بمكة المشرفة ودفن فى قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت واما السيد أحمد بن غالب فسيأتى ذكر وفاته عند ذكر ولايته شرافة مكة وفى سنة خمس وثمانين أيضا فى سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات الى الفرع وأقطاره لتمرد أهله عليه وخروجهم عن طاعته وقيل لانه بلغه ان الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع واستمال أهله فسار لهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الاشراف ولم يتخلف الا من وضح عذره وكان خروجه فى التاريخ المذكور وخرج معه صاحب بندر جدة قبسا كره وملاقاه فتلاقيا على عسفان وسارا جميعا وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع فى منزل يسمى قوبرة فأتم به صيامه وعيد ثم توجه اليه ووصله ونزل بقرية منه تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر بن

ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد فى تاريخ وفاته المذكور آنفا وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على احد ألقاه فى حفيرة وطم عليه التراب وكان أسقط المكوس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ما وهى ووهن وأظهر عزة الملك بعد ما ذال وامتهن وكان يسمى السفاح الثانى حيث جدد كل منهما ملك بنى العباس وفى ذلك يقول ابن الرومى هنيأ بنى العباس ان امامكم • امام الهدى والجود والباس أحمد كما بأبى العباس أنشئ ملككم • كذا بأبى العباس أيضا يجدد امام يظل الامس يشكو فراقه • تأسف ملهوف ويشتاقه غد وفى ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أما ترى ملك بنى هاشم عاد عزيزا بعد ما ذللا يا طالبا للملك كن مثله تستوجب الملك والا فلا وكان مع سطوته وبأسه يتوخى المعدلة ويبرز أمورا فى صورة الجبروت والعسف وهو فى الباطن محق فيما فعله وهذا هو الرأى السديد للحاكم الرشيد لجمعه بين سياسة الدنيا والحق رحمه الله تعالى • وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأمامه فسرعسكر فقصد بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فأخربوها فأمر بعينه باحضارهم فضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال اصدقنى

يا عبد الله ما الذى تنكره الناس على من أحوالى فقلت له سفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما فقلت له بأى ذنب قتلت أحمد ابن الطيب فقال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقتلته لنصرة الدين قلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بم استحللت دماءهم ولاى شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقثاة فأمرت بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة وأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم ثم أمر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغى لتدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند وارعابهم • ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوى الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل

السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية أخرى تسمى بانى ضباع ثم استمر مقيما تلك الدورة الى ان ذهب جميع أمواله ومزارعهم حتى عادوا الى طاعته راغبين من غير قتال ثم لما مشى من عندهم قبض على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة فى الحديد الى ان ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد ابن زيد وتحولا الى وادى النفير من ديار حرب ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة ثم توجها قاصدين الابواب السلطانية قال فى خلاصة الاثر ونهبوا خامس شوال متوجهين الى الشام لا يعرون بحى من أحياء العرب الا أكرموهم ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح بنى سعيم من غير علم منهم بذلك وكان الشريف سعد قتل أباه فلما علموا به حصل لهم كرب شديد ولم يشعروا الا وولده مواجه لهم بالعبودية والسلام وأهدر دم والده وأكرمهم وذبح لهم الذبائح ومنع المانع وهذا من غير شئ معجزة من جدهم ولم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مروا عليه من العرب الى ان وصلوا الشام فتلقاهم أهلها أرامى اؤها وكبرؤها وتقيبها ودخلوا فى موكب عظيم ثم دخلا أدرنة فى ربيع الاول سنة ... سبعين ودخلا اسلامبول فى ربيع الثانى من السنة المذكورة فأنعم مولانا السلطان محمد بن ابراهيم على الشريف سعد بباشوية المعرة فى حادى عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وألف فأعطى قصبة تسمى كليسة وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد فورد عليه من المعرة وأعطى بلدا هنالك تسمى ... من طرف ... واستمر هنالك الى سنة أربع وتسعين وألف ثم فى أثناء ذلك عاد الى اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد شريف مكة وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفى أواخر شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وألف ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات بطلب الاذن فى دخول مكة فامتنع الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفى سنة تسعين باليمن ولبس جماعة السادة الاشراف السواد على جرى عادتهم وكان ورود نعيه بمكة ماء ... آخر وكانت ولادته سنة ألف وتسع وأربعين وفى سنة خمس وثمانين خرج جماعة من السادة الاشراف مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه انه أسقط ما وصل اليهم من الانعامات السلطانية فنزلوا بوادى مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير بن سليمان بن لزى بن بركات فما زال بهم حتى رجعوا ففرق عليهم الانعام الواصل بينهم بالسوية وذلك ... وأربعة آلاف دينار وأنى ارد ... وفى سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة مضمونه قسمة مدخول مكة أربعة أقسام الربع لمولانا الشريف وثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا جعل مولانا

بجميع حقه من الارث بل يؤخذ كثير من عين حقه بأنواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن يسر الله ازالته على يد سلطاننا ووفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المحارم وأعانه على ابطال المظالم * ولما أمر المعتضد بابطال ديوان المواريث في سائر مملكته فرح الناس بذلك وأحبوه ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وأمر جليل عند الله الكريم ولعله هو الذي نفعه في يوم آخرته وأدخله الله جنات النعيم * وكان من قضاته القاضي أبو خازم بالخاء المعجمة والزاي وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى فكان من بعض تصلباته في الدين أن شخصا انكسر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضي المذكور فأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وقد انكسر على ذلك المديون مال للخليفة المعتضد أيضا فأرسل المعتضد الى القاضي أبو خازم يقول اشركني مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لي أيضا مالا في ذمته فاجعلني كأحد غرمائه فقال أبو خازم اني لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا وبينة أرسلها لتكون أسوة غرماء هذا المديون فاحكم لكن بعد سماع الدعوى والبينة والتزكية سرا وجهرا فأمر المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه فلم يحضر أحد منهم الى القاضي خوفا من رد شهادتهم ولم يحكم القاضي للمعتضد أن يكون من غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه وما أحوج زماننا هذا الى قاض مثل هذا خصوصا في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد وكان المعتضد ينظم شعرا حسنا ومن نظمه ما رثى به جاريته دريرة

يا حبيبا لم يكن يعدله عندي حبيب * أنت عن عيني بعيد * ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب * لك من قلبي على قلبي وان غبت رقيب * لو تراني كيف حالي * فرط عويل ونحيب
وفؤادي حشوه منك حرق القلب لهيب * لتيقنت بأني * فيك محزون كئيب

وقال لما احتضر عفا الله عنه

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر اني أمنته * فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على جسد خلقا
وأخليت دور الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا

الشريف بركات الخواجا عثمان بن زين العابدين حميدان وزيرا له وألبسه قفطانا ومشى معه العسكر الى ان أوصلوه الى داره بسويقة وفي هذه السنة أيضا حج ابن أخي الوزير الاعظم وتوفي في أيام التشريق فنزل الى مكة مع جنازته مولانا الشريف بركات والشيخ محمد بن سليمان وكل امراء الدولة ودفنوه بالمعلى ثم رجعوا الى منى وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر الى مكة بموت الوزير الاعظم أحمد باشا الكبرلي وهو مستند الشيخ محمد بن سليمان فجاءه خبر اعظم من ذلك وأصابه عليه من التعب ما لا مزيد عليه ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ ولما جاء الخبر بموت الوزير أمر الشيخ محمد بن سليمان الناس بقراءة الرباع بعد صلاة العصر في الحرم الشريف ونزل بنفسه مع مولانا الشريف بركات وحضر وجوه الناس وقرئت الرباع ثلاثة أيام وولي الوزارة بعده مصطفى باشا وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف سعيدا الى الابواب السلطانية والتمس ان ينعموا على ابنه المذكور بامارة مكة بعده وان يكون ولي عهده فأجابته الدولة الى ذلك وقابلت ابنه المذكور بالاجلال والاكرام ورجع الى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم سلطاني يتضمن الانعام عليه بذلك فقرئ ذلك المرسوم بالحطيم وألبس الخلعة المذكورة وجاء أمر من الوزير الاعظم الكبرلي مضمونه ان الشيخ محمد بن سليمان يرفع يده عن تعارض أمور الحرمين وأغلق بابه وترك مخالطة الناس وفي ثاني عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وقيل ست وثمانين ورد من مصر آغا وظهر من خبره انه نمي الى صاحب السعادة صاحب مصر ان مولانا الشريف بركات أخذ ربع الحب الوارد للفقراء مع ما جعل له فأنكر الوارد عنده وأحضر له بعض الفقهاء فسألهم القاضي هل رأيتم مولانا الشريف أخذ شيأ من الحب الوارد فقالوا لم يأخذ منه شيأ وأقروا بأنهم استوفوا ما هو لهم وكتب لمولانا الشريف بموجب هذا الاقرار حجة وأعطيت للآغا ورجع بها مع جواب مولانا الشريف واضطرب أمر الشيخ محمد بن سليمان فقصد الطائف وقال البخاري ومن العجب في هذا الخروج مطابقته لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم ثم نزل الشيخ من الطائف في شعبان وتوجه الى المدينة قيل ان ذلك كان بأمر من الوزير الاعظم وان الامر كان أولا باخراجه من الحرمين ثم شفع فيه فأمر باخراجه الى المدينة فلما وصل المدينة اعتزل الناس الا من لا بد منه وفي ثامن شوال من سنة ثمان وثمانين وقت أصبح الناس فاذا الكعبة الشريفة ملطخة بما يشبه العذرة من جميع جوانبها وتلوثت أستار الكعبة المعظمة وكذلك الحجر الاسود والركن اليماني فاتهم الناس بهذا الفعل الشيعة فاشتدت حمية الاتراك المجاورين والحجاج فأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس ووقعوا فيهم بالضرب والرجم بالحجارة

فلما بلغت النجم عزا ورفعة • ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا رماني الردى سهما فاخمد جمرتي • فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملق
وأفسدت دنيا يا وديني سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى فياليت شعري بعد موتي ما أرى • الى رحمة الله أم ناره ألقى
ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب
الشامي بلصقه الى رواق الجانب المذكور وهذا المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دارا يجتمع صناديد قريش فيها
عند نزول حادث بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون على كونه صوابا فيأتون به بعد ذلك وكانت
الندوة مما تتفاخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي (٩٧) بن كلاب الرفادة والسقاية والسدانة والندوة
واللواء ففرقها في أولاده • ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الانصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الرأي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة وذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الاماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الآن الى آخر هذه الزيادة • وكانت دار الندوة بعد ظهور
(١٣ - تاريخ مكة) الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخرجون منها الى المسجد
الحرام للطواف والصلاة وكان لها فناء واسع صار ساحة ترمى فيه القمائم فاذا حصلت الامطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار
الكعبة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت اوساخه وقمائمه الى دار الندوة والى المسجد
الحرام واحتيج الى تنظيف تلك الاوساخ والقمائم من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على
المسجد الحرام • فكتب قاضي مكة من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدمي وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا
عج ابن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن ان دار الندوة

حتى أخرجوهم الى باب السلام وبعضهم الى باب الزيادة وقتلوهم شدخا بالحجارة وضربا بالسيوف
وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال العصامي في تاريخه ولقد رأيت ذلك الشيء يعني يعني
ما لوثت الكعبة به وتأملته فاذا هو ليس من القاذورات وانما هو من أنواع الخضراوات عجس
بعدس مخ وأدهان معفنات فصار ريحه ريح النجاسات وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك
الليلة ولم يعلم الفاعل لذلك وغلب على بعض الظنون ان ذلك جعل عمدا وسيلة الى قتل أولئك والله
أعلم بالسرائر وهو يتولى البواطن والظواهر ولبعضهم في ذلك

مذلوث الكعبة من لم نكن • نعرفه ليلا وأصبحنا
أسلمت الاعجام أرواحها • وقالت الاعراب آمنا

وفي شهر الحج من سنة ثمان وثمانين وألف ورد مرسوم من الوزير الاعظم بان يطلق مولانا
الشريف بركات على المصونة الشريفة عمرة بنت الشريف زيد ألفا ومائتي شريفي أحمر من المال
الذي جعلته السلطنة للسادة الاشراف وكذلك يطلق عليها من الحب الوارد باسماء الاشراف
ستمائة اردب فأطلق عليها مولانا الشريف الدراهم وتوقف في أمر الحب وقال يكفيها نصفه
فامتنعت من أخذ النصف ثم جاء مرسوم آخر في سنة تسع وثمانين لصاحب جدة ان يدفع للشريفة
عمرة المذكورة ستمائة اردب فدفعها الخادم مسلم آغا من الحب الوارد في السنة المذكورة

•(ابتداء خروج أمير الطائف لقاء الحج الشامي وتشييعه الى المدينة سنة ١٠٨٩)•

وفي سنة ثمان وثمانين أيضا ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف بان يخرج مع الحج الشامي الى ان
يتعدى به على العرب القاطعين الطريق الى أن يخرج عما هو تحت قطر الحجاز فخرج معهم يوم السابع
من ا... سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدة من الاشراف وأقام مقامه أخاه السيد عمرو بن
محمد وفي ... الآخرة سنة تسعين وألف اعتدى بعض العسكر على رحل من سواكن ونزل على
مولانا ... السواكني فقتل ذلك العسكري ودخل على مولانا السيد أحمد بن غالب
... الرتم وسفره الى اليمن فطلب العسكر المقيمون بمكة احضار القاتل من مولانا
الشريف فأرسل خلفه جماعة فادركوه في الطريق فقتلوه وأتوا برأسه الى مولانا الشريف فأرا
العسكر فهدأت الفتنة وفي عاشر ذي القعدة سنة تسعين أيضا ورد مرسوم سلطاني مضمونه
الانعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي ومع
المرسوم خلعة فلبس الخلعة وقرئ المرسوم بالحطيم وفي ثاني جمادى الاولى من سنة احدى
وتسعين وألف خرج مولانا الشريف غازيا الى جهة الشرق وسار بحماة الاشراف ولم يتخلف عنه

قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا ما يلقى فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمام الى المسجد الحرام وانه لو أخرج ما فيها من القمام وهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلي الناس فيها ويتسع الحاج بها لكانت مكرمة لم يتهيأ لاحد غير الخلفاء بعد المهدي والهادي ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان بالمسجد خرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادي مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الارض عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قطع تلك الاراضي وتمهيدها وتنزيلها الى حد تمر فيها السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام ووصل أيضا الى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش في أرضها قد تكسر وان عضادتي باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة في سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب وضربه دنانير واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة في سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذي كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف وعلى أنف الباب الشريف واذا تمسح الحجاج به أيام الحج تبركا بذلك المكان وعتبة الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجددونها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا مصرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما ويحتاج أن يتمم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد دفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انتهاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخير له قدم راسخ في قصد الجميل وفعل الحسنات ونية جميلة في احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على اسماع

الا المعذور وقصد بيشة وفي الرابع عشر من شوال جاء المبشر بأخذ مولانا الشريف قبيلة أكلب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة سالما غانما وفي هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم في ان الشيخ محمد بن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يكف يده عن مخالطة الدولة فدخل مكة في التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العواميد التي في الرواق من الجهة الغربية لانحدارها وكان ذلك اليوم خروج الحج المصري فغرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقطع حبله حتى رقي على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثاني واستمر الماء الى الصباح ففتح باب ابراهيم وانحدر الماء فوجدوا تحته كثيرا من الموتى من الغرباء وأهل البلد وأما خارج المسجد فقد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كبار المكيين في ذلك الوقت ان هذا السيل لم يشاهدوا مثله فكان ذلك السيل من مصائب الزمان ثم شرعوا في تنظيف المسجد على المعتاد وأرخ بعضهم هذا السيل بقول (طغى الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم في العين فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنتين وتسعين وألف وفي خلاصة الاثر وفي هذه السنة أيضا حصل في قرية السلامة وما حولها من أرض الطائف برد شديد له وقع عظيم بحيث صار يضرب بالصخور والابواب كالبنادق غالبه كبيض الحمام وبعضه كبيض الدجاج قال المحبي في تاريخه وقد سمعت غير واحد يقول وزنت واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر خمرقه وأتلف أشجار البساتين وجرح كثيرا من الحيوانات وبعضها مات وفي ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف لانا الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضبا لمولانا الشريف بركات وخرج لخروجه عد سراف نحو الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركا شهر جمادى الاولى وقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف في المسعى وانتهب بعض ال بين المروة وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضي وأصيب بعض الاتراك بر ـه من جهة بيت مولانا الشريف وعزل السوق ثم تدارك مولانا الشريف الامر حتى سكنت الفتـ ـه ثم ورد جوخدار السلطان من جدة ومعه خصول جدة فضرب بالشبيكة وأخذ ما معه وتكـ لانا الشريف مع الاشراف فيما يقع من العبيد فلم ينجع وتزايد الامر حتى صار مولانا الشريف ـس في الليل بنفسه هو وأولاده ومعه بعض عسكر مصر ثم تزايد الامر فأجمع جميع عبيد ـلانا الشريف

وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف وآل أبي نمي الحسينيين أنفا من سوق الشريف لبعضهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمرو ابن محمد لردهم فامتنعوا الا ان يتضمن لهم شريف من الاشراف انه لا يعطى أحد منهم للعسكر اذا وقع شيء في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف فدخلوا أرسالا ثم ان مولانا الشريف ظفر بعبدين ليلا فأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعبدين آخرين كانا في حبسه فشنقهما بالمسعى وأوهم انهما القاتلان للعبدين اللذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم فأصبح مريضا يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطني لا يعلم سببه الا القهار

(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)

فازداد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ النسفي بوصاية منه وبني عليه حائط غير مسقف وأسفت الناس عليه سامحه الله تعالى وكانت مدته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السنجاري وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد ثم قال السنجاري وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمة الشريف بركات وحظي عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقدا لما كان يكثره من مداراتهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتمولوا في زمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم وبسبب ذلك بقي كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يخرج بهم لحرب العرب من أهل [illegible] وغيرهم ويكون النظر فيه له وللاشراف وحمدت طريقته وأمنت في زمنه السبل ووجدت التجار وانتظم الامر خصوصا للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد حج

أنخ الركاب فهذه أم القرى * قد لاح نور الهدى من مشكاتها
واجعل شعارك منه تقوى الله كي * تستنتج الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك عالي الهمة ميمون النقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد ابن غالب مفارقا له في نحو ثلاثين شريفا من ذوي مسعود وغيرهم

(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤)

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن

الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها فبرز أمر المعتضد اليه والى غلامه المؤمن بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام ويوصل به وان يحفر الوادي والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى أن يعود الى حالته الاولى ويجري ماء السيل عنه ولا يدخل شيء منه الى المسجد الحرام فيصان المسجد بذلك عن دخول السيول اليه وأن يحكم ذلك بغاية الاحكام ويعمر ما يجب عمارته على وجه الاتقان والاستحكام وأمر ان يحمل من خزائنه مالا عظيما لهذا العمل وأمر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويختار لعمله من يعتمد عليه وأمر بحمل المال اليه فجهز بعضه نقدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله ابن يوسف وكان مقدما على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل بقية المال سفاتج سلمها الى ولده المذكور ليسلمها من كتب اسمه في تلك السفاتج وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حيان الاسدي له أمانة وحسن رأي ونية جيدة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فحلي بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة ورجع وتخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما أمر به من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنتا عشرة درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمي بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من الهدم والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطينها وسويت بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ من عمارتها في ثلاث

سنين ولعل اكمالها في سنة أربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور ❊ قال محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة ان أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجارة مدورة منحوتة وركب عليها سقفا من الخشب الساج منقوشا مزخرفا وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من أول وجدد شرفاتها أو بعضها وانه عمل ذلك في سنة وثمانمائة انتهى ❊ ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة أمرا عظيما وفعلا جزيلا أتى به المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز به سواه وفعلا لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بألسنة الخلق ويشكر وقد بلي عظامه تحت التراب الأعفر فأمات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر ما عاش من عاش مذموما خصائله ولم يمت من يكن بالخير مذكورا واستمرت تلك الأساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها أسقف الساج المزخرف المنضود مشيدة باقية الى ان أدركناها في عمرنا ثم بدلت بأساطين منحوتة من الشبس الأصفر بعقود محكمة أزين من عقود الجوهر وبجعل عرض السقف الذي يبلى خشبه كل حين قبابا مرفوعة نزهة للناظرين في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سبقت سلاطين الزمان السلطان مرادخان بن سليمخان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه ﴿رجعنا الى ما كنا فيه﴾ من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من آمن ❊ ولما أن عضد المعتضد عضد الموت العاضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وما حمته عن الحمام قوته ولا منعته عنه منعته ولا هيبته فأزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الحد بالى شفير الفناء والهلك ودفنه في تربة عمله الصالح وسقف ثراه بما طاب من ثنائه الفائح ﴿ومن أغرب ما حكاه﴾ المسعودي عن المعتضد في وقته أنه اشتغل من افراطه في كثرة هنا بياض بالاصل

أبي نمي ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده المتضمن كونه ولي عهد أبيه ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الاشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرأ مرسومه الوارد في حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الابواب السلطانية بخبر وفاة والده وبطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه علماء مكة فوصل بجوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية في المتوفى وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من امارة مكة فلبس القفطان الباشوي ثم ورد الامر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان وفي الثامن والعشرين ورد من الروم اغا وأخبر انه ورد بصحبة مولانا السيد أحمد بن غالب وانه معه أمر سلطاني مخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن غالب وابقاؤه وجميع مماليكه والوصاية على السادة الاشراف وان لا يحوج مولانا الشريف أحدا منهم الى الوصول الى الابواب وان تكون البلاد أرباعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف وأخبر الاغا ان السيد أحمد واصل وانه فارقه في الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه فما أظهره ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الارباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الاشراف فكتب السيد أحمد بن غالب مائتين من العسكر لفقها من ضروب العالم وانحازت اليه عبيد ذوي زيد وفي خلاصة الاثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثاني يوم الوفاة بالحطيم حضره الاشراف والعلماء والاعيان والعساكر فاظهر الشريف سعيد أمرا سلطانيا كان برز لما أرسله والده الى السلطان ان الملك له بعد أبيه فقرئ بذلك المجمع ولم تقع مخالفة من أحد وكان قد ورد للشريف سعيد بعد وفاة أبيه الامر بالارباع فأخفاه وكان الاشراف متحققين خبره قبل وصوله فطلبوه من الشريف سعيد فأحضره الى مجلس الشرع وعمل مضمونه وقسموا مستخول البلاد أرباعا ربع لشريف مكة وربع تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن أبي نمي والسيد ناصر بن أحمد الحارث ومعهما جماعة من الاشراف والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب والسيد أحمد بن سعيد ومعهما جماعة والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد والسيد غالب بن زامل ومعهما جماعة فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن ووقع في البلاد السرقة والنهب واختلفوا فيما بينهم وصارت الرعية بالارباع ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرا وانضم اليه من العبيد كثير فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف

الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره يجس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة ضعاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته • وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد ذكورا واحدى عشرة بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا رحمه الله ﴿فصل﴾ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد الى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور تسع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية • وكان مولده في غرة ربيع الاول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها جيجل وكان بارع الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل يصف الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها
فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي
والله لا أختارها ولو انها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وأفعاله جيدة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر عبد الغافر في تاريخ نيسابور عن ابن أبي الدنيا وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة قال فلما أفضت الخلافة الى المكتفي كتبت اليه هذين البيتين

ان حق التأديب حق الابوه • عند أهل الحجى وأهل المروه
وأحق الرجال أن يحفظوا ذا • ك ويرعوه أهل بيت النبوة

انتهى • ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى ابن مهرويه القرمطي ومحل خروجهم ودار ملكهم هجر وهم اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عاداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ﴿ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور﴾ جهز اليه المكتفي بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسبق الى جهنم وبئس المصير فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شامة بوجهه

سبقت بمثل هذا الصاحب الربع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف سعيد انه متوهم من هذا الفعل وطلب من يكفل له ابن غالب فكفله عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد ان عبيدهم أتلفوا البلاد والقيعان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من جانبه يمس البلاد بالليل مع جماعته فارسل ابن غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سليمان في جماعة من الخيالة والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف لملاقاته على المعتاد لم يخرج معه الاشراف في العرضة فبعد ان حج الناس ونزلوا عقد الشريف مجلسا فيه أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي صالح باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الجين فلما حضروا اجمعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وانه مما كدله في البلاد وافسد عليه الاشراف وانه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا اليه السيد غالب بن زامل ليحضر فيظهر من الخلاف فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان القصد الاجتماع ففي المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع ما تدعون به علي فارسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعده فاجاب بان هذه قواعد بيننا قد سلفت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا وأما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فاطلقوا مناديا ينادي معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحمد بن غالب أو من جماعته أو من عسكره شيئا أو أخذوا حق أحد ظلما أو ضربوا أحدا وان وجدتم مشتكيا صح مقاله الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا تركنا العرضة فعن خوفنا ان يقع شيء فينسب الينا أو الى جماعتنا فكرهنا هذا وجميع الاشراف اجتمعوا على قلب واحد وخيولهم مسرجة ودروعهم على ظهورهم وما والاجياد الى العقد وتحركت الانفة الهاشمية التي تأبى الضيم ولما سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب علموا انه لا وجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك حجة وطلبوا من السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فأتاه ليلة ثم أتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر مناديا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الطوائف فحصل للناس مزيد تعب فتكلم العسكر معه في ذلك فرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سطا على ربع حب الجراية التي ترد الى مكة وأراد الاستيلاء عليه فبلغ ذلك الاشراف فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم افتتاح سنة خمس وتسعين وألف أراد النزول الى جدة فشكت عليه الاشراف بعد ان كلموه في ذلك فامتنع وتحزبوا جميعا وقالوا لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبقى

تناعنده شئ وكان ذلك بعد أن قدم أهله ونقله الى خارج مكة قاصد بن جدة فصار حينئذ أحـ ير من ضب واجتمعوا كلهم ببيت السيد محمد بن حمود وأرسلوا اليه السيد تقبة فقال له ان نزلت قبل أن تصلح الاشراف يأخذوا جميع أسبابك التى تقدمنك وينهبوا حرمك ويقتلوك فاذعن حينئذ بوفائهم فقالوا الا نرضى بذلك حتى يكفل لنا فكفله كرد أحمد أغا وجميع رؤساء العسكر وكتب بذلك حجة وانه ان حصل منه منع لبعض حقوقهم يكن عاصى الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب وطلب منهم شريفا يوصلهم الى جدة خوفا من العرب أن يطمعوا فيه ففعلوا ذلك وأرسلوا معه السيد مبارك بن ناصر ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل أو الطعن وصار العبيد لا يأتون الا ثمانية أو عشرة وانقلب ليل الناس نهارا وكثرت القتلى فى الرعية حتى ضبطت القتلى فى رمضان فبلغت تسعة أشخاص فضجت الناس من هذه الاحوال فارسل الشريف سعيد الى الابواب السلطانية ترجمانه بذكر فساد مكة وانها خربت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس فى هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الامور فاستجاب الله دعاءهم واقتضى نظر السلطان واركان دولته أن لا يصلح هذا الحال الا الشريف أحمد بن زيد فاعطى الشرافة اه وسيأتى ذكر ذلك بعد اتمام الكلام على دولة الشريف سعيد

•(ذكر ورود الامر السلطانى باخراج الشيخ محمد بن سليمان وما وقع له عند خروجه)•

فى مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك انه فى شهر شوال سنة خمس وتسعين ورد أمر سلطانى بتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن غالب وسجل عند قاضى الشرع فلما سجله القاضى أرسل الى الوزير عثمان حمدان وبعثه مع نائبه الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بورود الامر السلطانى فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصعب القاضى فى خروجه وعدم ابقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فارسل مولانا الشريف سعيد بن عمه السيد رضوان بن عمرو بن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وانهم يعطونه كل ما يريد أو انه يحضر عند القاضى ويبدى عذرا فامتنع وقال ان الامر السلطانى ورد بان اخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا ألقى بيدى الى التهلكة وليس فى الامر ان أخرج يوم وصول هذا الامر وتعجيله فزادت صعوبة القاضى وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية الشريف وأمرهم ان يأتوا بالشيخ مكرها البتة فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو فى المدرسة التى عند مدرسة الداودية

الاسود زعم أنها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما مظلما بالنور بالنون وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدى ودعا لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها الخور بوا وقتل الثلاثة وحزت رؤسهم وطيف بها فى البلاد فى سنة احدى وتسعين وخلف من بعدهم خلف ظهر عنهم مفاسد سيأتى ذكرها استطرادا ونصب الملحدون كثيرا فى أمرهم الى أن بددهم الله تعالى ولم يتفق زمان المكتفى وكانت مدة ملكه ستة أعوام ونصفا ولما مرض مرض الموت وتيقن بالفناء والفوت سأل عن أخيه أبى الفضل جعفر بن المعتضد فقيل انه احتلم وصح عنده ذلك ﴿فجعله ولى عهده ولقبه المقتدر بالله﴾ وبويع له على ان يكون الخليفة بعده قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته التى مات فيها والله ما أنفق الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين فى أبنية وعمارات لا أحتاج اليها وذكر أبو منصور الثعالبى قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذى خلفه المكتفى مما جمعه هو وأبوه لا غير مائة ألف ألف دينار ما بين عين وأمتعة وأوان وعقارات وكان من جملة الامتعة ثلاثة وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون ولما جاء الاجل المحتوم المقدر وقال لسان حاله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله مخسوفا وعاد ضياء المشرق بالجمال مكسوفا فانتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى ليلة الاحد اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذى القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمانى بنات ﴿وولى بعده أخوه أبو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى﴾ بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطى وأمه أم ولد تسمى شغب وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى منها ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة لابى العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار وعبد الله بن المعتز لقصر خلافته لا ينبغى عده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه المشهورة

وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا وخولا ومعرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقا
في التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التي لا يشق غباره فيها أحد مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين * قال
المعافى بن زكريا لما بويع ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لي
ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن رشح لوزارته فقلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم
قال هذا أمر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذوشان عظيم متقدم في فضله وعلمه وعقله وان الدنيا توليه والزمان مدبر
ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت اسمه برآسة في مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد (١٠٣) الا آئلا الى الاضمحلال والانحلال

فقدر الله تعالى انهم خلعوه
في ذلك اليوم وتلاشى
أمره فان عبد الله بن المعتز
لما عقدت له البيعة
والخلافة أرسل الى المقتدر
يأمره باخلاء دار الخلافة
وان يذهب الى دار محمد بن
طاهر لينظر في أمره فلما
جاء الرسول الى المقتدر
وبلغه الرسالة قال ليس له
جواب عندي غير السيف
ولبس السلاح وركب
معه جماعة قليلة من
خدمه وهم مستطلون
للقتال في غاية الخوف
والرعب وهجموا على
عبد الله بن المعتز وعلى
بعض الامراء والفقهاء
وسلمهم الى يونس الخازن
وقتل منهم من أراد وحبس
عبد الله بن المعتز وأخرج
من الحبس ميتا واستقام
الامر للمقتدر وهذه
ولايته الثانية فسار
أحسن سيرة واستقام أمره
بعد الاضمحلال وطلعت
شمس سعادته بعد الزوال

ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتمييق هذه
العجالة وترويق هذه الرسالة ببعض أشعاره المستظرفة لعلم البلغاء مرتبته في البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته في
الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على أن الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا المطلب
العالي من أمثاله ممجوج في الاسماع منفر للطباع فاذا أبرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر
عصره الاديب المفوه ابن الرومي في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تغيير تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان تعب قلت ذا قيء الزنابير وهذه منتخب تلك القصيدة التي فاخر فيها بين قومه بني العباس وآل أبي طالب رضي الله عنهم في

المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب مغلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف في الطاقة
يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلب شريعة محمد بن عبد الله ان
أمر السلطان بقتلي فأمضوه وان كان باخراجي فانا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع
بين الخاص والعام وأهله يضجون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد
اللطيف البشبيشي المصري وكان مجاورا بمكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها
ويأخذ معلومها وطلع الى القاضي فلم يقبل شفاعته فرجع من عنده فرآه الشيخ محمد بن سليمان
فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف الشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الامر ولم يأمر السلطان بخروجي في هذا اليوم وأنا
خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعني شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير
مداقع للشرع ولست بخارج من داري فليصنعوا ما يرونه والعامة عن آخرهم تصرخ بسبه بانواع
السب الشنيع وجعل هو يسب مولانا الشريف سعيدا والمرحوم مولانا الشريف بركات بانواع
السب وعم الجميع بالقول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبة بن قتادة
واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع وتسبب
في الوصول الى الشيخ فدخل عليه وآمنه وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر
ومن معهم وقفوا ورجعوا الى مولانا الشريف والقاضي وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبة عند
الشيخ وانه آمنه وأرجعهم الى من أرسلهم ثم ان السيد ثقبة قال للشيخ ان كان لا بد من خروجك
فاخرج أنت وأنا الى بلدي بخليص واستمر عندي الى الحج فرضي ثم ان مولانا السيد ثقبة فرق الناس
وطلع الى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره واستأذنهما في بقائه بمكة الى الحج فبقي وقد ذلت
صعوبته ولانت صعدته وانقبض انبساطه وتطأطأ اشتطاطه ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا قرنا
بوفاء لا تدوم على صفاء وبما رسخ في المسامع ان الدنيا بجمعها غير الاكل وبأكلها غير الجامع
ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان
الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس وولد بها سنة ثلاث وثلاثين
وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب اجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل وطاف
المغرب ثم رحل الى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام
بالمدينة المنورة ملازما غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل بمكة المشرفة وأقام بها
وصحبه الفضلاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متسعا عديم النظير فصيح النطق ذا هيبة

جلالة وفراسة في اصابة الرأى وصارله بمكة شهرة واعتقده كثير من الناس ثم رحل الى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقى مراتب العز ماشا حتى قلده السلطان والوزير النظر في أمر الحرمين فرجع وحصل جميع ما تقدم وكان له اليد الطولى في المعقول وعلم الفلك وغيرهما وله تآليف كثيرة منها حاشية على التصريح للشيخ خالد في علم النحو وال السعاري كان دخوله في هذه الدائرة من المحن السائرة والا فهذا امام جليل ومحقق نبيل تقصر عن وصفه العبارة وتحدو بذكره السيارة وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمرا دونه وانتهت اليه رآسة مكة وبنى بمكة رباطا للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان عند باب ابراهيم يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة بالمعلى تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على غلاظة وشدة الى ان تبدلت تلك السعودات بالنحوس وهبط بعد ان كان على الرؤس فورد الامر باخراجه الى آخر ما تقدم رحمه الله وسامحه ولا يعترض بذكر قضية الشيخ محمد بن سليمان وان كان القصد من هذا التاريخ المختصر ذكر أمراء مكة وما يتعلق بهم لان هذه القضية لها تعلق بهم وفيها عبرة لمن اعتبر وأيضا هي مشهورة بين الناس اجمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم في ذكرها ومن الحوادث في دولة سيدنا الشريف سعيد ان والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان عليه والتفاته اليه فدخل بما معه من الهدية الى بندر اشى وكان بيد امرأة فاهدى اليها ما معه من الهدية وأفهمها انه مرسول من الشريف بركات صاحب مكة ففرحت بذلك فرحا عظيما ووقع لها موقع وأمرته بالاقامة لتهيئ له هدية لمرسله فاتفق ان سرقت كنيسة هناك وانسبك ما فيها من الذهب الى ان سارله صورة فأمرت بحمله في هدية سيدنا الشريف وجعلت ايضا معها صدقة لمكة فجاء الحامل للهدية والصدقة بمكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد ومن جملتها هذا الذهب ومقداره على ماقيل ثلاثة قناطير من الذهب وعنبر صفوخالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وخمسة قناديل ذهب للكعبة ومجمرتان وشماعدين وللمدينة أيضا قناديل وشماعدين فلما وصلت هذه الهدية في شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة الاشراف أصحاب الارباع نزاع لان الاشراف يريدون ان يأخذوا ثلاثة أرباع تلك الهدية والشريف سعيد لا يريد اعطاءهم ثلاثة ارباع فأوجب ان تحمل في بيت السيد محمد الحرث الى ان يتفقوا او ينقضي رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ أصحاب الارباع النصف مما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الاشراف مفصلا واستمر ذلك

الخلافة وما أنصف فيما ادعاه ولكنه أتى بشعر بليغ معناه فقال ألا من لعيني وتسكابها • تشكى القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان • ترامى القسى بنشابها ويارب ألسنة كالسيوف • تقطع أرقاب أصحابها
وكم دهى المرء من نفسه • فرقه حد أنيابها وان فرصة أمكنت في العدو • فلا تبد فعلك الابها فان لم تلج بابها مسرعا
أتاك عدوك من بابها وما نافع ندم بعدها • وتأميل أخرى وأنى بها وما ينتقص من شباب الرجال • يزد في نهاها وألبابها
نهبت بني وحي ناصحا • نصيحة بر بأنسابها وقد ركبوا بغيهم وارتقوا • معارج تهوى بركابها وراموا فرائس أسد الشرى
وقد نشبت بين أنيابها دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا • عباقضل الاسد في غابها قتلنا أمية في دارها
وكنا أحق باسلابها
ولما أبى الله أن تملكوا
نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يابني بنته
ولكن بنو العم أولى بها
فهلا بني عمنا انها
عطية رب حبانا بها
وكانت تزلزل في العالمين
فشدت لدينا باطنابها
وأقسم بأنكم تعلمون
بأنا لها خير أربابها
فرد عليه شاعر زمانه
وبليغ أوانه الصفي الحلي
بقوله
ألا قل لشر عبيد الاله
وطاغي قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها حق أسبابها
بكم باهل المصطفى أم بهم
ترد العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجس أم عنهم
لطهر النفوس وألبابها
أما الشرب والعهر من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
هم الصائمون هم القائمون
هم العالمون بآدابها هم الزاهدون هم العابدون • هم الساجدون بمحرابها
هم قطب ملة دين الاله • وأهل الرحاء بأقطابها تقول ورثنا ثياب النبي • فلم تجذبون بأهدابها وعندك لا تورث الانبيا
فكيف حظيتم بأثوابها أبوهم وصى نبي الاله • وأهل الوصية أولى بها أجدك يرضى بما قلته • وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حربهم • لحرب البغاة وأحزابها وصلى مع الناس طول الحيا • ة وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم • وهل كان من بعض خطابها واذ جعل الامر شورى لهم • فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته • ولكن بنو العم أولى بها بنو البنت أيضا بنو عمه • وذلك أدنى لانسابها

ذلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة في عشرين من ذي القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبي صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد بترجمة واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به في القسطنطينية فمن جملة ما قال في الخلاصة وأقام بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت بخدمته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يدنيني اليه ويقبل على بكليته وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهي طويلة جيدة بليغة مطلعها

يجوب الارض من طلب الكمالا • ومن صحب القنا بلغ السؤالا

وكم في الارض من سكن ودار • وان كان النوى يضنى الجمالا

وما شجرى الدماذ لا والكن • رأيت الذل ان أهوى الجمالا

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفي تاريخ الرضي انه في سنة سبع وثمانين أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المعرة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأخرى بجهة الروملي فلم يقبل واحدة منهما وكان جوابه ان تفضلتم بولاية بلاد نار الافضل تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها يجد له من الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قزلار أغاسي محبة أكيدة وطلب الاجتماع بالوالدة فاجتمع بها وأغدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك مرسولين من السيد أحمد بن غالب فركبا الى مولانا الشريف أحمد وقالا عنده فالتى بعض المفسدين الى الوزير الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فالاولى عدم اقامته بها فاحضره الوزير وألبسه قفطانا بولاية كرك كليسة اسم محل بينه وبين ادرنة ثماني ساعات فالكية وكان قبل ولايته بشهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف الزاي وهي قريبة أيضا من كرك كليسة بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع وتسعين ثم فسح لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد في بلدته وطابت له وتأنس بها الى ان كانت سنة خمس وتسعين ثم لما جاءت الاخبار الى مولانا السلطان بما وقع في الحجاز من الخراب والعناد والنهب وكان السلطان بادرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأي رجال دولته

وقلت بأنكم القائلون • اسود أمية في غابها كذبت ولولا أبو مسلم • لعزت على جهد طلابها وقد كان عبد الهم لا لكم
رأى عندكم قرب أنسابها • وكنتم أسارى بطون الحبوس • وقد شغلكم لئم أعتابها فأخرجكم وحباكم بها
وقمصكم فضل جلبابها • فجازيتموه بشر الجزا • لطغوى النفوس واعجابها فدع في الخلافة فضل الخلاف
فليست ذلولا لركابها • وما أنت والفحص عن شأنها • وما قصولك باؤابها وما ساومتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لاسبابها • ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف • وجاؤا القناعة من بابها عليك بالهول بافاتات
وخل المعالي لاربابها • ووصف العذار وذات الخما • ونعت العقار بألقابها (١٠٥) • فذلك شأنك لا شأنهم
وجرى الجياد باحسابها
ومن السحر الحلال الذي
عقده في سلك اللآل ورقه
بقلم البلاغة على صفحات
الايام والليالي هذا
الموشح الذي يصلح وشاحا
للجوزا واكليلا على
التاج المحلى بنجوم الثريا
سارت به الركبان
وتناقلته الرواة بألسنة
الزمان قوله
أيها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى
وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت عيناي من فرط البكا
وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث الهوى
مات من يهواه من فرط الجوى
(١٤ - تاريخ مكة) خفق الاحشاء موهون القوى • كلما فكر في البين بكى • ويحه يبكي لما لم يقع • ليس لي صبر ولا لي جلد
يالقومي عذلوا واجتهدوا • أنكروا شكواي مما أجد مثل حالي حقها أن تشتكي • طامع اليأس وذل الطمع
كبدي حرى ودمعي يكف • يذرف الدمع ولا يعترف أيها المعرض عما أصف • قد نمى حبي بقلبي وزكا
لا تقل في الحب اني مدعي ومن تشبيهاته الرائقة واشعاره الفائقة قوله ومقرطق يسعى الى الندماء • بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم • ملقى على ياقوتة زرقاء • (وله مثلث وهو معنى بديع) • خليلي ثاب الراح من بعد طبخها
وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد • فهاتا عقارا من قميص زجاجة • كياقوتة في درة تتوقد • يصوغ علينا المزاج منها شبائك فضة

لها حاق بيض تحلى وتعقد • وقتني من نار الجحيم بنفسها • وذلك من احسانها ليس يجحد • وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعر وغير ذلك • ومن كلامه في البلاغة البلوغ الى المعنى ولم تطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا نطول بها هذه العجالة ولما تقرر أمر المقتدر في التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرار استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستمر في الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج يونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه الجيش والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره ونهبوا دار الخلافة فكان مما نهب ستمائة ألف دينار وألزم المقتدر وأشهد على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وبايعه يونس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير أبي علي بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فنعهم الحاجب ومالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر اليه وهو مقهور يبكي ويقول الله الله يا أخي في روحي فاستدناه المقتدر وقبل بين عيني أخيه وقال له يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك مني مكروه فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة • (فصل) • من جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب عمره دهرا فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين ويقربه باب ثان يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة أم

على ان الصلاح لا يكون الا به وقد ذكر في خلاصة الاثر كيفية توليته حيث قال ولم يزل مقيما بالروم والاحوال تنتقل به الى ان حصل لمكة ما حصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام قائلا اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطاب من السلطان قال له يا شريف أحمد الحجاز خراب أريد لك تصلحه فامتثل ذلك فعند ذلك ألبسه ما كان عليه ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس فجلس وأعاد عليه ما قاله أولا مرتين وهو يجيبه بالامتثال والقبول فحينئذ قال السلطان اذا آن أوان الشئ أبرزه الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ما لتمسه فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان ورحل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها فقال صاحب الخلاصة قد خاطبه مهنأ له بالشرافة وأنشده هذه الابيات

الحق عاد الى محله • والشئ مرجعه لاصله • يا طالما وعد الزمان به وأعيانا بمطله
حتى تحقق انه • في الناس مفتقر لمثله • والسيف عند الاحتيا • ج اليه يعرف فضل نصله
والدهر يغفر تارة • ويعود معتذرا لاهله • لا ريب قد سر الورى • بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه • ولسانهم وصاف فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها ولبس الخلعة السلطانية تجاه الحجرة الشريفة كما لبسها أبوه ثم دخل مكة سابع ذي الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف وذكر في الخلاصة أيضا عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات في ضمن ترجمة أبيه ان الشريف سعيدا عرض للدولة خراب الحجاز وطلب عسكر الاصلاحه وكان هو وعمه عمرو ينتظران الجواب فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أحمد باشا صاحب جدة وكان بالابطح ببستان الوزير عثمان حميدان واستمر عنده الى جانب يسير من الليل ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن زامل وكان نازلا بذي طوى فلما جاوز الحجون اذا هو برجل على ذلول فاستخبره من أي العرب فقال من بني صخر فقال له الشريف سعيد أمعك كتاب من يحيى بن بركات وهو أخو الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب لملاقاة الحج الشامي فأمر بضربه وهدده بالقتل فأقر بانه رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن غالب وانه قد جاء متوليا مكة ولحق الحاج الشامي في العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن زامل والسيد ناصر بن أحمد الحرث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وتشاور وافي اظهار هذا الامر

كيف

كيف يكون واتفق الامر على ان يرسلوا الى السيد مساعد بن الشريف سعد بن زيد فارسلوا له السيد عبد الله بن هاشم فاتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم فقال الشريف سعيد يا سيد مساعد لم أرسل اليك فى هذا الوقت الا لقصد ان أردك أهلى وان عمك الشريف أحمد تولى مكة وانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى آغاوات العسكر وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وخرج الشريف سعيد تلك الليلة الى الوادى وأقام به حتى سافر الحج المصرى فذهب معه الى مصر وفى تاريخ السنجارى انه فى صبح الليلة التى سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس فى المسجد خلف مقام الحنفى وحضره سائر الاشراف وصاحب جدة والقاضى والمفتى والعلماء ووجوه الناس وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودى له فى البلد وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر وتوفى بها وأما أخوه السيد يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتى ذكر ولايته امارة الحج الشامى ثم ولايته شرافة مكة وفى ثانى ذى الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الاشراف مضمونها التلطف بالرعية والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد فوصل يوم السابع من ذى الحجة ودخل مكة فى موكب أعظم وكادت الناس ان تقتتل من الزحام وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء بقصائد وفرح الناس به وحج بالناس ثم نشر لواء العدل والانصاف فحصل له فى القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستمرت ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

•(ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعى سنة ١٠٩٧)•

وفى أيامه كانت قضية الشيخ تاج الدين القلعى مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكى وملخصها انه فى يوم الاحد خامس عشر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وألف واتفق ان كانت مباشرة صلاة الصبح فى مقام الحنفى عند الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عبد المحسن القلعى فتأخر قليلا فصلى بالناس بعض المجاورين فلما تم الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذى تأخر عن الحضور وأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه على رجليه فلما سمع بذلك بعض الائمة أنفت نفوسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ على العصامى وكان أكبر الجماعة وذهبوا الى مولانا الشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا انه ان جرم التأخير لعذر لا يوجب هذه الاهانة وطلبوا منه ان يعفوهم من هذه الخدمة بعد هذا القدر فانهم لا طاقة لهم بذلك ثم على فرض كون الامام اتى جرما لا يوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا أرضى بهذا المن

الامين بنتاها فى سنة ثمان ومائتين وما بقى لتينك الدارين أثر الآن والذى يظهر ان دارى زبيدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط الخوزى الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط رامشت الذى يعرف الآن برباط ناظر الخاص فأدخلت هذه الساحة التى بين الدارين فى المسجد الحرام وأدخل البابان يعنى باب الخياطين وباب بنى جمح بحيث دخلا فى المسجد الحرام وجعل عرض البابين بابا كبيرا هو المسمى بباب ابراهيم فى غربى هذه الزيادة (قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى) فى حوادث سنة ست وثلثمائة من كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى وفيها زاد قاضى مكة يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى قطعة عند باب الخياطين وباب بنى جمح وهى السوح التى كانت بين دارى زبيدة أم الامين وعمل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التى فى ازاء جدار المسجد الكبير الى العتبة التى عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا لا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها اليمانى وذلك من جدار رباط الخوزى الى جدار رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع وفى هذه الزيادة فى جانبها الشرقى المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوتة من الحجارة وكذلك فى جانبها الشمالى ولم يكن فى جانبها الغربى رواق وفى جانبها الشمالى سبيل وسط رواقه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام • قلت أما المنارة فلا أدرى من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية اليه وأعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت فى أيام المقتدر العباسى رحمه الله تعالى • (ومن جملة محاسن المقتدر أيضا) انه أبطل من دواوينه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تدمرفهم فى الاموال السلطانية وأعاد الامر بتوريث ذوى الارحام فى سائر ممالك الاسلام وأتلف كثيرا من الاموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرض الخندباء بمال عظيم وكان يفرق كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة • وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزى رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف فى طريق

مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار • وقال الحافظ السيوطي كان النساء غلبن على المقتدر فاخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود • وكان مبلغ النفقة على بيمارستان أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار •(وقدمت رسل ملك الروم) • بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد فمر الرسل بينهما في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي بقيت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وغير ذلك • وزاد ابن جمال يوسف تغري بردي من جملة الزينة شجرة صيغت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غصنا أوراقها من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير صدح مفرد وصفير خاص وهذا يعدونه من الدولة العباسية وضعفها فكيف كان زينتها في أيام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثل كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا وفي تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا •(فصل وأول ما ظهر من الوهن في الخلافة) • في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويرون ضلال كافة المسلمين فاول نجس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج

دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وخذوا عليه خط المفتي ونأخذ لكم النصفة بعد ذلك بالوجه الشرعي فكتبوا السؤال فأجابهم المفتي الشيخ عبد الله عتاقي زاده بانه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشرفوه على الجواب فأمر بالاجتماع عند القاضي واقامة الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما أوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذ معه الى بيته الشيخ تاج الدين القلعي وأرضاه بما طابت به نفسه وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لاجل هذه الفتوى ثم بعد مدة أتى الى الباشا ان المفتي الافندي عبد الله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مرادفصبته في جدار المسجد فارسل جماعة يشرفون على ذلك فرجعوا اليه بعد الاشراف وأخبروه بانه قديم من البناء الاصلي فقام بنفسه وذهب الى دار المفتي وسأله عن المرحاض فقال له انه قديم وليس بحادث فسبه وضربه الى ان أدماه ورماه على الارض وداسه برجله وخرج فتلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حمية وأنفة مما حصل للمفتي وعزل السوق فجاء الخبر للباشا فدخل عند القاضي فارسل مولانا الشريف للقاضي ان يحفظه عن الفرار وأمر شيخ الفراشين أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس للقيام بهذا الشأن فسبقت العامة الى بيت القاضي ورجموا القاضي والباشا حتى المسجد ثم جاء الوزير عثمان حميدان وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحجارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه باحضار الباشا لتقام الدعوى عليه فامتنع من الحضور فقالت الفقهاء انه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره لمخالفته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه الحادثة غير ان الائمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى المنادي من مولانا الشريف بالامان وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير عثمان حميدان الباشا وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يجد جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع بمولانا الشريف واعتذر له وقال له أما يكفيك ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيضة وقد جاء متعذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه الباشا عسكره الى جدة وكتب الافندي عتاقي زاده المفتي الى من يعتمد عليه في اسلامبول وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور

إليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم في أواخر عام سبع عشرة وثلثمائة لم يشعر الحاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين مجردين في احرامهم الى ان قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها وزقاقها ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى ان قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم (١٠٩) ولم يقطع طوافه علي بن بابويه وجعل يقول

ترى المحبين صرعى في ديارهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تنوشه الى ان سقط ميتا رحمه الله تعالى وطمت بالشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار وحفر قد ملئت بهم وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا وصاح في الحاج يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما أنكرت وانما معناه من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وصار ما بالله تعالى بركة بذل نفسه في سبيل الله والرد على ذلك الكافر أخزاه الله . وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا يقلعه فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فخر ميتا فأطلع آخر فرموه وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهاب الثالث عن الاقدام على القلع فقضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم انه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه الصوفي والشيخ محمد بن خالد زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحاج

وفي سنة سبع وتسعين أيضا غزا مولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة في شهر ربيع الثاني في جيش عظيم وجملة نحو خمسمائة بعير وأطاعته القبائل وكافة العرب بانقيادهم له وأذعنوا بالطاعة قال السنجاري ولم يزل مولانا الشريف يتنقل في تلك الرحاب ويلتقي مما تودده من أهب الأعراب الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج للقائه أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيد حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه وبات هنالك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه في ذلك اليوم ورد قاصد من الروم معه خلعة وسيف لمولانا الشريف وقفطان لشيخ الحرم المدني فلبس مولانا الشريف الخلعة في الروضة ولبس أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثاني عشر ذي القعدة ودخل مكة هلال ذي الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل في الصبح في الآي أعظم وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل الاختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضبا في شهر صفر وتبعه جماعة من الاشراف ثم في شهر ربيع توجه السيد أحمد بن غالب الى جهة الشام وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر مرضه نحو خمسة عشر يوما ثم توفي الى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى وقت الضحى وكتم ، وتم ابن أخيه الشريف سعيد الى بعد صلاة الظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد مقربا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته لما يرى من نجابته ورعا أمره بالجلوس في ديوان بدايته في مدة توعكه

●(الولاية الاولى للشريف سعيد بن سعد ١٠٩٩)●

لما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكانة فأذعنوا له وطلعوا الى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور مقام عمه وأخذوا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأخرجوا الجنازة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة دولته أربع سنين الا ثلاثة أيام ومولده سنة اثنين وخمسين وألف فعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا لموته ورثاه الشعراء بقصائد ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو عند عمه وهذه الولاية الاولى من ولاياته شرافة مكة وفرق يوم السبت على العسكر جوامكهم وزاد من أراد زيادة وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة وكتب الى ابن عمه السيد عبد

من أهل خراسان والمغاربة ونهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهمان ونهبت القرامطة من داره وأثاثه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فاز وا بأنفسهم وسمعوا بأرواحهم فوقفوا بدون امام وأغوا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وحليها وما نهبه من أموال الحاج فقسمها بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا عليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة أخذوه وغيبوه في شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك العام وسار بزندقته يقول قاتله الله ولعنه وأخزاه

فلو كان هذا البيت لله ربنا
لصب علينا النار من فوقنا صبا

لانا حججنا حجة جاهلية
محللة لم تبق شرقا ولا غربا

وانا تركنا بين زمزم والصفا
جنائز لا تبغي سوى ربنا ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه هو في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد وبقي موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك ممتنا علينا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك

الحسن والى أخيه ابن المرحوم الشريف أحمد بن زيد يخبرهم بذلك وكان بينبع فأمرهم بالمقام هنالك لمحافظة ما بأيديهم وعاملة من مكة الاشراف بالسمع والطاعة وزينت البلد ثلاثة أيام وفي جمادى الثانية يوم السادس منه ورد قابجي بخبر خلع السلطان محمد بن ابراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان ابن ابراهيم ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان مضمون المرسوم الانعام على الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أوائله فحضر الشريف سعيد بالحطيم والقاضي والمفتي وأعيان الناس وقرؤا المرسوم ولبس الشريف سعيد القفطان وخلع على الناس ثم جلس في بيته للتهنئة وفي الرابع عشر من الشهر ورد السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد من ينبع ومعه السيد مساعد بن سعد بن زيد وجلسا للعزاء وفي الثالث والعشرين من الشهر المذكور كتب الشريف سعيد عرضا لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة وبلغه ان الفقهاء يتكلمون فيما لا يعنيهم فبعث اليهم ان يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد لبعضهم من حاكمه القائد أحمد بن جوهر وفي غرة شعبان جاء الخبر بان السيد أحمد بن غالب اعترض المكاتيب والعرض الذي أرسله الشريف سعيد وأخذه في ينبع ممن كان معه وكان مرسلا مع الشيخ محمد المنوفي ثم كتب الشريف سعيد عرضا آخر عليه خطوط العلماء وعرفهم بواقعة الحال وما جرى من السيد أحمد بن غالب وبعثه من جهة الشام وكان الشريف أحمد بن غالب مقيما بينبع وبعث الى صاحب مصر يطلب ولاية مكة وبذل لصاحب مصر مالا يقال انه مائة كيس وكان جمع مال تجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش مقام ابراهيم بيك القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف أغا وكيل صاحب مكة وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد أحمد بن غالب وقاما في توليته لكتب وردت اليهما منه وتصالحا على ذلك وأخذا بعضا من المال واستخرجوا أمرا من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فجاء الامر مع بعض أعوان الباشا وبعثوا به الى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك وأرسل صاحب مصر الى أبواب السلطنة يطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد من صاحب جدة قاصد الى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بان صاحب السعادة صاحب مصر وصلنا منه أمر بان مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب وقد بعث الينا السيد أحمد بعض أشراف وانهم واصلون اليكم مع تسلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو مولانا السيد محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن فطلع مولانا القاضي الى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك فما أجاب الا بالتصميم على القتال وانه لا يسلم مكة بامر باشوي وعلى فرض ذلك فكان وصوله البلد

الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعا أن يتحول الحج الى بلادهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعظم مصائب الاسلام وأشد وهنا في الدين من أولئك الفجرة اللئام ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد الى أن رمى الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وتمزقت كل ممزق بيد الله القاهرة وابتلى أبو طاهر الخبيث بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحاج جعلهم الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله وورد سنبر بن الحسن القرمطي الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة يومئذ وهو صاحبنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فأظهر سنبر فلما أخرج منه الحجر الاسود عليه ضباب من فضة في طوله وعرضه تضبط شقوقا قد حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه جصا يشده به فوضع حسن ابن مرزوق البناء الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي راسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بحكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا انا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ ثم

هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني وان كان ليس بأمر سلطاني فحكم الباشا على مصر وسعيد هنا يعزل فيه ويولي من شاء ومادون مكة الا السيف فقال له القاضي يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولي فكذا به صريحا فقال يعزل ويولي مثلك فلما استقل القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الامر فجاء جوابه بأنا نادينا بالسيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور السيد مساعد فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكلم العساكر فظهر له اجتماعهم وبعث نحو عشرين خيالا من عبيده الى نحو جدة فجاء النذير بان صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد واجهوه وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا غير مسلم البلد بدون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لا بد من دخول مكة ثم جاء الشريف سعيد بكتاب ظفروا به من قاضي مكة لصاحب جدة يأمره بالدخول ويخبره بانه استمال له أغاوات العساكر فحفظ الكتاب وزاد في التحرز وحفظ الطرقات وأقام عسكرا ببابه محافظين وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيخ عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تثبيط العسكر فأمر بقتله فقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد التحفظ وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور الزوارية وهل هلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤية العيد في الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحضر في الصبح صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في الزوارية ومد لجماعته سماطا أعظم وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يدل صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بان الامر قد خرج عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه وابن عمه فلما رأى اختلال الامر وكل الامر الى الله تعالى وأودع طوارفه السيد أحمد بن سعيد بن شبير وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي ضحى يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الجون لابسا خلعته الباشوية ومعه جميع الاشراف ونزل داره بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحقن الله الدماء وامتدحه الشعراء بقصائد وعزل

كثيرا من أهل المناصب وولي غيرهم

(ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩)

وفي شهر القعدة جاء المرسوم السلطاني مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع
الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب
وان الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس
الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وزينت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج للقائه على
العادة وحج بالناس وبعد سفر الحج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع الحج الشامي الى جهة والده
وجده مولانا الشريف أحمد بن غالب قاصدا الى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنية وجاءه
الجواب بالقبول في شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء على
المعتاد ولبس الخلعة وفي سنة واحد ومائة وألف في أوائل المحرم تنافر الشريف احمد بن غالب مع
جماعة من الاشراف ذوي زيد فخرجوا من مكة مغاضبين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد عبد المحسن
ابن الشريف أحمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن بن
الحسين بن زيد ونادوا له بشرافة مكة في ينبع وأخذوا اسمائة اردب حب كانت هناك للشريف أحمد
ابن غالب وكتبوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف احمد لهم من مكة وخرج جماعة من
الاشراف من ذوي عبد الله وأخذوا القنفدة ومنعوا الزالة وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع في
طريق جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل بها ليلا ونهارا وكثرت الاقاويل بين العامة في ذلك
وتنافر السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر مع الشريف أحمد بن غالب وقبل ذلك نافره أيضا ذوو
الحرث فتتابع الاشراف المتنافرون في الخروج من مكة واجتمعوا على السيد احمد بن سعيد بن
مبارك بن شنبر ونزلوا الحسينية واراد الشريف احمد بن غالب الركوب عليهم فلم يتيسر له ذلك ثم جاءه
الخبر انه نودي في جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد فاضطرب حال الشريف وفرق العسكر في
المدارس والطرقات وشعاب مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب
جدة يسألونه عن هذا الامر ونزل به مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي
ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي ومعهم جماعة من
القاضي ومن أصحاب الملكات فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتفاقم وسبب انقلاب
صاحب جدة على الشريف احمد بن غالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي فانه ورد جدة وجعل
يناقض الباشا في كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع تغيره بعد وفائه ثم جاء الخبر من

الطائف

ان الجهة خافوا على الحجر الاسود من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا
عمن أراده بسوء، ثم أمروا صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا
عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قد عمل كما هو الآن أيضا كذلك. وكان قلع الحجر الاسود في أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين
يونس حرب فقتل في المعركة ضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى الارض فقال الضارب ويحك أنا الخليفة فقال له أنت
المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة الى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه
وعفى أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير وكانت مدة
خلافة المقتدر أولا وثانيا
وثالثا خمسا وعشرين سنة
الا أياما وقتل لثمان بقين
من شوال سنة عشرين
وثلثمائة وولي أخوه مكانه
أبو منصور محمد بن المعتضد
ولقب القاهر بالله وقهر
القاهر المذكور وسمل
عينيه وجاؤا بأبي العباس
محمد بن المقتدر بالله بن
المعتضد ولقبوه الراضي
بالله وبايعوه في سنة اثنين
وعشرين وثلثمائة وصار
خليفة الى أن مات سنة
تسع وعشرين وثلثمائة
وبويع لاخيه أبي اسحق
ابراهيم بن المقتدر بعده
ولقب المتقي بالله وقبض
عليه توزون التركي وسمل
عينيه في صفر سنة ثلاث
وثلاثين وثلثمائة وبويع
بعده لابن عمه أبي القاسم
عبد الله بن المكتفي بالله بن
المعتضد ولقب المستكفي
بالله واستمر في خلافته
سنة واحدة وأمسكه من
أمرائه معز الدولة ابن بويه
وسمل عينيه وضمه الى المكتفي بالله والقاهر بالله وصاروا ثلاثة في العمى وولي الخلافة الفضل
ابن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة. وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت
الشريف في أيام المطيع لله هذا وتم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بني بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه
وبويع لولده أبي بكر بن عبد الكريم في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرائه وما كان له
الا العظمة ظاهرا لا غير بحيث لما ورد في سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدي صاحب مصر الى بغداد
وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة أن يزيد في ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد

عليه الخلع ويلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضى الله عنه وعلى كتفه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبى صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيف النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لموا كبهم العامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن بعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وأدخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة هذا هو الله فقال له هذا خليفة الله فى أرضه ثم استمر عشى ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له استدنه فقربه الى رجل السرير وقبل رجله فثنى الطائع يده على رأس عضد الدولة وأمره أن يجلس على كرسى وضع له قريبا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فأقسم عليه ليجلس فقبل الكرسى ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد فوضت اليك ما كان الله تعالى فوضه الى من أمور الرعية فى شرق الارض وغربها فقال يعيننى الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الارض فأمر أن يفاض عليه سبع خلع فنودمت عليه وهو يقبل الارض فى كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أهالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظمة الا صورة صناعية تكلفه اصطناعية حقيقتها واهية وقوتها واهنة وان السلطنة لما آلت الى أبى النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق مجوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة فى سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسى وأمر خدامه من الديلم فجذبوا الطائع من سريره ولفوه فى كساء وأمره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل ﴿وأتى بأبى العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله﴾ وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر ان يقرأ فى كل جمعة فى حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس وعده ابن الصلاح فى علماء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدة خلافته حتى أنافت على احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر

الطائف بأن السيد حسن بن أحمد الحرث نادى فى الطائف للشريف محسن بن الحسين بن زيد وتدانت الاشراف الذين مع السيد أحمد بن سعيد الى البلد وأخذوا ابلا للشريف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف فى العرز وأمر عسكر اليمن بملازمته فى الاروقة التى خارج المسجد ليلا ونهارا وفى عشرين من جمادى الثانية خرج من مكة السيد محمد بن حمود مغاضبا أيضا ونزل العابدية ثم كتب أهل مكة عرضا الى صاحب مصر والى أبواب السلطنة وينهون فيه ما وقع من صاحب جدة وأكثروا فيه من التشنيع عليه وفى سادس رجب عقدوا مجلسا فى الحطيم حضره جماعة من الاشراف والعلماء والقاضى فجعل مولانا الشريف يشكو للقاضى ما وقع من صاحب جدة فى حقه وانه كان سبب تفرق الكلمة وتفعل الاشراف عليه وقد انقطعت السبل وقد نادى فى جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة وان مطلوبى ان تكتبوا لى حجة فى تحرير مقالته لئلا تنقم على السلطنة فقال له كبير أغا سردار العسكر يا شريف نحن محافظون لمكة نذود عنها العدو ونقاتل حتى نقتل وأما الاشراف فهم بنو عمك لا ندخل بينكم وأما الباشا فسأله عما فعل وانه لا يفعل شيأ من ذاته فى بلد السلطان فاتفق الامر على ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضى وانقضى المجلس عن شناعة ظاهرة فأرسل القاضى رسولا الى صاحب جدة فعاد بالمراد وفى هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع الى جهة الشبيكة وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى جهة بركة ماجن من جهة اليمن فى كل جهة مدفعان وفى ثامن عشر رجب جاء الخبر ان الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر وان السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شبير فى أول القوم وأطلق الصنجق سبع مدافع لنازل الزاهر فركب من بقى مع الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى جرول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة البركة والشريف احمد بن غالب فى بيته وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف فدخلوا مكة وقصدوا قاضى الشرع واستدعوا رؤس البلكات وأظهروا صورة بيوردى باشوى وطلبوا من القاضى تسجيله فامتنع ومضمونه تولية الشريف محسن وطلب القاضى نفس البيوردى الباشوى وثارت الانكشارية لعدم تقييد البيوردى الوارد صورته من الباشا وهجموا على القاضى وأغاثهم العامة فلما لحقهم من التعب هرب القاضى من سطح المدرسة فلم يجدوه فنهبوا ما وجدوه وأطلقوا البنادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المسجد وبه وفى وسط الحرم وتناردوا ساعة ودخل بعض العسكر مدرسة المفتى عبد الله افندى عتاقى زاده على أهله

وتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله﴾ وكان خيرا دينا باهر الفضل الا انه مغلوب بيد أمرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة وأربعين سنة ووفاته فى شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدى بأمر الله﴾ وبويع بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولى الشهير مولانا أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنهم وكان خيرا دينا من خيار خلفاء بنى العباس وصالحيهم ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد ان يتحكم عليه ويظهر الحيف والجنف على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو يقول لابد أن تترك لى بغداد وتذهب الى أى بلد شئت فأرسل الخليفة اليه يتلطف به فى ذلك فأبى الا شدة وغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لى ولو شهرا فأبى وقال ولا ساعة فأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم فى كبد الظلوم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملك شاه قبل مضى عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره وما ربك بظلام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى وهذه عقبى كل ظالم معتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى • يدق خفاه عن فهم الذكى

وكم فرج أتى من بعد عسر • وفرج كربة القلب الشجى

وكم هم تساء به صباحا • وتأتيك المسرة بالعشى

اذا ضاقت بك الاحوال يوما • فثق بالواحد الفرد العلى

ذلك

تعلق بالنبى فكل هم • يزول اذا تعلق بالنبى

وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا • ولا تبيتن الاخالى البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها • يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدى بأمر الله فى محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴿وولى بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله﴾ بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى كتابته حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر توفى يوم

وعياله وأرادوا قتله فغرمهم واسترعنهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل فى المسجد من الهنود وعزل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبد الله بن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن غالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد لجماعة الشريف محسن بن حسين يطلب منهم ان يعينوا له رجلا يودعه اطرافه فعينوا له السيد أحمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوما يتجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد ابن غالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

•(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)•

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة فى آلاى أعظم والبس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن غالب فاحتبسه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس فى دار السعادة للتهنئة وامتدحته الشعراء وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف ونشأ فى كفالة جده الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين ولم يزل الى أن سافر الى الابواب مع عميه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا المخرج فرجع وقد كمل بدره وبزغ فجره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان أصغر من أخيه الشيخ عبد الواحد ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج وما أخذ منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضى والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن غالب جعلها سكة وأحضر الصواغ الذين سكوها فسألهم مولانا الشريف فقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد فسألهم ما الذى سككتموه فقالوا اسورة وحجول فقامت العامة وقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التى مكنه منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدى فقام الصنجق وأخذه من أيدى العامة ودخل به محلا مختصا من دار مولانا الشريف وفزع أهل الشيخ عبد الواحد الى السيد ناصر الحرث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصنجق بعث الى جدة يطلب الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء ان يدعى عند القاضى بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه اعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة فادعى عليه وأثبت

ذلك بشهود الله أعلم بهم فحكم القاضي بعزله عن هذه المكانة التي هي حجابة البيت الشريف وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأسلمه المفتاح وخرج الى بيته ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الاخوة وان يكون نائبا أو احدا فتصالحا بحضرته وتعاهدا على ذلك واستمر عنده المفتاح الى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف وذلك سنة وخمسة أشهر الاغانية أيام وهي مدة ولاية الشريف محسن فلما ولي الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد ان يكون المفتاح لابنه عبد المعطي وأفرغ ذلك له فأجيب ثم توفي ابنه عبد المعطي سنة عشرة فطلب الشيخ عبد الواحد ثانيا ان يكون لابن ابنه الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي فأجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى صار أوحد زمانه وفريد اقرانه واستمرت سداانته وشكرت بين أهالي مكة و واردها أمانته وديانته الى ان توفي وفي سابع عشر شوال و رد الاغا بقفطان الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الامراء على المعتاد ولبس الخلعة وعج بالناس وفي يوم النحر ظهرت عين كتب بايدي السادة الاشراف وانها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الانذار وطلب المواجهة وان القصد اليكم عن قريب فاضطرب الحال عن وحصل للعالم قلق عظيم ثم ان مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتحاولوا في هذا الامر فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتعبير أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الامر وكثر القيل والقال ثم ظهر ان ذلك كله مختلق من مكة من بعض الاشراف وأما الشريف أحمد بن غالب فانه توجه الى صنعاء فاكرمه امام صنعاء وأراد ان يرسل معه جيشا ليخلص مكة له ثم مات الامام وعاقه عوائق فمكث في اليمن وتولى الامارة صبيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع الى الركاني كما سيأتي فكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفي يوم النفر الاول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن ناصر الحرث برجلين من حرب وردا حاجين فقبضوا عليهما في المسعى وذهبوا بهما الى سيدهم فأمر بقتلهما فقتلا على جبل أبي قبيس ولزم من ذلك ان فسخ عمته مع مولانا الشريف وخرج الى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعيد بن شنبر مغاضبا وخرج معه جماعة من الاشراف وفي أواخر ذي الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرضحال الى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الاشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور وفعتبهم على ذلك ولام ثم ان السيد عبد الله بن هاشم خرج مغاضبا مع السيد أحمد بن سعد بن شنبر وأخذوا الطريق على المارة وارتفعت الاسعار بسبب ذلك واشتد الامر

الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * (وولي بعده ولده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده وأمه أم ولد تسمى لبابة وكان شهما عاديا بناشئة ولا بالعبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره أنا الاشقر الموعود لي في الملاحم * ومن على الدنيا بغير مزاحم وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا قياد داره وخرج الى قتال مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد فقاتل وحده الى ان قتل في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) * وبويع له بالخلافة يوم قتل أبيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود السلجوقي وخلعه من الخلافة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله في حبسه * (وولي عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفي بالله) * وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعا توفي يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة * (وولي بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفي ولقب المستنجد بالله) * وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاوس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة رأى في منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب في كفه خمس خاآت فلما أصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال انك تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفي الى رحمة الله تعالى في يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو محمد المستنجد بالله ولقب المستضيء بالله) * وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة * (وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد فلقب الناصر لدين الله) * وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذي القعدة وهو اليوم الثاني من وفاة والده وفي أيام ظهور السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدي النصارى الفرنج واستيلائه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب

بهو الفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدي * واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد الحسين بن محمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم * توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى ممالكه وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة العبيديين وكانوا أرفاضا سبابين ومنهم ملاحدة كالحاكم بأمر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفي شرفهم والله أعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر فأحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صائبة وكانت أيامه من غرر الزمان وكان له احسان الى أهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الابيض في زمن المأمون الى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود وكساه الحمام ثياب أكفانه وعزله عن سرير مملكته وتخت سلطانه وكانت وفاته في سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة * (وولى مكانه بعد موته أبو نصر محمد بن الناصر ولقب الظاهر بالله) * وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهد منه فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس وورث ذوي الارحام وكان العمال يكيلون الديون بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل ينوف على ثلاثين ألف دينار فقال ابطله ولو انه ثلثمائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركني افعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان وفاه الله الكيل الاوفى وأثابه على عمله الصالح ووفى فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة * (وولى بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله) وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد

ونهبت أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المنكسر للسادة الاشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث ويعطيهم الثلث ويصبرون على الثلث الباقي الى ان ترد المراكب وكتبوا بذلك وثيقة وماطلهم في تسليم الثلث الى ان ورد مكة قاصد معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف ودخل مكة في ألاي أعظم عاشر صفر وقد نزل مولانا الشريف المسجد وحضر القاضي والمفتي والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم وألبس مولانا الشريف الخلعة وقرأ بعده ثمانية أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان لهم من غير زيادة تصرع لمولانا الشريف والتحرز من المخالفة وأمران من الوزير خطابا لجميع أصحاب المدركات بالامر بالطاعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف بمضمون الاوامر السابقة والثاني خطابا لأصحاب المدركات بالسمع والطاعة ولم تعتن السلطنة بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات وفي أوائل جمادى الثانية تفرقت كلمة الاشراف وخرجوا الى الطرقات وأكثروا النهب في طريق جدة وغيرها وأخذوا ذخيرة للصنجق من جدة واشتد الحال على الناس حتى ان الصنجق صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة الا بعسكر وبيرق وفي ثالث رجب اجتمع القاضي وسردار العسكر بمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول بحيث انهم قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلد فبين لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان الاشراف لا أقاتل بني عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فأنا أخرج بهم فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من قاتلهم فقال كبار العسكر نحن حفظة لمكة ليس هذا الامر مما بعثنا اليه ولم يزل الامر يتفاقم ولا يطلع أحد من جدة الا مع عسكر وأشراف تصحبهم من جدة الى مكة ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة الا صحب العسكر وارتفع السعر ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال ثم ورد الخبر انه وصل وادي مر وأرسل رجالا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن لا يدخل مكة الا بامر سلطاني ان كان متوليا ثم وصل الشريف سعيد الى فخ ثم انتقل الى ربيع اذاخر واستمر هناك ودخل شهر الحجة وكان أمير الشامي السيد يحيى بن بركات جاء في زي الاتراك وخرج له مولانا الشريف وألبسه القفطان الوارد معه على مجرى العادة وحج مولانا الشريف محسن بالناس ولم يحج الشريف سعيد واستمر بربيع اذاخر الى ان سافر الحج الشامي والمصري فخرجت الاشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفي سلخ ذي الحجة جمع

مولانا

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم يرَ مثلها في مدارس الاسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتباً ولا أكثر أوقافاً عليها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربعة ورتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها الاثير بقماً ووقف على ذلك رباعاً وقرى كثيرة سردها الذهبي وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب الماء ولطافة الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكي ان أول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام (١١٧) الملك في بغداد فبلغ علماء ما وراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم مأتماً وحزنوا على سقوط حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يطلبها الا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتي والمناسبة الطبيعية واذا جعل عليه أجرة تطلبه النفوس الرذيلة وتجعله مصيدا لحطام الدنيا ويتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الدنية الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه الاترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا تعاطته أراذل اليهود بشرف علم الطب وهذا حال أكثر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم مع دأبه في الطلب واكبابه على فنون العلم والادب يزداد كل وقت عجباً وكبراً ويتعاظم على كل أحد تيهاً وفخراً ولم ينق من أوصاف الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما يتحلى أحد منهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طيب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينير بصائرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه

• قلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وسائل الحبيب ونديم اللبيب ❊ قال ذكر ❊ ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبي الفتح السلجوقي قام بالدولة أحسن قيام وشيد أركانها وأسس بنيانها ووالى

مولانا الشريف الفقهاء وأعيان الناس وأجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطنة تشكوى حالهم وما وقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتفرقت العسكر من يد مولانا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه ونمي اليه ان الشريف سعيدا والسيد عبد الله ابن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة فطلب من صاحب جدة أن يبعث له عسكراً يبيتون بالباب فباتوا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف وتذاكروا في هذا الامر واقتضى الحال ان ركب الصنجق وسنمائة من العسكر لبيت الشريف سعيد بالمعلى وسل سوق المعلى خرج في ساقته السيد مساعد بن سعد والسيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد وجماعة آخرون واعترضوه عند الشق فردوه مكرهاً وأخبروه انه ان جاوز هذا الحد قتل فرجع وبات بذي طوى ثم سار الى جدة ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد الى المعلى بالدفتر دارية ولاذ به بعض عسكر الشريف الذين نفروا عنه واجتمعت عليه العامة فلما بلغ ذلك عسكره دمر طلعوا الى القاضي فاستدعى القاضي بعض الاشراف وبعض وجوه الناس وبعثوا الى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل فقال مرادي انزل دار أبي فمن يمنعني وجاء الخبر الى مولانا الشريف محسن فنزل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد وجاء السيد مساعد الى القاضي لتسجيل هذا النزول فأعلمهم الخبر ان مولانا الشريف سعيداً وصل المسعى فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة الى منزل السيد شبير بن قتادة ولم يزل مولانا الشريف سائراً الى ان دخل منزل أبيه والمنادي ينادي بين يديه بان البلد له وليس معه أحد غير العامة

•(الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣)•

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعداً نزل عما نزل له به الشريف محسن من المكانة بحضرة القاضي والمفتي وكبار العسكر فسجل ذلك وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان فلبسه في منزله وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء ونودي في البلد بالزينة سبعة أيام ولم يخالف أحد من الاشراف فولي مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف فكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من الدعاء له ثم روجع في ذلك فوافق ونادي له بجدة سلخ محرم ثم خرج جماعة من الاشراف مغاضبين للشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهراً وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيداً تولاها من

الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل اقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوي الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصته الخالصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير الذي ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهوائيات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذي يخرجه من أموال السلطنة فسار صيته في الآفاق

وكثر حساده ولا يخلوا السعداء من الحساد في كل زمان كما هو مشهود بالعيان في كل أوان وما وجدوا للطعن على نظام الملك طريقا غير اجحافه في الاخراج من الاموال السلطانية في هذه الوجوه فوشوا به الى السلطان أبي الفتح من طرق شتى وكرروا في سمعه ان نظام الملك أخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزائدة التي يخرجها في هذه الوجوه يمكن أن تصرف في جمع جيش كثيف يركز راياته في سور قسطنطينية وكانت يومئذ مملكة النصارى وهي الآن بحمد الله دار ملك الاسلام عمرها الله تعالى بعدالة سلطان سلاطين الانام وحرسها بالنصر والتأييد الى يوم القيام وانه يأخذ بذلك الجيش كثيرا من الممالك والاقاليم ويتسع بها المملكة ويكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك على سمع السلطان أثر كلامهم في قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع في الطبع ولو كان واهنا واهيا في نفس الامر فطلب نظام الملك وقال له يا أبي وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغني أنك تخرج من بيت المال في كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني شيئا فبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي علي في السوق ما ساويت خمسة دنانير وأنت شاب تركي لو نودي عليك عساك أن تساوي ثلاثين دينارا وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت أنا في كتابتي وضبطي وأنت منهمك في لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين أعددتهم للنوائب اذا احتشدوا عنك كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان

غير رضا الاشراف فتوقف شيخ الحرم من النداء للشريف سعيد بالمدينة وأجرى على الشريف محسن ما يقوم به ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضي والمفتي والعلماء بصورة الواقعة فنادى له بالمدينة ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر وأمر القاضي الشريف محسنا بالخروج من المدينة خوف الفتنة فخرج عنها وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر الى القنفذة لاخراج الاشراف الذين فيها وجاء الخبر سابع ربيع الثاني بانه التقى معهم وانتصر عليهم وقتل من الاشراف خمسة ومن العسكر كثيرا وانه دخل القنفذة بعد هروب من فيها واختبطت الاشراف بمكة لذلك ثم ان الاشراف الذين أخرجوهم من القنفذة جاؤا الى طريق جدة وأخذوا قافلة فبعث مولانا الشريف سعيد عسكرا يترصدونهم في الطريق وفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الاولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه في الالاي الى ان وصل لباب السلام ودخل الحطيم ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الاشراف ووجوه أهل مكة فقرئ المرسوم ومضمونه انه وصل الينا واتصل بسامعنا ان مولانا الشريف محسن بن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد وما أحسن هذا اذ رغبت في أخرى وان الواصل اليكم قفطان من جانبنا وأمر آخر مخاطب به العسكر المحافظون مضمونه ان يكونوا تحت أمر مولانا الشريف والحذر من المخالفة الى ان يأتي الامر السلطاني من الابواب فلبس مولانا الشريف سعيد القفطان الوارد وخلع على من يستوجب ذلك في مثل ذلك اليوم وطلع داره وجلس للتهنئة ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار مولانا الشريف سعد بن زيد ومعه صورة أمر مولانا السلطان بتفويض أمر الاقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد وخلعة سلطانية للشريف سعيد ليكون نائبا عن أبيه الشريف سعد فنزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم في جمع من الاشراف وحضر القاضي والمفتي وأكابر العساكر ووجوه الناس وقرئ الامر الوارد ومضمونه انه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكية أنعمنا على الشريف سعد بولاية مكة والمدينة وضبط العربان والاشراف وحفظ الحجاج وقلدناه جميع الاقطار الحجازية من غير مراجعة في ذلك الى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف وأمر آخر من صاحب مصر مخاطبا فيه مولانا الشريف سعيدا وقاضي الشرع وبلكات العساكر مضمونه حكاية الواقع وان مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا اليه وانه أقام نائبا عنه بمكة مولانا الشريف سعيدا الى وقت وصوله فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد الى نجله ذي الشرف المنيف مضمونه التعريف بالواقع وأنه

قائم

قائم مقامه في الوصاية الى غير ذلك وفي أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد دخيل الله من
القنفذة وأقام نائبا في مقامه ثم جاء الخبر بعد ان الاشراف تغلبوا على القنفذة ولم تزل الاخبار
تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد الى أن وصل الحج فجاء معه فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع
الى الزاهر ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشبيكة ولم يزل الى أن دخل المسجد وحضر
القاضي والمفتي والعلماء والاشراف بالحطيم ودخل قابجي بالامر السلطاني فقرئ بالحطيم وألبس
مولانا الشريف سعد الخلعة السلطانية وصعد الى داره للتهنئة ومدحته الشعراء وجاء في زي
الاروام بعمامة على قاووق الا أن لسانه بالفاظ أهل الشام بحيث ان غالب ألفاظه شامية واستمر
بهذا الزي ثم انه لبس عمامة العرب فحصل بعد ذلك يلبس هذه مرة وهذه مرة وحج بالناس هذه
السنة مولانا الشريف سعد قال السنجاري وما أحسن قول بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت • لك الليالي امدتها المقادير

•(الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣)•

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد وبين انفصاله من الولاية الاولى وهذه الولاية احدى
وعشرون سنة وهي مدة غيبته وعند سفر الحج أمر ابنه مولانا الشريف سعيد ان يخرج مع الحج
ومعه جماعة من الاشراف وفي تاسع صفر جاء الخبر بان جماعة من عنزة عدوا على الحج الشامي
واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف سعيد منهم جماعة وربط جماعة ووصل الحج الى المعلى
فنصبت الرايات على دور السادة الاشراف على جري العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفي شهر
جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غازيا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا
السيد عبد الله بن أحمد بن الحرث فالزم الشريف بقتالهم أخاه السيد ناصر بن أحمد بن الحرث بأخذ
الثار ولم يزل سائرا الى ان وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب
فامتنع الشريف سعد ومن معه وفي سادس عشر رجب جاء خبر بانه التقى بحرب ثالث عشر رجب
واقتتل معهم فتثبطت الاشراف وأحجموا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك انكسر وتقوت حرب
ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص
ووصل الى مكة في رمضان ثامن عشره واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف
فأقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذي القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن حج
بالناس وفي سنة خمس ومائة وألف خرج جماعة من ذوي عبد الله بن حسن بن أبي نمي مغاضبين
لمولانا الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر

وسهم لا يعبر ومرماه وهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والجور والملاهي هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت
لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم
صفوفا بين يدي ربهم وأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا سهاما تخرق السموات والارضين
وسلوا سيوفا تعمل في كل حين طوالا تبلغ الى الصين فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وببركاتهم تمطرون وبدعائهم تنصرون
فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا بابا استكثر من هذا الجنس فانه الذي لابد لنا منه وانما كان كل منهما فيه قابلية
الخير معجونا به ما أثر عنده لمكه كلام الحساد مع تكرره الا تأثيرا ضعيفا وزال الحال وعاد الى حب الخير
الذي جبل عليه واستغفر
الله تعالى عما فرط من تقصيره
فرحم الله تلك الارواح
الطاهرة ومتعها بالنظر
الى وجهه الكريم في الدار
الآخرة فقد زالوا وما
زالت أخبارهم تروى
وآدابهم الحسنة تنشر
على ألسنة الرواة ولا
تطوى (عدنا الى ما كنا
فيه) ومن جملة خدام
المستنصر بالله الامير
شرف الدين اقبال الشرابي
المستنصري العباسي بنى
بمكة مدرسة على يمين
الداخل الى المسجد الحرام
من باب السلام ووقف
فيها كتبا كثيرة في سنة
احدى وأربعين وستمائة
ذهبت شذر مذر والمدرسة
باقية الى الآن وقد
صارت رباطا وفيه محل
التدريس وبه كتب
وقفها أهل الخير ممن
أدركناه رحمه الله تعالى
وبلصق الكعبة الشريفة
في وسط مقام سيدنا
جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافي منقور فيه بالذهب ما صورته • بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المقام
الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله
آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اهـ وهذا
اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وخطب بعد موته
الى أن جاء الامير اقبال الشرابي الى ولده أبي أحمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة
(فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه ان

شاء الله تعالى * وحجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى وأربعين وستمائة وهي أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان في خدمتها اقبال الشرابي الدوادار ومعه ستة آلاف خلعة وتصدق بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد في تلك السنة فكانت مائة ألف وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الاحوال ودالت دولة غيرهم

ولكل زمان دولة ورجال   ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الدهر من حال الى حال   وكل شيء له سبب من الاسباب وعلة يدور عليها التقلب والانقلاب (١٢٠) وكان سبب ضعف خلفاء بني العباس استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور جميع الممالك اليهم وتلقيبهم بألقاب السلاطين وترداد دلالهم على مواليهم وامتهانهم اياهم غاية الامتهان الى أن صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولانية يتصرف فيها بالمحو والاثبات وصار أمراؤهم يغشون سرهم ويغشونهم ويصل أرباب الغرض الى أغراضهم الفاسدة فلما يرضونهم * فأول أسباب زوال الملك ان المستنصر بالله كان له ولدان أحدهما يعرف بالخفاجي كان شديد البأس صعب المراس والثاني المستعصم بالله هينا لينا ضعيف الرأي فاختاره الامير اقبال الشرابي على أخيه ليستبد بالامور ويستقل بأحوال المملكة ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما يخشى من أخيه الخفاجي فلما توفي المستنصر أخفى الامير اقبال موته عشرين يوما حتى دبر تولية المستعصم وبويع له بالخلافة وفر أخوه الى العربان ولا يدرى أمره * ثم أعظم سبب يكون للزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمي صار وزيرا للمستعصم وكان رافضيا خبيثا مستوليا على المستعصم عدوا لله ولأهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه في ملك بغداد ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر والاذن لهم في التفرق والذهاب أين شاؤا ويقطع أرزاقهم ويشتت شملهم بحيث أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين

وشرع أهل الفساد في التلصص والسرقات بمكة الى أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن يعس مع العسكر ثم أدى الامر الى أن يخرج بنفسه في الليل مختفيا فصادف أحدا من المفسدين وفي تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الاشراف يطلبون له الاذن بدخول مكة فامتنع أكابر العسكر وفي هذه السنة خرج مولانا الشريف أيضا لقتال قبيلة حرب في شهر جمادى الاولى ووردت البشائر رابع عشر رمضان بأنهم التقوا مع حرب بالصفراء وحصلت ملحمة عظيمة قتل فيها من الفريقين نحو المائة واعتقل مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب ودخل الباقون في الطاعة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد بن زيد وأمر بتزيين البلد ثلاثة أيام ورجع مولانا الشريف في شوال وجاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن غالب هجم على القنفدة فدخلها قهرا ثم جاء الخبر انه سار متوجها الى مكة فوصل الليث ونادى باسمه وأخذ الزكاة من أصحاب الجلاب ولم يزل يتنقل في المنازل الى أن طرقه وصول اسمعيل باشا من جهة الروم ومعه محمد باشا صاحب جدة واضطرب حاله ثم كاتب مولانا الشريف سعدا وذكر له أنه ليس لي بمكة حاجة وعينا نا أرسل لي وأذن له بدخول مكة فخاف ورجع ثم نزل ببلاد الركاني وما زال الشريف سعد نافذ الكلمة حسن الذكر عند الدولة العلية الى أن حصل الكدر بينه وبين صاحب جدة فسعى في عزله وسببه انه كان ببندر جدة شخص يسمى محمد باشا الشامي قبل السلطنة فعزل عنها في أثناء ولايته وعزله وقعت بينه وبين حضرة الشريف أمور أوجبت المشاحنة والمباغضة بينهما وصدرت منه سعايات في الشريف المذكور عند الدولة العلية ثم توجه الى الابواب العلية بنية واجتهد فيما قصده حتى غير خاطر الدولة عليه وصمم على عزله فبعث محمد باشا المذكور وجرده من العسكر ليسير بهم الى مكة صحبة الحاج الشامي وولي الحاج اسمعيل باشا أيضا أميرا بعساكره وخيله واوصاهما بأن يكونا كلمتهما واحدة ويتعاضدا على عزل الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم امارة أقطار الحجاز فوصلا جميعا الى مكة المشرفة فخرج مولانا الشريف سعد الى الطاعة على المعتاد وكان مع اسمعيل باشا عسكر كثير وضم اليهم العسكر المصري فلما قرب من مرتع الطاعة المعتاد تقدم جماعة من عسكر اسمعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف فانسحب الى جهة يساره فظنت الاشراف حدوث واقعة فانهزموا راجعين وثبت مولانا الشريف وتواقع أطراف العسكر مع عسكر مولانا الشريف فلما شعر اسمعيل باشا بهذا بعث بالقفطان فلاقاه مولانا الشريف سعد ورجع ووقع بمكة اضطراب وتشويش لأهل البلد وزال السوق ثم بعث اليهم مولانا الشريف عما حصل انه ان كان معكم أمر بعزلي فأنا طائع للسلطان فقالوا فاقرؤه بالحرم الشريف وان لم

يكن الامر كذلك فاخبروني عن سبب هذه العساكر وابعثوا الى بالامر السلطاني الذي يقرأ يوم النحر لا انظر فيه فلم يعيدوا له جوابا شافيا فبات ليلة سبع سنة ألف ومائة وخمسة ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدني ومراد بر العسكر وقاضي الشرع والمفتي الى بستان حيدان وكان اسمعيل باشا نازلا به فلما ان وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وأظهر محمد باشا أمرا سلطانيا فيه عزل مولانا الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فالبسه اسمعيل باشا قفطانا في المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر السلطاني بين أيديهم والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبد الله بن هاشم فلما وصلوا المحناطة جاءهم الخبران بعض جماعة مولانا الشريف سعد سدوا في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصروه عن الوصول واستمروا الى صلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر وانضمت اليهم العرب والانكشارية ووقف العسكر الى قايتباي وملكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس وانحازوا الى المسعى ونهب جماعة الشريف سعيد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى ونهب رباط الهندية بسوق الليل وبعض دور مكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعا وجاء به الى باب المدرسة المسمى بباب العتيق وأراد رميه على بيت الشريف سعد فاصيب طبجيه برصاصة مات بها فنقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو وابنه الشريف سعيد الى جهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

﴿ولاية الشريف عبد الله بن هاشم امارة مكة﴾

وأظهر الامر السلطاني ملخصه ان مولانا السلطان عزل الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور بلغته وانه أنعم بها على مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد ونحو عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبد الله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا النهب لا نرضاه واسترد بعض أشياء لا تذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعد من قتل ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بانه قتل بعض الرعايا فامر

ابن آراد واووفر علوفاتهم في الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة توفرت في بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال ويجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه ، وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقواها انا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبته فصار الصديق عدوا ولم يصر العدو صديقا بالاستجلاب احذر عدوك مرة ، واحذر صديقك ألف مره ، فلربما انقلب الصديق ، فصار أدرى بالمضره ، وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو خان سلطان القول وجغتاي من دشت قفجاق رجع على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى وكان أقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان ملكه من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند متكاثر فظهر هولاكو وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى أن قتل هو وأولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاكو في الديار وناره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لا خفاء ابن العلقمي عنه سائر الاخبار الى أن وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون بأين المهاد سا كنون على شاطئ بغداد في ظل نعيم وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا ذاقوا طعنا ولا ضربا وعساكر المغل ينوفون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسائب وباسل وفاتك وقاتل يثبون وثب القردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهجرون الغمض والهجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم يقوت بأذن فرسه يقطعها ويأكلها نيئة ويصبر على

ذلك أياما عديده أو يكتفي هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الجيش الى الجيش في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وثبت أهل بغداد مع براقتهم على حد السيوف وصبروا مضطرين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها فامطروا غمائم السهام وابلها وودقها واستقبلوا بحر وجوههم صواعق الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكابدة الفوز بالشهاده وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بانفسهم في سبيل الله وأجادوا وأحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد انكسار وولوا الادبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار ولذهم الطراد الى قتال • أحد سلاحهم فيه فرار • ضوامن سابق الاعضاء فيه لاجلهم بارؤسهم عثار يرون الموت قداما وخلفا فيختارون والموت اضطرار وغرق كثير منهم في دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يزيد على ثلثمائة ألف وسبعين ألفا وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال فأخذ هولاكو جميع النقود وأمر باحراق الباقي ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام (واستوسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا حقيرا فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذي سلطان قاهرا فابقى هولاكو الخليفة أياما الى أن استصفى أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة فيرفس بالارجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى في يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بني العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما أراده ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي أرسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمي وفيه كلام

بشنقه فشنق بالجيزة في باب المعلى تحت سبيل السلطان وطلع الامير المصري بالمحمل يوم ثمان وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامي يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحجاج في طريق منى ونهبت عتيبة بعرفة من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة واخذوا واحتاج الامراء الى ان تجتمع أهل جدة وينزلوا دفعة واحدة ونزل دفعة أخرى فاخذ بعضهم بشئ فرجع من الطريق واضطربت الناس ولم يزل الامر في شدة وصار الناس ينزلون الى جدة ببيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة فانتدب الشريف أحمد بن غالب وهو ببلده الركاني فارجع البعض الى أهله

•(ذكر قبض محمد باشا على الوزير حمدان وكيف كان خلاصه)•

وفي هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان حمدان وزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحنات في أيام ولايته على بندر جدة فاسرها في نفسه ولم يبد له شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما لقضاء حوائجهما وعند قرب سفرهما تواقفا على قتله فارسلا اليه وطلباه واعتقلاه في خيمة من خيام العسكر ووكلا به شخصا من كبار العسكر وأمراه أن يأتي به اليهما بعد ست ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وأيس من الحياة استند الى صندوق في الخيمة وهو يفكر في حاله فمضى جانب من الليل وهو على هذه الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به منكب على وجهه يصيح مددمدد فحركه بيده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه فعظم روعه ثم عمد الى ابريق وأخذه بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الخيمة خيل له انهم الآن يتبعونه ويعيدونه بغلظة واهانة فعزم على العود فاحس عند ذلك بدافع يدفعه الى قدام مع زوال ما كان به من الارتياع ورقد جميع الحراس المحيطين بالخيمة فتقدم ومشى ولحقه غلام له كان معه الى أن اتصل بجدار المعلاة ثم قفز من الجدار الى داخل المقبرة واختفى ببعض الجبال المقاربة لقبة السيدة خديجة رضي الله عنها فانتبهت الحراس وأوقدوا المشاعل وفزعت الخيل والعساكر خلفه وهو يشاهدها فلما غابت عنه وزال وهمه قام ومشى في المقابر وخرج من تربة الشيخ محمد بن سليمان ثم أخذ طريق العلق حتى وصل الى المسجد ثم قصد بيت مولانا الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فاختفاه واصبح الاميران يفتشان عليه فلم يجداه وتخلصت القضية بدفع مال عظيم وافتداه بسببه ومازال الشريف احمد بن غالب بالركاني معتزلا عن شريف مكة ومولانا الشريف عبد الله بن هاشم كان يحب أن يواليه ليكون معيناله وليأمن من شره فلم يزل يتلطف به الى ان وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له

يروونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصورته اذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها تغير بن بأم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أجنحة كالطواويس عما تبين كاعنات الخيل في الماء ويأتي بنو قنطوراء ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل الى بلد الا افتتحها ولا راية الا نكسها فلما وصل الكتاب الى هولاكو أمر أن يترجم له فلما قرأه أمر لهم بسهم الامان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وباء ابن العلقمي باثمه واثم من ظلم بسببه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ❊ قلت وأما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوة وفيه آثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تخفيه الاحشاء والضمائر

﴿فصل﴾ كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بني العباس أحمد ولقبه المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بالله العباسي فوصل الى مصر وافدا على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وستمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله فرقة من نواب هولاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل ولم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بني العباس أبو العباس أحمد ولقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس له من الامر شيء وانما اسمه الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا يلقبون الخلفاء واحدا بعد واحد وكان سلاطين الاقاليم يتبركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من

حجة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته ان لا يقع منه ما يضر بالرعية فكتب له وضمن مولانا الشريف انه ما يقع منه خلاف

﴿دخول الشريف أحمد بن غالب مكة﴾

فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر واجتمع بمولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في ... القنفذة وانه أخذ عشورها وانعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف بحضرة الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للقنفذة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم حبسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب مضمونها ان ما وقع من السلطنة انما كان لما رصاهم من الاعداء اني قتلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهبت الجرة وكل ذلك لم يكن وأنا داخل البلد أطلب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة فاياكم والمنع فاني مقاتل على الدخول من مانعني فاستدعى الشريف أحمد أغاوات العسكر وأخبرهم ان الشريف سعدا استعد وعرفوا الباشا بذلك في جدة فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر وجاء الخبر بأن الشريف سعدا وصل الليث مقبلا ففرق العساكر على جبال مكة وعمر المدارس وفرق المدافع في الطرق وفي غرة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبد الله بن هاشم في البلد بالنفير العام فاغتم الناس لذلك وفي ثالث ربيع الثاني وصل مولانا السيد أحمد بن حازم بن عبد الله والسيد عنان بن جازان من عند الشريف سعد وأخبرا بأن الشريف سعدا في أقوام عظيمة لا تكاد توصف فاجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا من الضحى الى الظهر واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع بلكات ثم خرجا من عند الباشا ثم ان الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبد الله عتاقي وأمر العلماء بالكتابة عليها ومضمون ذلك جواز قتال الداخل على صاحب مكة وان القائم بأمرها المخاطب بذلك وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع فكتبوا عليه وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرقت عساكر مصر عند كل رئيس منهم جماعة وباتوا ساهرين الى الصبح مخافة ان يدهموا البلاد ولم يزالوا كذلك الى ليلة السابع من ربيع الثاني ففي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة فكان أول من قام في هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن غالب فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن والده وأظهر الهمة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلع بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله

ثم ان مولانا الشريف سعد لما وصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حميدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا من بها وفر من فر واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ما حول البلد من المتارس وشرع القتل في المعلى في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم الى ان قتل أغلبهم واسعف الله بمطر ارد ما كان هنالك بالمتارس من النار وفرق بين الفريقين ونزل الشريف عبد الله والشريف أحمد بن غالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا رجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فما جاء وقت الصلاة الا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فلما ظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاهوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الاشراف متوجهين من أسفل مكة الى الركاني بين مكة وجدة بلدة مولانا الشريف أحمد بن غالب ونزلا به ثم ارتحلا الى الديار الرومية الى ان توفيا بها

﴿وفاة الشريف أحمد بن غالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة﴾

فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفي الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب الى الركاني اجتمع ناس من العلماء عند القاضي وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه في بيته وقد استحر القتل بعسكره مضر به وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفاعه فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد واقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد فامتنع فبيناهم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لي في أحد فاذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولون من الاشراف فانا تبع لهم فقالوا له أين الاشراف الذين يريدون ان يولى واحد منهم فانك لا تجد الآن أحدا يقدم على هذه المكانة فالرأي ان تسجلوا للشريف سعد وتنادوا له وتخمدوا هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا فاخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فما وصل اليه منهم الا أربعة فلما أدخلوا عليه حصل لهم خوف كثير فجعل بعد ذلك يقول نحن قائمنا على حفظكم بعد ان كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاختيار منكم له اليوم فقالوا له أينا ذنبا وهلكت

الناس

الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة امرائهم الا صورة الخلفاء فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخ الخلفاء فاذكر هؤلاء من جملتهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكر منهم في تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب﴾ بويع له في يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة والاعيان بالقلعة في مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء ورأيت في تاريخ لطيف للحافظ السيوطي أيضا سماه لوفيات في الرقيات ان في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الاشم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفي الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذه معه الى اصطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وصار خليفة بها واستمر الى أن توفي الى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمسين وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر فمنه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن • ولا كريم اليه مشتكى الحزن
وانما ساد قوم غير ذي حسب • ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني

ضمن قول الطغرائي من لامية العجم

ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني • حتى أرى دولة الاوغاد والسفل

وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم الشريف في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة

بالفضلاء العظام ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام كأنها عروس تهادى بين أقمار وشموس ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام

•(الباب السادس في ذكر ملوك الجراكسة لأن بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الاسلام)

اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جنوب الارض لهم مدائن عامرة وأفهم جبال ومزارع يرعون الغنم ويزرعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف لملك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى أطراف البلدان والاقاليم كذا ذكر المقريزي في عقوده قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك الاكراد أصحاب مصر من شر

الناس فكأنه عرف الحق فأمر بالخروج وخاف على أبناء جنسه فأمر بالتعجيل والنداء فحصل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بمنزله بسوق الليل ونودي له وحصل الامن فنادى المغرب الا والبلد لصاحبها ونودي بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة ونزل في الاي ضحى يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى أن وصلوا سوق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الى باب علي فبعث للعسكر ان يعطفوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو ومن معه من العرب حتى دخل منزله وامتلا يوم ذلك الوادي ثم أمرهم الى أجياد فدخلوها وجعلوا يدخلون شيأ فشيأ الى ثاني يوم وجلس لتهنئته يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء واستقرت البلد ولله الحمد وبعث اليه الباشا بفرو سمور ألبسه اياه الا ان بعض العرب خرج بما نهب من الاموال يبيعها في السوق على رؤس الاشهاد وما أمكن رد شيء مما نهبوه وفي يوم الاحد ألبس الوزير عثمان حميدان الفرو الذي ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلع له أصحاب الادراك فخلع عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا في مدرسة ابن عتيق عند صلاة الظهر فجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف مركوبا من اصطبله بكمال العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فودعه فنزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا مركوبا من مراكبه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستمر مولانا الشريف وكتب للابواب السلطانية يعتذر لهم مما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

•(الولاية الثالثة للشريف سعد)•

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة فعمل لهم هناك سماطا حضره مولانا الشريف وابنه واستمروا هنالك الى العصر ثم أقام العرب بعد هذا مدة يسيرة وأذن لهم في الرجوع فرجعوا شاكرين وأبقى أناسا منهم بمكة ثم جاء الخبر من المدينة بامتناعهم من النداء لمولانا الشريف ثم عندوا ودالخطبة له نادوا له ثم جاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم توجها الى ينبع وأخذا منه ألفي اردب حب لاهل مكة ومائتين لقاضي مكة وربع صاحب مكة وجاء الخبر أيضا بانهم كتبوا عرضا لصاحب مصر وبعثوه ثم ان الشريف جهز جماعة

المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وأدخلوهم في الخدم الخاصة فصاروا سلحدارية وجامدارية وجاشنكرية وأمراء وكبروا عمائهم وسلكوا طريق أسيادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد انتظمت بها دولتهم وولي منهم ومن أولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمانيا وعشرين سنة •(وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص العثماني الجركسي) •كذا ذكره المقريزي في عقوده وخططه قال الجمال يوسف ابن تغري بردي هو جركسي الاصل قام بدولة الجراكسة جلبه عثمان ابن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الاتابك يلبغا العمري وهو من جملة الاتراك الذين مسهم الرق من مماليك بني أيوب المتغلبين عليهم بمصر ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وتغاضى برقوق التحوط في عينه وتنقلت به الاحوال الى أن صار أمير مائة ألف مقدم وكان أتابكا للملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلبين عليهم غير الجراكسة وكان سن الملك الصالح لما ولي السلطنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة غير الاسم فلزم الامير الاتابك برقوق أن يخلع الملك الصالح ويتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشد

عمارته امير كبير الجلبي فقيل له في ذلك شعر   قد أنشأ الملك السلطان مدرسة • فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي ان بات شاهدها • ضم الجبال لها اغنى على جبل   وجهز للحرم المكي مالا لعمارة ماتهدم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبي من مصر الى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر ظلمهم وزاد عسفهم وشؤمهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والثغور اليوسفية ان كتعانية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة بسائر أهل الارض محيطة • ودخل الظاهر برقوق متمكنا جمع أموالا وخزائن وأكثر من (١٢٦) المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك ولاعبت بعده المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت تقع فتن وقتال وجلاد وجدال وقتل نفوس بحرب السيوف وشدة ووس الى أن يستقر الامر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الترتيب مقبولا عندهم وان العرف يحسن ويقبح وان كان صورة مضحكة عند من لا يألفوا ولكل اقليم وضع خاص بسلاطين ذلك الاقليم يكون مهيبا مقبولا في أعين أهل ذلك الاقليم لالفهم بتلك الهيئة لسلاطينهم فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصنائع مكلفة يجعلون في مقدمها وعن يمينها ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه ودواوينه ويلبس قطعا من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الامراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير مغير بظل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه أربعة وعشرون كبيرا يلقبونه على بابهم بجاوعشرا كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكلربكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم مائة بمنزلة الصنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية   واقام

من العسكر المقيمين بمكة وبعثهم الى جدة ليعبروا الى ينبع على البحر وما رأى الباشا في ارسالهم فائدة فرجعوا وفي شهر رمضان ورد من الابواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم بتأييده وفيه الاخبار بوفاة السلطان أحمد بن ابراهيم وتولية السلطان مصطفى بن أحمد بن ابراهيم فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الخلعة وأمر بالزينة ثلاثة أيام والذي في تاريخ السنجاري ان الخبر بورود الاغاة الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالزينة وأما وروده الى مكة وقراءة المرسوم فانه كان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الحجة بالجمعة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هنالك الى أن توفي وفي شهر جمادى الاولى توجه مولانا الشريف لزيارة جهة الشرق ولم يرجع الا ثاني ذي الحجة وورد له القفطان السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي مكة عبد الله افندي عتاقي وولادته سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر ابن أبي بكر الصديقي ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقا مع السادة الاشراف متآلفا بهم الى سنة ثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبد الله منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبد الله عن آخرهم وكان من جماعتهم السيد أحمد بن حازم بن عبد الله وعزموا على الخروج ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفا فقتلا في أمرهم ووعدهم ونزل الى جدة ونزل منهم معه جماعة وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربعة عشر فطالبوه في معاليمهم وادعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا مغاضبين له جالين على الشريف وتوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم للقافلة عند خروجهم وبعض الجمارة واخذوا الجميع فارسل الشريف المشائخ ذوي عبد الله وعرفهم ماوقع من رفقائهم ثم استدعى السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات ودركه بدرب جدة توجه له في وجهه فقبل ذلك فارسل السيد عبد الكريم لذوي بركات الذين في الوادي وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم متى رأيتم أحدا من السادة الاشراف العلوية حولكم قريبا منكم فاسرعوا في تعريفنا بذلك ودبرهم على شئ يعرفه فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادي قاصدا الى مكة للشريف سعد والسيد عبد الكريم يعرفهما ان السادة الاشراف العلوية مروا على البقاع ومعهم غزو قاصدين درب جدة فقرع الشريف سعد عصر يومه وفزعت جميع الاشراف والعسكر

يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه واسع من أعلاه لا يظاهر رأسه وملبوس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش وفي أوساطهم شد وديض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها الى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويتغالون في أثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا نحو عشرين ألف فارس * وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم اطباق يوظفون فيها المعلمين من حفظة القرآن وكان المملوك يدخله سيده أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة بحسب قابليته فقد يترقى في الخط ومعرفة القرآن والفقه وأمور دينه ثم يترقى الى معرفة الثقاف والصراع ورمي السهام ثم يترقى الى الفروسية الى أن يتفرس في كل ذلك ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة فكان خيال السلطنة في دماغ كل واحد منهم من حين يجلب الى السوق ليباع الى أن يموت حتى ان واحدا من الجلبان جلب وهو حقير فاحش الفروسية فاحش العرج فقال للدلال بيعه هل ولي الاقرع الاعرج سلطانا في مصر وبالجملة فقد كانوا طوائف سوارج لهم سماحة وحماسة وصداقة لمن صادقوه وكانت أرزاق مصر بيدهم وكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانوا بيد فقهائهم ومباشريهم وكانوا ينخدعون فيرتب لهم مباشر وهم النصرانية مصارف فيكون للجندي فقيه يعلمه القرآن وامام يصلي به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندار وركابدار وجامدار ومهتار ومبراج ومكاليس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفكها وكانوا في رفاهية وكان أهل مصر يعيشون في ظلهم رغدا بحيث ان أسمطتهم كانت تكفي سائر جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر النفائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا الى العوانية المفسدين واخلوا بشعائر الشرع والدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار

وأقام مقامه بمكة السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وخرج هو ومن معه وباتوا بالوادي وسرح قاصدا للمحل المسمى بالجام وتقدم قبله بعض السادة الاشراف ذوي جود والسيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي متقدما عن رفقائه فلما اختلوا به سألوه فقال قصدي مواجهة الشريف فأرسلوا الى الشريف سعد وعرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف لا أحد منكم يدخل محسن بن عبد الله ثم لما وصل السيد محسن وأقبل على الشريف ترجل وترجل أيضا الشريف سعد وتزاد هو والسيد محسن ثم قال له من أين جئت فقال من عند الربع وقصدي الصحبة فقال له الشريف سعد لنا عليك عين فقال أحلف قال له الغزو الذين معكم قد خرجنا قصدهم اخبرني عنهم اين يقصدون قال لا علم لي بهم فحلفه على ذلك ثم أراد ان يحافه ثانيا فدخل على السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى فأدخله وتكلم مع الشريف سعد في شأنه فقال له احفظه حتى ننفض من غزونا فأرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادي ومشى الشريف سعد والاشراف في طلب القوم الى ان وصل الى الجام فسأل عن الاشراف الجلوية والغزو الذين معهم فأخبروهم انهم أخذوا على البقاع وقصدوا درب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدة وباتوا فيها فجاءهم هيتمي وأخبر الشريف بان الاشراف الجلوية غزونا ونهبوا المال وجمعا فقال له الشريف سعد أتعرف محلهم قال نعم قال انت الدال عليهم فسار وا بجيشهم وجدوا في سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقبلين وجميع ما أخذوه من هيتم عندهم فأقبل عليهم الشريف بمن معه من الاشراف والعسكر وكان معه كتخدا الوزير سليمان باشا وبعض أشخاص من اتباع الوزير واقتتلوا معهم فقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب هنيدس شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه فنهب الشريف ومن معه من الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبنادق وغير ذلك وردوا على هيتم جميع ما أخذ منهم وردوا أيضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم الاحد سابع عشر ربيع الثاني ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين فدق الزير وألبس البشير على معتادهم وركزت علامة النصر في بيت الشريف على مجرى عادتهم وفي هذا اليوم نزل الشريف على السيد مبارك بن يعلى فاستاذنه وأصبح يوم الاربعاء بمكة وجلس للناس واما السادة الاشراف الجلوية فاستمروا خارج البلد الى أواخر جمادى الثانية وفيه اصطلحوا مع مولانا الشريف وكان الساعي بينهم بالصلح السيد أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد حسين بن زين العابدين بن عبد الله وتوجهوا الملاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهر ويكونوا اسوة رفقائهم وان

الظالم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿وكانت﴾ مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة • وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحبس في الكرك ثم انسحب من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتبع أعداءه ومن خرج عليه وخالفه الى ان استأصلهم ومات قاله الزمان وظن أنه آمن وأين الامان من يد الدهر الخوان ومالت شموس سلطنته الى الزوال واعتق بدر حياته ولا بد من المحاق بعد الكمال وبرق برق الزوال على برقوق وشاهد الانفصال ﴿فعهد بالسلطنة الى ولده السلطان فرج بن برقوق﴾ وطلب الخليفة والقضاة والامراء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة أعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسي لتدبير المملكة وتوفي الى رحمة الله في ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفي ذلك يقول أحمد المعري الشاعر

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك
الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج

وقالوا ستأتي شدة بعد موته
فاكرمهم ربي وما جاءهم فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألف ألف دينار ومن القماش والاثاث ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارهة ستة آلاف ومن الجمال البختية خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه في كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول • وفي أيام الشريف الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة • وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوي سراجا موقدا في خلوته وبرز عنها فسحبت الفأرة الفتيلة قتيلة السراج منه الى خارجه فأحرقت الخلوة واشتعل اللهب في سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والتهب به وعجز الناس

ما مضى لا يعاد واستمر معهم على الاتفاق والمحبة وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية اقامة ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة و ينزل عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العالية فاجيب الى ذلك وجاءه الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع آغاة مخصوص وأدخلوه مكة بالاي أعظم وجلس في الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضي والمفتي وأعيان الناس فورد الاغاة الى الحطيم بالامر السلطاني والتشريف فلبس مولانا الشريف سعيد وألبس أرباب المناصب على جري العادة وباب الكعبة مفتوح الى ان انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحاج والرعايا والمجاورين كما هو العادة ودعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي واقتضى رأي مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة في المدرسة لقربها من المسجد فدخل مولانا الشريف سعيد فقبل يديه وركبتيه وهو يدعو له وعينا كل منهما ذرفتان بالبكاء من شدة الفرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره التي بسوق الليل للمباركة ومدحه الشعراء بقصائد

•(الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣)•

ولما كان يوم السبت طلع الاغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد وألبسه اياه والوارد عليه من الابواب زيادة في الاكرام والعناية وخوطب في كتابه بغاية التشافة وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ما قبلها كان بغير أمر سلطاني ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد للبس الخلعة وخرج معه والده فلبس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع في هذه السنة ان أمير الحاج الشامي ذهب لبلك باشا عسكره غلام وذهب لابن أخت الباشا صاحب جدة غلام فصار كل واحد يسأل عن غلامه فجاء خبر لابن أخت الباشا ان غلامه عند بلك باشا العسكر الشامي معز وزافر فركب ليأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامي أمر بأخذه في الحديد فأخذ وجعل في الحديد وخرج الباشا بالمحمل يوم عشرين وهو معه في الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد نزل الى جدة لاستلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعيد الى الباشا يشفع في اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضي مكة فلم يقبل وسار به معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا غلام بلك باشا العسكر الشامي فاخذ الغلام ولم يطلق المعتقل وسار به الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة وفكه بنحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى جدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتنافر مولانا السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا

عن طفئه لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامي واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالي الى ان انتهى الى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام يعني عام حريق المسجد الحرام وخرب عمودين من اساطين المسجد الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سبب الوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق الى باب العجلة وسلم الله تعالى

باقي المسجد الحرام وكان ذلك من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي فصار ما احترق من المسجد الحرام اكوابا عظاما تمنع من رؤية الكعبة الشريفة ومن الصلاة في ذلك الجانب من المسجد وقال النجم بن فهد وتحدث اهل المعرفة ان هذا منذر بحادث جليل يقع في الناس وكان ذلك مقدم وقعة الخروج العظيمة بقدوم تمرلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم ونهب اموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور في التواريخ المفصلة (قال الحافظ السخاوي) في ذيله على دول الاسلام للذهبي رحمه الله تعالى وفي آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع بالحرم المكي حريق عظيم اتى على نحو ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا وصارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كافواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العجلة عدة اساطين وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة رحمهم الله وقال الفاسي رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهري وكان قدومه الى مكة لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو امير الحاج المصري وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحجاج من مكة شرع في تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض وكشف عن اساس المسجد الشريف

الشريف سعيد الامر اقتضاه فخرج مغاضبا وخرج لخروجه جماعة من بني عمه آل بركات ثم تسع الخرق فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل حسن وآل قتادة وعظم الاسباب لتجميع المطالبة في المعاليم واخذ كل لنفسه اجله وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على اتحاد الكلمة فقام مولانا الشريف سعد ساعيا في الصلح بينهم وبين ولده وقام معه في الصلح جماعة من الاشراف واجتهدوا غاية الاجتهاد فما امكن وتقطعت بسبب ذلك السبل ونهبت الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال اخذوه وقتيل نبذوه ثم ان الشريف سعدا ذهب اليهم بنفسه بوادي مر وضمن لهم وفاء جميع ما انقطع لهم من المعلوم وقال لهم ان ألزمت ولدي بتسليمه الآن اعتذر بالعجز وحسن لهم اخذ البعض وعينه لهم ومنى وانا الكفيل لكم لسائره فرضوا بذلك وشرطوا عليه شروطا منها الا يؤاخذوا بما وقع في الطريق من النهب والقتل ومنها انهم يكونون على ما تعاهدوا عليه من غير نقض ابرامه ومنها انه اذا ايتم ما التزمه لا يكون بدلا معهم ولا يكون فيمن وانت عليه فضمن لهم كل ذلك وقبلوا واختاروا ان يدخل مكة معه جماعة منهم ملاقاة ابنه الشريف سعيد فدخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن اخيه السيد عبد المحسن بن احمد ابن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى وحسن بن غالب ومسعود بن يعلى فدخلوا وقابلوا الشريف سعيدا وبدؤا عليه في دار السعادة وخرجوا من عنده ولم يفاتحهم بشيء وعرض الشريف سعد على ولده ما قرره بينه وبين بني عمه فامتنع وابى وقال لي احاسبهم على جميع ما اخذوه من الناس من الاموال واحسبه من معاليمهم ولا بد ان ينفكوا عن هذا الخلاف الذي بينهم وبينه ما كل واحد وحده فلما بلغهم ذلك رجعوا الى مر الظهران ونقموا عليه بعد ان الزموا الشريف سعدا ان يعطيهم ذلك ووفاء بالشرط ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس الى قضاء شعائر الحج وفي ذلك الوقت تصدى الوزير سليمان باشا صاحب جدة لتسكين هذه الحركة الفتنة الطامة وبذل في ذلك الهمة فكاتب السادة الاشراف ووعدهم وضمن لهم خلاص ما هو لهم في الذمة من المال وبذل لهم ما وسعته قدرته في الحال وشرط عليهم حفظ طريق جدة ورعاية من بها من الغرباء والواصلين كي لا يفوتهم الحج ففعلوا ما شرط عليهم وآمنوا الطريق وسارت القوافل الى صارو يمشون مع القوافل بانفسهم الى ان تدخل مكة ذهابا وايابا ثم ان سليمان باشا اخبر مولانا الشريف سعيد بما وقع وقال له اني التزمت لهم في ذمتي بخلاصهم فاجابه بان ما فعلته هو الصواب ثم ان الشريف سعيدا بعث الى الاشراف وكانوا نحوا من ثلثمائة شريف بانهم ان يعرضوا معه في خروجه الى امراء الحج على جري العادة فامتنعوا ولم يعرض منهم احد الا بعض اشراف كانوا في عدة لم يتجاوز الثلاثين فلما

وعن أساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامي منه الى باب العجلة فظهر أساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة فقفاها وأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وبناها حتى رفعها الى وجه الارض على الشكل زوايا قواعد وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يضع على آخر منحوت مثله دائرة تامة في محل ثاني ذراع ويدفنت على قاعدة مربعة منحوتة على شكل التقاطع الصليبي على وجه الاساس المرتفع على الارض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المذكورين (١٣٠) وسبك على جميع ذلك الرصاص الى أن انتهى طوله الى طول أساطين المسجد فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذينك العمودين من فوق طاق يعقد الى العامود الآخر ويبنى ما بين ذلك بالآجر والجص الى أن يصل الى السقف الى ان تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة التي من الجانب الشامي الى باب العجلة فأكملوها بخط من عمد الرخام الابيض موصلة بالصفائح من الحديد الى ان لا قوة به العمد التي نزعوها من آخر الصوان المنحوت عدم المقدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربي وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكانت عمارة هذه العمد في أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة ولم يبق غير عمل السقف وأخر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة اذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخير اكماله الى احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس الامير بيسق على سرعة تمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان ورجع الامير بيسق في ذلك العام وعاد الى مصر ليجهز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل الى مصر في أوائل سنة خمس وثمانمائة وكان صاحب مكة يومئذ جد سادات اشراف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله

أول الحج والامراء انتقلت الاشراف الى الحمراء يؤذي من خلع الناس وهم في غاية الخوف ولم يحج من أهل مكة الا اليسير وظنوا ان الاشراف يدخلون مكة والناس بعرفة فلم يكن ذلك بل التزموا الهوادة لاخذه عليهم الوزير سليمان باشا صاحب جدة فلما سافر الحج وأدبر النفر أخذ الاشراف في الارتحال من الحمراء ونزلوا بالزاهر في السادس والعشرين من ذي الحجة فشعر بهم الشريف سعيد وأرسل اليهم الى الشريف ضيفوكا وامين جاءهم السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر فجاء الى المحكمة ومعه السيد عبد الله بن حسن بن جود الله وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد فشهدوا على توكالة وكان الشريف سعيد قد نزل قبلهم الى المحكمة وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد البكري أحد السادة البكرية المقيمين بالشام لا المصريين فادعى السيد عبد الله بموجب وكالته عن جماعته على مولانا الشريف سعيد بأنه منعهم من حقوقهم من مداخيل البلاد وعاداتهم لم يعطهم ما يستحقونه واختص بكل ذلك دونهم مع شركائهم فيه وقد مضت قواعدهم من زمن الشريف قتادة بذلك وانهم لا يعاملوه الا على ذلك وان بذلك قوام معاشهم فانكر ذلك مولانا الشريف سعيد وقال ليس لكم حق وانما تأخذون من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة خاص به واتسع بينهم المقال بحضرة القاضي والعلماء بما لا يليق بمقامهم فتأثرت نفوسهم بزيادة ثم انقضى المجلس على غير طائل ورجع الاشراف الى جماعتهم بالزاهر بعد ان اجتمعوا بالشريف سعيد ونسبوه على دعواهم الى القاضي واعتذر وحلف انه لا علم له بهذا القصد فقبلوا عذره ثم ان الشريف سعيدا ركب بنفسه وخرج اليهم في الزاهر وخاطبهم في قومه واستعطفهم وقال هو ها لاجلي تصيرون في حقكم معه وأنا المطالب بجميع ما هو لكم فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به لهم فلما دخل بهم البلاد أراد ارتداده فدعاه وكان ذلك آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخل عقب ذلك المحرم من سنة ست عشرة فرجعت الفتنة وأشعلوها يوم الثالث فانتشر عبيد الاشراف بأعالي تلك الجبال وحشوا الغارة وملكوا تلك الجبال من الجبل الطال على تربة العيدروس بالشبيكة وانتهوا الى أسفل جبل عمر من المسفلة ومن جبل قعيقعان الى الجبل الطال على سويقة وأخذ باطنه الشبيكة جماعة من الاشراف حتى انتهوا الى مقبرة الشبيكة ووصل جماعة من العبيد الى جهة المعلى فملكوا الجبل المطل على الوادي بحيث لا يفوتهم الصاعد من هناك وبات الاشراف في مضاربهم فلما اشتدت الحركة انتقلوا من الزاهر الى ذي طوى ووقفوا هنالك وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت عتاقي أفندي في الشبيكة وكان يعرف ببيت عبد الباقي الشامي فوانسبه فاغاروا فيه وجعلوا يضربون

عهده صوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه وهو الذي يقول فيه شمس
الدين بن المقري الشافعي صاحب الارشاد والروض وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويعرض بصاحب اليمن يومئذ

أحسنت في تدبير ملكك باحسن * وأجدت في تمكين اخلاص التقى
الى أن قال
موسى هو بلا شك نازله * في الحرب لكن أين موسى من حسن
هذا الذي عين وما ساماته * عين ذاق الشام الدع اليمن

ومن جملة خيراته وآثاره انه لما رأى رباط رامشت ومال اليه أمره بعد الطريق الى ان صار سبالة بلغه لحل أمر بدنه رباطا للفقراء كما كان صرف من ماله عليه الى ان عاد أحسن من الاول وزالت السباطات من ذلك المكان (١٢١) واتصل الحرم الشريف وتضاعفت أدعية الناس له بسبب ذلك والله يجزي المتصدقين ويسمى الآن رباط الغاص لانه رممه وعمره بعد شهرته في أوائل القرن العاشر وهو من طائفة المباشرين في ديوان السلطنة بمصر في خدمة السلطان جقمق العلائي ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله * وفي سنة سبع وثمانمائة قدم الى مكة الامير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره مما تشعث من سقف المسجد الشريف من كل جانب ونهض الى هذه الخدمة وأحضر الاخشاب المناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيأ ما يحتاجه السقف ونقشها بألوان وزوقها واستعان بكثير من خشب العرعر الذي يؤتى به من جبال الحجاز من جهة الطائف لعدم وجود خشب الساج يومئذ في مكة وبذل همته واجتهاده الى ان أسقف جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام وأكمله بخشب العرعر المذكور ورمم معه بعض الجانب الشامي أيضا الى باب العجلة فتم عمارة المسجد الشريف على تلك الاسطوانات المعروفة من الحجر الصوان وعلق في تلك الاسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل في الرواق الوسطاني من الاروقة الثلاثة على حكم سائر المسجد الحرام غير الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي الى باب العجلة كان في كل عقد من العقود التي تلي صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل احداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل وأما هذا الجانب الغربي فكانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت عقوده لم تركب فيها هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن

يضربون من أقبل عليهم فتهيأ الشريف سعيد للخروج عليهم وجمع الجند وفرق البنادق ووجه
جماعة في دار السقاري وجماعة في دار الشيخ عبد الله العمري في الشبيكة وجماعة في منارة باب
عسكر المصري ومن عسكر الينيچرية ثم أحضر بقية عسكر مصر من متفرقة وأسباهية وعرب
والقشارية فركب وركب معه خاصته من الغلمان والوصفان وأراد الخروج
فلم يتمكن من ذلك ووقف بسوق الصغير ووصل الرمي من جبل عمر الى شبيكة فوقه بل أصاب بعض
الخيل بعض ذلك الرمي واستمر الى ضحوة عالية وكان من القدر انه حضر عنده القاضي الحنفي
وبعض العلماء وأخذوا من القاضي حكما حكم به انه لا يجوز عزل من ولاه السلطان ويجب على
العامة ان يقاتلوا معه هؤلاء الجماعة وأمروا مناديا ينادي في شوارع مكة فاضطربت الناس وهو
ينادي بالنفير العام حسبما رسم شيخ الاسلام فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة وهو اذ ذاك بمكة
وجاءه الحكم وتأمله امتثل الامر وأطاع وخادع خداعا وبعث نحو ثلاثين مدرعا من أتباعه مع أحمد
فلحقوا بالشريف سعيد وأحمد محمد بن جهور العدواني الحكم وطلع به الى أمير العراق فأعانه بنحو
مائتي عسكري فخرج بهم من ربع اذاخر وعطف على الاشراف بالزاهر وقرع الاشراف
الاول رميهم فهمدت الفتنة ساعة فانتهزها الشريف سعيد من سوق الصغير وسار بمن معه من
عسكر الباشا الى ان وصل بيت عتاق افندي الذي فيه العبيد المعروف ببيت عبد الباقي الشامي فلما
وصل الى البيوت المسامتة لذلك البيت رده من كان فيه من العبيد السابق ذكرهم فوقف وقتل
هناك بيرق دار الانقشارية وعبد من عبيد الشريف وجرح آخرون من جماعته وطال وقوفه ثم
ثم عطف على سويقة على بيت الباشا وأمر بجر مدفع ونصبه الى قريب من بيت عبد الباقي
الشامي ورمى به على البيت ففر من كان فيه من الاسطحة وهربوا فكر عند ذلك وحصل من خيالة
الخلاط على من كان هناك من الاشراف حول بيوت الشبيكة وقتل عبد لعبد المحسن بن أحمد بن زيد
وصوب فرس السيد مبارك بن زامل فحول عنها وتركها وأصيب السيد محسن بن حسين بن عبد الله
ابن حسن برصاصة في رجله فقطعوا بعد ذلك من الاختلاط وافترقوا عن البلد هذا كله والشريف
سعد واقف تحت دار السعادة يتحرك كالغلام ثم حضر له طعام ومعه ثلاثة أو أربعة من الاشراف
ثم لحق بولده وساروا حتى وصلوا جبال أبي لهب فلحقوا من الاشراف بعيان وفرق حول
مضاربهم فامتنع الفتيان من القدوم فأقام الاشراف ثمة ثلاثة أيام ثم تسللوا الى الحجاز فقدم
الشريف سعد ونزل عليهم وشيع المشايخ منهم واستعطى منهم ذلك القدر الذي يطالبه
لهم فسمعوا بكرامة لجيشه اليهم والتزم لهم العوض وأصلح الامر على ان يأخذوا الآن من

الاروقة تحت العقود البرانية منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم أطلع على ذكر فائدتها أولا كيف كانت ومن بطلت وأكل عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الشريف وأصلح الامير بسق جميع ذلك بالخشب والاسورة في سطح الاسقف وأكملها وسواها وأتقن عملها وعمر ما في صحن المسجد من المقامات الاربعة على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الاموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام الناصر زين الدين أبي السعادات

(١٣٢) فرج بن برقوق بن أنص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة

وكانت سلطنته بعهد من أبيه عند وفاته ثم تقدم بيعة يوم الجمعة منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وكان الامير الاتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الامير شيبك خزندارة فوقع بينهما منافرة أدت الى مشاجرة ثم الى مقاتلة فانكسر ايتمش فهرب الى نائب الشام الامير تنم الظاهري فجيشا جيوشا الى مصر لقتال الناصر وشيبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا أمامه واضطربت أحوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تيمرلنك الى بلاد الشام وأخذها من سودون الظاهري وأسره وقتله ونهب بلاد الشام وأخرب ديارها وادار وخرج الناصر فرج بجيوشه من مصر لقتال تيمرلنك فوجده قد رحل عن البلاد وتوجه الى بلاد الروم فأعطى الشام لنغري بردي وعاد الى مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بعد موت الامراء الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلفت الكلمة واضطربت الاحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الى أن ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين فلما أصبح الامراء وفقدوا السلطان أقاموا في السلطنة أخاه

الملك المنصور وعبد العزيز بن برقوق بن أنص الجركسي ثالث ملوك الجراكسة

فتلاشت أمور المملكة في أيامه لصغر سنه واختلاف أمراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكان مدة ملك المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه أمراء من مماليك أبيه وأخذ القلعة بالحراب

الشريف سعيد مشاهرة شهر واحد وطلبوا منه الدخول معه الى مكة وملاقاة الشريف سعيد فدخل معه كبارهم ضحوة النهار بعد أخذهم مهلة وكفالتهم من تركوه من جماعتهم فأضافهم الشريف سعيد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الاطعمة وأقاموا بمكة أياما قلائل وقعوا على طائل فعند ذلك رجعوا الى الحسينية الا أن السيد أحمد بن زين العابدين ومن في عمالته والسيد أحمد بن حازم ومن في عمالته والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عمالته نقضوا ما أبرموه مع القوم وعزموا على الجلاء بعد أن ودعوا أطوارهم على عادتهم وأما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم ابن يعلى فأراد المقام بمكة رجاء أن يكون الصلح فيما هم في المشاورة اذ جاء الخبر أن الاشراف أخذت قافلة عظيمة خرجت من جدة وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال فاشتد غضب الشريف سعيد ووالده الشريف سعد وقالا لمن كفلهم من بني عمهم أعطوا الحق من أنفسكم فانكم كفلتم هؤلاء الجماعة أياما معدودة واستردوا منهم ما كانوا أعطوهم مما شرطوا لهم فعسر استيفاؤه ثم ان السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد خرج اليهم حيث لم يتم ما أراده من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة ثم ان معها السيد مبارك بن حمود خرج معها من جدة وأودعه الباشا الشريف سعيد في كتاب كتبه اليه ومعه من العسكر الصارجية والعثمانية نحو الاربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب جدة قد نزل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وكان خروج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى الاشراف في التاسع والعشرين من محرم فوجدهم قد انتقلوا الى الحسينية وكانوا عند بئر شميس فاحتالوا على السيد مبارك بن حمود ونحوه ممن كان مع القافلة وقبضوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها فلما رأى السيد مبارك منهم ما رأى وكان مباركا كاسمه نزل عن فرسه ودخل مكة راجلا ونزل على السيد مساعد بن سعد وكانت قافلة عظيمة موفورة وفيها من كل الانواع وقتل من الصارجية نحو خمسة عشر وأخذت خيولهم وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم بضعا وثلاثين ولم يسلم الا من هرب واستجار بعض بني الاشراف فسلم من كتبت له السلامة ثم وجدوا ربان ماله وأخذوا القافلة بالرماح ونادوا الجمي على الفلاح وأغلبهم كانوا شبابا بالفلتان ووصل اليهم الشريف عبد المحسن جعلوا كبيرهم اليه واعتمدوا في تصريف الامر اليه وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد فرضي بعد تأب شديد ثم ارتحلوا من الحسينية ونزلوا ماء قريبا من جدة يقال له غليل مصغرا وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه فأمرهم بدخول جدة فدخلها مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هزاع والسيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الاشراف وأقام الباقي بغليل فأرسل الباشا كتابا

من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة ونفى أخاه الملك
المنصور عبد العزيز وأخاه لامه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة واتهم
الناصر بقتلهما والله أعلم . ثم صار الملك الناصر فرج يتتبع أعداءه من الامراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد فتجمعوا عليه
وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه الى الشام فتعصبوا وتكرر ذلك وهم يفرون عنه وهو يتبعهم في ذلك مع غاية
الاحتراز منه والهرب خداعا ومخالفة الحلم العظيم والجمع الكثير لا استطاعة الى أن مل منه الخلق والاتباع وتفرقوا عنه
وسئموا عن الاتباع وهو يتبعهم بالجد في الطلب الى أن بادروه وهو ظافر بهم بعد (١٣٣) التعب والنصب وهو ومن معه أتعبوا
خيولهم في طلب العدو
من العشاء الى الصباح
وأشرفوا في الصبح على
الامراء العصاة عليه وهم
بطول الليل في الراحة
والارتياح فحمل السلطان
الناصر فرج ومن معه
وهم نفر قليلون حقيرون
على أمراء العاصين له
وهم متوفرون كثيرون
فتبعه أصحابه من هذه
الجهة وعلموا انه ومن
معه في غاية التعب والقلة
فلم يطعهم وأطاع غروره
وجهله واعتز بشجاعته
وخوله وظن أنه لا يقابله
أحد لمرتبته وطوله ولا
يقاتله أحد لهيبته وزوله
فدلاه خياله الفاسد بغرور
وخاب ظنه كما تخيب ظن كل
مغرور وخانه الزمان
الجائر ودارت عليه
الدوائر وخذله الدهر وما
كان للناصر من قوة ولا
ناصر وانقلب اليه نصره
وهو حسير وظفر به
عدوه الظافر وقيد وهو
أسير كسير وقتل وما للناصر نصير وما منه مخرج فرج الا بشرى الشهادة وان الله لعفو وخانه المشاعلية بأن كا كي الى أن
انقطع منه الوتين وسكن منه الانين فصار عبرة للناظرين وموعظة لنفوس أولي الالباب في ليلة السبت منتصف شهر
صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة وأتى بعد هذا القتال على مسابطة مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس ينظرون الى ذلك
البدن الممتهن والجسد العاري الممتحن وذلك مما أعظم العبرة وأكبر المحن الى ان من الله عليه بعض الانام بعد عدة أيام
فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب في مقبرة باب الفراديس ونال الله سامحه واسكنه الفراديس والرجاء من الله
الكريم ان يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وان الله علام الغيوب ومن العمائر الحرمية في أيامه تجديد عقد المروة بعد

للشريف سعيد والى والده الشريف سعد وملخصه ان السادة الاشراف نزلوا على جدة وقصدهم
محاصرة جدة ومنعهم أهلها من المأكول وحصل منهم خلاف على البلد وليس لنا قدرة على
دفعهم وانه قصدنا ان تخرجوا اليهم ونحن ومن عندنا معكم أو تردوهم اليهم ما نقول لهم ان يرجعوا الى محلهم ويدفعوا
من الضرر عليكم وعلينا ويدخلون تحت الطاعة وان كنتم تعجزون عن ذلك وتخرجوا من البلد فقد
تعين لها من يقوم بحفظها فردوا له الجواب ليس لهم عندنا الا السيف أو يرضون بالحيف فلما جاء هذا
الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد هو وجماعة من الاشراف
وحضر قاضي جدة وجماعة من أعيان الناس فألبسه الوزير فروا وخلع ولاية شرافة مكة ودعت
له الاشراف بالعز على قواعدهم السابقة فخرج من عنده في أبهى حلية والخلق بين يديه من عسكر
وغيرها ومعه الاشراف الى ان وصل سبيل محمد جاوش خارج جدة ثم نادى المنادي في شوارع
جدة وغيرها له بالامان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على البندر ورفع يد وزير
الشريف سعيد وجميع المباشرين الذين من جهة الشريف سعد وأجلس آخرين غيرهم ثم ان
الوزير سليمان باشا أمد مولانا الشريف عبد المحسن كل ما يحتاج اليه الملك من نوبة وبيرق وسعاة
وعساكر دباتة وخيالة وقام بما يلزمهم من الملبس والمطعم وغير ذلك وأخرج لهم الذخيرة الوافرة من كل
شيء وأرسل [illegible] على العساكر فصرف مولانا الشريف على الاشراف معلوم شهر
وأرسل الى المدينة المنورة ينادي له فيها فنودي له بها وخطب باسمه على المنبر النبوي وكتب الى قبائل
حرب وغيرهم فأجابوا بالطاعة فأطاعه حرب وجميع الجهات الشامية وأرسل الى الحجاز واليمن وسائر
النواحي فأجابوا بالطاعة ثم ان الشريف عبد المحسن أرسل أخاه عبد المطلب بن أحمد بن زيد ومعه
السيد عبد الله بن حسن بن جود الله والسيد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم مع آخرين قاصدين
بالطائف وأقام السيد عبد المطلب بالطائف ثلاثة أيام ثم وصل اليه السيد عبد الله بن سعيد بن سعد
ابن زيد ومعه من الخيالة وبامنجو الحسين ومن الاشراف محمد بن حمدان وجماعة من ذوي حسين
السيد عبد المطلب بن أحمد لقتالهم وجمع الجموع فأتاه أحمد بن زين العابدين مثبطه الكتب جاءه من
الشريف سعد وسعيد وحسن له الخروج فأبى ثم خرج من الطائف ليلا ودخلها السيد عبد الله
ابن سعيد ومن معه ونادى فيها باسمه وأما السيد عبد المطلب فانه نزل الاخيضر مع بعض
البادية وكرهم في الطائف فأتى السيد عبد الله بن سعيد لقتاله فأتاه السيد زين العابدين
وقال له ان الشريف عبد المحسن ولي مكة وعزلوا أباك وهذا أخوه عبد المطلب يريد الزحف لا محالة
فأبى وقال هذا كلام لا أسمعه ثم اتفق رأيهم على دخول عبد المطلب مع بقاء عبد الله بن سعيد

سقوطه في سنة احدى عشرة وثمانمائة ومن مهمات ما جرا السقي الخواجا حسين بن احمد التبريزي انه اوصى في مرض موته ان يصرف على
عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضأة الصرغتمشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام
المذكور ووقع في أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان بنكالة من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر
شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة
ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أهل الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت
المذكور بأوراق سلطانية الى مولانا السيد (١٣٤) حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد ساداتنا الاشراف الآن جل الله
بوجودهم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثي الى مولانا السيد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هدايا جليلة اليه فقبلها وأمره أن يفعل ما أمر به السلطان غياث الدين لكنه أخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاد آبائه ووزع الباقي على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فعمتهم وتضاعف الدعاء له على الخير والدال عليه كفاعله واشترى ياقوت الغياثي لعمارة المدرسة والرباط دارين متلاصقتين على باب أم هانئ هدمهما وبناهما في عامه رباطا ومدرسة واشترى أصيلتين وأربع وجبات من عين الركاني وجعل لها أربعة مدرسين من اهل المذاهب الاربعة وستين طالبا ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسمائة مثقال ذهبا
وقفها على مصالح الرباط وأخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان في الدارين اللتين بناهما رباطا
ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركاني اثني عشر ألف مثقال ذهبا وأخذ منه مبلغا لا يعلم قدره كان جهزه معه
سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون ألف مثقال ذهبا وكان السيد
حسن عين أحد قواده وهو الشهاب بركات المكين لتفقد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما
الى أن جرت عين بازان فيهما • وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثي خادما يسمى حاجي اقبال
أرسله بصدقة اخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهز معه مالا ليبنى له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جماز

من غير قتال ثم يكشفون الخبر ويرسلون الى مكة فان كان الامر غير صحيح فلك منا ان نخرج عبد
المطلب ونحن الكفلاء بهذا فوافقهم على ذلك ثم انه خرج ليلا بمن معه من العسكر والعبيد ووصل الى
أبيه وتخلف عنه محمد بن جازان بالطائف فدخل السيد عبد المطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا
واستمر هنالك الى ان دخل أخوه مكة هذا كله والشريف عبد المحسن بجدة فجمع الشريف سعد
والشريف سعيد جماعة من العلماء ومعهم القاضي والمفتي وقوم آخرون وتفرق المجلس على انهم
يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأغلظوا فيه الى ان قالوا ان بيدنا فتوى
المفتي وحكم بموجبها قاضي الشرع بكفر من تجرى على عزل من ولاه السلطان على بلد اذا كان بيده
أوامر سلطانية وانه لا يعزل الا بعزل السلطان وانه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف لك
بالعزل والتولية مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد دخيل الله بن حمود
ومعه جوخدار القاضي فلما ان وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدي من السلطان مصطفى بن
السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولي من أرى فيه الصلاح لمكة
المشرفة فلما علم السيد دخيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من
جملة من عامله وجاء بالجواب جوخدار القاضي بما قاله الوزير المذكور فاغتاظ الشريف سعد وابنه
الشريف سعيد وأرسلا يطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل
اليهم ان كنتما تريدان ذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضي ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون
على ما بيدي من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوسائط الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من
جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الاول ومعه الجموع والاشراف الى ان وصل
وادي الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذي طوى
وأخذ الشريف سعيد ما يلي الحجون ومعه عبيده وجماعة من النفعة ومعهم محمد بن جهور العدواني
شيخا عليهم وفرق على الجبال المطلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يافع والجبالية ولما كان
يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس
بالزاهر وأمر بعقر آباره وكان قد طمها الشريف سعيد فلما التقى الجمعان حمل بعض جماعة
الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزالوهم عنه
وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكري آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل
صوب لآخرين وأما النفعة مما يلي جانب الشريف سعيد فجاءتهم بادية من جماعة الشريف
عبد المحسن فأثخنوهم قتلا وجرحا وضربا وطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل ورجعا رمت بعض

عسكر

الحسيني فانكسرت السفينة التي فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فاخذ مولانا السيد حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر
على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم واخذ ما يتعلق بالسيد جان الحسيني لانه عصى وظهرت منه شناعة بالمدينة الشريفة من
أخذ مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبرا بعد ان أهانه وهو القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي
وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة خرشتانة وسندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا كلها
مملوءة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام وأراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فمنعه الله تعالى
ونهب العربان ما جمعه ومات لا رحمه الله تعالى فأرسل مولانا السيد حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا
وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان ابن عذير الحسيني وكل ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة • وفي سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع في أواسط رمضان اصلاح مواضع في سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى أسفلها ومنها مواضع عند الطابق التي على الدرجة التي يصعد منها الى سطحها ومنها مواضع عند الميزاب وكان الفتح الذي في هذا الموضع متسعا مضرا يصل الماء منه في وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذي بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان ووضع بقرب الروازن التي للقبور وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجبس وكانت الاخشاب المطيفة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك
وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان الا الروزن الذي يلي الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذي يلي الركن الغربي قد
تخرب بعض الخشب الذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة وكانت الكسوة التي عليه قد زال تسبلها
فشمرت وكان الروزن الذي يلي الركن اليماني منكسرا فقفله وعوض بروزن جديد وجد في أسفل الكعبة • قلت وهذه الروازن
لا وجود لها الآن فانها سدت جميعها وأصلح في الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل
شهر رمضان • ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم أحد من أمراء الجراكسة على التلبس
بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وحبا أن يقدموا على قتله فأتوا الخليفة العباسي وأبرموا عليه وسلطنوه بالجبروهو (المستعين

عسكر الشريف عبد المحسن عدا من معهم على جماعة الشريف سعيد فأرسل الشريف سعيد الى
مشايخ الحارات وأخذ منهم الزرابطين التي يطلقونها ليلة العيد فرمى بها على الجبال فأصاب
مضرباقيه عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باستخراج مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة
فأخرجوه وساروا به الى طوى فطلعوا به الى قلعة وحشوه وأطلقوه فما أفاد الا الصوت وغارت بعض
شبان من جهة أشراف الشريف عبد المحسن الى بطن الوادي تطلب البراز من الشريف سعيد
فضرب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حمود برصاصة في كفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع
الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله ومبارك بن حمود وعلي بن
أحمد بن باز وبشير بن مبارك بن فضل وقد حصر وامعه بالحجون ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم
الرابع ظهرت الغلبة للشريف عبد المحسن وضاق الامر على الشريف سعيد فنزل حمود يوم الاحد
المذكور الشيخ سعيد المنوفي والسيد علي ميرماه وأتوا الى القاضي ما ساق الشريف سعيدا وأمروه
بكتابة حجة بالنفير العام فكتب لهم حجة بذلك وأمر مناديا ينادي في الشوارع كل من لم يأت الى
محكمة القاضي الآن فهو منهوب الدار مصلوب بلا اعتبار فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية
بالمسجد الحرام فقرأ عليهم المنوفي الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة ومضمونها ان الشريف سعيدا
قد ولاه السلطان مصطفى شرافة مكة وأيده السلطان أحمد وقد رأيتم ما صار عليه من هذا الباشا
فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق فيما هو كذلك
اذ صاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل وانطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المنوفي
والقاضي ومن معه وفرت العالم من المسجد فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر
للشريف سعيد واخباره بما وقع فخرج ومعه المنوفي والسيد علي ميرماه وجماعة من العلماء والمفتي
وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى في هذا الامر وقال من
أمركم أن تنادوا في العامة واتفق الرأي هنالك ان يكتبوا كتابا لكخيه الوزير سليمان باشا خطابا
من الشريف سعيد وأبيه بان لهم عليه دعوى الى القاضي فان لم تجب وتمثل كفرت وأرسلوه مع
درويش كان حاضر المجلس وقال لهم أنا أصل بهذا الكتاب اليه بعد ان لم يوافق أحد على ايصاله
فأوصله ذلك الدرويش الى الكخيا المشار اليه فلما قرأه أشرفه على الشريف عبد المحسن فكتب
الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد نحن ان شاء الله غدا لا بد لنا من دخول مكة
والكخيا معنا وتكون الدعوى عليه بحضور نار الصحيحة تندولرسوله ولك ان تأخذ الحذر لنفسك
والخروج من البلاد وتترك مالا طائل تحته فان أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد برئت منك

الذمة وهذا غاية ما لكم علينا والسلام فلما جاءهم الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا طوارفهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿خروج الشريف سعيد من مكة الى الهميمة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة﴾

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادى والعشرين من ربيع الاول ونزل الهميمة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن حمود وشبير بن مبارك بن فضل وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات فى دار السعادة قال الشيخ أبو السعود السنجارى ابن عم صاحب التاريخ بعث الينا الشريف عبد المحسن ان نفرش له دار السعادة فطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك فقال لا بأس قال وكان واقفا معنا الى أن فرشناه وهو يأمرنا بمجانسة الفرش ولما ان فرش المحل خرج فى الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادى والعشرين من ربيع الاول وطلع الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد ان أودع طارفته للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

•(دخول الشريف عبد المحسن مكة متوليا امارتها)•

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد من أعالى مكة ومعه جموعه وهم فى الدروع الضافية واللامات اللامعة الصافية فى الآى أعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد وما انضم اليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه ولم يزل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط فى الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضى والمفتى والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما ان سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين قائم مقامنا فقد نصبناه بصدد من رأى فيه صلاحا للعباد والبلاد فمن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا الخطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا جميعا جميعا ثم بعد تمام القراءة تلا مرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطى الشيبى والرئيس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبد المحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئت له وجلس للتهنئة وقابل الناس بشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم وألبس الاغاوات وأرباب المناصب على العادة ونادى المنادى فى شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام واستمر والى اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد

بالله أبو العباس بن محمد بن أبى بكر العباسى المصرى) بعد التمنع الشديد منه فولى السلطنة فى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودى ثم خلع المستعين بالله وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ فى مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمود اليزدى وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار صاحب طبلخانة ثم مقدم ألف ثم ولى نيابة طرابلس ثم أمره تيمورلنك لما أسر نواب البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وتوجه الى قتالهم مرارا كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهيبا • وكانت أسواق ذوى الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل قدرهم • وفى أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الغرارة الحنطة وهى حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان غاليا فى جميع المأكولات بحيث بيعت الطاحنة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة • ومن أعجب ما وقع فى ذلك أن جملا كان لجمال يقال له الفار وفى حمله فوق طاقته فى جمادى الآخرة من تلك السنة فر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك • وفى هذه السنة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليمانى المتصل بصحن المسجد • وفى سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبى نمى بن بركات ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالى من المسجد الحرام البيمارستان الذى كان وقفا المستنصر العباسى فخرب ودثر فاستأجره من قاضى مكة يومئذ القاضى جمال الدين الشافعى اجارة طويلة مائة عام بأربعين

حروف

ألف درهم بورن مصر وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ماتخرب منه البيمارستان المذكور ويهدم مايحتاج الى الهدم ويرمم مايحتاج الى ترميمه وأن ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه مايحصل به النفع للفقراء وجدد به ابوابا وسهريجا ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة به والسكنى فيه لايزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فإذا اخلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم من بعدهما للارشد فالارشد من ذريته الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاء الدين أبو حامد محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما حكم فيه المالكي لان متأخريهم أجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما واستمر الى أن خرب ودثر فاستبدل مرارا آخر ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكجراتي ورباط الخواجا الظاهر واشتريت دور أخر وعمر في مكانها المدارس الاربع ويبعد مؤلفه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيرا من كان سببا في انشائها وسيأتي بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الى أن صفا له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع

حروف اسمه فنزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة ابن موسى بن بركات بن أبي نمي فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضي والمفتي والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

•(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)•

ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا اني نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة فانه أهل لذلك فأمر حينئذ القاضي عبد زاده المكي أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبد المحسن من ولاية مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما ارتضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به والباعلينا ثم أمر القاضي أن يسئلوا ثانيا هذا الاذعان منكم عن غير كراهة ولا اجبار على شرط أن لا تكلفوه مالا يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه مالا يستطيع وليس مرادنا الا الصلاح لبلادنا ونحن معه في اصلاح البلد وما وقع فيها من فساد فعلينا ازالته فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور فعند ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه فأتى بفروة فالبسه مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جري العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا بها ساعة وتعاهدوا فيها على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعا فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات بن محمد وجلس للتهنئة وخلع على أرباب المناصب والعساكر والحشم ونادى المنادي أيضا بالزينة ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودي له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء بقصائد وأجازهم هذا وأما ما كان من الشريف سعيد فانه توجه الى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا اليه مافعله به بنو عمه واستنجد به فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل بني ابراهيم واستمر بديارهم أياما حتى اجتمع اليه بعض عرب منهم ومن جهينة وآخرون من لفق هنالك فأخذ بندر ينبع وأنزل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالجابرية وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر واردبين حبا من حب لاهالي مكة وجدة كان هنالك من بقية

وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطعونا في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة * وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين ططر الظاهري في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم عمره وكان من مماليك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولا زال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الامراء المخالفين له وقدم المحالفين وله آثار جميلة ومقاصد حسنة جليلة * من أعظمها أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب تحمل له من خزينة مصر في كل عام وجعل ذلك له في مقابلة ترك المكس على الخضر والفواكه والحبوب وغيرها بمكة وأمر أن يكتب عهده واعترافه بذلك على سواري المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا باسقاط المكس الذي كان يؤخذ على الخضر والفواكه من المأكولات وان لا يكلف شريف مكة على أخذ القرض منهم والسواري المكتوب بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام الى الآن * ثم لما سخر الله للملك الظاهر ططر مملكة الشام وطلب عاد الى مصر فمرض في أثناء الطريق وصار يتمايل في مصر ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة ولا كمل فرحه بالملك وما أمهله الدهر بل سلبه الملك وأسلمه الى الهلاك وتوفي يوم الاحد لاربع مضين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوما

* وولي بعده في يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر * وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار أتابكه ومدبر مملكته الاتابك جاني بك الصوفي الى أن تغلب على الاتابك برسباي الدقماق فقبض عليه وأرسله الى سجن اسكندرية وصار أتابكا في مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه في يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما واستمر بعد الخلع عند والدته في القلعة الى أن توفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما * وولي

الجرابة وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمر ابنه بينبع الى أن جهز عليه مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله بن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف وعسكر فنزل بالصفراء على مبارك بن رحمة فكساه وكسا بقية المشايخ وأقام هناك يستجلب العرب ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوي بركات وذوي شنبر وآخرون من بني حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا في الزعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد الله بن محمد بن بركات ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم جوابا غير لائق فأيقنوا منه الخلاف فسارت الاشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بجماعته من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر فأتاهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم عجز وطلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة فألبس المبشر ودار على دور الاشراف كما هو العادة في خبر النصرة فألبسوه الملابس الحسنة وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبوه الشريف سعد فبعد ان خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة بجدة مكة ولا مكة وفاما ملاله ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبد الكريم بعث اليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فأجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحي الشرق ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومخلد والنفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصده وكيل الديرة السيد عبد الله بن حسين بن جود الله وكان معه من الاشراف السيد مبارك بن أحمد بن زيد وعبد الله بن أحمد بن أبي القاسم وجماعة آخرون كانوا بالطائف في عملة الشريف عبد الكريم وكانوا ينيفون على السبعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم من ثقيف وبني سعد وغيرهم وتجهزوا للقائه فهم بملاقاتهم فثبطه السيد أحمد بن زين العابدين بكتاب منه عرفه فيه ما أوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبد الكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى المعابدة واستمر هناك متهيأ للقائه فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد الى الهجيجاء ونزل بها وهي محل على ميل من مكة مما يلي الجعرانة وسار في آخر الليل بمن معه فما

شعروا

برسباي السلطنة وتلقب الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس وبيع في بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الامير دقماق الظاهري نائب ملطية وقدمه الى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكبات وحبوس الى أن ولي الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم جعله داودارا واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذي قدمناه واستمر في السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو في تخت ملكه بمصر لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سياسيا ذا وقار وسكينة متجملا في ملبسه

ومركبه محبا لجمع المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسي وعمر بالقاهرة المدرسة الاشرفية وهي من محاسن مدارس مصر ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما في سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفي أول سني سلطنته أرسل الامير مقبل القديدي وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بناءها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تأكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التي تربط فيها كسوة الكعبة قد تأكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الاحكام وأتقنه غاية الاتقان ٭ وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الاشرف برسباي أميرا له بمكة يقال له مقبل القديدي الاشرفي بقلع الرخام المفروش في باب الكعبة وجدرانها من داخل لتخربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التي في جوف الكعبة الشريفة ويحكمها ٭ وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا في سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التي تقابل باب البيت قد مال رأسها عن محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباي في لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة وهو الامير مقبل القديدي الاشرفي والناظر عليها الخواجا علي الكيلاني تاجر السلطان وحضر في العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم

شعروا به الا وهو قد وصل بيوت المعابدة مما يلي اذاخر فنهب من معه من البدو وأهل المعابدة فركب الشريف عبد الكريم بمن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة ومعهم كيخية سليمان باشا وبعض أشراف من آل أبي نمي فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الخرمانية محل قريب من الهجيا ٭ ووقعت العسكر في البدو وعمل السيف فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن جازان ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصلمان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد ابن شنبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من الاشراف مغاضبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر في المقاتلة الى الساعة الثالثة من النهار فصوبت فرس الشريف سعد برصاصة وصوب السيد أبو نمي بن بازبن هاشم بن عبد الله برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ما ينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الخرمانية الى رأس الشعبة من ريع اذاخر دماء الناس والخيل والابل وفي الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد فولوا هاربين فحمل عليهم الشريف عبد الكريم بمن معه حملة واحدة وساروا يقتلون فيهم وساروا هاربين وخرج من عامة الرعية أكثر من عامة المحاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى أن أوصلوهم الهجيا ٭ فكمن الشريف سعد ببستان هنالك فيه ابنة الشريف سعدية بنت سعد بن زيد فوقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد عبد المحسن من جانب ووقف لوقوفهما من معهما من الاشراف والعرب الا أنهم رموا الرصاص على نفس البستان وكادوا يصيبون الشريف سعدا فخرج من الجانب الآخر وتبعه من سلم من القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهجيا ٭ وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد ومن معه من الاتراك والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سلمى وهم يثخنون القتل وينهبون ما قدروا على نهبه من الابل والخيل وقتل بين سلمى والهجياء أكثر مما بين الهجياء واذاخر فصاح الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله فأدخله وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام ويقيم ببستان سلمى فكلم فيه الشريف عبد الكريم في ذلك فامتنع وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه ابدا فرجع السيد محمد بن عبد الله وأخبره بما قاله الشريف عبد الكريم فبينما هو يحدثه اذ غدره ابن جهور العدواني وهنيدس شيخ الروقة فطعنه ابن جهور في يده وخدشه هنيدس بالرمح في رأسه وهربا فأخذ في طلبهما فاقتفاه ابن هنيدس

الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر صفر • وفي أول هذا العام عمر الرخام الذي في أرض الحجر في باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الامير مقبل المذكور • وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضي الله عنه أمام هذا الباب واغا سمي باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوي ويقفون بها أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعي والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم وأما الحنفية في الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الائمة لجواز هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطالما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أغتنمها للجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى بجواز ذلك وهي رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه ففرحت بها كثيرا كأني ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أثبت في هذه المسألة فقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فهي قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي نقلده رضي الله عنه ﴿وقد رفع الي سؤال في ذلك صورته﴾ ما قولكم في مسألة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المكي ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو عمل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم

طعن فرسه في فخذها وقاربا أنفسهما ثم ان الشريف سعدا سار مارا ببستان سلمى وبات بالزعماء وتفرق من بقي معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مضاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر في الاي أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل منزله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة وامتدحه الادباء ثم ان الشريف سعدا لما وصل الى كلاخ ثامن عن طريق عقار الى الليث ثم الى القوس ونادى في بني علي وبني عمرو رفيقة قبائل زهران وغامد واطمعهم في أخذ القنفذة وما فيها من الاموال فأجابوه فأخذوا القنفذة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر الوزير سليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن زيد فوصلوا القنفذة وحاصروا أولئك القوم فخرجوا منها ونزلوا بعد ساعة على دوقة واجتمع اليهم كثير من العربان حتى بلغوا ثلاثة آلاف ومعه نحو خمسة أشراف فخرج الشريف عبد الكريم من مكة لملاقاتهم وحربهم ومعه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لمن كان هنالك وأمرهم بالمودة الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا ان يجروا الكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح النصر فانكسرت قبائل الشريف سعد وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسمحوا له بذلك بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يرد لهم جوابا وكان ذلك عند ساعة فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد ان أفسدت قبائله قبائلهم فلما ظهر للاشراف ذلك انحاز بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فتراجعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا بها الشريف عبد الكريم فتقووا به ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد فقصد الشريف سعد أرض غامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب وأقام الشريف عبد الكريم بالقنفذة وجهز أخاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من ان الشريف سعدا يقصد الطائف فلما دنا من الطائف بلغه ان الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلاثمائة من غامد وزهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان ونادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا أمما كثيرة واما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا احضره القاضي والمفتي والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك المحضر بالمسجد عند مقام الحنفي في ثامن والعشرين

الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا لبركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منظرحا في باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير (فكتبت ماصورته اللهم وفقنا للصواب) اعلم رحمنا الله واياك ان شرف المسجد الحرام وروضة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا لمزيد التبرك والاسترحام ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأبي من ذلك ولا الانكار على فاعله مع انه سائغ في مذهب غير الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين رضي الله عنهم فلا نقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واختلاف الائمة رضوان الله تعالى عليهم رحمة ويجوز للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وان خالف امامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا للمحيط البرهاني عن الامام الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رضي الله عنهما وصورة ما نقل وانما تكره الصلاة على الجنازة في المسجد الجامع ومسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا يكره وعن أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي ان أفتي بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسئلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الائمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الامير مقبل القديدي باب الجنائز على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب ما بين هذا الباب والباب

والعشرين من رمضان وقال لهم الباشا ان الشريف سعدا جمع جموعا وقصده مكة وأخذها بالغلبة والحال انه نزل عنها لوالده الشريف سعيد سابقا لادعائه العجز عن القيام بها وانا عزلنا ابنه الشريف سعيد العدم رضا بني عمه به بحيث قطع معاشهم ووقع بذلك فساد الطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ما شاهده العالم من القحط والغلاء ونصبنا محل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبد الكريم لما رأى فيه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من في المجلس نعم لا يصلح لها الا هو ثم قال اعرضنا على الابواب بعد رضاء أهل الحل والعقد ثم نسأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب فقالوا على عسكر السلطان وعونة الاسلام دفعه وقتاله فحكم القاضي بذلك وكتب بموجب ذلك حجة فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم وباتوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة ونزلوا في المتارس فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متارسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا ان الشريف سعدا لما رجع الى غامد وزهران راجع نفسه وقطع أمله وعاد الى الله وبسط عذره لمن معه فيما دو كذلك اذ جاءه بعض الرمالين فقال له اني أرى لك انك تلي أمر مكة ولا بد لك من دخولها ولكن ان مضيت مجدا في السير هذا فانك تملكها ما دام الشريف عبد الكريم بأرض اليمن فعند ذلك جدد العزم وسار مجدا في ليله ونهاره قاطعا الجبال والرمال برجله لعدم سلوك الخيل مركوبه في تلك الاماكن فما راع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بارض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الا شرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات فتهيأ من معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تلفق معهم فأطلعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وجعلوا عسكر مصر الانكشارية على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف وتوطنوا وادي ابراهيم المعروف بالحريق ومعه بعض العسكر ورموا بالرصاص الى ان تكاثر عليهم العربان وانتشروا في الجبال كالجراد وزلت العساكر من مراكزهم فالكوا حينئذ جماعة الشريف سعد وصاروا يرمونهم بالرصاص يصل الى شخل وقوف الاشراف بالحريق فلما وصل الشريف سعد ببستان الازمرلي علمت الاشراف ان لا قدرة لهم عليه فخرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير ان السيد عبد المطلب بن أحمد بن زيد كان واقفا على باب داره مودعا لاهله فجاءته رصاصة فسقط من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم

الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانتان الرخام اللتان تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر أماكن بهذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الافضلية انتهى • قلت رباط المراغي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو منزل أمير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أصلهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الباب يقال له باب الحريريين لان الحرير يباع في هذا الباب قلت وعادة الناس في زماننا ادخال الجنائز من أبواب العباس وتخرج من (١٤٣) باب السلام وأنا أرى ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين ما بين مدرسة قايتباي ودار الخواجا ابن عباد الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر بركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام وانما يقال له باب القفص لان الصياغ يصوغون الحلي في أقفاص للبيع بقرب هذا الباب • قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة الى القاضي أبي السعود ابن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الاول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجوار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وحرب وباب علي وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى • وفي هذه السنة جدد الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي على باب العجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهي مدرسة وخلاو

توفي ثالث عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سبب الشدة قيامه في دفع الشريف سعد كما ستراه وتغلبت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأرعوا الذكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات فجأة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما حل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالامان ليسكن الشان غير انه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عند بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر في البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له انت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسني خلعة الشريف لتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والباد فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي والمفتي وجماعة من العلماء وبني عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس اني كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد فلما لم يصلح لها عزله بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه نزل عنها للشريف عبد الكريم والتمست منه اقامة أودي فأبى بعد الرضا بذلك فوثبت عليها الآن فهل ترون اني أحق بها وأهل لها فقال الجميع نعم فقال اذهبوا الى سليمان باشا وألزموه ان يلبسني خلعة الشريف لتقر العباد والبلاد فذهبوا اليه فقال أمر سهل لكن على شرط ان يكتب حجة شرعية تتضمن ان الشريف سعيدا قد أفسد البلاد وأضر بالعباد وان ذلك سبب قيام بني عمه عليه وعزلهم له وانهم ولوا عبد المحسن برضاهم وانه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبد الكريم برضاه ورضا بني عمه الاشراف لكونه أحق بهذه الشرافة وأصلح لها وانه خرج لاصلاح بعض الطرقات فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته ودخل مكة فانهى ذلك الى الشريف سعد فجعل باذنه بكتابة ذلك فكتب بذلك حجة وأرسل له انباشا فقطانا ألبسه اياه بعد أخذ الحجة فنادى مناديه في شوارع مكة سادس شوال بالامان والاطمئنان وان البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد ابن زيد

•(الولاية الرابعة للشريف سعد)•

وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية عشر يوما كما ستراه وثاني يوم النداء سابع عشر شوال جاء الخبر ان الشريف عبد الكريم في الحسينية قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة

للفقراء فى غاية الاحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد النجاريين أئمة مقام الحنفى يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا فى طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فخ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما أظن لى أجرا فيما أعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ووالله ما هذا عندى وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادى العباسى بمكة وقاتل خالد اليزيدى ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخر من قبل الهادى ونزل الحسين ابن على بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة أشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحملت رؤسهم وهى مائة رأس يقدمها رأس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الفخى الشهيد وروى أبو الفرج الاصفهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل اليهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل ابن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى أيام الظاهر ططر فمن بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة عالى الجاه واسع العطاء كبير الهمة له فى كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزة وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له صدقة للفقراء تنصب لهم فى الطريق ليستظلوا تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والقسماط وكان يطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى مكة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها ونماها الى ان فاضت وكثرت فى

وحرب واستمر هنالك الى الظهر وانتقل منها الى المفجر فقاومته هذيل وقوموا اشرار الحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فاثخنوا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره بمن معه الى المفجر خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقى ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة ونزل المنحنى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل شمروا عن ساعد الجد ودخلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف فى بعضهم البعض فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الارض ونودى عليه فدخل على السيد عبد المعين بن محمد بن حمود فاكب عليه ومنعه من الطعن ويقال انه طعن ثلاث طعنات فاركبه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع لقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل فى جماعته وهرب من هرب منهم ابن جمهور العدوانى ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سليمان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة فى أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودى فى تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

•(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)•

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالغلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فاقيمت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم تزهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع تلك البادية وبات تلك الليلة هنالك ودخل فى الصبح ثامن عشر شوال فى آلاى عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما درواها بين دخلوا دار السعادة وجماعة دخلوا دار رجوهر أغا وغيره من البيوت وجماعة فى جبل أبى قبيس بزاوية الشيخ يابق والبيوت التى حوله فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين الى الضحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التى فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب فدخل العسكر وقتلوا كل من هنالك وربطوا جماعة وذهبوا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هنالك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق

زمانه • وقد ذكر شيخ الاسلام قاضي القضاة بمصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري ان الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثاني قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها في كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع تلك القرية الى ان فوض أمرها المؤيد شيخ الى الزيني عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها جزاه الله على ذلك خير الجزاء • اه وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل في مثل هذا التأليف العظيم • ورأيت أيضا في شرح ايضاح المناسك للسيد نور الدين علي السمهودي الحسني عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية في هذه الاعصر من وقف قرية يقال لها سنديس في طرف القليوبية مما يلي القاهرة اشتراها السلطان الصالح اسمعيل بن السلطان محمد ابن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها لان تكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية في كل خمس سنين مرة على مقالة الزيني المراغي وذلك في عشر الستين وسبعمائة • أقول هذه القرى موجودة الآن بمصر لكن ذكر لي من كتبة ديوان مصر الفاضل الكامل مولانا مصطفى جلبي بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف المكي ذكره الله تعالى بالصالحات ان هذه الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت لا تفي بكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخر اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهي باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة في كل عام ﴿ولنعد الى تكميل ترجمة القاضي عبد الباسط﴾ كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة وتوفي السلطان الملك الاشرف برسباي يوم السبت الثالث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة • وفي يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائي ولا زال يقوي أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي بعد ان تسلطن نحوا من خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد

الا من توارى ثم تتبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم حتى وصلوا بالقتلى الى الصفا وكانوا نحو السبعمائة وكان يوما سخط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة القتلى في ذلك اليوم ألف ومائتا رجل حتى عجز الناس عن مواراتهم وصاروا يحملونهم على العجلات ويرمونهم من رواشن دار السعادة واسطحتها الى الارض فيجرونهم جر الرمم ويلقونهم في العجلات ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس في حوش الشريف وحملت في الجيش وبنى منها ارضم على خارجة سبيل السلطان مراد في المعلى ليعتبر المار بهم فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضا حتى انتقل الى رحمه الله تعالى يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتي الصديقي بوصاية وعهد منه اليه وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن في قبة الشريف أبي طالب عند والده الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة الاولى مدته فيها ست سنوات الا احدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدة الولايات الاربع خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام متفرقة وولادته سنة اثنتين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة رحمه الله تعالى وفي هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل ان تجد أحدا يمشي منفردا وحده فيها لكثرة العربان وانتشارهم وكثرة القتل والنهب سيما جهة المعابدة ومما اتفق ان عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريبا من السد فخرجت هذيل في صبيحتها في نحو مائتي مقاتل الى ان وصلت المعابدة فوجدوا هناك حيا من عتيبة وفيهم هتيمس شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم في الطريق ورقوا جبل الخندمة وصرخ صارخهم فارتجت لهم الارض فركب السيد أحمد بن جازان في جماعة من الاشراف فأعطوهم الامان فلم يأمنوا الا ان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالمعابدة فلم تزل بهم الاشراف حتى رضوا بعند العصر فأخذوا هدنة عشرة أيام ونادى السيد أحمد بن جازان ان هذيلا انهم في ضمانه وأمانه ووجهه ثم ان عتيبة رحلوا غضابا ونزلوا بالحبت على غير رضى واستمر الحال والخوف الى ان دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن نادى بان هذيلا وعتيبة الكل منهم في وجهه لا يمد أحد منهم يده على رفيقه فسكن الاضطراب وأمنت الناس وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله

ابن

الاسم • وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر
الدين أباسعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد
جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك اينال اليوسفي فنسب اليه فقيل له جقمق العلائي • ثم انتقل الى الظاهر برقوق
فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا • ثم صار في دولة الناصر ساقيا عنده • ثم صار أمير عشرة • ثم صار في دولة المؤيد خزندارا • ثم
صار من مقدمين الالوف • ثم في دولة الاشرفية صار حاجب الحجاب • ثم أمير آخور كبير • ثم أمير سلاح • ثم صار أتابكا الى ان تسلطن
فخرج عن طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم (١٤٥) قتله • ثم خرج عن طاعته نائب حلب تغري
برمش • ثم اينال الحكمي
نائب الشام فجهز عليهما
العساكر فقاتلوهما
واحدا بعد واحد وظفر
بهما وقتلهما وبعد حول
صفا له الوقت فأخذ
وأعطى وأقدم وسطا
وكان متواضعا محبا
للفقهاء والعلماء والصالحين
يميل الى تربية الايتام
ويحسن اليهم عفيفا عن
المنكرات طاهر الفم
والذيل لا يعلم من ملوك
الجراكسة قبله ولا بعده
أعف منه وكان على
قاعدة الاتراك الدعوى
عنده لمن سبق يذاكر
مسائل فقهية ويتعصب
لمذهب أبي حنيفة رضي
الله عنه وملك مصر نحوا
من خمسة عشر عاما الى
أن أورى الدهر له من
زنده نارا واتخذ بدل
عيشه الاخضر بالموت
الاحمر ولم يجد له أنصارا
واتخذ تحت الارض بعد
تخت الملك قرارا واصفرت
الارض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة • وكان الظاهر جقمق أول ما ولي التفت
الى مكة المشرفة وأرسل خلعا ومراسيم للسيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدي ليكون أميرا على
خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة
انه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة
قد تأكل وتأكل خشب الروازن الاربعة التي كانت في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجردت الكعبة الشريفة
واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين

ابي بركات بخبران الشريف سعيدا قادم من الجارية الى ينبع ومعه من قبائل العرب جماعة يريد أخذ
البندر لما بلغه ان أباه دخل مكة فعرجناله وردناه فرجع الى الجارية وأقام بها وبعد استقرار
الشريف عبد الكريم بمكة كتبت عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والاشراف
بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر أخروها بمصر لتواطئ بين أيوب بيك أمير الحج المصري وبين
الشريف سعيد لما كان في نفس أيوب بيك من صاحب جدة ومكة وامن مصر عروضا غيرها
وأرسلوها الى الابواب السلطانية مضمونها ان صاحب جدة عزل الشريف سعيدا وولى الشريف
عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان
يجهز عسكر التجريدة ليرجعوا الشريف سعيدا الى مكانته ويكون باشا التجريدة أيوب بيك فلما
جاءتهم الاوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بيك أمير الحج المصري وابواز بيك على
ارسال التجريدة الى مكة اعانة للشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض
الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة فوصل بها الى الابواب فأراد الوزير كتمها
فما خبرها الى السلطان أحمد فأمر باحضارها فقرئت بين يديه فاستدرك الامر وكتب الى سليمان
باشا صاحب جدة بان ينظر فيما هو الاصلح للحرمين وفوض اليه الامر أن يولي من فيه الاصلاح
فجهز صاحب مصر التجريدة وجعل ابواز بيك باشا التجريدة وأيوب بيك أمير الحج المصري وعجلوا
بخروجهم وباعوا حب السلطان المعين لاهالي مكة واستعانوا بثمنه على ما أرادوه فورد ابواز بيك
بالتجريدة الى ينبع في ذي القعدة وسألوا عن الشريف سعيد فاخبروهم أنه بالجارية فبعثوا اليه
واستدعوه وقد تخلى عن كل أحد الا السيف وأيس حتى من طروق الطيف فاعاد عليهم الجواب
بالاعتذار لعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه في هذه القضية فبعثوا اليه بما يليق
بمقامه من جواده وخدمه ونعامه وأقبل الى ابواز بيك في أردية الاقبال محفوفا بالعز والرجل
فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود آغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له
بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من عزمصر من
كل بلك رجل ودخلوا الى قاضي مكة وبيدهم كتب من ابواز بيك أمير التجريدة ومن الشريف
سعيد وفيها الخطاب لقاضي مكة وللسرادير ومضمونها ان السلطنة أنعمت على الشريف سعيد
شرافة مكة فانتم أطيعوا الله والرسول والسلطان واياكم والمخالفة وقد ألبسناه قفطان الشرافة
الذي ورد به محمود آغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد وهو وارد صحبتنا ووقع هذا الحال
وروده بينبع ثالث شهر ذي القعدة فوقع بمكة لموجب هذا الشان رجة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف

عمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورمم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة ظاهرا به وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التي تلاصق بدار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله التي هي علامة للسعي بينهما واعين في كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم الشريف في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضيء للمعتمرين وفي بعض ذي الحجة للانارة على الحاج اذا أرادوا السعي وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة ثم عمر الامير سودون المذكور ومابقي من المواضع المأثورة في منى وفي المشعر الحرام عزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المازمين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحائر عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت السراق تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ماتظفر به من الحاج وتخطف منهم جميع ماتقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر في طريق المسلمين والا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الامير خوشكلدي نائب جدة في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم مابين المازمين وكسر الاحجار ٢ في سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك الحل منهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتي شيء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى • وفي موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم • وفي سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجا ناظرا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين الصاعد الى المعلاة صار الآن في عصرنا بستانا عمره خوجاقيتي مولانا محمد بن محمود أفندي

٢ بياض بالأصل

عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع مابنا في ذلك وان القفاطين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر من الشريف وسببه قيام أزبك أمير الحج المصري مع الشريف سعيد لغرض في نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا في المسجد جمع فيه القاضي والمفتي والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا اني دخلت مكة وقد حل بها ماحل من الغلاء وانقطاع الطريق وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون اني ظللت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعد أن وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث مني من المظالم مايوجب رفعي عنها قالوا حاشا الله قال هل ترضون بولايتي عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لا نرضى الا بك قال هؤلاء الاتراك يريدون توليه سعيد وعزلي فقالت العامة باطل باطل عن لسان واحد ثم ان الاشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضي ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لا نسلم لماجاء به ايواز بيك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد فنحن لا نعصي أمر السلطان غيران السلطان لا يرضى علينا الخلاف ولا يولي علينا الا من نرضاه فسجل القاضي صورة ماوقع في هذا المجلس وكتب به حجة ووضعت خطوط الاشراف والعلماء والمراد بها وبعثوا بها الى ايواز بيك فاجاب ان حجتنا أغاة من أغاوات السلطان معه أمر سلطاني ناص بان شريف مكة لا يكون الا سعيدا وليس لنا قصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا به فاذا وصلنا نحن والشريف سعيد اليكم أشرفنا كم على ما أمرنا به ويحصل هنالك الاتفاق ان شاء الله تعالى فاعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يجلس في موضعه الى ان يرحل الناس من الحج ثم تدعوه الى مكة وتنظر في الامر فقال ايواز بيك لابد من دخوله صحبتنا فارسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم به فما عندنا الا السيف فاجتهدوا وتجهزوا فعند ذلك تخلف ايواز بيك بمن معه من العسكر التجريدة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجموم من وادي مر وصمم الشريف عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو بقتالهم فخرج رابع ذي الحجة الى بئر طوى في عبيده وتلاحقه بنو عمه الاشراف فما غربت الشمس الا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاص بالبوادي واستمر الى سادس ذي الحجة ومن الغريب انه ورد ثاني ذي الحجة على سلمان باشا وهو بجدة أمر سلطاني من البحر مضمونه ابقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيناك على مافي يدك من تفويض أمر الحرب والامر اليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن رضاه أهل

الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده فبعث سليمان باشا الشريف عبد الكريم يخبره بذلك فارتاضت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فانبس القاصد ودق الزير وأظهر السرور واستفاض الخبر عند القاضي والداني ففرح الناس بهذا الامر ثم ان سليمان باشا خرج من جدة ونزل طوى مع مولانا الشريف عبد الكريم ثالث ذي الحجة ثم لما كان خامس الشهر دعا سليمان باشا القاضي والمفتي وبعض العلماء وأكابر العساكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر الانقشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبد الكريم والوزير سليمان باشا وتشاوروا في هذا الامر واتفقوا على انهم يرسلون لابو از بيك ومن معهم ويعذلونهم عما في نفوسهم ويحذرونهم فتكة بني حسن الاشراف ويعرفونهم بما جمعوا من العرب وان هذا أمر يترتب عليه ابطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك والسلطان لا يرضى بذلك فان كان معكم أمر بعثوا به الينا ونحن مطيعون لامر السلطان فكتبوا ذلك كله وبعث القاضي بالكتاب مع جوخداره وبعض البلكات فلما قرؤه اضطربوا واشاروا الانقياد اليه الا انه كان من قضاء الله وقدره ان سليمان باشا نزل الى القاضي بالمحكمة سادس ذي الحجة قبل ورود الجواب اليه من ابو از بيك وأراد ان يجمع وجوه الناس عند القاضي يظهر أمره الذي بيده ليشهد عليه الناس وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم وان عزله للشريف سعيد وقع في محله فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الانقشارية على الباشا والقاضي والعلماء وربما شهرت السيوف في المسجد فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده عند القاضي فاخرج القاضي سودة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الانقشارية مضمونها انا قد ولينا الشريف سعيدا مكة ورددناه اليها بعد عزلكم فانتم أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراد فقال له الاتراك اذهب أنت والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من بلد السلطان والا فانتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى فسألوه ان يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد لله ورسوله فجمع البوادي والاشراف وأخبرهم بما جاء به القاضي والوزير والعلماء فأطاعوه وبعد تأب من الاشراف فرحل عن معه يوم السادس من ذي الحجة الى الركاني وبعث الى الشريف سعيد والى ابو از بيك والى أيوب بيك أمير الحج المصري ان ادخلوا فاني أخرت اللقاء الى بعد الحج فنودي للشريف سعيد بالوادي وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحرث وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق وحصل النهب في طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن

مدى مكة المشرفة في سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه لخانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكي سلطان رحمهما الله وهو الآن في تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة • وفي موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضا جاء وزير من وزراء السلطان مراد الثاني طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جزيلة لاهل الحرمين الشريفين ورمى في ركة قبة العباس بالحرم الشريف نلثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرج بها السقاؤن الى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله • وفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد الحرام يلي رباط السدرة الذي هو الآن رباط الاشرف قايتباي وعمر شباك خلوة منسوبة للشيخ عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعي وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدي وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي سبعة عقود وعمر أيضا عين حنين وأصلح مجاريها ورمها ترميما محكما ووصل في ذلك العام كسوة لحجر اسمعيل مع كسوة البيت الشريف لانه لم تجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت في البيت الشريف ثم كسي بها الحجر الشريف من داخله في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بعد ان حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة • وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عدة برك في عرفة كانت داثرة مملوءة بالتراب فأخرج ترابها وأصلحها وساق اليها الماء من الآبار التي يقرب بها ليشرب الحجاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما في جهات الخيرات رحمه الله تعالى • ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجي الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلى مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثاني عشر جمادى الآخرة يتضمن انه ولي نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون محتسبا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر في أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام • وفي هذه السنة آخر قاضي القضاة أبو

السعادات بن ظهيرة الشافعي رباط رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة
فاستبدله وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفي ثم أمر بعمارته رباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفتح فيه عدة
شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذي هو باق عليه الى الآن ❊ وفي سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر
جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباى وان تبقى كسوة الملك
الاشرف الظاهر جقمق وحده ففعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك الراكز بمكة الامير جانبك النوروزي وولى عوضه في منصبه
ناظر الحرم التاجي بردبك ❊ وفي (١٤٠٨) سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر
جقمق زاد به مرضه فخلع
نفسه من السلطنة في يوم
الخميس لتسع بقين من محرم
من السنة المذكورة
لولده أبي السعادات فخر
الدين عثمان ❊ ولقبه
الملك المنصور وعقد له
البيعة ورضى الناس به
واطمأنوا وهو الحادى
عشر من ملوك الجراكسة
وأولادهم وسنه دون
العشرين وركب بشعار
السلطنة وحمل الاتابك
أينال العلائي أمير كبير
القبة والطير على رأسه
وجلس على تخت الملك في
قلعة الجبل وباشر الامور
الى ان توفى والده بعد
سلطنة ولده باثنى عشر
يوما فوقعت فتنة بين
الامراء فخلع الملك العزيز
عثمان ❊ وتسلطن الملك
الاشرف سيف الدين أبو
النصر أينال العلائي في
صبيحة يوم الاثنين لثمان
مضين من شهر ربيع
الاول سنة سبع وخمسين
وثمانمائة وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو جركسي جلبه الخواجا علاء الدين عن
الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل في الدولة الى ان صار في أيام الاشرف برسباى أمير مائة مقدم
ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله أتابكا واستمر الى أن تسلطن وتم أمره في الملك وطالت مدته وأيامه
نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرود وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا
عن الخطا والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم في الناس وفي ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم
ومحتسب مكة الامير بردبك التاجي وولى عوضه أمير الترك الراكز بمكة شيبك الصوفي وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولى مشدا على

وحصر عن الحج خلق كثير ثم ان الشريف عبد الكريم ركب من الركاني وواجه بيرام باشا أمير
الحج الشامي ومعه جماعة من الاشراف فاجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي الحجة وصار منهم
من التدابير ما تولد منه النافع الكثير كما ستراه ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم
السابع من ذي الحجة ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع
التجريدة وسائر عساكر الحج المصري ومعه نحو أربعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد
الكريم في عملته وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط في الحطيم
وفتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذي
بسويقة ❊(الولاية الرابعة للشريف سعيد ٦ ذي الحجة سنة ١١١٦)❊
وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا
وأراد أن يؤخر القفطان الى منى فامتنع الشريف سعيد من تأخيره فبعث به اليه وألبسه في منزله
ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا ومن معه ولم يبت بها ووقف الناس وكانت
الحجة بالجمعة وحصل للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد في هذه السنة من
العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحي غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصري
والشامي غير جماعة من أهل الجامع العجم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم
اشترى كبشا بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى ناظر السوق الذي كان في زمن الشريف عبد
الكريم وهو مصطفى الخاشعي وألبسه في زمن الحج قفطان النظر في السوق والعادة الجارية
ان يبطل حكم الناظر في زمن الحج وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومن
معه من الاشراف بوادي التنعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا أمير الحج الشامي فبعث اليهم الخيام
والصواوين وجعلوا بينهم سفيرا السيد عبد الله بن عمرو بن بركات فنقم عليه مولانا الشريف
سعيد فبعث اليه يمنعه عن الدخول الى مكة فسمع بذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله انا السلطان
وأنا باشا السلطان فما عليك منهم وأتبعه بيرم باشا عسكرا عشرين معه أينما أراد فكان يمشي بهم في
شوارع مكة كرها واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا في بعض ليالي
الحج فاستمر عنده الى نصف الليل أو قرب الفجر ورجع عنه وفي مدة اقامة الشريف عبد الكريم
بالتنعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أذى للناس بطرقهم الطارق آمنا ويسير الى مكة آمنا ولم تزل
الرسل بينه وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامي ثم ارتحل الاشراف الى اليفاع من أعلى
الجموم وشاع في العامة انهم يريدون أخذ الحج المصري وقتل أيوب بيك فدخله من الخوف ما أخره

جدة جانى بلثوهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبار وغرس فيه ماقدر عليه من الاشجار حتى شجر التمر هندى وأدركاه فيه ووقف عليه مسقفات بمكة ولم يقع فى أيام الاشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا الى ان خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده ٭ (الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد بن أينال) ٭ فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابك خشقدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام وولى السلطنة عوضه ٭ (الملك الناصر سيف الدين بن سعيد خوشقدم الناصرى) ٭ يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو

رومى جلبه الخواجا ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تغلب فى الدولة الى ان جعله الاشرف أينال أتابكا لولده فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبا للخير وكسى الكعبة الشريفة فى أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سود وفى الجامات التى بالجانب الشرقى بعض ذهب وأرسل فى سنة ست وثمانين وثمانمائة منبرا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصفا تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفى فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ٭ وتسلطن فى ذلك اليوم خشداشه الاتابك بلباى ٭ (وهو الملك الظاهر الناصر بلباى المؤيدى) ٭ فخلع على الامير تمربغا الظاهرى بالاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك فخلعه الامراء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين الا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه ٭ (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى) ٭ وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم عمر ولكن كان يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا الى ان جعله خاصكيا ثم سلحدارا ثم خزندارا كبيرا ثم دوادارا ثانى ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الظاهر خوشقدم فصار مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر بلباى أتابك العساكر ثم

عن السفر فى معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة فقامت عليه الحجاج لشدة ما لحقهم من الغلاء وعدم الوجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذى الحجة وكان سبب اقدامه على السفر بعد ما حصل له من الخوف ان السيد ناصر الحرث وجماعة من كبار الاشراف خرجوا الى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤا معهم على حالة وتكافلوا على ما يصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الامير مسافرا وخرج سالما الا أنه وقع نهب فى أطراف الحج المصرى وهل محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبعة عشر وفى سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من الاشراف طمعا فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحرث من العهد المتقدم فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التى بسوق الليل ولم يتخلف الا ذوو بركات فان الشريف عبد الكريم أفهمهم أنه يريد التوجه الى الشام بمن معه من ذوى بركات ثم عن له أن ينزل الحيماء ثم ارتحل عنها الى محل يقال له دغيم ومعه من البدو ما لا يحصى ولم يزل الى أن نزلت عليه قبائل حرب بجملتهم وقالوا لا نفارقك حتى نموت أو تموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الامر فجمع كبار الاشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب اليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه اليهم فما أجابه منهم أحد الى ذلك هذا فعل من معه فى محلته وأما بقية الاشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ما هو لهم فأخذ فى جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيئا يساوى الثلث ثم تجهز وخرج الى طوى فأقام بها أياما الى أن لحقه الاشراف الذين فى محلته ثم سار مريد الشريف عبد الكريم وأودع البلاد السيد احمد بن حازم وبعث الى هذيل فاقبلوا عليه فلما وصلوا منى نهبوا ما وجدوه من أموال الناس فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب فلما شارف الشريف سعيد حدة زحف اليه الشريف عبد الكريم بمن معه فركب اليه جماعة من الاشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر فى أمر نامعه ومعك فاجابهم الى ذلك فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بان الشريف عبد الكريم مقاتلك بعد ان خرجت اليه فان لم تصلحه والا فلا بعد هذا الا الملاقاة وقد أخذ لك مهلة ثلاثة أيام فخلوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفى أحمر وأن يقيم حيث شاء غير مكة الى أن تأتيه أجوبة كتبه من الابواب فرضى الشريف سعيد بذلك فرجعوا الى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال انه ينقض هذا القول ولا شك فأعطوه العهود انه ان نقض هذا نقضوا عهده وعاملوا الشريف عبد الكريم ويكونون واياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا الى الشريف سعيد

تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسي الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا فيها ويرمى أحسن رمى يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه أبعد رمى وما زال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى السلطنة أتابك العساكر يومئذ (السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى) في ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبا في بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه الاشرف برسباى وأعتقه الظاهر (١٥٠) جقمق واليه انتسب وتنقل في المراتب الى ان صار في دولة الظاهر خوشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار في دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تعزز منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محبا للفقير معتقدا في الصلحاء ويحكى عنه أنه كان يحكى عن نفسه أنه لما جلب الى مصر للبيع وهو اما مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك الجلب فتحادثوا مع الجمال في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء بحسبه فقال قايتباى اما أنا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثاني وأنا أطلب من الله أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له أى شئ تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكان اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا عبد رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وغزة آثار جليلة وخيرات جميلة أكثرها باق الى الآن وجميع عمائره يلوح عليها الوانع النورانية والانس * وفي أول ولايته أرسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعي بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام

وأخبروه بذلك فقال له ذلك ثم قال مروه فليرتحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك انا اصطلحنا فقبلوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك فارتحل من محله الى محل يقال له شعثاء قريبا من جدة فبقى بها مدة والشريف سعيد بساقة جدة تسليك طريق جدة فتارة تؤمن الطرق وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف سعيدا حدثته نفسه بالنزول الى جدة ومقابلة سليمان باشا فمنعه من دخولها ومنع جماعة من الاشراف بعثهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بعد جهد جهيد وحاول الباشا ان يأخذ له من التجار شيأ للشريف سعيد يستعين به فما وافقه لا قرضا ولا على الزالة وأمرهم بالرجوع وأن لا يدخلوا جدة لخوف ان يؤذوا أهلها فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة فأتاه فتوسل به ان ينزل الى الباشا ويأخذ له شيأ من المال يستعين به أو يحيله على الزالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له وكيف نقاتل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى ايواز بيك صارى العسكر المصرى والى الانكشارية وسائر البلكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقى في حيرة عظيمة مقلا من المال والرجال ففارقه من معه من الاشراف لذلك ولما تقدم لهم مع الشريف عبد الكريم من العهود والوفاء والمفارقة له فذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكاملت الاشراف عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثاء ناويا ان يصبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما احس بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة فودعه عزيمته وسرى من ليلته فاصبح بمكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني ولما وصل الى مكة أطلق المنادى في شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوى شنبر وذوى جازان وذوى بركات وذوى نقبة وغيرهم ورجالهم ان لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارق السادة الاشراف من الخوف ما أوجب انهم يأوون بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن غالب والسيد أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء وقالوا له هذا لا يكون فانه يأتى منه سالفة بيننا ان كل من خرج من البلد تنهب طوارفه وتقتل وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه لكونه مضرا بالعالم فرجع المنادى عند العصر ينادى بخلاف النداء الاول وان النداء الاول مرجوع عنه وعليهم الامان ثم انه ثاني عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتى وجماعة من السبع بلكات الى الشريف

عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم
والتمسوا منه ذلك فقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الاشراف منهم الشريف عبد المحسن
ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر وأحمد بن هزاع وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد
ابن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على ابواز بيك فأخذوا ابواز بيك معهم
ووصلوا الى القاضي واستدعوا الشريف سعيدا فنزل ومعه السيد أحمد بن حازم فصارت بينهم
وبين الشريف سعيد مقاولة انتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة
والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا في اليوم
الثاني مع جماعة من الاشراف في بيت ابواز بيك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع
الكلام وحصلت المباينة فانصرفوا على غير صفاء والاشراف يطالبونه بالوفاء ثم ان الشريف
سعيدا اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على انه يعطيهم ثلث المنكسر وعلى ان يسمحوا له
في الثلث ويصبروا عليه في الثلث الباقي فوافقت الاشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح
فعقدوا المجلس لذلك الامر في منزل السيد على بن أحمد بن باز باجياد ليلة التاسع عشر من ربيع الثاني
فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر ان الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من
الاشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيدا أرسل اليهم رسولا لبيت السيد على بن أحمد يقول لهم
ما هذا بيني وبينكم وهذا عين الغدر فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده
فانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطنبداوي مما يلي الشبيكة وأرادوا ان
ينفذوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل
ووجد بعض مضارب وبها عسكر وعبيد للشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم
فنهبها العبيد وما فيها فبينما هم بطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود فتلاقيا فانهزم
الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبي لهب ثم كر بمن معه من الاشراف وغيرهم من جماعته
على الشريف سعيد فانهزمت قومه ووقع فيهم القتل فقتل نحو الستين من جماعته ولما وصل
الشريف عبد الكريم الطنبداوي وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الاشراف السابق
ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الاشراف حتى أوصله الى دار
السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفا فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج
من المعلى وترك البلد فانها أخذت فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت سردار الانكشارية
واستغاث بهم فأجابوه وخرجوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت ابواز بيك وعنده عسكر

وفي آخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة والتي قبلها بنى مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل في وسط المسجد قبة عظيمة هي حد
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى وبنيت جدرانه المحيطة به وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية
فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التي على عقد باب المسجد بثلاثة أدوار صنعة الاستاذين وبنى دارا بلصق
الباب وكانت مسكن أمراء الحاج وعلى الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يملأ من المطر
وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذي أنزلت فيه سورة
المرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق الى الآن من آثار المرحوم السلطان
قايتباي وقد غلب عليه
الدثور عمر الله من عمره
أو تسبب في تعميره وعمر
السلطان المذكور مسجد
نمرة في عرفة وهو المسجد
الذي يجمع فيه الامام بين
الظهر والعصر جمع تقديم
في يوم عرفة للحجاج
المحرمين في ذلك الآن
ولا يجمع عند أبي حنيفة في
غير ذلك الحال جمع تقديم
الا في ذلك المسجد ولا جمع
تأخير الا في المزدلفة بين
المغرب والعشاء للحجاج
وجعل في صدر ذلك المسجد
رواقين عظيمين يتظلل
بهما الحجاج وقت الصلاة
من الشمس وجدد العلمين
المرفوعين لحد عرفة
والعلمين الموضوعين لحد
الحرم وبيض المسجد
الذي بمزدلفة على جبل
قزح وهو المشعر الحرام
على رأي وجدد عين
عرفات وابتدأ المعمار
العمل فيها من سفح جبل
الرحمة الى وادي نعمان
فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة
من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح ركتها وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم
النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب
للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة الى مكة المشرفة في البر فركب في جهة باب السلام وجر الى المطاف وخطب عليه
الخطيب في أول ذي الحجة وفي سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقي وغير رخام الحجر الشريف من داخله
وخارجه ورصصت الشقوق التي بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف • وفي سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة أمر السلطان قايتباي

وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يشيد عمائر الامير سنقر الجمالى وان يحصل له موضعا مشرفا على الحرم الشريف ويبنى له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى الفقراء وأن يقرأ له ربعة فى كل يوم يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغى وكانا متصلين وكان الى جانب رباط المراغى دار الشريفة شمسية من شرائف بنى حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وأربعين طالبا وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له مبلغا وقد استولت عليها أيدى المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقى منها ثلثمائة مجلد وهو تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب حفظها وكملت بعض ما فات منها وجلدت منها ما يحتاج الى التجليد واستخلصت بعض ما وجدته وأعدته الى الوقف صانه الله وجعل الواقف فى ذلك المجمع للقضاة الاربعة حضورا بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرؤن له ثلاثين جزأ من القرآن وجعل فقيها يعلم أربعين صبيا من الايتام ورتب لكل واحد من الايتام وأهل الخلاوى ما يكفيهم من القمح فى كل سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الاجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع فى ودور تغل فى كل عام نحو ألفى ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل فى كل عام الى مكة وعمل من الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك لسلطان قبله وذلك باق الى الآن الا أن الاكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهى آئلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج ولكبرائهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما من ناحية باب السلام والثانى من ناحية باب الحريريين فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالى رحمه الله تعالى

العرب وبقية البلكات فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على ايواز بيك وقالوا له انك مع الناس ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عبد الكريم بالرصاص فظن ان جميع الاتراك خرجوا فترفع عنهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجبال فأشار اليهم بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الزاهر ولحق به الشريف سعيد الى الزاهر فتناظروا هنالك وأخذ كل من صاحبه مهلة على قواعدهم ثم رجع الشريف سعيد الى داره وصوب ممن معه من الاشراف جماعة منهم السيد أحمد بن على بن أبى القاسم برصاصة ثم مات منها وأصيب السيد أحمد بن حازم برصاصة مات منها بعد أيام وأصيب من الاشراف الذين مع الشريف عبد الكريم أخوه السيد حامد بن محمد بن يعلى وأخوه بركات بن محمد بن يعلى والسيد شنبر بن جازان وشريف آخر من ذوى حراز الا ان اصابتهم غير مضرة بهم ورجع الشريف عبد الكريم الى دغيم وأقام هنالك الى ان وردت الى سليمان باشا الاخبار السارة بجدة ضمن كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها انه ورد الى مصر المحروسة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى محمد باش جاووش ومعه أربعة أوامر سلطانية أحدها بعزل أيوب بيك عن امارة الحج لما تحققنا ما حصل منه من الفساد وتولية قيطاس بيك امارة الحج والثانى بعزل الشريف سعيد وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة وان أمره برأس سنة ألف ومائة وسبعة عشر والثالث انا ولينا ايواز باشا جدة ومرادنا وصول سليمان باشا الى حضرتنا والرابع انا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر وأقطعناه بعض البلادين ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تقوى مع الواردين فى المراكب المصرية وتنتشر فى الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال واستقر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادى الى ان بلغهم ان الشريف سعيد أغرى أغاوات الانكشارية على ايواز بيك لاتهامه له انه يدا مع الشريف عبد الكريم فصالوا عليه غفلة وحصروه فى بيته وأوهموا الشريف سعيد ان ايواز بيك ورد اليه غرة جمادى الثانية ركائب من بدر عزة بعثهم اليه بيرم باشا من طريق الشام يخبره ان السلطنة وصلت الينا منهم أخبار بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد الكريم حمى الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على ما بيده من مال البندر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على ايواز بيك مع كونه فى الاصل هو السبب فى تأييد شرافته ودخوله مكة فحصره فى منزله ونهب أثاثا كان له فى دار السعادة وانطرب الامر بمكة وأبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام بموجب القتال

وفي هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباي الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة وباشا الترك الراكز بمكة الامير قايتباي اليوسفي والامير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الامير جاني بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن أبي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها اقدر قامة ومن خارجها اقدر قامة وغسلوا أرض (١٥٣) الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس لثمان بقين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة

{فصل} ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا لانه أمر هائل عظيم • وتفصيل ذلك ان في ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروف بالرئيسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متوارية النجوم اذ سمع رعد هائل وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المأذنة وانشق رأسها ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالمياه في القرب يسكبونها على النار لتطفأ فانتهبت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لجي من نار يرمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التي فوق

في جوف المسجد وانحازت الستة بلكات الى ابواز بيك ولم يخرج عن طاعته الا الانقشارية ثم أجمع الانقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فنزل بنفسه الى القاضي بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم ان يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضي قالوا له ان لنا دعوى على ابواز بيك فاحضره لنا نتداعى على يدك فبعث اليه القاضي فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي وأعاين اجتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر امهلونا هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة اذا جئت في ذلك المكان فاذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضي مقاله على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الانقشارية فلم يقبلوا ذلك الا ان الشريف سعيد اصرف جنده وبقيت الانقشارية على حالهم فارسلوا رسولا آخر الى ابواز بيك فقال لهم مادامت الانقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح وليس لي قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولي قدرة على مكافأتهم ولكن ما في المهلة بأس فان الامر ما يحمل قتل المسلمين فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده فاظهر للقاضي غلاظة وقامت الغوغاء من الانقشارية في المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عاصي الشرع فاكتب لنا حجة بعصيانه فامتنع القاضي فهجموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هنالك من العلماء وساقوا القاضي ولزوه بالايادي ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق ارهابا له فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما في نفوسهم فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانقشارية بالهجوم على ابواز بيك في بيته فسار بيرقهم من تمشي باب السلام على يسار المنبر قاصدين بيت ابواز بيك فلما وصلوا الى مقام المالكية بادر غلمانه الى البنادق وكمنوا خلف عواميد المسجد مما يلي بيت مولاهم فلما أقبلوا اطلقوا في وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى ان دخلوا باب الزيادة واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فسلط على ابواز بيك عسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فترسوها هنالك ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين وابواز بيك ومن معه من البلكات محصورون في البيت ولم يزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها وفي المسجد وسطح المسجد وما بين الاروقة وعزل السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقي الامر على هذا الى اليوم الثاني فالتمس الشريف سعيد من ابواز بيك الصلح وبعث الى القاضي يأمره بارسال جماعة من

فيه النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها مما هو أمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وقد سلمت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها • قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله (١٥٤) السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بأبسط من هذا في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار المجازاة بها يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره للصلاة فيه وعمل في ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا الى الله تعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباي رحمه الله تعالى فتهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لما أهله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العمائر المكية وغيرها وان يتوجه شادها السيفي سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار وأكثر وجهز المؤن الكثيرة الى ان امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى أن كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمآذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان • وذكر السيد السمهودي رحمه الله تعالى في تفصيل كتابه خلاصة الوفا فراجعه ان أردت احاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفاء

العلماء الى اوازبيك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو جماعته واتفق الامر على ارسال جماعة من رؤس البلكات حضروا عند القاضي فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح فسعوا في ذلك بعد التأبي الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لاوازبيك ما يساوي مائة كيس من القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين اوازبيك والشريف سعيد عنده وأبان اوازبيك حجته وذكر ما أخذ عليه فقال الشريف سعيد أرد كل ما قدرت عليه مما هو لك ومالم أجده أعطيك ثمنه وقاموا من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

• (ورود أغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة) •

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني بشرافة مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وانه وصل الى جدة وان الوزير سليمان باشا أرسل القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب بان البلاد للسلطان ونحن خدم له فان كان الامر صحيحا فأنا مطيع الامر وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه ان الشريف سعيدا متول بامر سلطاني ولا يعزل الا بعلة وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الاشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر أنهم نزلوا وادي مر فأرسل اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاويش الانفشارية ومعه جاويش المتفرقة وجاويش الجاوشية ومعهم السيد جار الله بن صامل الى الوادي بخطاب الى الشريف عبد الكريم وأغاة القفطان مضمونه ان يشرفوهم على الامر السلطاني ليطلعوا به على الخبر وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد أغا كلام سليمان جاويش زجره بالسب واللعن ومن جملة ما قاله له لولا أنك رسول لقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا وهم ذاهبون الى الوادي واجههم خمسة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحمد أغا حامل القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على اوازبيك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وسجلوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف سعيد ذلك أرسل الى اوازبيك يلومه على هذا الفعل ويخطئه في نزول هؤلاء الاشراف عنده فأجابه اوازبيك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما

هؤلاء

هؤلاء الاشراف فانهم يعرفون قواعدهم وهم يردون عن أنفسهم الجواب فارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فلم يفعلوا عند الصنجق ايواز بيك ذلك اليوم وجعل لهم الغداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال جمع عساكره وعربه وأفهمهم ان نيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبي لهب وبساتين العمرة وأمر صاحب الزردخانة بدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاووش الانكشارية وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من أغاة القفطان وان الامر سلطاني صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد ففي ذلك الوقت أخرج نساءه ودشهم من البيت وأرسل الجميع عند كريمته الشريفة سعدية فلما كان قرب التذكير ركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ايواز بيك وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره ونادوا في ذلك الوقت في شوارع مكة البلاد بلاد الله وبلاد مولانا السلطان أحمد خان وبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وعسوا البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

●(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهي الولاية الثالثة له سنة ١١١٧)●

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاي الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا وعسكر الامير ايواز بيك وأغاة القفطان أحمد أغا باش جاووش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فجاؤا الى الحطيم فوجدوا القاضي والمفتي والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا في محله على جاري عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطاني بالفرو السمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كتخدا سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقية أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطاني وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفي ومضمونه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقية الرعايا والحجاج والتجار والمجاورين والوافدين وانا قد عزلنا الشريف سعيدا عن شرافة مكة لموجب

الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباي أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب في العام مسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباي لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا

●(فصل)● في حج السلطان قايتباي واعلم ان ملوك الجراكسة ما حج منهم أحد غير السلطان قايتباي لكثرة تمكنه في الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجليلة في الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير يشبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوي بنحو عامين وكان أمير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وركب الحاج المصري فخرج السلطان قايتباي بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضي الشافعي يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتهيأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات لملاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهي نهاية الربع الاول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحمد فواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والمجابرة وأكل وقسم على أمرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جليلا ●(ويحكى)● من لثاقة السلطان قايتباي انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذي جاء بالسماط ايش اسم هذا عندكم

فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا • ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منه الى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد بن ميزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة • قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير خرج السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وبدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حال التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بصاحبيه رضي الله عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحيه وعفر جبهته في ساحتها السنيه وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم • ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن الكركي • ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر صلاة الجمعة قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص

كانت مساءلة الركبان تخبرني • عن أحمد بن سعيد طيب الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت • أذني بأطيب مما قد رأى بصري

وان ذطربهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في

ما رفع الينا من عبد اعتابنا سليمان باشا جميع ما صار في الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق وعدم الوفاق بينه وبين بني عمه السادة الاشراف وانا قد ولينا وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بشرافة مكة المشرفة على ما هو مسطور في مرسومنا العالي لموجب ما تحققنا ان الرعايا والسادة الاشراف راضون عنه والحذر من مخالفته والخروج عن طاعته وان يعمل كل بما هو مذكور في مرسومنا البادشاه المطاع في سائر البقاع على الوجه الشرعي من غير مخالفة ولا نزاع ثم طلع مصطفى أفندي ديوان كاتب وقرأ نفس الامر الوارد ثم بعد ذلك قرئت أوامر الصنجق ايواز بيك المتضمنة انا قد أنعمنا على ايواز بيك بولاية بندر جدة ومشيخة الحرم الشريف وألبس الصنجق القفطان السلطاني الوارد صحبة الاغاة وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا ثم ان مولانا الشريف توجه الى داره السعيدة وجلس للتهنئة فطلع اليه الناس وهنوه وباركوا له بالشرافة ومدحه الادباء وهنوه بالقصائد الفائقة ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام وحصل بذلك السرور التام للخاص والعام وهذه الولاية الثالثة للشريف عبد الكريم وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الامر الوارد للشريف سعيد صحبة السيد خيل الله بن حمود وأبي نمي بن باز ومعهم كتخدا أغاة القفطان واثنان من صراخة مصر فقصدوا الشريف سعيدا جهة الشرقية وقروه عليه ومضمونه انا قد عزلناك وولينا الشريف عبد الكريم وهيأنا لك ما يكفيك بمصر كل يوم ألف ديواني وجميع ما تنفقه من مكة الى مصر المحروسة وما تحتاج اليه تعطاه من خزينتنا فلما فهم مضمون الامر ما استحسن ذلك وتوجه الى جهة اليمن هو ومن معه ورجع المراسيل من عنده وعرفوا الشريف عبد الكريم والصنجق وأغاة القفطان بالواقع ثم نزل الى جدة كتخدا ايواز بيك وتسلم البندر وطلع الى مكة سليمان باشا بحريمه وفي ثاني عشر شعبان عقد مجلسا مولانا الشريف عبد الكريم جمع فيه السادة الاشراف وسليمان باشا وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضي الشرع والمفتين والعلماء وأغاة القفطان وأغاوات العسكر وكثيرا من الناس فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الاشراف وشرط عليهم شروطا فقال يا رفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق حتى آل الامر الى الحرب والقتال وتعبنا نحن والرعايا وعمت الفتن وأصيب فيها الغني والفقير وذهب بسببها الاموال والرجال ومضى على هذا الحال زمن والكل منكم تحقق ما صار وشاهده بالعيان والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم الخارجة عن المعتاد التي تعجز عن تحصيلها العباد والبلاد فكل ملك يتولى تحصل بينكم وبينه التعب والمشقة بسبب المعلوم فالقصد منكم ان تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعا فثلاثة أرباعه تكون بينكم والربع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد

السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألنى عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له فى الجواب فأقيمت الصلاة فى أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل على طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكى فى تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا بسماعها واستمر بنا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بإزالتها وجعل لأمير المدينة فى مقابلة ذلك ألف اردب قررها له فى كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو ستة آلاف ذهب وحصل لى منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز فى اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودى ملخصا قال العز ابن فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به فى منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهر الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضى برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقى من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وسار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مسعاهم ويطمن خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى أوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه فى الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدى لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادى مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا حافلا لأجل السلطان ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادى ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جليلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ

وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذى كان فى زمن الشريف سعيد والقيام به فليتقدم وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فانتدب السيد محمد ابن أحمد شيخ ذوى عبد الله وقال قد سمعتم ما قاله الشريف لكم فأجيبوه بما فى نفوسكم فأجابوا جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضى ما سمعه من رضاهم فى المجلس وكتب عليهم بموجبه حجة شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية فاذا وصلت ان شاء الله بالسلامة اجتهدت لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفى غرة شهر رجب توجه الامير ايواز بيك الى حضرة الشريف وطلب انعقاد مجلس فاحضر له الشريف معظم من تقدم ذكرهم ثم ادعى ايواز بيك على الاشراف بجميع ما وقع عليه من الحصار والنهب فى زمن الشريف سعيد وأثبت ذلك عليهم وكتب حجة بعصيانهم ثم انهم خافوا العقاب من السلطنة فدخلوا على حضرة الشريف والقاضى وطلبوا العفو من الصنجق فعفا عنهم وفى رابع عشر رمضان أمر الشريف بشنق أحد عشر رجلا من هذيل من بنى مسعود فعلقوا خمسة فى سوق الصغير واثنين فى المسعى عند الزابيز واثنين فى المدعى واثنين فى سوق المعلى والسبب فى شنقهم انهم نهبوا المورق لولا نا الشريف فى طريق جدة بالمحل المعروف بأبى الدود فأخذوه وصوبوه فرجع المورق وأخبر بما صار عليه فارسل الشريف خيلا وأرسل معهم السيد عبد الله بن بركات فأخذوا أثرهم وقصوا جرتهم الى ان وصلوا الى مراح هؤلاء المشنوقين فادركوهم هنالك وتراموا معهم بالبندق ثم ظفروا بهم وامسكوا منهم هؤلاء الاحد عشر وما بقى منهم فر الى الجبال وفى ثامن شوال نزل ايواز بيك الى جدة وفى النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بان الشريف سعيد ارصل القنفذة وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وانه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع فى جمع القبائل وأرسل اليهم بعض الاشراف يأتيه بهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضى وجمع المفتين وبعض العلماء وأغاوات العسكر وقال لهم تحيطون علما ان الشريف سعيدا جمع أشقياء العرب المفسدين البغاة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربنا فما تقولون واجابوا جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كنا عند الوزير سليمان باشا وأخبرنا بمثل هذا فأجبنا بالسمع والطاعة وليس فينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدى اقامة أحد اخوانى بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا فى محافظة العباد والبلاد وأنا خارج البلد لمقابلته فأجابوا جميعا نحن فى خدمتك وتحت أمرك

الاسلام القاضي ابراهيم بن ظهيرة وولده القاضي أبو السعود وأخوه القاضي أبو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين الكركي الحنفي واستمروا الى أن دخلوا الى مكة من أعلاها وكان القاضي ابراهيم هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والتلبية الى أن دخل السلطان من باب السلام البراني فطلع بفرسه منه فجفل به جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس الى أن تقدم المهتار رمضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطان فلبسها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن يترجل ويدخل محرما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى • ثم لما وصل الى عتبة الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ بين يديه الرئيس بصوت جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم انه رفع يده للدعاء للسلطان وأمن من حوله من أهل الاصوات ودخل من باب السلام ومولانا القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء الى أن دخل الطواف وقبل الحجر الاسود وهو الذي يطوفه ويلقنه الادعية والرئيس ينادي بالدعاء له من أعلى قبة زمزم والناس محيطون بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى أن تم طوافه وصلى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه عاد الى الزاهر وبات في خيمته وركب في الصبح في موكبه ولاقاه مولانا السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة البرهاني ابراهيم بن ظهيرة وابنه الجمالي أبو السعود وأخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء وأعيان الناس وأكابر التجار فخلع السلطان عليهم وقابلهم على الجميع ومشوا قدامه في موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل مكة بهذا العنوان الى أن وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومد له بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك بعد له سماطا وليس الا الاسمطة الجليلة ومد له في ثاني يوم قاضي القضاة البرهاني سماطا جميلا واستمر السلطان بمدرسته ما ظهر لاحد غيرانه يتصدق بالمال كثيرا وركب مرة لدرب اليمن يشاهد ما قدم له مولانا السيد الشريف من

وأمر السلطان ثم طلب منهم جماعة عشرون معه من العسكر فأعطوه مطلوبه وقرؤا الفاتحة وتفرقوا وفي عاشر ذي القعدة برز الشريف بعسكره عند بركة ماجن وخرج اليه جميع العربان الذين تجمعوا وخرج أيضا الوزير سليمان باشا بعسكره ثم توجهوا الى الحسينية وجاءهم الخبر ان الشريف سعيدا ومن معه نزلوا الشرقية ثم انتقل الى ان وصل العابدية فأرسل اليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن حمود وعرفه ان هذا الفعل ليس بصواب وان مجيئك بهؤلاء القوم كلاب الحجاز مزري به السلطنة والاولى ان تحقن دماء المسلمين وترجع بهم من حيث جئت فما التفت لهذا الكلام لان قومه كانوا في غاية الكثرة فاغتر بهم فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما سمعه من الشريف سعيد فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبد الكريم فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقرى وتحصنوا برؤس الجبال وركضت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا فانهزموا وركب خلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره الى أن نزل جهة مسجد نمرة ونزل الباشا بعسكره بعرفة وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا شرعوا في الحرب ووقع بينهم الرمي بالبندق من بعد وفي هذا اليوم وصل الامير ايواز بيك بعسكره من جدة وحضر الحرب فوقعت مقتلة عظيمة فانهزم الشريف سعيد ومن معه وتركوا ما وصلوا به من مال وجمال وبقر وحمير وغير ذلك من الذخائر فغنمه من كان مع الشريف عبد الكريم وصار الناس يأتون بالكسب الى مكة فوجا بعد فوج ووصل البشير الى مكة فحصل به السرور والانس فأقام مقام الشريف عبد الكريم ودار المبشر على بيوت الاشراف فألبسوه وركزت علامة النصر في بيت الشريف والاشراف ودق الزير وفي ثاني يوم وصل الشريف عبد الكريم الى مكة ومعه الباشا وايواز بيك والعساكر وكل من كان معهم ودخلوا في آلاي أعظم وجلس الشريف في داره للتهنئة ومدحه الشعراء بقصائد وحمد الناس فعله حيث خرج لهم خارج مكة فوقع الحرب بعيدا عن البلد والناس آمنة مطمئنة والاسواق عامرة وجماعة المسجد وافية جزاه الله خيرا ثم بلغ الشريف عبد الكريم ان الشريف سعيدا دخل الطائف فأرسل خلفه بعض اخوانه مع عرب ثقيف فخرج من الطائف ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان وخرج مولانا الشريف عبد الكريم للقاء الحج على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس على المعتاد في أمن وأمان وبعد توجه الحج المصري والشامي سافر سليمان باشا ودخلت سنة ألف ومائة وثمانية عشر وفي أواخر صفر وردت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا من العرب يريد بهم مكة فشرع الشريف عبد الكريم يتهيأ للقائه وجمع جموعا وبرز بعسكره بالابطح أوائل ربيع

الابل والخيل ونشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكبا الى جانبه وهو شيخ الشيوخ البرهاني ابراهيم بن الكركي والامير شيبك الجمالي وأولاد القاضي يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضي أبو البقاء ابن الجيعان ورمضان المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فأفاض مع الناس وأتم حجه وفرق الاضاحي غنما كثيرة وأهدى شيأ كثيرا وكان المناسب ان ينحر شيأ من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصري وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لاهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخاري وقراءة الربعة وخادمها وخادم المصحف والفراشين والبوابين والوقادين والجبادين والسقائين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف والجابي والصيرفي وأصحاب الخلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد كفايته من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك فيها وعمل من الخيرات مالم يسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بطرف الايوان وقدامه المصحف على كرسي وفرق على الحاضرين أجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزأ منها كأحد القراء وقرؤا الى ان ختم القاضي ابراهيم ولم يؤخذ من السلطان الجزء حتى ختمه بنفسه وجمعت الاجزاء في صندوق الربعة ودعا الداعي للسلطان ومد للحاضرين سماطا حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي ابراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكرا وسوبية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا • وكان بنى السلطان سبيله على عين الداخل الى خان البزازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبري على يمين الذاهب الى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان في ظهر يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقرى الى أن خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة ابراهيم بن ظهيرة الى الزاهر ثم ردهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته

الاول وبعد عيد المولد توجه من معه للاقاة الشريف سعيد ونزل الشرقية فجاءه الخبران الشريف سعيدا دخل الطائف ثامن عشر ربيع وان قومه أربعمائة فتوجه اليه الشريف عبد الكريم فبرز اليه الشريف سعيد جهة المليسا

•(عزل المفتي عبد القادر الصديقي وتولية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١١١٨)•

وفي هذه السنة أعني ثماني عشرة وقع شئ بين المفتي الشيخ عبد القادر الصديقي والشيخ تاج الدين القلعي فسافر الشيخ تاج الدين للابواب السلطانية ثم رجع من أبواب السلطنة ومعه أمر سلطاني بعزل المفتي عبد القادر الصديقي وتوليته وكان وصوله في السادس عشر من رمضان استأجر هجينا من ينبع فقطع من ينبع الى مكة في ثلاثة أيام لاجل حضوره المجلس السلطاني بالمسجد الحرام ليلة سبع عشرة من رمضان التي يحصل بها ختم السلطان ثم أرسل مولانا الشريف عرضا للدولة العلية يطلب فيه ارجاع المفتي عبد القادر الى الفتوى فاجيب الى ذلك وجاءه الامر بذلك في رجب سنة تسع عشرة فاعيد المفتي عبد القادر الى الفتوى واستمر بها الى أن توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأقيم في الافتاء بعده ابنه الشيخ يحيى وتوفي سنة احدى وأربعين ومائة وألف ووقع القتال بينهم فانهزم الشريف سعيد وتوجه الى جهة لية فمشى خلفه الى الجال ثم رجع الى الطائف وجاء البشير الى مكة ثامن عشر ربيع واستمر الشريف عبد الكريم بالطائف ومعه ايواز بيك نازلا في المثنى في بستان السيد أحمد بن سعيد عم المكه وعساكره الى شهر رجب ثم رجع الى الى مكة وفي شعبان رجع ايواز بيك الى جدة ورجع الشريف من الطائف في شوال ودخل مكة في الاي أعظم واستمر الى الحج وفي غرة ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وصل ايواز بيك من جدة وجاء لمولانا الشريف أغاة من السلطنة ومعه القفطان وسيف مرصع ومعه مرسوم سلطاني فقرئ بالحطيم على المعتاد ومضمونه ان الحجة والمحضر المرسلين من أهالي مكة المكرمة وصل كل منهما ووصل بعدهما من طرفكم مكتوب بالصداقة وعروضات الى باب دولتنا فعرض على سرير سعادتنا خلاصتها واستدللنا بذلك على حسن سيرتكم وصفاء طويتكم وسريرتكم وأطنب في المرسوم غاية الاطناب ثم قال وقد وجهنا اليكم جميع ماطلبتم ومن جملة ذلك ما كان معينا من مصر في بندر جدة للشريف سعيد وهي أربعون كيسا وما كان معينا لجوهر آغا تابع المذكور وهي خمسة أكياس من سفائن الهند المجموع خمسة وأربعون كيسا زيادة على ماهو مقرر لكم تستعينون به على مصالحكم وتقويه أموركم عناية منا بكم واحسانا اليكم ولما كان يوم الخامس من ذي الحجة دخل الحج المصري مكة فخرج مولانا الشريف يوم السادس للاقاته ولبس الخلعة على المعتاد ثم وصل الحاج الشامي

ولم يختل عليه شئ من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهى نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر
الملك وتدربه فيه وضبطه رحمه الله تعالى • وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية فى اللطف والمؤانسة
وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا ونبلا واعتدالا وأكثرهم فى جهات الخير آثارا
وأوفرهم عمائر وأوقافا وأدوارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته
تنجلى كالعروس فى حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغدا • ابهرت العلماء فى أيامه وغوا فصار والنجوم الهدى
الى ان انتبه له الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالى والجدود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله
الدوائر وهذا شأن الدنيا
الدنية فى أبنائها الاصاغر
والاكابر ودأبها فى
السلاطين والملوك الغوابر
والبقاء والدوام لله عز
وجل القدير القاهر فقدم
على قابض أرواح أجله
وما أغنى عنه ما جمعه من
خيله وخوله فأقدم على
ما قدم من صالح عمله
وترك ما خوله من متاع
الدنيا وراء ظهره وأدرج
فى أكفان أعماله بعد
ما غسل بدموع قصره
وأنزل من سرير الملك الى
التابوت الى قبره وقدم
على رب كريم ووقف بين
يدى ملك الملوك الحكيم
الحليم

اذا أمسى فراشى من
تراب
وصرت مجاور الرب
الرحيم
فهنونى أصحابى وقولوا
لك البشرى قدمت على
كريم

فكان انتقاله رحمه الله
تعالى فى أواخر يوم الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه الشريف
يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التى بناها فى حياته فى غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف دارة عليهم الى الآن
ليس بمصر أحسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة
سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى ﴿وولى بعده الملك ولده الملك
الناصر أبو السعادات محمد﴾ وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه
اللهو واللعب والحركات المستبشعة • يحكى عنه أمور قبيحة • منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه

وأميره سليمان باشا الذى كان متوليا جدة فخرج مولانا الشريف لملاقاته على المعتاد ولبس الخلعة
وحج بالناس ولما كان يوم عرفة حصل بين المحملين مشاجرة فى التقدم عند النفر أوجبت المراماة
بالرصاص مع ان القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصرى ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع
أرسل بعض الاشراف الى الامراء لتسكين الفتنة لحفظ الحاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد
الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشد الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم فجزاه الله
عن المسلمين خيرا وأرسل مولانا الشريف هذه السنة هدية سنية للسلطنة العلية صحبة يوسف آغا
شيخ القراء وتوجه مع الحج المصرى ودخلت سنة ألف ومائة وتسع عشرة وفى ثامن عشر جمادى
الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف ضحوة النهار وطلب الضيفة من أهلها فجمعوا له شيأ
وقدموه له وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف
عبد الكريم ذلك فجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه
من مكة الى شعبان لامور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل فى شعبان الى الطائف وجد الشريف
سعيدا قد خرج منها وفى هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية فى شأن
السيد يحيى بن بركات واستأذنهم فى أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فاجيب الى ذلك فوصل الشريف
يحيى بن بركات مكة فى رمضان ومعه يوسف آغا الذى توجه بالهدية من مولانا الشريف عبد الكريم
ومعهم آغاة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بخلعة ومرسوم سلطانى وسيف مرصع فدخل مكة
مع الشريف يحيى فى الآى أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات فى زى الاروام بالقاووق على رأسه
فذهب للسلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة بمثله وأنزل كلا منزله فشكروه
على ذلك وكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف وصل فى شوال وبعد وصوله قرأ
المرسوم الذى جاء به الآغاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفى يوم السبت رابع ذى القعدة
اجتمع السيد يحيى بن بركات وشيخ الحرم ايوازبيك وقاضى الشرع وأصحاب الادراك من السبع بلكات
وبرزوا الى الاسواق والازقة وشرعوا فى هدم الدكك التى قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد
من الاشرعة والظلل والمساطب التى فى الطرق والاسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك
غاية السعة فى جميع الاماكن ولما وردت الحجوج خرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة
وحج بالناس فى أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفى هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف
هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة ألف ومائة وعشرين وفى شهر صفر جاء خبر لمولانا
الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فاراد

الشريف عبد الكريم أن يركب عليه بعسكره وأرسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوما فأعطاه المهلة وبعد تمامها توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تنافروا مع الشريف عبد الكريم فخرجوا مغاضبين وانضموا الى الشريف سعيد وصادفوا حمولا من البن واصلة من اليمن فأخذوها فأرسل خلفهم جماعة من الاشراف والعسكر ثم لحقهم بنفسه فلما أدركوهم دفنوا بعض البن وأطلقوا في بعضه النار وأخذوا البعض وأودعوا البعض وتركوا البعض الذي عجزوا عنه وفر بعضهم الى الخواة وبعضهم الى ديرة بني سليم فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما دفنوه وأخذوا ما وجدوه ورجعوا وفي أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا وقصد مكة ثم في رجب جاء الخبر بأنه دخل بجموعه دوقة فأخذ الشريف عبد الكريم يتجهز للقائه وأرسل في طلب القبائل فجاء كثير منهم فتوجه بهم الشريف عبد الكريم مع العساكر الى الحسينية في شعبان فلما بلغ قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد ان وصلوا الى العابدية ثم سعت الاشراف بينهم وأخذوا له مهلة وجعلوا له في كل شهر ثلاثمائة أحمر وشرطوا عليه أن يسكن بيشة فوافق على ذلك وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف فانقضى ذلك المعين ولم يتم واستمر الشريف سعيد في العابدية الى دخول رمضان فصام هنالك وأرسل الى مكة وطلب بعض أهله فصاموا واعتدوا وعيد في العابدية وجاء في هذه السنة أيضا أغا القفطان سلخ رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع وفروة فقرئ وفعل كل ما جرت به العادة وفي المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف في الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم ومما ذكر في المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر أطراف الحجاز الى أن قيل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولتكن كراكب الكميت المتمكن من صرعه بيديه حيث شاء واستعجلوا التأخير الدعاء وأرسل للشريف سعيد بأنك ترحل من العابدية ومن هذه الجهات وأطراف الحجاز فان حضرة السلطان أمرنا بذلك فرحل الشريف سعيد هو وأتباعه وتوجه الى اليمن ثاني شهر ذي القعدة وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها وفي هذه السنة عزل أبو از بيك من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامي نصوح باشا ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة وحج بالناس وتوجهت الحجوج بالسلامة

•(دخول سنة ١١٢١)•

ودخلت سنة ألف ومائة واحدى وعشرين وفي شهر ربيع الاول توجه الشريف عبد الكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفي خامسه دخل الطائف بالنوبة والعساكر

في خيط أعده لنظم فروج النساء • ومنها ان والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن هيأت له جارية جميلة جدا وجمعتها به في بيت مزين أعدته لهما فدخل بها وغلق الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صوتها وبكاها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه غلق الباب من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر لهم استاذيته في السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله في صنعته • ومنها انه مر وهو في موكبه بدكان حلواني يبيع الحلاوة وبسطته قدامه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله امراؤه يشترون منه وأخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى أن حيرت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي الى أن سقط من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا بالخادم الابتر وسلخوه كما سلخ تلك الصبية فهو بالخير ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر فمن غروره انه خرج متخفيا منفردا عن عبيده وخدمه متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده الى بر الجيزة فأكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه في جهة على ممره فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا خرجوا عليه من الجهة ومسكوا لجام فرسه وضربوه بالسيوف الى أن قطعوه وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة ﴿ثم ولوا بعده خاله الظاهر قانصوه﴾ وهو خال الناصر محمد بن قايتباي كان سازجا أميا لا يعرف الا لسان الجركس قريب العهد بالبلاد لان السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخطه الشيب وصار رقيبه بواسطة زوجته خوند ادم الناصر فبذلت له الاموال والخزائن وأرادت اقامته مقام ولدها الناصر وأرادت تقويته واقامته واصلاحه • ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر • فما استكمل له الحد للابالة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأنى له فخلعوه بعد أن ساسهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة ﴿وولي بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الاشرف جان بلاط﴾ في أوائل سنة ست وتسعمائة وما تهنأ بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر ﴿وولي مكانه الملك العادل طومان باي﴾ وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم أحد على السلطنة وكانت الامراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض في الجلوس على تخت الملك واتفقوا على أن يولوا

قانصوه الغورى لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أى وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم جاها وأوهنهم قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلونى واذا أردتم خلعى من السلطنة أخبرونى بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضى حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه ((السلطان الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغورى)) فى سنة ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين وسرعة تقضى ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم فى الجملة وكان قانصوه الغورى كثير الدهاء ذا رأى وفطنة وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف محبا للعمارة ((ومن جملة عماراته الجامع والتربة)) بين القصرين بمصر وكان فى نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وماقدر له دفنه فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وماعرف وماتدرى نفس بأى أرض تموت ه وله آثار جليلة فى طريق الحج فى عقبة أيلة وما تركه الشريفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الامراء بالتدريج والتنزل من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة أو تجبر وذلك فى ابتداء أمره الى أن تمكن من قوته وبأسه ه حكى شيخنا شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربى الاصل ثم المصرى نزيل الحرمين الشريفين وهو ممن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الاقلام من ديوان السلطان قانصوه الغورى رحمهما الله تعالى قال لما تم الغورى مبادى فتنة أراد الامراء احداثها وأرادوا أن يجعلوه عاما قدمه خلعه من السلطنة فلما استشعر الغورى ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الامراء والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الامراء والمقدمين الوقوف بين يدى السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط فى الاكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى مايقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا أغوات جمعتكم لاسألكم سؤالا خطر لى وأطلب جوابه على الوجه الذى ترونه صوابا وقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة مختومة وأودعوها عنده فقال انما استودع منكم هذه الوديعة بشرط ان تأتونى وتطلبوا وديعتكم منى بلا نزاع ولا خصومة فأردود يعتكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا

ثم بعد أيام رجع الى المبعوث واستمر الى شعبان ثم رحل الى بلية وغزا قبيلة مطير وأخذ هم أخذة عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشر رمضان وفى الخامس والعشرين من رمضان توفى محمد باشا صاحب جدة الذى جاء بدلا عن ابراز بيك وأقام مولانا الشريف مقامه خزندار الباشا وصيره الى أن يجىء بدله ثم جاء فى شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا متوليا على جدة وفى شوال من سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه ان نصوح باشا أرسل الينا مكتوبا يشكو منكم نوع تقصير وعدم ملاطفة واستغربنا ذلك منه لعلمنا بحسن سيرتكم ومعاملتكم فالمأمول أن تزيلوا ماهنالك على فرض وقوعه وتبدلوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف فى صدق محبتكم وخلوص مودتكم وشاع بين الناس أن نصوح باشا عرض فى الشريف عبد الكريم يشكو منه وانه برز اليه أمر بالتفويض بعزم الشريف أمره وجمع العربان واتفقوا لمدافعته فلما جاء الحج خرج ملاقاته على المعتاد ولبس الخلعة ولم يحصل شئ وحج بالناس على المعتاد ولم يحصل شئ ولله الحمد ورجعت الحجوج

((دخول سنة ١١٢٢))

ودخلت سنة ألف ومائة واثنتين وعشرين وفى آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الاشراف من ذوى مسعود وذوى عمرو وذوى عبد الله وذوى جازان والتموا على الشريف سعيد وتعرضوا الثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا مكة مع الشريف سعيد فتجهز الشريف عبد الكريم لملاقاتهم والتقوا فى شهر ذى القعدة عند المفجر ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الاشراف فأصلح بعض المعاضين وأدخلهم فى الطاعة ووصل الحج فخرج لملاقاته ولبس الخلعة على المعتاد وحج بالناس فى أمن وأمان الا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة سببها ان حمزة أمير حج الشام عليه لبعض السادة الاشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فنوى فى هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى نصوح باشا ودخل عليه وأراد المشى فى صحبته فأرسل الباشا خيلا وعسكرا من جماعته الى بيت الامير حمزة لاخذ كرارة وجماله فبلغ الاشراف ذلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستغرب من الباشا هذا الفعل وأرسل اليه يعرفه بالعوائد والقوانين وان هذا الرجل جاء بصحبة حج الشام وهو من جماعتك الذين جاؤا بصحبتك وعليه دراهم عوائد لبعض الاشراف فما التفت الباشا الى هذا الكلام وأعاد الجواب الى الشريف بكلام أنفت نفسه منه فأوقف الشريف القاضى والباشا صاحب جدة وأمير الحاج المصرى وأغوات السبع بلكات على كلام نصوح باشا فكلهم صاروا يلوم نصوح باشا

وقالوا له لا سبيل لك الى هذا فمنع الشريف من نفاذ أحكامه فى بلده واعتد الشريف لمدافعته فلما رأى عزم الشريف وشدة بأسه بادر بالارتحال فتركه الشريف وأعرض عنه واستخلص كتابة محضر فى نصوح باشا على لسان السادة الاشراف ومحضر من أهالى مكة ومحضر من صاحب جدة فكتبت المحاضر ومضمون الجميع شكوى نصوح باشا ورفع أفعاله الى الدولة بجميع ما سلكه فى الحرمين وأرسل المحاضر مع هدية سنية بصحبة رجل من الارواام وجاءت أخبار بان عربان حرب جمعوا جموعا كثيرة وقعد النصوح باشا فى جبال الخيف فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له خبرهم فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم فاشتد عليه الكرب ثم دفع لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيسا فأرسل مبارك بن مضيان الى العرب وفرق عليهم الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا حالا يصل اليك مرسولى ارحل بالحج لان العرب جمعتهم عندى وفرقت عليهم الدراهم فعند ذلك رحل الباشا بحرته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة وتأخر كثير من الحجاج وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم لكثرتهم فحصل بينه وبينهم موافقة ثم نكثوا عليه ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وحصل للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر وأرسل لمبارك بن مضيان يقبح فعله ويتهدده ويعرفه ان سيف السلطان طويل وأما نصوح باشا فانه لما وصل المدينة طلب من أهل المدينة محضرا مضمونه ان جميع ما صار على الحجاج من نهب وتعب فكله بأمر من الشريف عبد الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا ما عندنا علم بذلك فكيف نكتب شيأ ما شهدناه فلما أيس من ذلك تكلم فى شيخ الحرم ووزيره ونسبه الى الوأس مع الشريف عبد الكريم وحرب وجمع أكابر الحجاج وقاضى المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم أرسل اخوانه الى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج وانما رأينا اخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أرادوه ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من عنده ما أراد وأرسل الجميع صحبة الحجة الى الدولة من اثناء الطريق وأرسل صحبتهم كتبه

●(دخول سنة ١١٢٣)●

وكان ذلك كله فى شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الامر الصادر من الدولة العلية ومعه

الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع وضراب معى كما اشترطت عليكم فقالوا لابد لنا معك من الخصام والنزاع فانه على الباطل وأنهم على الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا انى كأحدكم لا أنازعكم بشئ وهذه السلطنة أسلمها لأيكم أراد ولا أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعنوا له بالسلطنة وسألوه فى استمراره سلطانا عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحال الى أن صار يأخذهم واحدا بعد واحد ويتغافل ثم يعمل حيلة أخرى وعلة أخرى لاحدهم فيأخذهم بها ويوقع بين الاثنين ويأخذ هذا بذاك ويأخذ ذاك بهذا ويدس لهم الدسائس من السم فى الطعام ونحوه حتى أفنى قوانصهم ودهاتهم وأعدم عددا وعددا فصاروا يتلمسون الناس ظلما ويعاملون الخلق عسفا وغشما وصار يغضى عنهم ويتغاضى لهم فأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وأكثروا العناد وطغوا فى البلاد وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس وكثرت العوانية فى أيامه لكثرة ما يصغى اليهم وصاروا اذا شاهدوا أحدا توسع فى دنياه وأظهر التجمل فى ملبسه أو مثواه وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويطالبه بالقرض ويستصفى أمواله ويسلمه الى السو بشى ليأخذ ماله ويهلك أهله وعياله ويعذبه بانواع التعذيب الى أن يصير فقيرا بعد غناه ومعدما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت فى آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وعرفت بددا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك ما معه وهيهات ان ينفع مال حصل بانين كل حزين وسلب بالقهر والعسر من كل محتاج مسكين وكيف ينفع سالبه ومانعه صاحبه وكيف يتهنأ به من اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه الا ان مالا كان من غير حله سيخرب يوما أهله وآتابه وأما الميراث فبطل فى أيامه وصار اذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء الا ان اعتنى به اعتناء كبيرا فيجعل له نزرا يسيرا من مال أبيه وأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه فى آخر أيامه واستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

رب العالمين • حكى لي والدي رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى انه رأى بمصر في أيام السلطان الغوري جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو يمتنع منه فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندي بالمتاع وما قدر أحد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب علي مشاهدة هذا الحال فرفعت يدي الى الله تعالى ودعوت على الجندي المزبور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على طهارة وأنا متفكر في أمرهم وأحدث نفسي بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأت جنوده الارض واني للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا وتطمئن في (١٦٤)
دولته البرايا وأخذني النوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس يكنسون الجراكسة من أرض مصر ويلقونهم في بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يقرأ القرآن فأنصت له واذا هو يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغوري بجنوده وأمواله وخزائنه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر بعد قليل بانه انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل في مرج دابق وعرب بقية السيوف من الجراكسة وصيروا الدويدار طومان باي سلطانا والسلطان سليم في اثرهم يفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج اليه طومان باي ومن معه الى قتاله بالواقع
فما حل هو ومن معه الاساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه في الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باي الى البرية فمسكه شيخ عرب وجاء به الى أوطاق السلطان سليم خان فأمر بصلبه في باب زويلة حتى يراه الناس ويصدقون بانه مسك وصاروا يزعمون بانه اختفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنة الفساد وكثرة القتل والقتال فأمر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان صلبه في باب زويلة في حادي عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الاتراك والاكراد والعبيديين وهكذا شأن

كتب من نصوح باشا لشيخ الحرم وللقاضي ولاغاوات الاسباهية وأغاة القلعة ومضمون الجميع ان البلاد صارت للشريف سعيد وأمرهم بالنداء له في المدينة فتوقف شيخ الحرم ثم تغلب عليه بعض أهالي المدينة والقاضي بواسطة بعض الناس ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال وزينوا المدينة وأرسلوا صورة الامر لاسمعيل باشا متولي جدة وطلبوا منه ان ينادي في جدة فامتنع من النداء خوفا على البلد والطريق لئلا يقع خلل بموجب ذلك وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف وأخبروا ان الشريف سعيدا وصل قرب الطائف ومعه قوم فأمر الشريف عبد الكريم عسكره الجمالية والسقمانية ان يبرزوا الى المعابدة ثم بعدهم بيومين برزهو الى الابطح ببقية عسكره وعسكر مصر والسادة الاشراف ونزل في مخيمه وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه ثم جاءه الخبر انه وصل الى شداد فأمر بدق الزير واجتمع الاشراف والعساكر وتوجه بهم الى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة فوجد الشريف سعيدا نازلا بها فبات كل منهما وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق واستمر الحرب الى آخر النهار ووقع الصواب في الجيشين وقتل البعض من العسكرين ثم ان الاشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين فانتقل الشريف سعيد الى الشريعة بلاد ذوي جازان والشريف عبد الكريم جالس مقابلا له بينهما مسافة ساعة فركب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الى الشريف سعيد وقال له يا سيدي طلبنا الكف عن الحرب بينكما يومين وقد مضت والآن قصدي ان تكون الاجلة الى ثالث عشر ذي الحجة فان كان الامر السلطاني جاء لك فتكون هذه المدة لك ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة فتم الامر بينهم على هذا فركب الشريف عبد الكريم بمن معه ورجع الى مكة ونزل في بستان الوزير عثمان حميدان واستمر في البستان من ظهر يوم الثلاثاء الى يوم الخميس وفيه طلع اليه جميع العساكر الا الانكشارية والمتفرقة فانهم تأخروا عن الطلوع وطلع أيضا السادة الاشراف لقصد ترولة بالالاي على مجرى العادة وكان بعض الاشراف في مدة الاجلة نزل الى البلد بصورة الفرمان الوارد للشريف سعيد وبيت الامر ليلا مع الانكشارية والمتفرقة والقاضي فعند خروج العسكر للالاي اجتمعوا عند القاضي وسجلوا صورة الامر الوارد واجتمع خلق في المحكمة ووقع القيل والقال فحصل من ذلك ضجة عظيمة وأرسلوا المنادي ينادي في البلد للشريف سعيد ومع المنادي شريف من الاشراف واما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك واجتمع عنده السادة الاشراف والعساكر الذين خرجوا للالاي فركب وركبوا معه وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان الى ان وصلوا الى الدروشية فلاقيه السيد ظافر بن محمد هناك وأخبره

الدنيا في أبنائها تتقلب بهم وتحول عنهم أي تقلب وأي تحول كما قيل   ما اختلف الليل والنهار وما
دارت نجوم السماء في الفلك   الا لنقل السلطان من ملك ۞ قد زال سلطانه الى ملك   وملك ذي العرش دائم أبدا
ليس بفان ولا بمشترك   وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم طومان باي ومدة ملكهم مائة وثمانية وأربعون عاما وليس لطومان باي أثر لقصر أيام سلطنته وللاشرف قانصوه مآثر جليلة وعمائر حسنة جليلة رحمه الله تعالى وسامحه ۞ ومما عمره السلطان قانصوه الغوري بمكة المشرفة باب ابراهيم بعقد كبير جعل علوه قصرا وفي جانبه مسكنين للطرفين وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف (١٦٥) ذلك القصر لانه في هواء المسجد وكذلك المسكنان لان أكثرهما واقع في أرض المسجد وما أمكن العلماء ان ينكروا عليه ذلك في أيام سلطنته ودولته لعدم اصغائه الى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين لطمع في الدنيا الدنية وللخوف على مناصبهم الاعتبارية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ۞ وبنى أيضا ميضأة خارج باب ابراهيم على عين الخارج من المسجد وقد بطلت الآن لان روائح عفونتها قد تصل الى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وغلق بابه سنة ثمانين وتسعمائة بالامر الشريف السلطاني ۞ ومن آثار الاشرف الغوري أيضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بامره في أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة ۞ ومن آثاره بناء سور جدة فانها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها وأسرت عربان زبيد في أيام الفتن الخواجا محمد القاري وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا الى بيته وأنزلوه من السطح وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من زبيد وأخذوه الى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم الى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه الى مكة بعد ان استوفوا هذا القدر منه ونهبت جدة مرارا في الفتن التي وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بين أولاده وجرت أحوال يطول شرحها فأرسل السلطان الغوري أحد أمرائه المقدمين وهو الامير حسين الكردي وجهز معه عسكرا من الترك والمغاربة نحو خمسين ضربا بالمدفع ضرب النفط فقال

بالواقع وان المنادي وصل الى سوق المعلاة وان بعض الاماكن مترسة فأخذ الشريف يفكر في عاقبة هذا الامر فتسامحت عنده السادة الاشراف وقالوا لابد من الدخول الى البلاد فمنعهم الشريف عبد الكريم من ذلك وقال نخشى على الرعية تذهب بسبب ذلك ويهلك القوي والضعيف وعذري منكم يارفاقي ما سمعتم وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذببت عنها ودفعت من أراد دخولها وجميع ما وقع فيها من ولس ومجاوزة انما كانت في وجه جماعة من آل بني نمي والرأي أن ترجعوا شفقة على البلاد والعباد ثم مشى الى الحجون الى أن وصل طوى فوقف هناك الشريف ثم تسامحت الاشراف أيضا وعزموا على دخول البلد من الشبيكة فمنعهم أيضا ثم استدعى السيد عبد المعين ابن محمد بن حمود وأودعه ذا رفقته ورجاله وجميع ما يتعلق به كما هو عادتهم وتوجه الى الوادي بمن معه من الاشراف والاتباع ما عدا العسكر الجبالية فانهم خدمة كل متول وأما الشريف سعيد فانه لما نودي له بالبلاد وجاءه الخبر بأن الامر قد تم له وسجل عند القاضي أقبل فوصل الى المعابدة عصر يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة ونزل بالالاي والعساكر والاشراف ونزل الى دار السعادة عند غروب الشمس وأصبح يوم الجمعة فطلع اليه الناس وسلموا عليه وهنوه ونودي له بالامان في شوارع مكة وبالزينة سبعة أيام وفي غرة ذي الحجة وصل جماعة من الاشراف الذين كانوا عند الشريف عبد الكريم وسلموا على الشريف سعيد وفي ثالث الشهر وصل الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وسلم عليه أيضا وفي رابع الشهر وصل الباشا من جدة وفي خامس ذي الحجة وصل كتخية نصوح باشا ومعه الامر السلطاني فانعقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد وقرئ المرسوم على مجرى العادة والبس الشريف سعيد القفطان الوارد وألبس أهل المناصب على العادة الجارية ثم أرسل الشريف سيوانا وأمر ان ينصب في العمرة وهيأ سماطا عظيما لنصوح باشا وخرج لاستقباله فاستقبله وألبس مولانا الشريف القفطان الوارد صحبة الحج على حسب المعتاد ورجع بالالاي الى بيته يوم السبت سابع ذي الحجة ثم عرض لامير المصري على القانون المعتاد والبس القفطان الوارد صحبته ثم حج بالناس على جاري العادة ولم يحصل شئ من المخالفات ولله الحمد والمنة

﴿الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣﴾

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد واستمر في هذه الولاية الى ان توفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف وان حصل من الشريف عبد الكريم بعد هذا حركات فهي غير منتجة بشئ فانه في شهر ربيع الاول من سنة أربع وعشرين ومائة وألف جاءت الاخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبد الكريم وصل الى خليص ونيته الوصول الى مكة ومعه جماعة من الاشراف والعرب فبرز الشريف

في بحر الهند وكان مبادي ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة اذذاك في جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير حسين الكردي الى جدة بنى عليها سورا في سنة سبع عشرة وتسعمائة وهو الباقي الى الآن وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء ولا يرحم من في الارض ليرحمه من في السماء واذا خيم أو طاقه في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيبا خاصا للارهاب من حضر ونصب أعوادا للصلب والشق والشنكلة وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والبهدلة فأي مسكين وقع في يده قتله بأدنى سبب أو عذبه بالمقارع أو صلبه اظهارا للناموس والفرعونية والمهيب واخافة للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الحجاج دخل بلدة فصادف انسانا عند دخوله فأمسكه وأمر بضربه فقال له بأي ذنب تضربني سيدي فقال أريد ارهاب أهل البلاد بجنايتك فسلك ساعة فضربه خمسمائة سوط ثم أطلقه • وكانت للامير حسين المذكور واسطة ممدودة في سائر الايام وكان اكولا بذولا للطعام سمحا في المؤاكلة والاطعام يتوق الخروف وحده مع أرغفة عديدة ونفائس له معدة وكان كرديا دخيلا في وظائف الجراكسة لا يعلا عليهم ولا يعتبرونه فيما بينهم فأراد السلطان الغوري ابعاده عنهم حماية منهم وكان معتنيا به فأعطاه بندر جدة على وجه التجار وجهز معه عمارة لقتال الفرنج الذين ظهروا في بنادر أرض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر التي هي منبع ماء النيل وعاثوا في أرض الهند ووصل أذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغوري دفع أذاهم عن المسلمين بارسال الامير حسين الكردي الى جدة فلما أتى جدة سورها وبني ابراجها وأحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجيء فلما جاء أمر ان يبنى عليه فبنى عليه واستمر قبره بجوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد وبني السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال وتأثل فتوجه الى الهند في حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه وعظمه وأنعم

سعيد للاوانه وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى الشوارية ثم منها الى الوادي ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شيء بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده النزول في الحمى ببلاده وظن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاعتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شيء غير أن السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طلبوا الدخول في البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحمى ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة طويلة ثم سافر الى مصر واستمر بها الى ان توفي الى رحمة الله بالطاعون سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وولايته كانت على مكة ثلاث مرات

﴿عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر﴾

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر فيها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم باليمن كما تقدم فكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة في التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذي الحجة ختام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بأمر سلطاني ووصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فأخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطاني كما تقدم وبعدها لم يعد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا أنه في الولاية الاخيرة انسجمت أحواله وكثرت أمواله وتوفرت أجناده وتعددت أعضاده فلما انقضت المدة لم تنفع العدة رحمه الله رحمة واسعة وفي أواخر سني دولته الاخيرة ورد من الهند صدقة لاهالي الحرمين قدرها خمسة لكوك روبية فحصل بذلك للشريف وللناس سرور كثير وعم بتلك الصدقة الخاص والعام وانتفع بها خلق كثير وكان ورودها في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

﴿وفاة الوزير عثمان حميدان سنة ١١٢٣﴾

وفي هذا الشهر انتقل الى رحمة الله الخواجا الوزير عثمان حميدان رحمه الله وكان قد استوزره عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال ما لا يحصى ومشى في جنازته مخدومه مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان في مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد

فولايته

عليه بنهم طائفة عظيمة جليلة ولما سمع الفرنج به ارتفعوا عن بنادر بكرات الى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة منيفة محكمة لهم هنالك هي تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو الشديدة المفتوحة بعدها هاء ساكنة نصر الله تعالى لسلطان الاسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصليب والاصنام وقد أحسن من قال

أعباد المسيح يخاف صحبي • ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الامير حسين في بكرات بل عاد الى اليمن واقتتح في طريقه في عوده مملكة بني طاهر ملوك اليمن ظلما وعدوانا في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد امور يطول شرحها وترك بها نائبا له في زبيد اسمه برسباي جركسي وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا (١٦٧) من أهل السنة والجماعة ظاهرين في الاعتقاد ظاهرين على أهل البدع والالحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به دولة بني طاهر من اليمن وعاد الامير حسين الى جدة وحصنها كما ابتحث عنها بطالعه وقدم الى مكة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بعمر والدها السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وسقى عهده صوب الرضا والغفران • وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف وتاج رؤس الاشراف من بني عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدنيا والدين محمد أبو نمي بن بركات خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات ليدرس البساط السلطاني عمر وعمره يومئذ اثنا عشر عاما فحصل له بذلك غاية التعظيم والاكرام وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام وعاد الى والده الشريف معززا مكرما ومعه أحكام شريفة بكل ما طلبه وأراده وأرسل حكما الى السيد عرار بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الامير حسين الكردي المذكور وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأخذ مقيدا الى جدة وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له أم السمك فأكلته الاسماك بعد أن كان يعد في الاملاك وكان طعاما للحيتان بعد اطعامه الضيفان وغرق مقيدا في الاصفاد بعد أن قتل ما شاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا

﴿الباب السابع في ظهور آل عثمان خلد الله سلطنتهم القاهرة الى آخر الزمان وذكر نبذة من

فولايته شرافة مكة كانت خمس مرات

عدد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشر سنين وسبعة أشهر ﴾

الاولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف أحمد بن زيد فاستمر خمسة أشهر وانتزعها منه الشريف أحمد بن غالب وولي مكة ودخلها ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما فانتزعها منه الشريف محسن بن حسين بن زيد ثم بعد كثرة الاختلاف بين الاشراف نزل عنها للشريف مساعد بن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام فهي مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصرا لمكة بجنوده فنزل الشريف مساعد عن الولاية للشريف سعيد في ذلك اليوم فدخل مكة الشريف سعيد في سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف فهذه الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر فيها الى سابع ذي الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية فكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة الا أياما الى وصول والده وان نظرنا الى وقت ولاية والده تكون مدتها نحو ثمانية أشهر الولاية الثالثة للشريف سعيد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة حين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر فيها الى ان حصل الاختلاف بينه وبين الاشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد في الحادي والعشرين من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائة وألف وبعد تسعة أيام نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى فكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر الولاية الرابعة للشريف سعيد في ذي الحجة ختام سنة ألف ومائة وست عشرة حين جاءته المراسيم السلطانية مع التجريدة التي كان عليها الوزير بلك واستمر فيها من سابع ذي الحجة الى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التي جاءته بواسطة بيرم باشا في سادس شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة وكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة للشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة نصوح باشا فولي مكة سابع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر فيها الى وفاته في المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وعمره أربع وأربعون سنة لان ولادته كما قدم كانت سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهرا واحدا فمدة ولايته كلها عشر سنين وسبعة أشهر

•(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)•

ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف

مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه في بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذي هو عليه الآن وفيه فصول • (الفصل الاول) • في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك العثماني ونبدأ من ذكر أسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثماني مدى الزمان وأبقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران • لما أراد الله تعالى باهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقويه أهل السنة المستمسكين بسنن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واقامة الشرع (١٦٨) الشريف على رغم الملاحدة اللئام اطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الآباء العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور الدولة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعظم ممالك الاسلام وفتح على يديه أكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد ظلم الظلم من كل ظالم وظلام ونشر به جناح الامن والامان على أهل الايمان من الانام فأخذ أحاسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ كن فيكون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ قطع الدنيا بما سيف قهره كما ملأها وانتعشت سيف عدله وسبب الطافه وبره وتشرفت بذكره في الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنابر وعمر مساجدها والاعيب ممر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الحنيفية وأحيي ما بها من مآثر الملك المالك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلق خلفاء الرحمن شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في غرف الجنان وأبقى السلطنة فيهم خالدة كما نادة الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم غاز وكلهم • خير الملوك صناديد الصناديد

كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان غائبا في نواحي الحبت فطلبه والده لما اشتد مرضه فجاء وحضر وفاة والده ثم جمع الاجناد والعساكر وفرق جانبا منها في البيوت وجانبا في المنائر حفظا للبلاد ودرأ للفساد وأراد الاشراف كافة ان تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه في ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واستحسن ان تكون للشريف عبد الله بن سعيد المتوفى ولم تخرج بقية الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام لملاطفة الباشا والعساكر والارزام وقبض الخلعة من أيديهم ورعيا وضع والخلعة على مناكبه يريدون توليته فطرحها عن أكتافه فأخذها وزفها الى الشريف عبد الله بن سعيد وألبسه اياها في ذلك ونودي له في البلاد

•(تولية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٢٩)•

وكانت ولاية الشريف عبد الله بن سعيد يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضبا له وانجلوا الى اليمن وعجز الشريف عبد المحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبد الله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر الشريف عبد الله بن سعيد في اختلال الى غرة شهر جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين فكان عزله في هذا التاريخ فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله باتفاق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وهو ممتنع من قبولها مطلقا وامتنع أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من تولية أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم اجتمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له رضينا من توليه علينا وتختاره فاستحسن حسم المادة وايضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله لما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث بذلك وانما استحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف يحيى بن بركات تؤول الى المخاصمات والمنازعات بين الاشراف فطلب الشريف علي بن سعيد وأفاض عليه خلعة

الولاية

الولاية وقال الحسين بن مطير فى ذلك

وكم طامع فى حاجة لا ينالها • ومن آيس منها أتاه بشيرها

•(ولاية الشريف على بن سعيد سنة ١١٣٠)•

وكانت ولاية الشريف على بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الاشراف والعلماء وأعيان الناس محضر اللدولة العلية باستحسان ولاية الشريف على بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد فى شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفى هذه المدة حصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار النهب فى أطراف مكة وبالليل فى مكة أيضا وعظمت صولة العربان بنواحى مكة واستمر ذلك الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وفى هذا الشهر خرج السادة الاشراف برمتهم الى الوادى ونواحيه لقطع معاليمهم وعوائدهم المقررة من أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادى الى قدوم الحج الشامى ولم يقع منهم خلاف فى تلك الاطراف فلما وصل الحاج الشامى رفعوا أمرهم الى أميره الوزير رجب باشا وأخبروه بانهم يريدون عزل الشريف على بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الاشراف الذى يرجع اليه أمرهم فأخبروه بانه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الا أنه لم يحضر معهم لتوعك مزاجه وهو مقيم بالحسينية والشريف يحيى بن بركات كان مقيما بمكة لم يحضر مع الاشراف بالوادى فكتب الوزير رجب باشا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة وأرسل الكتاب مع جماعة من الاشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والامر لم يكن شيئا الا عليه فحين حلوا رحاب الشريف عبد المحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة ملخصها انه تنكب عن تولية أخيه واعتذر بأمور عظام منها انه مسؤل تعب هذا الامر اليه

•(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لاخيه الشريف مبارك وعزله عن ولاية مكة وما ترتب على ذلك من العزل والطرد عن مكة)•

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا انتظار العزل واذا صار العزل عدوت مطرودا فى جميع الطرق والمسالك وأجمع السادة الاشراف على ابعادك عن عشيرتك وبلادك فهل أحرزت من شرافتك غير عداوتك لرفاقك وأخيب فيما أوملوه فيك وأرجوه وفيما أحكمته من جميع الوجوه من انك ستكون الجامع لاهلى وعيالى اذا كسفت شمسى وغاب هلالى وهل بعد اجتهادى فى حلب الدر بفيك تضيع آمالى فيك فعل عن ذلك واقتدى بى وسر على نهجى ومذهبى ثم شرع يحول مع

أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا • ومن سواهم فلغو غير معدود • لو خلد الدهر ذو عز لعزته • كانوا أحق بتعمير وتخليد

وجده الاعلى السلطان عثمان الغازى رحمه الله تعالى أصله من التراكمة الرحالة النزالة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولى منهم السلطنة فى بلاد الروم فى سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغول بن سليمان ويتصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماؤهم بلغة الترك القديمة لم نذكرها لعسر ضبطها وهى مذكورة فى التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا فى الشرق فى بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التراكمة الى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه فى الفرات وأخرج منه الى جعبر ودفن أمام قلعة جعبر وتفرق من معه من التراكمة فى أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون ما يزالون الى الآن • وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهم توجها الى بلاد العجم وهما سنقدر ودندار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغول ولوند وعدى وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقى وكان سلطان بلاد قرامان وتخت مملكته قونية فأكرمهما وأذن لهما فى الاقامة فى أرضه واستأذناه فى جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وساروا الى الجهاد فى سبيل الله وكان مقرهما ما بين قره

حصار وبلجك فى محل يقال له سكود بجانب نهر وقشلاقهم بجبل يلابيج بلو يلاقهم فسلكوا وهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقمع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفى ارطغول فى سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولادا أمجادا أشدهم بأسا وأقواهم جاشا وأعلاهم غراسا السلطان عثمان وكان مولده فى سنة ست وخمسين وستمائة دأب فى خدمة والده فى الجهاد وتمرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ مع الاولاد واستمر مع التصميم على الكفار فى القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجلاد وعلم قابليته ونجابته فى فتح أطراف تلك البلاد فأكرمه وأعزه وأمده بأنواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسمعه باسم السلطنة تقوية ليده وشدا لعضده فلما وصل الطبل والزمر عملوا نوبة

بين يديه فعند اول سماعه اول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى الآن فانهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة تسع وتسعين وستمائة وافتتح قراجه حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من أهل العلم اسمه طورسن فقيه * ثم افتتح قلعة حصار * ثم كوبرى حصار * ثم قلعة بلجك * ثم قلعة اين اوكى * ثم قلعة يوند حصار * ثم قلعة ابنه كول * ثم قلعة يكى شهر * ثم زوج ولده أورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يار حصار فعمل أبوها سماطا عظيما فلما حضرت الغزاة اتهموا وافرسوا وقتلوا تكور وافتتحوا قلعة يار حصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من (١٧٠) جملة مملكته واستغرق في الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار وأهل العناد الى ان دعاه الله الى جنته وأبدله سلطنة خيرا من سلطنته وأجاب داعي الحق لما ناداه وبادر الى اجابته ولبى نداه فعاش سعيدا ومات شهيدا الى رحمة الله تعالى عن ست وستين عاما في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام كثير البذل واسع العطاء شجاعا مقداما على الاعداء ما خلف نقدا ولا متاعا لا دريا ولا سيفا يجاهد به اعداء الكفار وبعض خيل وقطيعا من الغنم اتخذها للضيفان ونسلها الى الآن ترعى حول بلاد بروسا أبقوها تيمنا وتبركا ثم ولى بعده السلطان أورخان الغازى ومولده سنة ثمان وسبعين وستمائة وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم في سنة ست وعشرين وسبعمائة ومدة سلطنته خمس وثلاثون سنة وعمره ثلاث وثمانين سنة وهو الذي افتتح بلاد بروسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار يسمى نيلوفر صولى * وكان السلطان اورخان فاق والده في الجهاد وفتح البلاد ففتح بروسا في أيام والده * ثم قبوق حصار وقلعة ازنيق في سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ثم قلعة كونيك وقلعة يالى كبرى وولاية قره وقلعة كوجاسى وقلعة الوياد في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وقلعة قراجه طوزله في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفتح عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته * واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس

السادة الاشراف فيمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة أملهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات فكتب الشريف عبد المحسن كتابا للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتابا للشريف يحيى بن بركات بمكة يعرفه بان الاتفاق قد صار عليك وأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل وأعيد الشريف أحمد بن زيد كما تقدم فرحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى الشام فأنعمت عليه الدولة بحكومة بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامى وصيرته باشا فجاء بصحبة الحج الشامى سنة ألف ومائة واثنين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلبت به الاحوال الى سنة ألف ومائة وثمانى عشرة فاستأذن الدولة ان يرجع الى مكة ويجاور فيها وعرض له في ذلك أيضا الشريف عبد الكريم كما تقدم فجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضدا للشريف عبد الكريم الى أن عزل بالشريف سعيد فلازم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على ذلك الى وقوع هذه الحادثة واتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

•(ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠)•

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا بولايته شرافة مكة امتثل الامر وكان مجيء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت فسار ووصل الوادى قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار فوجد الاشراف في انتظاره فأفاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك في اليوم السادس من ذى الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وخرج الشريف على بن سعيد من البلاد وسار من غير حرب ولا حصار فكانت مدة دولته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعد له ولاية مكة الى أن توفى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته الى يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر رجب المعظم سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين

•(عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢)•

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة وسبعة أشهر ويوما واحدا وهذه ولايته الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى

•(ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١)•

وسبب عزله ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفى في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد نزوله عن الشرافة

انشرافه للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى الى حين وفاته كان مرجعا لجميع الاشراف لايتولى ملك ولا يعزل آخر الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وناهيك بهذه السيادة التي لم تصر لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قبله شطر موطئ فيه ذكر لفظ التاريخ وهو هذا   نوحوا على قبر الشريف وأرخوا * طود الشرافة والرياسة قد دنا

فلما توفى الشريف عبد المحسن تفرقت كلمة السادة الاشراف واختلفت آراؤهم وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات في أول الامر بالالفة والمحبة واتحاد الكلمة الى ان رمى بينهما بسهم التفريق وصار كل واحد منهما عن صاحبه في فريق ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها فخرج الشريف مبارك مغاضبا الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف فلم يلتئم الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحي عن بلاد مصر باعلى وانه دار آبائه وأجداده وأخذ منه مهلة سبعة أيام ثم سار الى الطائف ونواحي الحجاز فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن ابن أحمد بن زيد في جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعاظم السادة الاشراف بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع السيد أحمد بن عبد المحسن وعمه الشريف مبارك بن أحمد جموعا من القبائل وعزموا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاجناد واتباع الشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثرت اتباعهم من عتيبة وثقيف وقصدوا مكة فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند والتقى الجيشان بعرفة يوم الاربعاء لسبع خلون من رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من الفريقين ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادي ثم منه الى الروم قاصدا الاعتاب السلطانية

•(دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢)•

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى في الناس بالامان وبسط العدل والامان ومما اتفق له مما لم يصر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية انه دخل تحت طاعته ملكان شريفا المقدار قد وليا امارة مكة قبله وهما الشريف عبد الله بن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد فسبحان المالك المعيد وكانا في اليمن في أيام دولة الشريف يحيى بن بركات وكان قد أرسل لهما من يبعدهما عن تلك الاقطار فصار بينهم حرب حديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك بن أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما اليه لكونهما ابني عمه فصارا رحلا من الموضع الذي كانا فيه الا بعد تمكن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى عن مملكته فلما رحلا الى

يعني سلطانها وسلطان لاز والسرب وأجمعوا أن يتعدوا من بلاد روملي الى بلاد اناطولي ويقاتلوا السلطان أورخان في محله وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده ان يتعدى الى روملي ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا لقتاله قبل ان يصلوا الى اناطولي فأجازه والده لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فسمع به الغزاة فتبعه من الشجعان فوارس مشهورون وابطال مشهورون فتعدوا الى روملي فصادفوا الكفار في غفلة وهم يريدون العبور الى جهة اناطولي فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون منهم ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل النصارى الائام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار (١٧١) والى ارثم الى عذاب النار ورجع سليمان بك الى والده مظفرا منصورا موفقا مسرورا وكان السلطان أورخان كوالده كثير الجهاد طاهر الاعتقاد سليم الفؤاد عدوا لاهل الكفر والالحاد عاش سعيدا ومات حميدا في سنة احدى وستين وسبعمائة ثم ولي بعده ولده السلطان مراد الغازي مولده سنة سبع وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت في بورسا سنة احدى وستين وسبعمائة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره خمس وستين سنة وولي السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح كثير البلاد منها ادرنة في سنة احدى وستين وسبعمائة وهو أول من اتخذ المماليك وعلمهم ينكجرية يعني العسكر الجديد وألبسهم اللباد المثني الى خلف وسماهم ينكجرية بفتح الموحدة وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم اسميوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فأظهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلوش وتقدم ليقبل يد السلطان مراد خان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده في كمه فضرب به السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فصار القانون ان لا يدخل على السلطان ايلجي أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه وان يدخل على السلطان بين رجلين يكتفانه ثم ولي السلطنة بعده ولده يلدرم بايزيد خان مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولي السلطنة وعمره اثنان وثلاثون سنة ومدة سلطنته ستة عشر عاما ولما تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تلتجي الى بعض ملوك الطوائف في بلاد الروم

فلزم ان يستولى السلطان يلدرم بايزيد خان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كريان أخذه وحبسه مع بعض وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب أيضا ابن منتشا منه وحلق لحيته وحواجبه وصار فى صورة قلندرى وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب فى صورة سقطى بياع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار وملوكها مالوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيد خان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل فيها وقتل وسفك الدماء وعاث فيها وأخذ تلك البلاد وأسر أهلها ونهب المسلمين وشرح مافعله فى بلاد الاسلام يطول جدا وذلك مذكور فى تاريخ الاسلام للذهبى وغيره واستمر تيمور يفسد فى الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى أذربيجان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى الفئتان هرب من عساكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد خان وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى فشرع عسكره فى الانهزام وثبت هو وقاتل من معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمور بسيفه المشهور يقاتل بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجز ذراعه فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فحصل له حمى غضبية فتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة خمس وثمانمائة وتسلطن بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتى عشرة سنة الى ان استقل بالسلطنة

(السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم بايزيد خان) وفى سنة ست عشرة وثمانمائة ومولده فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانيا وخمسين عاما وكان شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهدها أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة قسطمونية وقلعة اسكب وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر فى أيامه بدر الدين بن سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعا من مريديه فأرسل السلطان محمد خان عسكرا لقتاله فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وهلك بدر الدين بن سماونه وكان يرمى بسوء الاعتقاد وله رسائل فى شئ من ذلك وقد جمع بين الاصول الاشتروشنية والفصول العمادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى

الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطلب منهما المعاهدة ففعلا له ذلك وسلكا معه أحسن المسالك واستمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فحدثت بينه وبين الشريف عبد الله مقتضيات الفساد ولمعت بينهما بروق النوى والبعاد وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساده وثبت عنده انه يحوم حول منصبه وبلاده فعزم على ارجاعه الى اليمن فأمضى عزمه وأخرجه الى الليث واستعمل عقبه من سيره السير الحثيث ومافعل ذلك الا لانه تحقق ان الشريف عبد الله يريد اتمام مطالبه بملاقاة أمراء الحج وأعيان الدولة العثمانية فصار الشريف عبد الله يتنقل تارة عند ذوى جازان بالجديدى وتارة بوادى مر وتارة بنواحى الطائف وأما أخوه الشريف على فبقى على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع غالب مقرراتهم فخرج عن طوعه لذلك جميع تفرقوا فى الطرق والمسالك وكان ابتداء ذلك فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم اجتمعوا بأسرهم فى الوادى واستقر رأيهم على ان تكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن زيد وان يعزلوا عمه الشريف مباركا وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وانضم اليهم وكذلك لحقهم أخوه الشريف على بن سعيد الا انهما لم يتعرضا لامر الشرافة بل كانا لدى الخلافة وأقاموا مدة من الايام وآراؤهم تنتقض وتارة تكون بغاية الابرام ولم يزل هذا حالهم الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه فى طرفة عين ويرمونه بالبعد والبين وهو مقيم فى مكة بلاده متحصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس فى مكة شدة وبلاء يفطر الاكباد وكذا الشريف مبارك أصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين فى الوادى على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل فجاؤا وضربوا قبابهم بالزاهر فخرج لهم الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم فى اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم معركة خطبها عظيم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم فطلبوا منه الامان على ان يمكثوا ثلاثة أيام فى ذلك المكان ثم يرحلون ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبد الله بن سعيد ثم اجتهد هو وبقية الاشراف ورفع ما كان بينهم من الخلاف وضمن لهم جميع حقوقهم وأدى اليهم ما ترتب عليه الحال فى مشاهراتهم فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبد المحسن صحبة الشريف

عبد

عبد الله المذكور وتبوا الاحوال لجماعتهم وجاؤا ممتثلا بعين وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبد الله بن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

• (ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الاغاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤) •

وفي مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاغاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها ان رجلا من توابع الاغاوات يسعى على قفا أرادات يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل في العسكرية فامتنع من ادخاله كبار العسكر حيث انه كان في العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أغاوات الحرم لا بد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر في عدم ادخاله ووقع في المدينة ضجة واتسع الامر حتى آل الى القتال وابتدأ ذلك على قفا ومن كان معتضدا له من الاغاوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فصعدوا منائر الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد وترسوا بعض البيوت التي بجانب الحرم النبوي وعزموا على محاربة العسكر ومن يعتضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضي الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما في الحجرة من الاموال وما يحدث من القتل وغضب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضي الشرع للاغاوات ينهاهم من الفتنة وطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضي فسجل عليهم القاضي انهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة في قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتل في تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة في المسجد النبوي نحو الشهر فامتنع العساكر وأهل المدينة الا بعد احضار الاغاوات القائمين مع على قفا وحبسهم في قلعة السلطان بالوجه الشرعي ثم رفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كبار الاغاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا في القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا الى مكة وحضر معهم مفتي المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضي مكة وابراهيم باشا والي جدة ومفاتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاغاوات فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتي الجواب بخلاء الجواب من

الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله وأماهو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله في الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله في التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما سمع بذلك قتل بافتاء مولانا حيدر العجمي في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة • ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورسا فجاء السلطان محمد خان من بلاد روملي ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم مشهور وانهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتي بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بمملكتهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول من عمل الصرلاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله في أم الكتاب أراد الله تعالى نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك الفناء الى البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء وان الى ربك الرجعى وكانت وفاته بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة أيضا وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى ﴿ وولي بعده السلطان مرادخان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان ﴾ مولده في سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا شجاعا باذلا واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للشرفاء السادات من خزينته في كل عام مثل فتح الفتوحات ولين الجموحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين • ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وقاتل قرال انكروس وكسرهم وأسر منهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتح الديار الى أن انشأ له ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح في غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ في منتبا بحسن رضاه ﴿فتولى السلطان محمد بن مرادخان في سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ مولده في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من أعاظم سلاطين آل عثمان بحر المالك

الضابل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأثبتهم جاشا وافواهم فؤادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين صارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا تمحوها تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها أسلاب الصلبان والاصنام • ومن أعظمها أنه افتتح القسطنطينية الكبرى وساق لها السفن تجرى رخاء برا وبحرا وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع بابا ولج ولج وثبت على متن الصبر الى أن أتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله القريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اسطنبول فى اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى أياصوفية وهى قبة تسامى قبة السماء وتحاكى فى الاستحكام قباب الاهرام وما وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما كأن أبراجها أبراج الافلاك ومسامير أبوابها نجوم السماء تشرق منها جلابيب الصلبان والاصنام وخلع عليها خلع مساجد الاسلام وأبدلها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها نور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لازالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعراف مستقر السلاطين آل عثمان • (الولاية أهل المعدلة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • وقد أسس المرحوم المقدس فى اصطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخفى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول ورغب فى طلب العلم الشريف ونكس والطالبين حلل القبول بعد الخمول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكثر ثواب فانه جعل لهم فى أيام الطلب ما يسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتياد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى وانه رحمه الله

الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الاغاوات وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفى لبعضهم ثم مازال الاغاوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجى وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاغاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم ففر ولده قبل مجىء الامر الى مصر وبقى والده السيد عبد الكريم بالمدينة فصعب عليهم قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وزير جدة أبو بكر باشا وأنفذه الى جدة وحبس بالقلعة

• (ذكر قتل المظلوم بجدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجى سنة ١١٣٦) •

ثم أمر بقتله فقتل خنقا ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفى مدة الشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك فى شرافة مكة الى ست من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك ان الشريف يحيى لما هزم فى رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الا قليلا وصار بينهما حديث طويل فأنعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامى ومعه الوزير على باشا كاهيلى متوليا بندر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامى على باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع فى عسكر جرار ودخلوا مكة لست خلون من ذى الحجة وخرج منها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى جرجة بعد وادى لية قريبا من بلاد غالة

استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف باحسانه العام اليهم كمولانا على القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الانام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين قلدها في أجيادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة ﴿ثم ولي الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي﴾ ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٧٥) وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء فرع من شجرة زكية طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنابر وترشحت بذكره صدور المنابر وامتلأت بمدائح أوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات . ومما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وقام له أخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي اكراما زائدا فذهب الى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع أخاه على الملك وقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فارسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموسى مسموم وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة باللسان التركي . ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة مثون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة . وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور عجيب

•(الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤)•

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رفقه ورأفته بالاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف بزعامة وفظاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بان الكيفية أصوب وأولى مع اعتماده على من جاء معه من الاروام والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الاعراب والحال أن الشريف مباركا وذويه آل زيد بن محسن مقيمون باطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضي جدة علي باشا كاهيلي ثم وجهاهمتهما لتمهيد الامور واخلاء بعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها ابعاد السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شئ من ذلك أما السادة آل زيد فذكرنا أنهم نزلوا باطراف الطائف فوق قرية تسمى لية في موضع عزيز يسمى حرجة قرب بلاد ثقيف وكان في حرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد ومعه أخوه الشريف علي ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلي باشا كاهيلي الى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر وسارا سيرا عنيفا حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها اليهم بدلالة بعض شيوخ ثقيف وصبحاهم تحت الحصن المذكور واستولت العساكر على أدباشهم ولم يسلم منهم الا أشخاص وكادوا يذهبون قتلا لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم وهذه الغارة انما كانت على الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف علي فقدر حلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع ما معهم ورجع الشريف يحيى وعلي باشا الى الطائف وأقاما أياما عهدان أقطار الطائف ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أخذوه من الادباش كتبا لخط بعض أهالي مكة ممن ينسب اليهم باشياء كوجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن سليم فان عليا باشا وقع له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فنهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب بمساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية بجيلة وناصرة وبني سعد وثقيف فاجتمع معه نحو الالف وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا لملاقاته الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد في أول الامر حملت

واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الاضلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل في ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية في تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الامجاد وظهر من اتباع شاه اسمعيل المذكور في بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولى أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به في ذلك القطر الفتنة فارسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم علي باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغي وأيده بجيش عظيم لقطع جادرة هذا الطاغي فاستشهد علي باشا في ذلك القتال وانكسر

شيطان قولى المفسد التعيس وعسكره من جنود ابليس وقتل مع طائفة من أعوان الاباليس وأسكن الله تلك الفتنة بعد ما طمت وكفى الله شر أولئك الاشرار بعد ما عظمت فتنتهم وعمت وذلك في سنة خمس عشرة وتسعمائة * وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مثواه من المجاهدين في سبيل الله الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناواهم منصورين على من شق عليهم العصا وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فما زال غازيا في سبيل الله مظفرا منصورا على أعداء الله الى أن صارت بيضة الاسلام بسيوفه محمية محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله واعانته منظورة ملحوظة وكانت أيامه من أحسن الايام وأكثرها أمنا وراحة وجمع قلب للانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وتولى وحدث الله على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابرا على بذل الاطعام والصدقات دخل الخلوة فجلس أربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة مولانا والد أبي السعود أفندي المفتي المفسر رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان في كل عام سبعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي شرح

الجبل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى بالحطة ووقع منه قتال أهال الاتراك وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة بعساكرهم بل ومن ينتمي اليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر بندر جدة فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الاتراك وغيرهم ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم ابدا فاعطوهم الامان وبذلك سلم بقية الاتراك من القتل ونزل البادية من الجبل وتوجهوا الى الطائف آمنين مطمئنين ويقال ان علي باشا أصابه صواب في فخذه في تلك الواقعة فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع الى الطائف ثم خرج من الطائف بسبب عسكر وجهه اليه الشريف يحيى وبقي في أطراف الطائف الى شهر رمضان من السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلى واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين دخول الشريف عبد الكريم زعيم الاشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن محسن فتولى الامر وذب عن الرعية وأرسل كتابا مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك فارسلا بطلبانه فوصل الى مكة واجتمع بهما معا ثم بعلي باشا بمفرده وتواطئا على أن يكتب الشريف مبارك كتابا بالملاطفة ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج وأن يرسلا له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من كان عنده من البوادي ويستقر بالطائف آمنا لا يتعرض لشئ من الاحكام وتعهد السيد محسن للباشا أنه ما يخالف ما تأمره به وأنا أمشي اليه بنفسي لاجل ذلك وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة ان شاء الله تعالى وتنطفئ ثائرة الاشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لا بد من تسليم شئ لهم فتراضوا في ذلك واستقر الامر على تسليم علوفة شهر للاشراف نقدا ثم سلم ذلك اليهم علي باشا من خزانته ثم توجه السيد محسن الى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الاشراف وأعطى الشريف مباركا كتابة من الباشا والمبلغ الذي له وأزاله عما كان عليه وأعطى الاشراف الذين معه علوفة شهر نقدا وتفرقت البوادي واستقرت الاحوال وأمنت البلاد ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن الى مكة ومعه جماعة من الاشراف وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم فوجدوا علي باشا قد توجه الى جدة فلحقوه بجدة فاكرم السيد محسنا ومن معه غاية الاكرام وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الامر في كل ما أمر به فسر بذلك وتشكر من السيد محسن فيما فعله فرجع السيد محسن الى مكة

وحدث لعلي باشا مرض طال به الى ذي القعدة ثم توفي بجدة ودفن بقرب أمنا حواء ورثاه اعليـه قبه واستقر في منصبه بعده كيخيته اسمعيل باشا وأقام علا ثف العسكر على عادتهم مع علي باشا وكانت هذه التولية برأي الشريف يحيى وقاضي الشرع وأعيان الدولة واستمر واليا الى شهر ذي الحجة الا انه صار في العسكر تعديات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كاستاذه والاشراف في نهاية الاضطراب أيضا مع شيخهم الشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد قد تحرك بالطائف لجمع البادية والسير الى مكة بعد وفاة علي باشا المذكور ولم يزل الحال كذلك الى أن وصل الوزير عثمان باشا المكي بابي طوق أمير الحاج الشامي

•(ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥)•

وكان في مكة أعيان الدولة كحسن أغا دار السعادة وأيوب أغا شيخ الحرم النبوي سابقا وغيرهما فتواطؤا على أن الشريف يحيى ينزل عن الشرافة لولده الشريف بركات ويصير هو شيخ الحرم المكي فاذا فعل ذلك ذهبت حقوق الاشراف القديمة ويقوم لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالا وفي هذه السنة قبل وفاة علي باشا صارت قضية بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر علي باشا أفضت الى قتال صار بين الفريقين وكان الشريف يحيى ومن يتبعه من العبيد والعساكر في طرف علي باشا على الآخرين فحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا في جبال مكة فأوقعت في خواطر الاشراف على صاحبهم الشريف يحيى ولم يتحمل هذا الامر وقتل في هذه الوقائع بعض شيوخ العبيد وصار على العبيد ذل لم يعهدوه لهم غير انهم تداركوه من العسكر في الحرب الواقع بين الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما يأتي ذكره والحاصل أن هذه السنة صار فيها حوادث جمة ومخاصمات ومغارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة مر نحوه ولم يزل الحال كذلك الى شهر ذي الحجة وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف حتى ظهر الخلاف في جميع الاطراف لاسباب اقتضت ذلك أحدها موت عضيده الوزير علي باشا وثانيها تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور وانخرام ما كان بينه وبينه من الوعد وثالثها عجز الشريف يحيى عن ايفاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما وتقدمهم الشريف يحيى الى عرفات فكانت الاشراف رعيتهم في ناحية عنه لم يخالطوه وأوصلوا شكايتهم الى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق بمكة

التحرير ألفي عثماني وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق الى الله ومريديهم وأهل الزوايا الكل واحد على قدر مرتبته وصار فانونا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كبيرا ورتب لهم الصرة في كل عام وكان يجهز لفقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يستعينون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جليلة وممن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسين العليف شاعر البطحاء وانعم عليهما بالانعام خيرا كثيرا وصنف العليف تاريخا سماه الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة • ومما نظمه الشهاب العليف في مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية طنانة مطلعها

خذوا من ثنائي موجب الحمد والشكر • ومن در لفظي طيب النظم والنثر

•(ومنها)•

فيا راكبا يسري على ظهر ضامر • الى الروم يهدي نحوها طيب النشر

الى ملك الحيران وافيت برهي قصرها • وبلد الاصطبول سامية الذكر

به ملك لا يبلغ الوصف كنهه • شريف المساعي نافذ النهي والامر

الى بايزيد الخير والملك الذي • حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر

وجرد للدين الحنيفي صارما • أباد به جمع الطواغيت والكفر

وجاهدهم في الله حق جهاده • رجاء لما يبغي من الفوز بالاجر

له هيبة تملا الصدور بروعة • مقسمة بين المخافة والذعر

أطاع له ما بين روم وفارس • ودان له ما بين برصى الى مصر

هو البحر الا انه دائم العطا • وذلك لا يخلو من المد والجزر

هو البدر الا انه كامل الضيا • وذا الخليف النقص في معظم الشهر

هو الغيث الا أن للغيث مسكة • وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر

هو السيف الا ان للسيف نبوة • وفلا وذا ماضي العزيمة في الامر

سليل بني عثمان والسادة الالى • علا مجدهم فوق السماكين والنسر

ملوك كرام الاصل طابت فروعهم • وهل ينسب الدينار الا الى التبر

محوا أثر الكفار بالسيف واغتدت • بهم حوزة الاسلام سامية القدر

فيا أملاك آفاق الملوك مكارما • فكل الى أدنى مكارمه يجرى لئن فقتهم فى رتبة الملك والعلا • فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرا لانها • مرار وأنت البدر فى غرة الشهر تعاليت عنهم رفعة ومكانة • وذاتا وأوصافا تجلى عن الحصر
لك العزة القعساء والرتبة التى • قواعدها تسمو على منكب النسر سموت علوا اذ دنوت تواضعا • وقمت بحق الله فى السر والجهر
غدت بك أهل الروم تزهو ملاحة • وترفل فى ثوب الجلالة والفخر أأنت ابن عثمان الذى سار ذكره • مسير ضياء الشمس فى البر والبحر
يمينك تروى عن يسار ونائل • ووجهك يروى فى البشاشة عن بشر ولى اصوات لدرة لا ندى • عن المدح الا فيك يا ملك العصر
فقابل رجالك الشكرى بمثله • فانك للمعروف من أكرم الذخر (١٧٨) فلا زلت محروس الجناب مؤيدا • من الله بالتوفيق والعز والنصر

ويحكى ان القصيدة لما وصلت اليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العليف بألف دينار ذهبا جائزة ورتب له فى دفتر الصر فى كل عام مائة دينار ذهبا تصل اليه فى كل عام وصارت بعده الى أولاده • وكان للمرحوم السلطان عدة أولاد صاروا ملوكا وصار لاولادهم أولاد فنهم السلطان جهان شاه والسلطان أحمد والسلطان قورقند والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأمجدهم وأعزهم وأسعدهم وأكملهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصابيح الدجا ونجوم لرجوم شياطين العدا نشؤا فى مهد السلطنة وحجرها ونموا ما بين سحرها ونحرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو ان يجود الجواد كأصله وتلوح لا جرما مخايل الليث على شبله والولد سر أبيه فى فصله ونبله وكل شئ فى الحقيقة يرجع الى أصله ملوك بنى عثمان من طاب أصلهم • كرام لهم فى المكرمات مفاخر اذا ولد المولود منهم تهللت • له الأرض واهتزت اليه المنابر ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم والدهم الى السناجق العالية فى بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ملك الاسلام وقلدهم الأمور الجسام فجعل لأكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسيه وما والاها وكان يتوقع منه أن يكون ولى عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقند مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة

ما التفت اليهم ولا أخذ بأيديهم واغا مال مع الشريف يحيى فاستقر الرأى بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة ان ينزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات فبهذا النزول تهدم حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده ففعل ذلك الشريف يحيى ونزل لابنه الشريف بركات فى مجلس الوزير عثمان باشا أمير الحاج الشامى وبحضور قاضى الشرع وأعيان الدولة على أن الشريف يحيى يلبس خلعة مشيخة الحرم استقلالا لا عن صاحب جدة وكان النزول المذكور فى اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثلاثة أيام والاولى سنة وسبعة أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يومين فزاد الاضطراب لما عرف السادة الاشراف أنها حيلة على اذهاب حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن بركات فلا يرد ولا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن بن أبى نمى منافرات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى ازالتها فلم يمكنه ذلك لاطاعته لهما فبنى السيد محسن بن عبد الله على الفراق وكذا جملة من السادة الاشراف وأجمعوا على الارسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل عن معه من الاشراف والبادية وعزموا على مقاتلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم وبرزوا الى خارج البلاد ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وتلاقوا هم والشريف مبارك فى عروات يوم عاشر الشهر المذكور وفى اثناء هذه المدة لم يزل المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وكان فى أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع بالسادة الاشراف والشريف مبارك ثم وصلوا جميعا الى أعالى مكة

•(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)•

وخرج لمقاتلتهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده بعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة بعساكره بحيث انهم بلغوا ثلاثة أمثال الشريف مبارك ومن معه وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة عند المعلا يوم الاربعاء الثانى عشر من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمى الوطيس واشتد الحال فى القتال الى خمس ساعة من النهار فحملت السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا فيهم قتلا عظيما لم يسمع مثله حتى امتلأت أعالى مكة من القتلى وولوا مدبرين ثم جاء السيد محسن بن عبد الله وأمن العساكر المنهزمة ونزل بهم الى مكة

طوابزون وهو الذي جرى في حليه السعادة فسبق وسبقت في علم الله تعالى سلطنته فكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد اسملكة الكفار وما يليه من بلاد التتار وكلهم ملوك أبرار وسلاطين كبار من نال منهم فقل لاقيت سيدهم ٭ مثل النجوم التي يهدي بها السارى وأسعد الله جهان شاه ومحمدا وأحمد بالوفاة في حياة والدهم وكفاهم الله تعالى القتل والقتال وصار حال ما عدا السلطان سليم الى ما خال رحم الله تعالى جميع أولئك الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار ٭ وكان والده السلطان بايزيد خان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر من آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر ابطرهم وكثرة راحتهم وسكونهم يطلبون سلطانا شابا قوى الحركة كثير الاسفار يجاهد بهم في سبيل الله تعالى ويغنموا من الكفار غنائم ورأوا أن السلطان سليم خان أجلد من سائر اخوانه وأقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومغاضبا فقاتله أبوه فهزمه وولى هاربا ثم خرج على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم وأشار عليه وزراؤه أن يفرغ عن السلطنة للسلطان سليم ويختار التقاعد في أدرنة في عز وتعظيم وأبرموا عليه في ذلك فارأى بدا في اجابتهم الى ما سألوا وموافقتهم الى ما طلبوا وأملوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص الى أدرنة فلما وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه وعجز الاطباء في علاجه وسقاه ساقى الحمام كأس أجله المحتوم فسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وقدم على الله تعالى الحى القيوم ورزق مرتبة الشهاده ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفانى الى الملك الدائم الباقى وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة ﴿وولى موضعه السلطان الاعظم السلطان سليم خان﴾ كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى محله ومأواه ٭ مولده في أماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة

لاستقبالهم الشريف مبارك حتى أوصلهم اليه في داره العامرة وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادى مر بأجلة وكفلاء على قانونهم المعتاد ثم توجه الشريف يحيى الى الشام وتوفى بها وكذا ابنه بركات

٭(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)٭

فكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادى بمكة للشريف مبارك وبالامن والامان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأمنت العباد ودخل صحبته السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستمر الحال على أحسن ما يكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولذلك أسباب الاول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما ان السيد محسنا أراد عزل وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليم ويجعل له وزيرا آخر فلم يفعل وعضد الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف فتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتألف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر السراق بمكة المشرفة بالليل ولم يلتفت الشريف مبارك لشئ من ذلك ثم خرج في أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة لتأمين الطريق فلم يحصل أمن بل أخذ القطاع ناسا قريبا من الموضع الذى كان نازلا به ولم يفزع ثم رجع الى مكة سائلا على الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن فلم يجدهما في مكة وقد كان الشريف عبد الله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات بعث عرضا الى الدولة العلية مع اعتماده بعض أغاوات العساكر المقيمين بمكة مضمون العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وانه قتل جميع الاتراك وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولا ذب عنهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبد الله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فما كان جوابه الا عزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبد الله بن سعيد فلما كان اليوم الثانى عشر من جمادى الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال فلما جاءت الاخبار الى مكة بذلك رجع الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصار اتحادهما ان الشريف مباركا فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى محكمة الشرع عند قاضى مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجميع أغاوات العساكر المصرية وأشرفوا القاضى على الكتب التى جاءت من المدينة وطلبوا من القاضى عزل

الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله بن سعيد فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغلب عليه الاتراك مع الزام السيد محسن للقاضي بان البلاد قد خربت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا وقالوا له أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد لهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وغيره فهذه الاشياء توجب العزل فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل وقال القاضي نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله ما يكدر على المسلمين غير انكم أحضروا الملبوس ولا تقبضوه على الشريف عبد الله بن سعيد الا اذا دخل بيت الشريف مبارك ففعلوا حسب ما أمرهم فذهب السيد محسن وحذر العساكر البلدية من الحركة وأخبرهم ان الشريف عبد الله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي وها هو قد أقبل ثم دخل بيت الشريف مبارك

(الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٣٦ وخروج الشريف مبارك من مكة)

فعلى مقدار ذلك ألبس القاضي الشريف عبد الله وخرج من المحكمة على جهة سويقة ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحرك للقتال فثبطه وأرخى كفه عن ذلك وأخبره ان الامر قد تم وان الحركة ليست بنافعة فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى بركة ماجن يريد الحسينية وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة أشهر والاولى سنتان ونصف فالجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له بعوده الى شرافة مكة واستمر باليمن الى ان توفي سنة ألف ومائة وأربعين رحمه الله فتولى الشريف عبد الله بن سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قليلة واستمرت [illegible] مكة المشرفة وما حولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان انكسر لهم عنده في ذلك العام مبلغ عظيم من معاليمهم ولم يكن عنده ما يفي لهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل الدعاوي بينهم وبينه عند القاضي ترفع وعظم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة واقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات وتحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعد ان فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمنائر وكر على المقاتلين له الرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار

سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا أربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا جبارا كثير السفك قوي البطش عظيم الفتك كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والباس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعة وفي الاسواق وفي الجمعيات والمحافل ومهما سمعوا يذكرونه في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه ودقة ذهنه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ورأيت بيتين بالعربي بخطه الشريف كتبهما في علو المقياس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد تغير لطول الزمان مداده ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبذل بالدخول اليه تعظيما لراقمه فدخلت الى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكلربكي مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا المذكور ورأيت على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين

الرحمة

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قسرا ويضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة * فوق التراب لكان الامر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهو ما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذا أيضا مرتبة عالية في حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم

العربيه فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وحفظها والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن اداء من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ولا بعد هذا انقصا فيهم لان فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضا فى علماء العرب الامن توغل منهم فى علم الادب وتعب فى تحصيل ودأب وقد كانوا اذاعدوا قليلا وقد صاروا أقل من القليل

﴿ثم لما استولى﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد فهزمه هزيمة السلطان سليم عسكر أحمد وبقى فى عدد قليل فأخذ أسيرا وأتى به أسيرا الى السلطان سليم فأمر بخنقه حتى توفى تاسع صفر سنة تسع عشرة وتسعمائة ثم فر السلطان قورقود الى كهف جبل وأراد التحصن (١٨١) فيه الى مكان حصين فعرف مكانه فسلم وجئ به اليه فخنق وكذلك السلطان محمد ابن السلطان شهنشاه والسلطان عثمان ابن السلطان عالم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود وسبعة أولاد كلهم رضع فى المهد خنقهم فى ليلة واحدة فى بورسا فكانت ليلة مات البلاد بكاء وغوبلا وصراخا أعظم من صراخ الثكالى بها أطنابا بلا بكت فيها حتى الحجارة تفجرت منها مدامع الانهار وتشققت ثيابها حتى كمائم الازهار وأظلم الوجود حتى انشقت ألوان أحمر ثم أسود ولبس حتى الليل ثياب الحداد وتعمم بالاسود وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيف الفناء بيد القضاء ماضيا مشهورا فلا المعزى يبقى بعد ميته ولا المعزى ولو عاشا الى حين

﴿فلما استقر﴾ للسلطان سليم الملك وهيهات أين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وأنى لها الثبات والقرار شرع فى قهر الملوك وأخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والمسالك فبدأ بقتال شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصوفى كما سنذكره مجملا من ذلك فى هذا الفصل الثانى فانى ماظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرنى ثقة من أعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم فطلب امرأة معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوآت وهى قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الديّنات فقال لها اذا وضعت احدى الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا

الرحبة المعروفة ببناء الشريف يحيى بن بركات وبعض محلات أخر من تلك الجهات وأما طرد الخيل وعراك الفوارس فهو عاطل بسبب الرمى من المتاريس وأما الاتراك فهم فى بيوتهم حافظين أيديهم عن الفريقين الا انهم فى آخر الامر جنحوا الى اعانة الشريف عبد الله بن سعيد بعد ان كان بينهم وبين السادة الاشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فنقضوا تلك العهود السابقة فلما أعانوه حصل له النصر فأخرج الذين قاوموه من القصور ومكثوا بعد ان قتل من الفريقين بعض أشخاص فتوجهوا جميعا الى طوى فقاموا ثلاثة أيام لقضاء مآربهم وتجاح أغراضهم ووصل اليهم الشريف عبد الله بن سعيد فى أثناء ذلك لاصلاحهم وأخذ خواطرهم جريا على سنن آبائهم فلم يفيدوا له وما أجدى ذلك نفعا وساروا الى وادى مر قاصدين ملاقاة الوزير عثمان باشا أبى طوق أمير الحاج الشامى ليعرضوا عليه حقائق أحوالهم لانه كان أميرا على الحج ستين عددا وال قبلها فلما جاء الحج اجتمعوا به وشكوا ما حل بهم اليه فقابلهم بالاجلال والاكرام ووعدهم بقضاء مطالبهم فلما وصل الى مكة واجتمع بالشريف عبد الله أشعره باجتماع السادة الاشراف به وشكايتهم اليه وأفهمه بما وعدهم به فأخبره الشريف عبد الله بمقدار ما يطالبون به من الدراهم ومقدار ما يصل اليهم من المحصولات التى لا تفى بما يطالبون به واستمال الوزير المذكور حتى صار فى جانبه ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على تنقيص معاليمهم وعلى توزيعها على قدر المحصولات وكتبوا بذلك دفترا ينطوى على العشر من مشاهراتهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة وأمرهم الباشا بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف اليه وتلطف بهم ودفع لهم شيأ من مقرراتهم حتى تفرق أولئك السادة الاشراف فى سائر الاطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالى مكة ممن كانت له يد مع أولئك السادة الاشراف

﴿عزل الشيخ محمد الشيبى عن سدانة البيت الحرام سنة ١١٣٦﴾

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد ابن الشيخ عبد المعطى الشيبى وطوقه الادهم وأثبت عليه الذنب المقتضى ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودفعه اليه وحقن بذلك دمه وفى أثناء الاعتقال عزله عن المنصب ونقله الى ابن عمه وبعد انفكاكه من الاعتقال أمره بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا انه أغار على شيخ الحديث فى عصره العلامة الشيخ سالم ابن الشيخ عبد الله البصرى وألزمه بمبلغ جسيم من المال عجز عن تقديمه وأفهمه بأن الامر بحضرة الوزير ومنعه من الوصول اليه وبث الشكوى اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل فى دفع المبلغ الذى طلبه منه حتى باع عز زد بيته وكتبه وسلم جميع ذلك وعدا على رجل من علماء الاروام يدعى

واذا وضعت أنثى اتركيها تعش مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى أن ولدت السلطان سليما والدته
فرأته صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم
والله لا أقدم على قتله وقالت بايزيد قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر على ذلك والحال
مكتوم لا يعلمه غير الله تعالى والقابلة والام وصار كلما ظهر وانشأ ظهر عليه سيما الغلبة والقهر واذا اجتمعت البنات وجلس بينهن
لطم من الى جانبه وضرب ونهب ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد الى
داخل السرايا وأمر بالمكان فزين واستدعى (١٨٣) كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه
سليمة فشرع في مداعبته
على عادته وخطف ما بين
أيديهن من الحلوى
والفواكه ووضع الكل بين
يدي نفسه والكل
خائفات منه هائبات له
فتعجب بايزيد لذلك وصار
يتأمله جدا وفي أثناء ذلك
دار حولهن يعسوب كبير
أرادوا مسكه فعجزوا
عنه وهو يلسع من يريد
مسكه فيهربون منه فمد
السلطان سليم يده اليه
وهو طائر وله فصاده
بكفه وعرسه وخبصه
ورماه من يده فتعجب
السلطان بايزيد منه وقال
للنساء الواقفات هذا لا
يكون بنتا اكشفوا لي
عنه فبادرت القابلة
وقالت نعم هذا صبي وليس
بنت فقال لها ولم تخالفين أمري وما قتلتيه
فقالت خفت من الله رب
العالمين وخلصت ذمتك
وذمتي من قتل معصوم
لا ذنب له فتفكر طويلا ثم
قال ما قدر الله فهو كائن
لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته الى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى * (الفصل الثاني في قتال شاه اسمعيل وانهزامه) * البلد
هو شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد ابن الشيخ ابراهيم خواجا علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين بن
اسحق الاردبيلي واليه تنسب الاولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في أردبيل وله سلسلة في المشايخ
أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وتنتهي بوسائط الى الامام أحمد الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو
أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار سكن أردبيل وبعد موته جلس في مكانه الشيخ صدر الدين
موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيأ فقال أطلب منك

بصالح أفندي كان له عند الوزراء مكانة وصيت فتلطف به الى أن اقتنصه ووجهه الى ناحية
القنفذة خشية من افساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لانه كان له لسان يفحم به المصاقع
ويعيي البلغاء البواقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بانه
ورد أمر بنفيه من الدولة العلية وقد كان سابقا من جملة أعضاده ومن أعاظم أنصاره وأنجاده وهكذا
كانت صفة الرجلين الاولين معه فرسخ عليهم في جميع أفعالهم وأذاقهم مرارة نكاله ومن جملة ذلك
أنه أبرز دفترا ينطوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الاقطار بتوزيع مال
خطير وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير فكانت هذه السنة من أقسى الاعوام على سكان بلد الله
الحرام ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة الى دخول شهر ذي
القعدة فوصل والبا على جدة الوزير أبو بكر باشا ثم وصل الى مكة ومنع الشريف عبد الله عن
بعض تلك الاشيا وقد كان في شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن
حسين الى ناحية الشرق ومعه جماعة من أبناء عمه مغاضبين للشريف عبد الله المذكور لما حصل
بينهم من التنافر مع ان السيد محسنا بهمته تسنم ذروة الملك وسريره وما كان تمام الامر له الا
بتدبيره ولما خرج السيد محسن الى نواحي الشرق استقبلته بالاكرام البوادي وأولته الايادي
ثم أرسل اليه الشريف عبد الله بن سعيد سرية فوقع بينهم وبينه نوع من القتال ثم صار منهم له
مسالمة وافترق الحال فمكث في تلك النواحي الى أن بلغه وصول أبي بكر باشا فكاتبه ثم كتب
السادة الاشراف محضرا لابي بكر باشا فيه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له شكايتهم وجميع
أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيد زين العابدين بن ابراهيم فلم ينتج ذلك
الا حفظ خاطر أبي بكر باشا وان يمنع عساكره عن معاونة الشريف عبد الله بن سعيد ان حصل
بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيد زين العابدين الى الطائف في اليوم السابع والعشرين
من محرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وثلاثين ومائة وألف ثم ترددت الرسل بينهم وبين الشريف
عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبذل لهم مقدارا عظيما من المال لينصرم ذلك
الانشقاق الواجب رأيهم على قبول المدفوع فقدم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف
فقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم ساروا معه الى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون
وكان ذلك في ثمانية عشر من شهر ربيع الاول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر
الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأعظمها شدة وتعبا وما ظن أحد من أرباب العقول أن
تكون خاتمتها على هذا المنوال الا انما استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا

البلد المنيف واستمر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الاشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه الى انقضاء سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وفي أوائل سنة أربعين ومائة وألف خرج الى الشرق بخيله وعساكره وبني عمه المطيعين له في مصادره وموارده الى ان وصل الى محل يقال له القوسية فاستمر هناك الى جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم رجع الى مكة بعد ان مهد تلك المهامه والوهاد

•(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريف قيمة المشخص والاحمر والريال)•

وكانت هذه السنة من أرخى السنين لكثرة الامطار قال العلامة الرضي في تاريخه اشترينا البر الهميس بالطائف الكيلة بأربعة ديوانية ونصف وخمسة ديوانية والنقرة الصافية بسبعة ديوانية والشعير بديوانيين ونصف والعسل الرطل بأربعة ديوانية والتمر بديواني ونصف والزبيب النعماني بأربعة ديوانية والفواكه كثيرة جدا رخيصة الى الغاية وصرف القرش بأربعين ديوانيا والاحمر بقرشين والمشخص بأربعة قروش والريال بقرشين وثمن وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين في هذه السنة خرج الى نجد ووصلت البشائر في أواخر جمادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها ظفير على وزن أمير وجمعوا لقتاله جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولاية الشريف عبد الله الى خامس عشر ذي القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام والاولى كانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما

•(وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)•

فانتقل الى رحمة الله بعد ان مرض أياما وكان انتقاله في التاريخ المذكور ودفن بأسفل مكة بوصية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم وبني عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا في أطراف اليمن أرسله والده ليحفظ تلك الاطراف مع جمع من العساكر والاشراف فاستمر هنالك الى ان دعي بعد وفاة والده لشرافة مكة وكانت وفاة والده في آخر النهار عند زوال كان له بطوى خارج البلاد فأخفي موته الى آخر الليل وتولى الامر والتدبير اخوة المتوفى وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مضر بن سعيد والسيد مساعد بن سعيد وغيرهم من بقية الاخوة لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد لانه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع القاضي والعساكر المصرية وبعض السادة الاشراف بدفع جانب من المال على ان يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبة

أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركنافأجابه الى سؤاله وأطلق السركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الارديبليين من ذريته الى الآن وحج والده السلطان خواجا علي وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وتوفي هنالك وقبره معروف في بيت المقدس • وكان ممن يعتقده ميرزا شاهرخ بن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه وأتباعه في اردبيل فتوهم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه بن يوسف التركماني من طائفة قراقو نيلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرق عنه الباقون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن علي بك من طائفة آق قو نيلو جد (١٨٣) أوزن حسن بك البايندري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قو نيلو جد أوزن حسن بك وولي سنة وأخذوا ملك فارس من طائفة قراقو نيلو وأول سلاطينهم قرا قو نيلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركماني ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد أوزن حسن بك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة • وكان أوزن حسن بك ملكا شجاعا مقداما مطاعا مظفرا في حروبه ميمونا في نزوله وركوبه الا انه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد خان حرب عظيم في بايبرت فانكسر أوزن حسن بك وقتل ولده زينل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى أذربيجان وملك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد الى طائفة آق قو نيلو صاهره أوزن حسن بك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ حيدر ولما استولى أوزن حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قوقو نيلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مريدوه وأتباعه وتقوى بأوزن حسن بك لانه صهره فلما توفي حسن بك تولى موضعه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قو نيلو وقراقو نيلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور • وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان فخرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه

ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزاة في حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحا من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بالسلاح وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الأحمر لأتباعه واجتمع عليه خلق كثير فأرسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن أوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل أميرا من أمرائه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره أن يمنعهم من هذه الجمعية فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه وقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر أولاده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه اخوته وجماعته وجاء بهم سليمان بك الى السلطان يعقوب فأرسل (١٨٤) بهم الى قاسم بك الغرناك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمروا الى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ست وسبعين وثمانمائة ﴿وولي بعده السلطان رستم﴾ ونازعه في السلطنة اخوته وتفرقت المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفي السلطان رستم ﴿وولي مكانه السلطان مراد بن يعقوب﴾ والوند بك ابن عمه وكان شاه اسمعيل في لاهجان في بيت صائغ في بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحروفية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه اسمعيل في صغره مذهب الرفض فان آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وتطلبه من أمراء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى ان يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم انه ما هو عندي ورتى في رمى عينه وكان مختفيا في بيت نجم زركر وكان أتباعه مريدو والده خفية ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى ان أراد الله ما أراد وكثرت داعية الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضادة بين العباد لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وحينئذ كثر أتباع شاه اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج لثار والده وجده في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده وكلما سار منزلا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى ان وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته وانكسر عسكره وأتوا به شاه اسمعيل أسيرا فأمر ان يضعوه في قدر

•(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)•

فاجتمعوا عند القاضي ليلا وسجلوا ذلك ونادوا باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد ثقبة وكالة وحفظا فما أصبح الصبح الا وقد استتبت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الأعيان والعساكر ودعي له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الحجوج السلطانية ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية

•(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٣)•

وفي سنة أربع وأربعين ومائة وألف ثارت العوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا مجاورين بمكة لأنهم حجوا سنة ثلاث وأربعين فأقاموا بمكة ليحجوا سنة أربع وأربعين وكانوا جماعة نفرا وساروا يترددون على المسجد الحرام للعبادة والطواف فزعم بعض العامة انهم وضعوا نجاسة بالكعبة المعظمة وثارت فتنة بسبب ذلك لمساعدة العساكر المصرية للعامة ومشت العامة الى قاضي الشرع فهرب من المحكمة والتجأ الى بيت آغا كبير العساكر للانتصار به وسار معه الى أبي بكر باشا صاحب جدة وكان قد جاء الى مكة في تلك الأيام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأخرجوا أيضا غيره من العلماء ذوي الهيآت واجتمعوا عند الوزير أبي بكر باشا بقصد نصب الدعوى والحال ان الخصم غير موجود بل غير معلوم فراجعهم حضرة المفتي في ذلك فأجابوه بكلام غليظ وأفعال غير مستحسنة وتعالوا على الوزير حتى أخذوا منه أمرا باخراج العجم من مكة ونهب بيوتهم وأخذوا من القاضي مثله ومشوا في أزقة مكة بالمنادي بأن من جلس بمكة المعظمة من العجم فهو منهوب مقتول ونهبوا أشياء من بيوتهم ومنعهم عنه وعن غيره بعض السادة الأشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يتعرض لهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند حضرة القاضي وطلبوا منه أن يرسل الى الشريف محمد ويأمره بالكتابة على ما بأيديهم من الصكوك فامتنع الشريف محمد من ذلك فأجابوه بأشياء اقتضاها الحال والوقت فوافقهم على ذلك فأطلقوا مناديا آخر بخروج العجم فخرجوا الى الطائف وجدة وغيرهما ومكثوا أياما قلائل حتى همدت القضية ثم ساس الأمر مولانا الشريف محمد وتنبه لمن كان السبب لهذه الفتنة وأخافه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف وغيره وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا وانمحلت الفتنة قال الرضي وانما كان هذا التعصب من أراذل الناس والأنذال والا فأهل مكة الحقيقيون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الاتفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك الى ان

كبير يطبخونه ويأكلوه ففعلوا كما أمروا وأكلوه * وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به فتلاذريها ولا يمسك شيأ من الخزائن بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بك ابن السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز وآذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعي الربوبية وكان له عسكر يأمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من النفوس ما قتله اسمعيل شاه وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحد من أهل العلم في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف أهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها واذا قتل أميرا من الامراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر

﴿ومن جملة مضحكاته﴾ انه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والجكاجي والسماط والكيلار والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالامراء وسقط منديل من يده الى البحر وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وتفرقوا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية وانه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة * فلما وصلت أخباره الى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية الغضبية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من أعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنفية على مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما أراد فتهيأ السلطان بخيله ورجله وعساكره المنصورة ورجله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاده وجداله وهو يحرض خميس العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران في قرب تبريز ورتب السلطان عسكره ونزل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان يهدرون كالجمال الفوالج فوق الحور

رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم جرت بينهما منافرات ومنابذات نشأ منها دعاوى ومرافعات وصدر في اثناء المدة حادثتان عظيمتان لم يؤلف مثلهما في قديم الازمان احداهما ان أحد السادة الاشراف آل بركات كان مغاضبا للشريف محمد فأمره الشريف محمد بالخروج من البلاد فلم يفعل وكان نازلا في بيت السيد عبد العزيز بن زين العابدين بن ابراهيم بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد فطلب واله مهلة الى الليل فأبى أن يعطيه المهلة الى الليل مع كونه انما دخل مكة بأحلة ووجه على القانون الجاري بينهم فلم يكن من مولانا الشريف محمد الا انه ركب بخيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذي كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر برمي الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فأصيب منهم بعض أشخاص ثم انجلت القضية بوصول كبار السادة الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره بعد ان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا في بيت زعيم منهم للمفاوضة في ذلك وتعيين من ينبغي ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على الفراق واقامة الحرب على ساق وجنح البعض الآخر منهم الى قبول ما يرد عليهم من حضرة الشريف محمد من الاعتذارات الناهضة وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تخويف لكل ملك عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم في تعيينه وتجسيمه الى الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك وانقاد له كان لهم ذلك رفعة وعلو مقام وكان له مانعا عن الاقدام على مثله مرة أخرى ومانعا لمن يأتي بعده من ولاة هذه الممالك وان توقف عنه وأباه فهمنا من ذلك مطمعه ومرماه وقابلناه بالمباينة والفراق واحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق وكان هذا الرأي نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله بن حسين ثم لما أجمع رأيهم على ذلك خاضوا في بيان ما ينبغي ان يساق ففرضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتراف بالخطا عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضي به وفعل جميع ما قالوه فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثاني انه بعد ذلك بمدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقاربه في بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك ان عبدا للسيد عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبي بكر الحنبلي واختفى العبد في بيت سيده السيد عبد المعين فمر مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب والعبد القاتل معهم فأمر بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت

المواكب وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم أطواد الجبال وصارت نجوم الابطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف فى أعناق الجحفل وغيوثها صبيب الدم من أوداج رؤس تحز وتفصل وأحجار المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هواء وذهبت قواهم هباء وولوا على أدبارهم ادبارا وانهزم شاه اسمعيل وولى دبارا ولم يجدوا من دون الله أنصارا وضاقت الارض حتى ان عاد فرارا اذ رأى غير شئ ظنه رجلا وقتل غالب جنوده وأمرائه وساق العساكر المنصورة العثمانية من ورائه وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه

وترك ما حوله فى مخيمه من أثاث تجملاته وكان لا نظير له فاغتنمه عسكر السلطان سليم ووافت حوافر خيله أرض تبريز فدخلها وأمر وقتل من أراد وأمر وأعطى الرعية عام الامن والامان وشرفها أعلام أهل الايمان وأخذ من أراد منها من الافاضل المتميزين فى الصنائع والفضائل والشعراء الاماثل وساقهم مسركا الى اسلامبول على الفانون وأراد ان يقيم فى تبريز للاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتى درهم وسبب ذلك ان القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وما وجدوا فى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحب والشعير وسبقوه وغير ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه واخبران سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغورى يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغورى هو الذى أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتال السلطان الغورى أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال شاه اسمعيل ثانيا . فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية فى تخت ملكها الشريف تهيأ لأخذ مصر وازالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى

المذكور فلما أحس ساداتهم بذلك نزلوا محمد بن عبيد هم فوقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح فى عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف عند بيت السيد عبد المعين لانجاد رفاقهم وكاد ان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حضر مولانا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وحولوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع بعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة فى أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف منه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يبرمون حبال الغزل وينقضون ما أبرمه من الغزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم مدركا لما أمله بسببهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلبوا من حوله من عربانه وبواديه وصرح منادى عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى سنة خمس وأربعين ومائة وألف وقد تقدم ان عمه الشريف مسعودا هو الذى أجلسه فى منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور فحسده بعض ذويه وشرع يرمى الفتن بينه وبين ابن أخيه فصارت بينهما مهاجرة ومباينة ومباعدة فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة صار عمه يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل فخذ جانب ثم حدثت القضيتان السابقتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان اجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستمروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم نزلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كرا وسبب ذلك انهم لما أطالوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه بمن معهم وكان مستعدا لهم بعساكره وخيوله وجعل على طريق يعرج فلما وصل الى قرن المنازل أقام به ذلك اليوم للاستراحة وهم اذ ذاك بالطائف لم ينتقلوا منه فبلغهم وصوله الى قرن فتأهبوا للملاقاة يومهم ذلك فلما جلس وتأخر فى قرن ولم يصلهم استحضروا ان يعقبوه ويتوجهوا الى مكة وجعلوا له أشياء تفهمه انهم مازالوا ماكثين فى الطائف مستعدين له وذلك انهم أبقوا اشعال النيران وضرب الطبول بالطائف وحواليه وسروا بليلتهم على طريق الثنية فجاءه الخبر بانحدارهم الاضحى اليوم الثانى وهم فى اليوم الثانى قد وصلوا تهامه

وسبقوه الى عرفة فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب الا انه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذى وقفوا فيه للمقاتلة وهو جبل الطلم الكائن على يسار الصاعد الى عرفات وعند ذلك صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجلت فى مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم فوجه الاشراف وجوه الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك المسالك وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية واندارت عساكره وطبوله الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

•(ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهى الولاية الاولى فى ٧ جمادى الاولى)•

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثنى عشر يوما وقتل فى هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فممن قتل من الاشراف السيد سليم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله بن حسن بن أبى نمى أخو السيد محسن بن عبد الله بن حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل فى هذا اليوم ما أذهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تتفطر لهن الكبود حتى قال بعض الاشراف كانه مع شجاعة على بن أبى طالب حتى رأيناها بالعيان من السيد سليم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر ضربة وقتل تحته فرسه المسماة بالجوهرة وهى من الصافنات الجياد المشهورة وبسبب وقوعها استولوا عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن فنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفى يقول فى مطلعها مخاطبا السيد محسن

صبرا أباعون تفز بثوابه • من فقد من نزل النعيم ثوى به
صبرا على فقد الكريم أخى الكريم • ابن الكريم الى على أنسابه

وهى طويلة بليغة ذكرها الرضى فى تاريخه وممن قتل فى هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد بشير بن مبارك بن شنبر وغير هؤلاء الثلاثة والذين أصيبوا بالجراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما داخلا على بعض الاشراف على قوانينهم

ناحية حلب فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وخرج الى قتاله قانصوه الغورى بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب فى مرج دابق • وكان الغورى يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراء خير بك ومن جان بردى الغزالى وكان يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا أمامه ووقف الغورى بخواص عسكره الذى يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد أن يقدمهم خلف خير بك والغزالى وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والضربزن فى أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالى لذلك وكانا ارسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما عهدا يطيب من خاطرهما وان يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران واضطرمت نيران البنادق فى مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواصه وجلبانه فى القلب فاطلقت البنادق والضربزانات فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدرى أية سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ وجه الارض لشعب النفط والنيران وعاد الغورى تحت سنابك الخيل وتحاور العدل ظلام الظلم كما يحور النهار الليل وذهبت ظلمات الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وأكلت أشلاء قتلاهم الوحوش والطيور وكان لم يكونوا شيأ مذكورا وقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احترمت من اسالة الدماء فطلب أهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق بأنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ فى المدح والتعريف وما زاده الالقاب فخرا وسوددا • باطناب ذى مدح واكثار مادح وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذى يسر لى أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأضمر خيرا جزيلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين

الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين المنيفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمهد الملك ويجري أحكام المعدلة والسياسة ويحسن الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الأمن والامان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه فقبلوا الارض بين يديه وبالغوا في الدعاء بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به لتمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقابل الناس بسن ضاحك ووجه يتهلل سرورا وجبين أغر علا الارجاء ضياء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه للفقراء الشيخ المرحوم وجعل عليها متوليا وناظرا لجمع الريع وبصرفه في جهات الخير ونظره أعظم الانظار في بلاد الشام الى الآن وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضي الله عنه هي التي جلبت السلطان سليما طيب الله ثراه الى سلطنة بلاد العرب وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ق

* واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والاصر ولما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آق شهر يخرج منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قصبة في طريقه أحسن الى الرعايا ونظر بعين المعدلة والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر

المعتادة ثم توجه تلقاء اليمن ولم يزل في مسيره الى ان اتصل بالمخواة ثم تنكب ذروة سراة بجيلة ثم رجع الى الطائف فتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدمهم ونال مقصده الاسنى بسببهم فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون لنصرته فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود وتلاقيا بوادي المثناة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين وانحاز الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها مجال لوعارة تلك الجبال فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فانهزم

(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)

واستقل الشريف محمد بالشرافة وتوجه الشريف مسعود بعد ان أخذ الاجلة على المعتاد وتوجه الشريف محمد الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها مفاسد وأمور عجيبة فكانت سببا لرجوع الشرافة للشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف ظالم سردار الانكشارية المقيمين بمكة حسين أغا الى بستان بأعلى مكة متنزها بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر اليمنية بخدام مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين أغا المذكور وبادروه برمي الرصاص وأذاقوا جماعته حر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمدا ما صار فركب فورا لمنع العساكر وتحرز ما بقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف وفتح الطاقة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر فعاش بعدها ساعة ثم مات ودفن هو وخادماه في يوم واحد فتولد من قتله فتن عظيمة ومتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستدعوا من كان منهم ببندر جدة فصاروا جماعة عظيما وتفرقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها وسدوا منافذ الازقة واخترعوا متارس في تلك الدور فأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فاجابوا بأجوبة قبيحة وأصدروا أوراقا الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد وقصدا به اذهابهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا

فى اثناء تحزبهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا له شيأ من المال ليستعين به على جمع الرجال فقبض المال ثم رحل الى وادى مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف فوصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم اليه وكان يخاطبهم باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ماصدر من عسكره ليس هو مراده ولا هواه ومع ذلك لما وصل قويت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأخذ منهم مهلة ثلاثة أيام فقمهم وأمنهم انه يريد الاصلاح فهبطت نفوسهم فهيأ مجلسا فيه القاضى ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم خاض مع الحاضرين فى تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة العلية وانه هو يتكفل عليهم بعدم الاعتراض ويكفل على مولانا الشريف وعساكره بعض كبار السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حافظا للطرفين وأمر حضرة الوزير بالنداء بذلك فى المسجد والبلد الحرام ثم فى اليوم الثانى أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادى مر واظهروا التغلب على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بالبندر وأحكامه وشرعوا يشدون الذخائر الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصرة بعد الصرة الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل على الحديبية وبرز الشريف من مكة الى طوى وجعل فيها حصونا ومتاريس وأكثر السادة الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة ماعنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مكة بناء على أنهم عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا انهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الاجناد فقطن الشريف محمد لما أضمروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فلما بلغهم ذلك وهم فى اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم فرجع العساكر الى بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا فى تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير أبى بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم ذهبتم لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسببكم وانما يكون هذا فى المستقبل

العدل فى العالمين وفرق بقية السيوف من الجراكسة الى مصر وولوا عليهم الدوادار وجندوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وخرجوا الى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والاحجار وهيؤها ليطلقوها اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا الى غير ناحية وجاؤا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل والضربزانات على العجل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية فلا نفع ولا دفع ووقف السلطان طومان باى ومن ثبت معه من أمراء الجراكسة فقاتلوا قتالا قويا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم فى ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان سليم على شهادته ومن جملة نكته انه قال عند ما أخبروه بهروب عساكر الاعداء وقتل سنان باشا أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة أن يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا وانهزموا وتمزقوا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باى الى البحيرة ونزل على شيخ عربان بنى حرام عبد الدائم بن بقر ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل فى ساحلها فى الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلاد وأمنوا الناس وازالوا عنهم الخوف والبأس ماعدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم ويرمى جثثهم فى بحر النيل وتجمع رؤسهم اكواما بعد اكوام الى ان عفنت الجزيرة بروائح القتلى وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وأمر ان يبنى له فى علوه كوشكا عاليا سكنه مدة مقامه بمصر هربا من عفونات اشلاء القتلى ثم ان شيخ العرب عبد الدائم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باى أسيرا وأنعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باى عنده وأراد ان يكرمه ويحمله تابعا عنه بمصر اذا برز عنها الى الروم وصار يحضره فى مجالس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فأرجف أهل مصر عن طومان باى انه لم يقع فى الاسر وانه اختفى وانه يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فبلغ السلطان سليم خان أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن مادام طومان باى محبوسا فأمر ان يركب على بغلة ويحف بعسكر الينكجرية ويمضى

الى باب زويلة وبصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بأنه مسك فصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضى القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضى القضاة نور الدين على بن يس الطرابلسى الحنفى قاضى الحنفية وقاضى القضاة الدميرى المالكى قاضى المالكية وقاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلى قاضى الحنابلة وولى ملك الامراء خير بك مصر وولى جان بردى الغزالى الشام كما وعدهما بذلك وبعد هذا الامور سار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى فى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين (٩٢٠) وتسعمائة وأخذ معه كثيرا من أعيان مصر مركبا الى الروم كما هو قانونهم ووصل

الى تخت ملكه ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكر الله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا ثم افتقد خزائنه فوجدها قد انصرف ما بها لانه كان قد صرف فى هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها آباؤه واسلافه فلما أراد سفرا ثالثا الى بلاد العجم لقطع مادة طائفة القزلباش رأى ان ما بقى من خزائنه لا يفى بتلك المصارف فتأخر ليجتمع فى خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد فقدر بقى بالبلاد ويأبى الله الا ما أراد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ٭ تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

فظهر فى اثناء ظهره جراحه منعته الراحه وحرمت عليه الاستراحه وعجزت فى علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه عقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت والرمل تونسع الدجاجة فى جرحه فتذوب بحره وشوهدت معاليق أكباده فى جوفه من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فيه فما نفعه التمائم والرقا وفدى بالاموال والارواح فقبل التداوقال ولو قبل الفداء لكان يفدى ٭ وان جل المصاب عن التفادى

ولكن المنون لها عيون ٭ تكثر لحظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس ٭ برغم منك أثواب الحداد

وتقضى نحبه ولقى ربه ومضى سالم بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم وأقعده من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء وهو الفعال لما يريد ٭ وكانت وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل

ان شاء الله تعالى لانى قد أرسلت الى الدولة العلية ما حصل فى هذه القضية فارجو ان يصل الامر السلطانى باطلاقها باسم الشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام وخرج مضمرا تجديد القتال وأما الشريف محمد فانه لما بلغه نزولهم الى جدة أرسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم وعلائفهم على المعتاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال وسط بعض الاشراف أن يصلح الحال مع الشريف مسعود وتسليم ألف أحمر علوفة شهر فقبل ذلك منهم فى الظاهر وهو مصر على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى بابل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وقصد الطائف وأخرج من فيه من اجناد الشريف محمد ونهب بيت أغاة العسكر فلما بلغ الشريف محمد ادخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم أميرا من السادة الاشراف وأرسلهم الى الطائف فالتقاهم واعقبة بعرج بلغهم أن الشريف مسعودا فى غاية القوة فتحصنوا فى حصن العبد برأس عقبة بعرج واستمروا هنالك مدة طويلة لا يقدرون عليه لاعتبار ثقيف وغيرهم من العرب له ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بها الى مكة المشرفة فخرج اليه الشريف محمد بعساكره العثمانية وتقابلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده فهزمهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

﴿الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦﴾

فكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما وهذه الولاية الثالثة للشريف مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين فأمن البلاد والعباد وانتظمت دولته وبعد دخوله بيومين قتل بعض اخوانه رجلا مغربيا ينتسب للعلم الا أنه كان مسلوب الاختيار يجالس النساء فى اللبس والمشية وكان له بالشريف محمد محبة واتصال لما توهم فيه من العلوم الغريبة كالسحريات والطلسمات وما أشبه ذلك مما يستعين به على دفع الشريف مسعود واتفق فى الواقعة التى دارت بأسفل مكة وانهزم فيها الشريف مسعود انه حضر هذا الرجل وكان يقابل الشريف مسعودا وقومه ويقرأ بعض الاشياء ويرمى نحوهم بالحجارة

عليه شآبيب المغفرة والرضوان في سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴿الفصل الثالث فيما عمره المرحوم السلطان سليم خان في الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين في أيام سلطنته﴾ كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يجهزها لهم والده المرحوم ويكرمهم [illegible] قام عليه منهم ثم [illegible] انهم حسن [illegible] وصلت [illegible] الرومية [illegible]
ماقرره والده المرحوم لاهل الحرمين في أول سلطنته [illegible] وتسعمائة [illegible]
جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محيي الدين العراقي فحصل لهم في ذلك العام (١٩١) جزيل وخير جميل ورتب له في دفتر الصرمائة دينارذهبا وفرح عن قدم عليه من الحجازيين وأنعم على كل بحسبه وكان يرسل الصدقات الرومية في كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغوري حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع ولما خرج بما كره من مصر الى مرج دابق أخرج كل من في حبسه من أرباب الجرائم الا القاضي صلاح الدين فانه أبقاه في الحبس فلما انكسر وقتل في مرج دابق أخرجه السلطان طومان باي من الحبس فلما دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضي صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من الحجازيين أحسن اليهم كلهم وأكرمهم وولى أمانة جدة تاجرا اسمه الخواجا قاسم الشرواني وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى مصر فخدمه وتقرب الى خاطره الشريف فأرسله الى مكة أمينا في بندر جدة أميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وأرسل السلطان سليم من أمرائه الى مكة الامير مصلح الدين بلشا بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومي فوصل في صحبته أمير الحاج المصري المقر العلائي بالمحمل الشريف المصري على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة المحملين الى سبيل الجوخي هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبونمي أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار أمام المحملين المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما واستمرا في هذا الموكب الى أن فارقا المحملين وأمير الحاج والامير مصلح

والرمل الى ان انهزم وافصاره محلة عند الشريف محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك ويقدح به حتى قتل بسببه ولما دخل الشريف مسعود الطائف واستمر تلك المدة الطويلة من غير سبب مع توافر الجنود من البادية عنده نسبوا ذلك التعطيل الى هذا المغربي وكل هذه الامور كانت ترفع للشريف مسعود في مراسلات خواصه ثم لما كان قضاء الله لامفر عنه مشى ذلك المغربي بنفسه الى الطائف ليكون عمله برأي من الشريف مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه فعرفوه به فقبض عليه وحبسه واهانه وأمر جميع الخدم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذي معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعي المسير معه على صاحبه بمكة المشرفة فكأنما نشط من عقال ولما توجه الى مكة كان ذلك المغربي معه في السلاسل والاغلال واذهب به بانه ان صار لنا انتصار عفرنا عنك وان لم يصر لنا انتصار أهلكناك فكان هكذا يكون فحصل له النصر بحمد الله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الخدم في الحبس الى أن يطلبه مولانا الشريف مسعود ويمم عليه ويطاقه كما وعده فحدثت منه حادثة أوجبت القتل بدون اطلاع مولانا الشريف مسعود وهو انه هرب من الحبس ولجأ الى بعض بيوت السادة الاشراف آل زيد فلحقه أخ لمولانا الشريف مسعود فقتله به وكانت هي القاضية ودفن بالمعلى في مقبرة الشيخ محمد ابن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي زعيم الاشراف في ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية بصحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي ووعده بان يتم له أمر شرافة مكة فلما حط رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم الى ان دعاه الحق الى بحبوحة جنانه فتوفي بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى

﴿عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله جد ساداتنا آل عون ووفاته بالشام سنة ١١٤٧﴾

واعقب من الاولاد السيد عون والسيد أحمد والسيد حسنا والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفي ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى ۞ وبلها دائما بأوفى الزياده
فوق رمس به لقد حل مولى ۞ أشرف كان عقد جيد السياده
محسن الاسم وهو في الوصف بر ۞ حسن سير المكارم عاده

الى ان قال في البيت الاخير وفيه التاريخ

الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباى ونزل أمير الحاج المصرى فى مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كابركه من ملوك الركن وقد هدمت الآن فى ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة لجدار الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا ترا كم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطانى فى سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية فى يوم الجمعة لاربع مضين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فى الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة من المجاورين لكل واحد مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة بن القاضى مصطفى القرمانى ومولانا زين الدين على القرمانى وقرر باسم مولانا السيد الشريف أبى نمى أطال الله تعالى عمره الشريف خمسمائة دينار ذهبا فى أول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف تقبض له فى كل عام وفرقت بعد هذا الذخيرة وهى صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها فى كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك فى طريق الحج وهى باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التى تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمى وهو باق الى الآن وان تقهقر وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء الاكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحياها الله من أحياها وأعمى حياة من عمرها وغماها وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قرئت ختمة شريفة فى الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزأ شريفا قرآنيا فى كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة فى كل يوم يهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثنى عشر دينارا ذهبا فى دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم فى كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها المفرقة وكتب أسماءهم فى الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامى من فى ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة

سلطان

وارو تاريخه بفرزندى * نال بالشام محسن للشهاده

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فانه صار يتنقل فى أماكن كثيرة الى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة واحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له ولم يقع منهم شئ من ذلك ثم اجتمع بامير الحج الشامى الوزير سليمان باشا ابن العظم وحاوله هو وكار حرب أن يوليه الشرافة فامتنع الوزير المذكور ثم لما وصل الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما مواثيق وعهودا وجاء الشريف محمد الى مكة فقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرر بكل ماله ولجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب فى دكة شيخ الحرم التى فى باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه خمسة أنفار وفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود عساكر وفرسانا من السادة الاشراف لقتال الاشراف ذوى حسن المقيمين بالشاقين بطريق اليمن وهم ينسبون الى الحسن بن عجلان بن رميثة فيجتمع نسبهم مع الاشراف آل أبى نمى فى الحسن بن عجلان المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا فى أطراف اليمن بالشاقين وأقاموا هنالك حتى صاروا عددا كثيرا وملكوا أملاكا وزرعوا مزارع وتصرفوا فى الاعراب المجاورين لهم ونفذ أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هنالك شأن عظيم وهم بطون كثيرة فحدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد المتقدم ذكر لجهم مع عمه الشريف مسعود بعد ما كان بينه وبينه من الحرب الشديد فسار عليهم بذلك الجيش الى منازلهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من منازلهم وقصدوا مواضع حصينة تحصنهم فى تلك المواضع التى تحصنوا فيها وأخذ ما بقى من نعمهم وأتباعهم وظفر بمن دله على دفائنهم من الحبوب والادباش والذخائر والاموال فامر العساكر باخذها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا فى ليلة من الليالى الى جبال بنى سليم فلحقهم الشريف محمد ومن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار ان قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعث بهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدرى ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة وأمنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفى سنة سبع وخمسين ومائة وألف كما فى تاريخ الرضى حصل بغى من نادر شاه طهمان

دنانير ذهبا والحق ذلك فى دفتر الرومية وسماها البيوت وهى باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم فى حوش كبير وأعطى لكل واحد دينار بن ذهبا وسماهم العامة وكتب أساميهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار فى صحائف حسناته الى يوم القيامة ● ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويرى خطبة التروية فى سابع ذى الحجة وفى ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومى وتوجه المقر بالمحمل المصرى الى عرفات وصلوا فى يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب فى مسجد نمرة ● ثم شرعوا فى الوقوف فى ذيل جبل الرحمة وخطب قاضى القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه (١٩٣) الامير مصلح الدين بالمحمل الرومى وأمير الحاج المصرى بالمحمل المصرى ولم يصل فى ذلك العام المحمل الشامى ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة من منى فى يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفى ليلة الجمعة فى أواخر شهر ذى الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يس الحضرمى والشيخ عبد الله بن نا كبير الحضرمى وشيخنا الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الحطاب المالكى وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكى والشيخ أيوب الازهرى وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب يركبونها الى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضى الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والدة السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة والى عنها وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة الى صحائفها ثم أحسن اليهم ورتب لهم الصرفى دفتر الصدقات فدعوا له وللمرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى ● ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة تجراسفاش مشحونة فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان

سلطان العجم وخرج على كثير من ممالك الدولة العلية بالعراق واستولى عليها وأرسل كتابا لمولانا الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفرى وان يصلى امام خامس فى جميع الاوقات فى كل الجهات يصلى الصلوات الخمس بلا معارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية فى جميع ممالك الاسلام فواصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلى بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام وجعل فى كتابه شيأ من التهديد والترعيب فحصل لمولانا الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالى مكة حتى أزعج سكان أم القرى ماطلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ماذكره من الاتفاق زور وبهتان على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى فاستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويمهل الرسول مدة الذهاب والاياب وأن يعامل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرض الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بهذا الرأى بل قال لابد من قتل هذا الرسول فأبى مولانا الشريف أن يسلم الرسول للقتل وقال لابد أولا من انهاء الامر الى الباب العالى فأغلظ عليه بكير باشا وتعصب واتهم الشريف انما اعتقد هذا المذهب فخشى الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد

●(سبب لعن الرافضة فى المنبر والمقام سنة ١١٥٥)●

فأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فزال من خواطرهم ذلك الاتهام فخاف الامر من الدولة العلية بتكذيب ماافتراه شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليحضر الى الباب العالى فتوجه صحبة أمير الحاج الشامى أسعد باشا فى ذلك العام فهذه القضية هى أصل التصريح باللعن فى المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوشا لقتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة مشهورة مذكورة بالبسط فى التواريخ ومما كان فى دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القهاوى والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الاطواق فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لاينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لما تظاهر الناس بشربه فى الشوارع وتعاطاه الاراذل والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء فى الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا ما شاربا أو فى بيته من يشرب أو مشاهدا فلا يخرج أحد من الثلاث عن واحد فحينئذ لايوجد فى المسلمين عدل خصوصا والعدالة شرط فى شهود النكاح ويترتب على هذا ان الانكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع أن القائلين

سالم وهى سبعة آلاف اردب جاء منها الفا اردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطانى أن يوزع ذلك الامير مصلح الدين بخاص فى الحرم وطلب قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى ونائب جدة الامير قاسم الشروانى وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطانى واستشارهم فى توزيع ذلك فذكروا له أنه لابد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه فى ذلك فارسل اليه ساعيا وكتبوا له صورة الامر الشريف السلطانى واستدعوا رأيه العالى فى ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من حب (١٩٤) الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الامراء من أعيان أهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رأيهم على بيع بعض ذلك الحب ليصرف فى نقله من جدة الى مكة وأن يكتب أسامى الناس على العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المصارف وأمر شيخ الاسلام الصلاحى أن يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم أسامى الناس الشيخ رضى الدين الحناوى الشاهد العدل كبير الشهود العدول فى باب السلام المكى فكتب بيوت كل محلة وكتب ما فى كل بيت من أعداد الانفار رجالا ونساء وأطفالا وخداما ما عدا التجار والسوقة والعسكر فكانوا اثنى عشر ألف نفر فخص كل نفر رباعى بكيل الربع الكبير الذى هو أربع كيل عن أربعة وعشرين قدحا بالكيل المصرى المستمر الآن وأن يدفع مع ذلك لكل نفر دينار ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربع ثلاثة أرادب وزيد فى اعطاء الناس بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطانى واستمر الى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة والمجاورون يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم اما فى جميع السنة أو أكثرها فلو فقد والذلك والعياذ بالله هلكوا وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد

أقامت فى الرقاب لهم أياد • هم الاطواق والناس الحمام

فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدا الزمان

بالتحريم لا مستند لهم صريح من الكتاب والسنة وانما ذلك بعض الاقيسة المحتملة مع أن البلوى به عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب فى جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور شجرة الدخان سنة تسعمائة وتسع وتسعين وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلى عن الدخان أجبنى • هل له فى كتابنا ايماء
قلت ما فرط الكتاب بشئ • ثم أرخت يوم تأتى السماء

٥٦ ٨١١ ١٣٢ ٩٩٩

ومما كان من الحوادث أيضا فى دولة الشريف مسعود انه نادى على جميع الغرباء من جميع الاجناس بالتوجه الى بلدانهم وأمر بتكرير ذلك النداء وأغلظ فى العقوبة على من أهمل ذلك وسبب ذلك كثرة الغرباء بمكة حتى اتخذوها دار سكنى فقطعوا بذلك عن أهلها الحسنى وصاروا يتعاطون بيع الاقوات واستولوا على أغلب ما فى الدفاتر السلطانية من المرتبات فتوجه بعد ندائه هذا خلق كثير وكان الامر بذلك سنة تسع وأربعين ومائة وألف وكذلك المنع من شرب التنباك وفى سنة سبع وخمسين ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بجيش يغزو به بنى شعبة فصبحهم وأخذ ما وجده عندهم من المواشى والنعم وقتل جماعة منهم وما سلم الا من تحصن برؤس الجبال ثم دخلوا فى الطاعة ورجع الشريف محمد ومن معه سالمين وفى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف غزا مولانا الشريف مسعود بنفسه قبائل عضل حوالى الليث لقطعهم الطريق وكثرة افسادهم فأغار عليهم وأخذ منهم أخذا وبيلا وكان ذلك فى شهر صفر وفى شهر رمضان من السنة المذكورة جهز جيشا عظيما على قبائل البقوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف مساعد بن سعيد فغزاهم فى سفح جبل حضن وأنزل عليهم البلاء والمحن ونهب أموالهم وقتل كثيرا منهم وربط آخرين ورجع سالما هو ومن معه وفى سنة تسع وخمسين ومائة وألف حصل مطر عظيم فى أيام منى والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بجانب من الحاج وأموال كثيرة وكان ذلك آخر الليل وأظلمت الدنيا حتى لم ير الانسان من بجانبه وأصبح الناس نافرين الى مكة وهم فى غاية التعب والمشقة وعشرون أشخاص ذكور وانات وأطفال قد طمهم السيل وفى سنة ستين ومائة وألف حصل اشتباه فى هلال عيد رمضان ثم أثبت بالطريق الشرعى صبح ذلك اليوم فذهب الخطيب للصلاة وصلى بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف

كان دولتهم الشريفة هى عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة فى أيام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة فى نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصور ومن الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم علينا ظلالهم كما دام علينا برهم واحسانهم ومساجده الامير مصلح الدين ﴿المذكور بناء مقام الحنفية﴾ فانه كان مسقفا على أربعة أعمدة فى صدره محراب عمل سنة احدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمة والعلماء والاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم أبا حنيفة روح الله تعالى روحه الشريف ونفح الروح والريحان والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له فى هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام وقد ذكر بعض العلماء أنه لاشك فى عظم كل واحد من الائمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات فى مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات فى وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الانكار فى ذلك العهد ولهم فى ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدى الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطؤا من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق • ثم ذكر القاضى بديع الزمان بن الضياء الحنفى ان جده القاضى أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع الامير مصلح الدين فى اتمام مقصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الاصفر والاحمر الشميسى وصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلى فيه امام الحنفية بالحنفيين الى أن غيره الامير خوشكلدى أمير بندر جدة وهدم القبة وبنى المقام مربعا ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق الى الآن على هذا الحكم • ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبى صلى الله عليه وسلم وكتب دفتر الاسامى وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأبقى له ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحمه

للناس ليلة العيد ومن الالبسة والحلواء والاسمطة النفيسة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصلت المفاوضة فى ذلك فى مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالى باظهار الاسف على انخرام مجالسه المعتاد وذهاب رونق العيد وما يصير اليه من طلوع أهل الحارات على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه بانقضاء الملاوات وأن يعمل فى الليلة الآتية ما كان يعمل فى الليلة الماضية الا التكبير والخطبة والصلاة لتوقيت المستفاد من الشرع الشريف ولان الصلاة والخطبة قد حصلا فصار فى الليلة الآتية طبق ما أمر فبسطت الاسواق وطلع أهل الحارات على جبالهم وصنع ما هو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلواء والملابس والاسمطة وهذا أمر لم يعهد قط وفى سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير على باشا صاحب جدة وسببه انه نازع مولانا الشريف فى كثير مما هو مقرر له من المحصولات ببندر جدة فابرز له مولانا الشريف ما بيده من الاوامر السلطانية وما كان بيد آبائه وأجداده فلم يمتثل الوزير المذكور لشئ من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينتج ذلك نتيجة بل ازداد الباشا تجبرا وترس البلد وحمى السور وتعدى على كثير من خدم مولانا الشريف واتباعه فعند ذلك جهز عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش اخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك الجيش وأحاط بمن معه على دائرة السور وحصر الباشا المذكور ووقع بينهم النضال ثم أرسل بعض أهل البلد للسيد جعفر ان يحمل من جهة البحر بمن معه من الجنود فهجم الجند على سور البلد من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه فركب الباشا البحر بخواصه وتمكن الشريف جعفر من البندر ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر وأرسلت الدولة على جدة غيره وجاء الامر من الدولة باجراء ما هو مقرر لمولانا الشريف على حسب ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف فى ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس وستين ومائة وألف

﴿ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد﴾

فمرض فى أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما قلائل ثم توفى يوم الجمعة ثانى ربيع الثانى من العام المذكور وولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وألبسه والى جدة وقاضى الشرع الشريف ونودى باسمه فى البلاد وأقبلت لمبايعته السادة الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن بيعته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم عاملوا خفية ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتجمعوا بوادى مر ولم يكن معهم الشريف

الله تعالى ﴿الباب الثامن في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض ما فعله من المآثر الحسان والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى الله عهده سحائب الرضا والغفران﴾ كان سلطانا سعيدا ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأييدا (وولي السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة ومادى أنف واحد ولا أريق في ذلك محجمة دم • ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا محمد بن خطيب قاسم الرومي في حاشية كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشري سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولي السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر في السلطنة تسعا وأربعين سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان غاز في سبيل الله مجاهد لنصرة دين الله مرغم أنوف عداه بلسان سيفه وسنان قناه كان مؤيدا في حروبه ومغازيه مسددا في آرائه ومعازيه مسعودا في معاقده ومغانيه مشهورا في وقائعه ومراميه أيان ملك ملك وأنى توجه فتح وفتك وأين سافر ظفر وسفك وصلت سراياه الى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخمد الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه البتار وأقام الملة الحنيفية وأحيا ما ألهاه من مآثر ونصر مذهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجدد دين هذه الامة المحمدية في هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذي يقصر عن شأوه كل أديب وشاعر ان نظم نضد عقود الجواهر أو نثر نثر منثور الازاهر أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغاء الزمان وتعجز أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان بكل لسان وتستلذ بمعانيه العقول والاذهان وكان رؤوفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يأنف مساوي الاخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال ديانته ولا يشك في ولايته

محمد المذكور ولم يظن مولانا الشريف مساعد ان لهم يدا مع الشريف محمد لانه أول من حضر المبايعة ولم تكن منه منازعة فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبون الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف بطلب الصلح ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمدا وأظهر هو نفسه أيضا في ذلك فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه فحصل بمكة اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبد الله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل فتوجه فوجد الشريف محمدا قد نزل بالسيل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بهم الى الطائف فملكه بعد حرب يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة أيام توجه بمن معه الى مكة وترس بهم في موضع يقال له دقم الوبر فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا شديدا ثم انهزم الشريف محمد ونهبت خزائنه ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف ثم جمع كثيرا من العربان وجاء بهم الى مكة في ثاني شعبان وخرج له عمه والتقيا ليلا في تلك المواضع الشريف مساعد مقابلا للموضع الذي فيه الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح بلغه ان ابن أخيه قد أتى وتحصن بجبال المحصب والمعابدة فوجه خلفه طلائع خيله السوابق وارتحل وما زال ينقل ويجنب حتى التقى الجمعان بوادي المعابدة ووقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف محمد ومن معه وتفرقت عنه تلك البوادي وتوسط السيد عبد الله الفعر بينهما بالصلح وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاء بذلك فدخل مكة في النصف من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الفعر بعروض من مولانا الشريف للدولة العلية ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب لمولانا الشريف مساعد ثم ان الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد في سنة سبع وستين خرج الى المبعوث فأقام به برهة يسيرة وعينه بغير المال لم تكن قريرة ثم توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا في سنة تسع وستين توجه للزيارة ثم قصد الرجوع الى مكة

﴿ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٦٩﴾

فتوفي وهو راجع عند ثنية عسفان فنقلوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح

وما تناهيت في بثّ محاسنه • الا وأكثر مما قلته أدع وقد أهلني الله لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا يتلألأ وهيبة ألبسها الله مهابة واجلالا وجبينا يتضوع ضياء وجمالا والبسني تشريفة التشريف الشريف وشملني باحسانه الوافر الوريف فها أنا الى الآن أتقلب في جزيل نعامه وأعيش الى الآن في فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة الجليلة كلما تذكرت احسانه وجميله وأخلد ذكره الحسن في أوراق الليل والنهار وأرقمه في صفحات دفاتر الايام حيث لا تمحوه كرور الدهور والاعصار ولا تزيده الايام الا جدة ونضارة ولا يزال خاطري بتجديد البراعة والعبارة

﴿فصل في ذكر أولاده الكرام وأحفاده النجباء العظام﴾

كان أكرمهم وأنجبهم وأمجدهم وأسعدهم وأرشدهم وخلاصة عنصره وربيب حجره ومهده مشيد أركان الملك العثماني السلطان سليم الثاني أجلسه الله على سرير القرب والتداني وعوضه ملك الفردوس الباقي عن الملك الفاني مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة كما يأتي في محله • ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاده مولده سنة احدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من المحل الذي ولاه وهو مغنيسا الى أركلي وهو متوجه الى تبريز لاخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلا أمره باذلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه أمر طائفة من البكات بخنقه فخنق صبرا وقتل قهرا في آخر شوال سنة ستين وتسعمائة والطف ما قيل في تاريخه ظالم بي حدود آخر شوال • ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم الى بروسا لقتل ولد صغير اسمه مراد فمضى اليه وخنقه وبوالده ألحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الامر الفظيع الذي قطع القلوب أي تقطيع الا لتسكين الفتن واطفاء نائرة المحن ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظا للنظام بالتأمين والتطمين • ومن أولاده السعداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفي على فراشه باجله في سنة خمسين وتسعمائة • ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتي الثانية الى الروم في سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعاني وأنا مار عليه بقرب كوتاهية يقال لها اقرابولي وكان الامر منحرفا بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه

والده قبالة الشيخ محمود وعمره اثنان وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعد وفاته صفا الوقت لمولانا الشريف مساعد وانقادت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف فحصل تنافر بينه وبين السيد عبد الله الفعر فلما جاء الحج الشامي وكان أميرا عليه عبد الله باشا الشتجي وأمير الحج المصري كشكش حسين بيك فدخل عليه السيد عبد الله الفعر وحسن له ان يلبس السيد مبارك بن محمد بن عبد الله بن سعيد وبذل له شيأ جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكر في العواقب ووافق على ذلك جماعة من السادة الاشراف والسرادرة المصرية فاتموا الامر بالخفية والشريف مساعد لا علم له بشيء من ذلك الى ان حج الناس فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة البسوا الشريف مباركا المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر باشوي وفرق العساكر على أسطحة الحرم والمنائر واتخذوا جميع المنائر حصونا ومتاريس وترس البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد فبينما هو نائم في داره لم يشعر الا ورمي الرصاص كالمطر فسأل أرباب دولته عن ذلك فأخبروه بما صار فعند ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بما طال ورأى الموت تقصير الآجال ومازال الحرب بين الفريقين في الليل الى الصبح فاخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانبا من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عبد النبي باهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة وأخذ الامان له وللصنجق كشكش وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس أمواله ثم بعد اعطائهم الامان توجه السيد مبارك الى وادي مر الظهران والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد ان يرجع له ما ذهب له من محل بالحج فأمر ان يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس فجمع ما وجد وشاهر الطاعرا كالخيام والقرب والخف والحافر فأخذ ما تحصل له وارتحل ونادى خلفه لسان شؤمه الى حيث ألقت ثم ان السيد مباركا أقام بالوادي أياما فدخل بينهما بالصلح السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى وعماله كل ما طلب من مولانا الشريف في غرة المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف وفي ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض عليه وسجنه الى تمام السنة وتوفي ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف ان الذي كان من تولية الصنجق للسيد مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله الفعر اشتد غضبه عليه فأمره بالتوجه من أقطاره فارتحل وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء فأكرمه الامام وعرض عليه أن يمده بالرجال والاموال فامتنع السيد عبد الله الفعر من ذلك وقال الاولى ان اطلب الاستسماح من مولانا الشريف

وحضرت بين يديه فاقبل علي بكليته وأقبلت عليه وعظمني وعظم أمري وأكرمني فوق قدري وباسطني وخاطبني بدون
واسطة وقربني وأخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع الذي أراد كشفها وتحقيقها الا سألني عنها بلطف وتؤدة
وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظة وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء الى استماعها
ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألني في الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرر ذلك فأبيت عليه وكان الخير في ذلك وكلما طال
المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما مللت حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر
الى بعد صلاة العصر فالبسني تشريفه وأحسن الي بأثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اصطنبول
وتوفيت والدته المالكة أم
السلاطين الخاصكية بعد
دخولي وحضرت جنازتها
وما أجرى من الصدقات
عليها وكانت هي كافلة
السلطان بايزيد فلما توفيت
حصل الشنآن بينه وبين
أخيه السلطان سليم خان
أدى الى فتن عظيمة
ومحاربات قتل فيها نحو
خمسين ألف نفس فصاعدا
ثم لما عجز عن مقاومة
والده وأخيه هرب الى شاه
طهماسب ففرح به وأقام
ناموسه وعجز عن حفظه
فشرع طهماسب في
المكر والخداع وتفريق
عسكره والاعتذار
بضعف بلاده عن أن
يسعهم ففرقهم ثم استولى
عليه وحده هو وأولاده
وقتل عسكره واحدا بعد
واحد واغتنم منهم مالا
كثيرا وترددت الرسل بينه
وبين السلطان سليمان
في تسليمه لوالده فلما أكد
طلبه من طهماسب ذكر أنه
صرف عليه خزينة مال وأنه لا يسلمه الا بأن تعطى له فضل عن قدر ذلك فذكر مقدارا عظيما يكون ابن
مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما أسلمه أحضر السلطان بايزيد وأولاده الاربعة وكل واحد
كان بدر الظالم والنجم الساطع فخنقوا مع والدهم بادارة الوهق حتى لم يبق فيهم رمق وأخمدوا أنفاسهم بالاوطار وأطفأوا تلك
الانوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان أورخان والسلطان عثمان وحملت
توابيتهم أجسادهم في توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا في سيواس وأسكن الله الفتنة والوسواس وذلك في سنة سبعين
وتسعمائة وكان للسلطان بايزيد طفل في بورسا فأمر بخنقه أيضا فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأمطار الرحمة والرضوان

لا عود الى الوطن فأرسل الامام لمولانا الشريف يستعطفه ويستأذن له في الرجوع فأذن له فعاد الى
الوطن في جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الامير عليه الوزير عبد الله
باشا الآتي في العام الذي قبله عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبرها وذلك انه بعد عام الحج نزل
بالمحصب وعقد مجلسا للنظر في أحوال عين زبيدة وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس
وحضر فيه القاضي وأمراء الحجوج فلما فاض الحديث بينهم في أمر العين أغلظ الباشا المذكور في
المقال على مولانا الشريف وقال أنت أعطشت أهل هذه البلدة المحمية وأجريت العين لسقيا
العابدية مع ان هذه المقالة افكة أفاك وعين زبيدة لا تركب هنالك وقد كذب عليه من قال له ذلك
فأجابه مولانا الشريف بأن ذلك غير صحيح فلم يقبل منه ذلك

﴿ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢﴾

فأمر بالقبض على مولانا الشريف وألبس أخاه السيد جعفر بن سعيد ولاية شرافة مكة فلما جاء
الخبر للناس حصل اضطراب في مكة ووقع الجري في الاسواق فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب
من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضي ووالي جدة ونزل المسعى وأبرز فرمانا مضمونه ان الدولة
فوضت له الامر والنظر في شأن الحرمين وتولية من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر
في شوارع البلاد وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام وأطلق الشريف مساعد بوجاهة أخيه الشريف
جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العابدية

﴿ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لأخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فلما توجهت الحجوج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان يتقلد الشرافة الشريف
مساعد ويعود كما كان ويبذل لأخيه الشريف جعفر شيأ من الدراهم والنقود فرضي بذلك وكان
ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف
جعفر الى الطائف واشترى بساتين

•(وفاة الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٨)•

ولم يزل يتنزه فيها مع الاتفاق بينه وبين أخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة
أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد وسببه
أن وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أذنب عبد من عبيده فذهب لمولانا السيد أحمد بن
سعيد متوجها عليه ان يشفع له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده لبيت سيده
وطلب منه السماح لذلك العبد فقبل توجهه في ظاهر الامر وسمح وبعد خروج مولانا السيد أحمد

ويعوضهم عن شبابهم الجنة ويروح أرواحهم في غرف الجنان بالروح والريحان والحور والولدان والخيرات الحسان ● ومنهم الشهزاده جهان كيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان أحدب ظريفا شعيف الروح لطيفا يحبه والده ولم يفارقه الى أن توفي بأجله في حلب بعرض الخناق في سنة ستين وتسعمائة ونقل الى اصطنبول ودفن في تربة أخيه محمد الشهزاده ● ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفي بأجله في سنة سبع وعشرين وتسعمائة ● ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفي بأجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم جدهما رحمهم الله تعالى ● ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفي بأجله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والدة السلطان سليمان خان في سنة أربعين وكانت صالحة زاهدة محبة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات

{فصل في وزرائه العظام}

كان أول وزرائه آصف زمانه بزرجمهر أوانه معدن الرأي والدها موضع العقل والنهى محمد الجالي الصديق المعروف {بيري باشا} صار وزيرا لوالده وابقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم تتبع في أول سلطنته طوائف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأي فلم يجد أكمل عقلا منه وكان قاضيا في بعض القصبات فقربه وولاه وزارته العظمى واستمر في مدة سلطنته وزيرا عنده لم يتغير وسلم من قتله الكمال دربته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأي عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر للسلطان سليمان رأى في خدمته من شباب مماليكه من هو على الوزارة طائرا اليها بجناحيه ورأى سلطانا مائلا الى أقرانه وذوي أسنانه وهو بينهم لشيخوخته وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله فانجمع للنظر في حاله وماله ورأى بعين كماله عدم ثبات الدهر في أحواله وأخذ في زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات ● فمن آثار عمارته في ادرنة في دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجدا جامعا ورتب له كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخر غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى ● وكان عزله في سنة تسع

ابن سعيد قتل بالعبد وضربه بالسياط وقيده فهرب العبد مقيدا الى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجه فانهى الامر لاخيه مولانا الشريف مساعد فلم يلتفت اليه ولم يتكلم مع وزيره بشيء لانه كان مقربا لديه ● وقد قيل في المثل ● ان عدم الصفقة بين الخدم تفضي الى الندم والمنافسة بين الخدم سم في دسم وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى وادي نعمان وجمع شيئا من العربان فلما بلغ الخبر لمولانا الشريف مساعد جمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وأسفر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم ونهبت خزنته ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل لوادي مر ومكث هناك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وانزله المنزل الذي يرضيه وأمر الوزير أن ينقاد لاخيه ويسترضيه فيما جناه فذهب اليه واسترضاه عما هنا فسمح له عن الذنب وعفا وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولد منها خراب كبير فرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادي واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات شرافة مكة فوافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل ما قدر عليه من المال ووعدهم على انهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الاموال فتوجهوا بمن معهم من الجموع وأحاطوا ببندر جدة من كل جهة فتحصن أهلها ورموهم بالمدافع والقنال فلم يجدوا اليهم خلاصا فقبلوا الى العشش التي هي خارج البلد بعد ان تفرق كثير من جمعهم فرموهم من جدة بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤسها كالرياش فاحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعدا أرسل من أحرقها فرجع الشريف عبد الله بن حسين الى الوادي ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك علي بيك كبير صناجق الغز قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولي أمرها من الدولة وصار الحل والعقد بيده حتى انه بعد هذه المدة أرسل جيوشا ملك بها الشام كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي فلما جاءه السيد عبد الله بن حسين لعلي بيك مستنجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصري وكان الامير المذكور مملوكا لعلي بيك يسمى محمدا أبا الذهب وأكد عليه ان يسعفه بمراده ويجتهد في تمكينه

وعشرين وتسعمائة وولى مكانه فى وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص ابراهيم باشا وكان شابا قد امتلأ غصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه فى الخدمة أحمد باشا وظن أن الوزارة لا تتعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فزاحمه فى صدر دست الوزارة وجلس بقوة ادلاله بخدم السلطنة الشريفة فى محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فذرقى ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها تمارا له واقطاعا يستجلب به خاطره فمضى الى مصر والى عليها وصار يتقصد ابراهيم باشا للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويشاوره فى محله بالامر الشريف السلطانى ويولى أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة بكلاربكى بمصر وأرسلت هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام فى يد أحمد باشا قبل أن تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوى الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل جيش يلقيه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه على المنابر وأمر أن يدعى لنفسه على المنابر فى أيام الجمع ورتب عسكرا من الغواية وجمع وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل ولايته فهجم عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوى ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادياً من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بك وجانم الحمزاوى بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكان أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثانى هجوم العسكر السلطانى فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن بقر وقوى العسكر السلطانى

بغاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسى اشرافة بلغات الاخبار لمولانا الشريف مساعد فأخذ فى أسباب الاحتراس غايتها فلما وصل الحج المصرى الى الوادى توجه الى مكة وترك الشريف عبد الله ابن حسين يجمع له كثيرا من الوادى فوصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد لابس الخلعة الواردة مع الحج المصرى فالبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصرى شيأ مما فى نفسه فلما أتم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامى وهو عثمان باشا الصادق وكان محبا لمولانا الشريف على تقديم سفر الحج المصرى واخراجه من مكة قبل أوانه لما علم مقصده مع الشريف عبد الله بن حسين فأمره بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذى الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل الامر وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامى فلما بلغ الشريف عبد الله بن حسين خروج الحج المصرى حصل له غيظ وحنق فبذل المال واجتهد فى جمع الرجال ودق زير الحرب واجتمع عليه كثير من القبائل والاشراف ماعدا آل حسن وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال اضعاف ماجمعه الشريف عبد الله بن حسين مع ماعنده من العساكر والرجال فاقبل الشريف عبد الله بن حسين بمن معه من البوادى وخيم بالجبال التى حول الزاهر فخرج الشريف مساعد بمن معه لقتاله ومكن كثيرا من جنوده بجبال المعابدة والمعلى ووقع القتال بين الفريقين فى اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف واشتد الامر وسالت الدماء وكانت ملحمة عظيمة ظهر فيها من الشجاعة للقائد مثقال سلحدار مولانا الشريف مساعد مالا يخطر بالبال حتى انه رفع السيد رضا من ظهر فرسه وهو مدرع ورفعه على قائم زنده ورماه بين يديه ثم طعنه بالقنا فجرحه وجه ثم اسفرت هذه المعركة والواقعة المرتبكة عن انهزام السيد عبد الله ابن حسين فتوجه الى الوادى وطلب ذمة واعطيها الى المعتاد ثم توجه الى مصر قاصدا عزيزها على بك فشكى اليه ما قاساه من الاهوال فأمده بالرجال والاموال وجهز معه مملوكه محمد بك أبا الذهب ومعه تجريدة عظيمة فيها صنجقدار وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وحمل الذخائر والاثقال أنبارهم فى ثلاثة مراكب فى البحر وأكد عليهم ان يمكنوا الشريف عبد الله بن حسين من سيادته ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته فقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

﴿ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤﴾

وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف وكانت مدة

وشهروا ماجمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه ونحوفوا عبدالدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به
سحبو كافقطعوا رأسه وطافوا به في مصر وعلقوه في باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة ثلاثين وتسعمائة
وضبط محمد بك وجانم الجزاوي مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكلار بكيا واستمر ابراهيم باشا في وزارته العظمى معظما
عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما بذولا منفردا بالامر والنهي الى أن أفرط بالادلال وزاد في الادلال واستبد بالامور
واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان في ليلة من أواخر
رمضان عنده وأنعم عليه على جاري عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع مافي مجلسه من أواني الذهب

ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف مسرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعين والشريف غالب والسيد محمد والسيد لؤي وكان قبيل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبي نمي

﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولي شرافة مكة أخوه الشريف عبد الله المذكور وألبسه قاضي الشرع الشريف ونودي له في البلاد فنازعه في الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال أنا لها أنا لها فنزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفي وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبد الله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد علي والسيد عبد العزيز والسيد دخيل الله المشهور بالعواجي

﴿ذكر نزول الشريف عبد الله بن سعيد عن شرافة مكة لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فولي شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وظهر عقب ولايته في شهر صفر نجم في السماء ذو شعاع وله ذنب مارأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثرت فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الغامي تؤذن ان بعد ظهوره تبدو أمور غير جيدة والقصيدة ثابتة وهي تدل على ظهور طائفة الوهابية ولنذكرها تتميما للفائدة ثم نتم الكلام على الجردة التي جاءت مع الشريف عبد الله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين • كثير الشعاع طويل الذنب
اذا ما بدا فاحسبوا بعده • ثلاثين عاما ترون العجب
خوارج تخرج من مشرق • تدوس البلاد بكثر العطب
يكون لقوم حروب كثير • وتلقى العشائر أقصى التعب
وتبدو شرور تعم البلاد • الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وأربابها • ومن حل في حولها واقترب
برابعة بعد تلك الثلاث • بأكل زبيب وعروحب
وفي الخمس يبعث المشرق • يبيد البلاد بكثر العطب

المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غلب سلطان الكرا على مقلته وآماقيه وأمر بذبحه وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولو أهل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله في الدار الاخرى ولعله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه

الجنة مع الشهداء والابرار ومار بك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولي الوزارة الوزير الثاني وكان من الارنوط من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا في طائفة العلماء معتدلا في أحواله صادقا في أقواله قطوفا في آرائه وأفعاله اجتمعت به في أول رحلة الى اصطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدي ويلتمس دعاءه فأكرمني وأقبل علي وأحسن الي ورباني عند السلطان وأخبره عن والدي وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند في عصره فحصل لي احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عني أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى أن توفي مطعونا في سنة (١) وأربعين وتسعمائة ﴿ثم ولي (١) بياض بالاصل

بعده الوزارة العظمى لطفى باشا ﴿ وجنسه من الارنؤط وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واحتفال ومشاركة فى بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه وله آثار حسنة فى وزارته منها ابطال الاولاق فانه كثر فى تلك الايام وعم أذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتى أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولى الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا فى المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جداً وقل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء تعد خيلا تربط لهم فى كل بلد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها الى أن يصل الى قرية أخرى فيجد فيها أيضا خيل البريد فيركبها ويترك الاولى وهكذا الى أن يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذى يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر لطفى باشا الى أن وقع بينه وبين زوجته مشاحنة وهى أخت حضرة السلطان سليمان وسببها كثرة ميله الى الجوارى فشكته الى أخيها فطلبه عنده وضربه بالقوس على رأسه وأمره بمفارقتها ففارقها مكرها وطلب الاذن فى الحج فاذن له فحج فى سنة تسع وأربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأرانى تأليفه فاخذوها وأمرنى بتعريبه فعربته ثم أمرنى ان أترجمه بالفارسية فترجمته له حسب ما أراد وأحسن الى بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب واستأذن ان يكون فى قرية له من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى ان توفى رحمه الله فى سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة ﴿ وولى مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم ﴾ هو من الارنؤط من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولى ايالة مصر قريبا من عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد اليها وجعل سردارا العسكر المجهز الى الهند لدفع ضرر الفرنقال اللاعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثر اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى بنادر السويس على مرحلتين

اذا ما تقاربت الزهرتان • لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد فى سيره • على المشترى طالعا والتهب
فذاك دليل بكون الكسوف • لآخر جمادى وأول رجب
اذا تكسف الشمس عند الغروب • صحيح رواية أهل الادب
بعسر وخوف وعيش قليل • يقول المجرب فيها احسب
يقيمون فى الذل دهرا طويلا • وتفنى الذخائر والمكتسب
وفى الست يظهر سبط الرسول • كريم المناقب عز العرب
يبيد النساء وأربابه • ويذهب فى الخير مع من ذهب
وتقلب الناس نحو السماء • يجيئوا اليها جميع العرب
ويأتيك عام به فرصة • لمن عاش من بعد ما قد ذهب
وفى السبع يظهر داعى الهدى • أعز البرية أما وأب
فتصفو البلاد ويحيى العباد • ويحكم فيها بما قد وجب
فطوبى لمن شاب فى وقته • وطوبى لمن هو طفل يرب
فعد ذها برسم امرئ عالم • نبيه بصير بما قد كتب
فان قيل ما قاله كاذب • الا لعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عبد الشكور فى تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاما بهذه العصبية قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادى فى لاميته وانه محقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو فى السماء نجم طويل • له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل الشرقى يبدو • بانواع الغواية والضلال

قال واللامية طويلة ذكر فيها أغلب ما سيقع فى البلدان وعدد الشرقى والشرقى يتفقان فى الحساب بغير شك ولا ارتياب

﴿ ذكر وصول الجردة ﴾

ومن الحوادث فى أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك لالباس الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافة فلما وصل ينبع قابله وزير الشريف الذى كان بها وهو درويش أغا ثم عجز

وعاثوا في البحر وأخذوا سفائن الحاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بسلطان كجرات السعيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية فأمر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن يركبها مع عسكر جرار الى أرض الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الاقطار من الكفرة الفجار فعمل نحو سبعين غرابا وسفائن معمارية كبار حمل الاثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لاذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الامير جانم الحمزاوي وولده الامير يوسف وكانا من الصناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضا

الامير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما جوادا ولا حافظا لبلاد الصعيد بغير ذنب أتاه ثم توجه الى الهند وصلب صاحب عدن في طريقه مع أنه فتح له باب عدن وزين الاسواق بوصول العسكر المنصور السلطاني فبمجرد وصوله اليه صلب على صاري السفينة وجعل صنجقا في عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال كفار الفرنج منه ضرر وكان الامير أحمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة اللوند الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الامان وطلبه عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالي وأسفرت سفرته على أخذ زبيد وعدن وكان ظالما غاشما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يقتل من يقع في يده مأسورا مغلولا ودعاه المرحوم السلطان سليمان لخدمة راتبه السلطان سليم اصدقه في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفي باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة الى أن عزله ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا﴾ في سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليم خان فلا عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الارنؤط من مماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكيا لمعيا حاذقا فطنا ذكيا ذا بال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأي حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفات الكمال ما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى

فأخذوها وقتلوا الوزير المذكور ومن معه والبلد وكان الشريف عبد الله بن حسين قد تقدم قبل الجردة الى الوادي وجمع جموعا من العربان ومن أطاعه من الاشراف وشاع أمر الجردة بمكة فأرسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة بمن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهون ومصعب ولما ظهر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلي من الدرهم والدينار فاجتمع عنده نزر يسير ثم تفرق أكثرهم وفي اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادي فأرسل الشريف أحمد المفتي علي بن عبد القادر الصديقي والسيد عبد الله الفعر الى الوادي ليكشف هذا الامر فأناخوا على أبي الذهب بوادي مر وخاطبوه في هذا الامر فرأوه لا يرضى الا بجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة وأرسلوا خادما يخبر الشريف بما شاهدوه ثم رجعوا وفي اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر وصف المدافع تجاه بئر طوى فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصانع التي في الربع وهو للقضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لا فائدة في اللقاء والحرب فأودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين حرمه وأطرافه وأناله في ذلك اسلافه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وبان فدخل مكة ثم توجه الى المعابدة ثم الى الطائف

●(ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤)●

وفي يوم الجمعة ثامنة عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأت جنوده كل ناحية وسكه ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وحسين والد عبد الله بن حسين ينتسب اليه السادة الاشراف من ذوي بركات المشهورون الآن بذوي حسين وقد بارك الله في أولاده حتى صار منهم العدد الكثير فانهم يفوقون على بقية أفخاذ ذوي بركات مع أن المدة الآن بيننا وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبد الله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء ونودي في البلاد باسمه وألبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طيبة أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة فجاء بيت المال عثمان البوشي بنقد جزيل وقال له قد مات أحد أعيان التجار وأخذنا من ماله هذا المقدار فزجره عن أخذ شيء من أمواله وقال كيف تأخذها مع وجود أهله وأطفاله أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أهالي الهمم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتحيله وتدسيسه حتى ان بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك مازعم انه آلهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذي كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحلة القسم ونقله لما أضمره السلطان في خاطره الاثيم الى أن قدر الله ماقدره في الازل ودنا منه وقت حلول الاجل فعند بروزه من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه أمر بقتله عند الباب الداخل من السرايا فقتل هنالك وأخرج ملفوفا في بساط وتفرقت عنه الاتباع والاسباط ومضى الى الله الكريم وقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل بآرائه وينفرد بانفاذ الامر وامضائه لا يعارضه أحد من الاركان بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لا يتصرف قضاة العسكر والدفترداريه والبكلاربكية وسائر الحكام والنظار في منصب جليل أو حقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منها شئ الا في فتنة السلطان بايزيد ولكل شئ حد محدود وأمد من المقدور ممدود فان السلطان اتهمه بالميل مع بايزيد وزلت بسبب ذلك مرتبته عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شئ من أحوال بايزيد وكان يشاور على باشا فأدى الحال الى ماأدى ولو استشار رستم باشا وأطاعه في رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وماقدر الله فهو كائن والاقدار تدور حول أولى الاخطار وكم أريق في هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لاجرم لهم في هذه البلاد ونوائبه

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم

واستمر رستم خائفا يترقب الى أن

ثم أمره ان يبعد المنزل الى أهله بعد ان وبخه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان راكبا ذات يوم فطعنه رجل من الدراويش المساكين في فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش مجذوبا غائبا عن الوجود يعتقد الناس فيه خيرا فاراد قتله جميع الخدم فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفة وكرما وعلى كل حال فقد كان مولانا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربي الطباع وله فضل في البرية شاع لكن أبو الذهب الذي جاء بالجردة صدر منه ومن اتباعه أنواع الجور والاجحاف

•(ذكر سجن مفتي مكة وتغريمه عشرين ألف ريال)•

فمن ذلك انه سجن مفتي مكة الشيخ على ابن المفتي عبد القادر الصديقي ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة بالظلم والاعتساف ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جياد ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة ووقع حريق في دار السعادة فظن بعض الناس انه بأمره لكن تبين ان الامر ليس كذلك لانه كان ساكنا في تلك الدار واحترق في النار بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صاروا يخرجون ادباشه باعظم مشقة ومن الظلم الذي حصل من اتباعه انهم في مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد ولم يزالوا يجورون على الناس في الاسواق هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادي لية وجمع بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبد الله بن حسين وهو أخوه السيد عبد الكريم بن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول ونودي باسمه في البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم ابن يعلى فافسد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل للشريف عبد الله بن حسين يطلب منه جانبا من عساكر الاتراك فاتفق مع أبي الذهب على ارسال حسن بيك شكة ومعه جملة من الغز على الخيل السوابق ومعهم نحو الثمانين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وأمر عليهم أخاه السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولى مسرعا وفر وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف وأناخ بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا معه يوما كاملا وكانت جنودهم تزيد على جنوده باضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عليهم مرارا ثم صنعوا له دسيسة ومكيدة وذلك انه جاء جماعة من عسكر ينبع ونكسوا اعلامهم وقالوا نحن معك ومنك واليك فاطلعهم معه على الجبل الذي كان فيه فلما ان تمكنوا قاتلوه وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل فطلب الامان وقد اجهده ومن معه الجوع وتحقق عند أبي الذهب ذلك

فارسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كيلة من خيله الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر فى عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغا شبكة وجعله واليا على جدة وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبى الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد لاخذ الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبرى عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ونزلوا بعرفة فى الحادى عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج لقتالهم الشريف عبد الله بن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المعابدة فاقتتلوا أربع ساعات واقبل العربان لذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فاسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بنى ثقيف وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب ذمة وتوجه الى الوادى ومعه الصنجق حسن شبكة

﴿ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسين البركاتى سنة ١١٨٤﴾

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فنهب الناس جميع ما فى دار آل بركات ونهبوا الدور التى للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادى فى شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادى توجه منه الى جدة ودخلها فارسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع فوجه اليه من الاشراف والبوادى والعساكر ما ينوف على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله بن مسعود ومعه من قبائل اليمن حرود لم يلحق بهم الحرب السابق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصنجق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكبار على الكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرغامة ثم تعود صباحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل وأقاموا على موضع يقال له غليل وأرسلوا كتابا من الشريف أحمد الى كتخدا العسكر ليفسد من معه من العسكر فى البندر وجعلوا له شيأ من المال

أمرضه الوهم وأنحله فصار فى فراشه يتقلب الى أن وافى أجله المحتوم فمات وقدم على الله الحى القيوم وهو عليم بما تخفى الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكانت وفاته فى سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن فى تربة بقرب تربة الشيزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿وولى بعده الوزارة العظمى على باشا﴾ وكان من جنس البوسنة وكان جسيما طويلا فهما فطنا نبيلا على خلاف ما يتراءى من عظيم هيكله وسمن بدنه فانها مظنة البلادة فى الاكثر واذا أخطأ فيه مقتضاه زادت انفطانه غاية كما نقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه فانه كان فى غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل فى ذلك وكان على باشا له فضيلة فى الانشاء ونظر فى التاريخ اجتمعت به فى رحلتى الى اصطنبول فى سنة خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لى بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له ان لم يقيد ماذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد سنوات قليلة واذا فنى من كان حاضرا فى هذه الغزاة فنى خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك مطلقا وينمحى عمله من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين فى أخبار الدولتين لابن أبى شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين ابن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومداومتهما على الجهاد وهو كتاب فى غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصى والدان مخلد فيه ذكرهما مزيد فى اطباق أوراق الدهر أثرهما وهما فى الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكلربكى مصر والثانى بكلربكى الشام فلاى معنى لاتكون أخباركم وآثاركم مداولة فى الكتب مخلدة فى صفحات الاعصار والحقب فاعجبه كلامى كثيرا وأمر فاضل ذلك الوقت فى الانشاء العربى صاحبنا المرحوم المقدس مولانا على جلبى الحميدى المعروف بقنالوزاده أفندى أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى مثواه أن يكتب شيأ فى ذلك فشرع وأتى بعد هنالك فى شئ من هذا المعنى فائق فى بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالى والايام ومنعت المواضع من حصول ذلك المرام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام واستمرعلى باشا على وزارته العظمى فى صدر صدارته الاجل الاسمى نافذ الامر عالى القدر صاحب الصدر الى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعى الفناء الى حفرته فعاش سعيدا ومضى الى لحده وحيدا فريدا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء حميدا وما صحبه مما تخوله غير ماتقدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده فى كرمه وافضاله ﴿ثم ولى مكانه الوزارة العظمى﴾ فى ذلك المقام الارفع الاسمى آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ﴿حضرة محمد باشا﴾ أبقاه الله تعالى فى صدر الصدارة على الثبات والدوام (٢٠٦) وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الايام وناهيك به عقلا وحزما وصرامة وعزما وأقداما وحزما ودقة وفهما وذكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحذقا وفطانة وصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة واجلالا وسعادة واقبالا ونظرا فى عواقب الامور واعانة لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا فى الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء والضعفاء ونوال فيه

وما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نال أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته الى أن أظهر اليد البيضا وكمال التدبير والمضا بحيث تحير العقلاء وثبات جاشه وعدم نفرته واستقامته وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم فى أرض العدو فى حومة القتال وقرة الحرب والصيال وشدة الجلاد عدم والجدال وقد توفى السلطان سليمان فى ذلك الحال فلم يقع شئ من الاختلال وانتظمت الاحوال وأخذت قلعة سكتوار من الفرال وهى محشوة بالعدد والعدد من الفرنج الابطال والسلطان فى السكرات والغمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الاغوات وأرسل الى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضرمت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام وانهدم ركن الاصنام وخذل الله فى هذا المجال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب

فسعى فى نقض تلك المبانى وتواطأ معهم ان يدخلوا من الباب اليمانى فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل الشريف وملكوا جدة فى غاية جمادى الآخرة بعد ان قتلوا جملة من الاتراك وأخرجوهم من البلد ولم يبق فى أيديهم غير القلعة فتترسوا بها بناء على أنها تصونهم فاجتمعت عساكر الشريف حولها وتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه فخرج من الباب الصغير الذى فى مؤخر القلعة وخاض بخيله فى الماء وتوجه بمن معه الى ينبع وتبعه الشريف عبد الله بن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تملك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا واجتمعوا على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة بل توجهوا الى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة متعجبا فى حكمة الله الباهرة وكيف مضى عليه هذا كله فى أقل أيام تولى الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه الى أرض الروم ومكث فيها الى أن توفى رحمه الله تعالى لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا الى جدة وملكوها فى هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها الكبار والحواصل التى فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد العمار وكان فى جدة من الاقوات شئ كثير فاتفق هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الاطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى ان البادية كانوا فى مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح واستمر الامر هكذا الى آخر السنة ثم انحلت العقدة فى سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها لما نالهم من الجوع فى مدة الغلاء حتى انه اتفق انه أخرج الى السوق خمسمائة اردب فى يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الاول ولم يبق منها شئ حتى قال بعض الملأ ان الجن عندهم مثل ما عندنا من الغلاء وفى هذا العام كثر قطاع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفى سنة خمس وثمانين منع امام اليمن جميع التجار من ارسال شئ من البن لهذه الاقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور فثقل على الشريف الدخول فارسل السيد عبد الله بن أحمد الفعر الى اليمن لاستعطاف الامام لست بقين من شهر الصيام ورجع فى شهر الحجة مخبرا ومبشرا بأن الامام أطلق للتجار ارسال البن ولما وصل وجد الشريف سرورا قد جلس على كرسى اشرافه فبارك له وهنأه وكان السبب فى تملك الشريف سرور كرسى الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد ان الشريف أحمد فى شهر شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين ابن ابراهيم الشامى فوجهه الى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجانب من العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه فى الاغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الامر من عمه حاضرا فى مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الامر مكتوما فتولد من

عدم كتمان هذه الامور كثير من الشرور فخرج الشريف سرور من المجلس وركب ناقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل أن يصلوا اليها ونزل عند الوزير يوسف قابل وأخبره بالامور التي قصدوها وعولوا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد نقيض الوزير يوسف قابل منعهم الشريف سرور وقال أنا له مجير وطال بينهم وبينه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة لملاقاة الشريف أحمد ويكون النظر اليه في أنه يؤمن يوسف قابل أو يكرمه فخرجوا جميعا من البلد فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم ثم الاوصهم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على ذلك باموال يوسف قابل كما وعده بذلك

والليالي من الزمان حبالى • مثقلات تلدن كل عجيب

فلما أصبح الصباح عليهما الا وهما على وادى مر فطلب الشريف سرور به خيامه وقبب وأرسل لعمه كتاب النسب فأرسل اليه عمه يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استهون أمره ولم يدر ما يجرى به القضاء وانما استهون أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن في ذلك الوقت كان عمره ثماني عشرة سنة ورحم الله القائل

لا تحقرن صغيرا في تقلبه • ان الذبابة تدمى مقلة الاسد

ثم ان الشريف سرورا أرسل الى قبيلة عتيبة وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادى جمع ابل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجل فتوجه بهم الى العابدية وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثمانمائة فتوجه بهم الى المنحنا فخرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا فوقعت ملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقد ملكه وتبدد وزالت عنه الدنيا وولت وهذا شأنها أينما حلت فنعوذ بالله من اقبالها وادبارها فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام وتوجه نحو نعمان واتفق انه عند انهزام الشريف أحمد ونهب البادية الخزانة ثارت نار في شيء من بارود الجبخانة فهلك من ذلك نحو خمسين من العرب

•(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)•

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودى باسمه في شوارع مكة وأمنت البلاد والعباد

المصيب وتداركه لما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه وتواتر انعامه وتأنس ألطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وابنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجليلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يحتمل أن تفرد بالتأليف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد ضعفها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة تحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجد الفيروزابادى ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به وركب عليها اثنى عشر ناضحا لينزحوها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول الفتن الى أن أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا على رضى الله عنه وتسند هذه الفتن الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم • ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء وصرف على ذلك أموالا عظيمة فقويت العين وأضاف اليها مياه آبار أخر حلوة قوى بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها الى حمام عظيم مكلف بناه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوراد ودعوا له بالخير وصار ثوابا جاريا • ومن خيراته أنه أوسع بئر ذى الحليفة ويقال لها بئر على رضى الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لئلا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل أحد جوانبها الاربع درجا ينزل من أعلاه الى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل أحد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل • ومنها أنه أمر أن يبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا

وخيرات أثركها مثوبات عظمى • وورد صدقاته في سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة تفرقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى مادامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحي الذي لا ينام مصونا من نوائب الليالي والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا دعاء شامل النفع للورى • فيارب قابل بالقبول دعائي

﴿فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان﴾ (٢٠٨) كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحب الغزو ويرغب البسه عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا وانصرة للدين وأكمل عدة وآلة لقطع دابر المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وانكى للشرك ومنتحليه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لاهل الايمان وأنصر لاهل السنة في هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوخ بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله عافر فرسه واجتاحها وجاس خلال مغانيها ورباعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته عن غرة تلك الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتأليف لتبقى في صفحات الدهر تذكرة الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا في هذه العجالة ونعدد أسماءها في غضون هذه الرسالة فان فسح الله في الاجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا يستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى ﴿نقول أول غزواته﴾ عند مأوى السلطنة غزوة انكروس بر زاليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع

•(الواقعة الثانية بين الشريف مسرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)•

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه في غاية من القوة فخرج لقتاله عادية من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة السلم فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبددوا أخذ ذمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التي كانت بينهما وكانت في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف ولما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أراد الشريف مسرور الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عند عمه سبع جوامك يقولون له ان أسلمنا اياها توجهنا معك والتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عند ما يرجع الحجوج وتعهدوا أعطاهم رهونا ثمينة فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه ويزر من عشيرته وذويه ومعه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن ومسرور ولما نزل الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وقصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامي وطلبوا منه ان يعزل الشريف مسرور ويولوا بعده عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف مسرور الى الشريف أحمد وطلبت منه ان يصل اليهم ويقومون بحمايته وارجاعه الى كرسي الشرافة فدخل البلد متخفيا وتوارى في بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة والشريف مسرور غافل لم يعلم بشيء مما صنعوه لم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستلحق من بقي عنده من القبائل الذين عرضوا عليه في أيام الثمان وشمر عن ساعد الجد ثم خرج عبد والده مفتاح أغا وطلب من ابراهيم بك أمير الحج المصري ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل في ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

•(الواقعة الثالثة)•

وفي صبيحة يوم السبت دق بابه زار الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا مفتاح أغا الى الصنجق لطلب الرصاص والبارود فأعطاه ست صناديق من الفشك وجانبا من الرجال فهالت القوم على القوم فانظر جماعة الشريف أحمد بشيء مما يريدون فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة وبات ليلة في المعابدة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف مسرور باخراجهم من البلد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم

وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا و يصدع الجبال الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا أمتاعها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها و بقاعها وأعظم ما افتتح قلعة بلغراد وهي قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنائم الكثيرة وأثروا الآثار الاثيرة وعاد السلطان الى دار ملكه سالما غانما ظافرا منصورا مؤيدا بنصر الله ظافرا مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وكان الله من أنصاره وذلك أول فتوحاته وغرة أسفاره وغزواته وكان عوده الى سرير ملكه في شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى (٢٠٩) جان بردي الغزالي الجركسي

أمير الامراء بالشام وجمع طائفة من عصاة العرب و بعض أشقياء الجراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأزال عن المسلمين ضرره و بأسه وأرسله الى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين فتنته وشره وذلك سابع عشرين من شهر صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية غزوة رودس﴾ هي جزيرة في وسط البحر ما بين اصطنبول ومصر وبنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام مكينا اتخذه الكفار مكمنا لاخذ المسلمين وأتقنوه غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم الشرطين والبطين ينظرون الى

السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه و بدرقوا في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه نقوبا وضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب و يهيؤن أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا اليها تلك الاغربة ونهبوا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين

عن القتال فخرج العسكر منكسي الاعلام مفرقين يمن وشام وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور

●(ذكر وفاة المفتي علي بن عبد القادر الصديق مفتي السادة الاحناف سنة ١١٨٧)●

وفي شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف توفي المفتي علي ابن المفتي عبد القادر الصديق وكان تقلد الفتوى بعد أخيه المفتي يحيى المتوفي سنة أربعين فكانت مدة مباشرة المفتي على الفتوى تزيد على الاربعين سنة و بعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبد القادر بن المفتي يحيى بن المفتي عبد القادر الصديق وتوفي سنة احدى وتسعين وتقلد الفتوى بعده المفتي عبد الملك بن عبد المنعم القلعي ومكث فيها الى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الاشراف منافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات ومنعوا السبل وقطعوا الطرقات

●(الوقعة الرابعة)●

وفي شهر ربيع الاول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد بجمع له مولانا الشريف سرور الجموع وحصل بينهما القتال ففي أول الامر حصلت هزيمة للشريف سرور وطلب ذمة ثم حمل بنفسه حملة أي حملة فانهزم الشريف أحمد وأخذ ذمة ثم توجه الى المعدن وهذه الوقعة الرابعة بينهما ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني وملك الطائف بغير قتال

●(الوقعة الخامسة)●

ثم قصد مكة فخرج له الشريف سرور بعبيده ومن عنده من العسكر وحصل القتال بينهما في المعابدة فانهزم الشريف أحمد وتوجه الى خليص وهذه الوقعة الخامسة

●(الوقعة السادسة)●

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبد الله الفعر الى الطائف واتفق مع السيد سليمان بن يحيى ان السيد عبد الله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص فبلغه الخبر فتوجه للطائف فامتنع السيد عبد الله الفعر من اخراج الدراهم ثم نزل الشريف أحمد الى نعمان فبلغ الشريف سرور وصوله فخرج له فذهب الى موضع هذيل يقال له ضعه فلحقه وأثار عليه الحرب فارتفع الى جبال شامخة رأى فيها حصانته فرجع الشريف سرور الى مكة وهذه الوقعة السادسة وكانت في رمضان

●(الوقعة السابعة)●

ثم توجه الشريف أحمد الى الهدا وجمع عربانا وأخذ الطائف بغير قتال وأخذ من أهله جملة من

عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها ونزول خيمه الشريف في اسكودره متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من رجب الفرد سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن من في البران يتقدم من حصار رودس للخندق العظيم الذي حولها المحصون بالمدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من في البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقرب بها بالمدافع الكبار فصار الكفار يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمر برسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى أن وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار انقعار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار البندق قبل الآخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويخرجوا ان أرادوا فأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التي أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا خرجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوى بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عزائهم ومنعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم وما يعز عليهم ثم وأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد المغرب وعمنوا قلعة في مملكة اسبانيا من جزيرة الاندلس في غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطة وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين الآن أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لاخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفنديارى سردارا فوقع بينه وبين القابودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لاخذ مالطة وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى ٭ وكان فتح رودس لست

الاموال وتوجه قاصدا مكة بمن معه من البادية فخرج لقتاله الشريف سرور وحصل بينهما قتال ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف سرور ومن المعابدة الى الحسينية وذلك في سابع شوال فأدركه غفة وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف سرور فقاده وأخذ جميع ما عنده من العبيد وما أبقى له شيأ فتوجه الشريف أحمد الى وادي مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج فأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة وألف نزل مولانا الشريف سرور الى جدة ومكث بها مدة وأهدته التجار وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معاليمهم وشددوا في الطلب فقال لهم أعطيكم ان قبلتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ما كان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامي والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم انه مغاضب لمولانا الشريف سرور فواجه أمير الحج المصري فوعده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين مولانا الشريف سرور فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق وترجى عند الشريف فلم يقبل ذلك الرجاء وأبى من الصلح مع المذكور وقال ان لم يرتحل لاركبن عليه وأقبضه فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى ليا فلما بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستقر في المعدن وفي أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو يقاتله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر في حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وأتموا الصلح وعاد الشريف الى مكة في رجب وفي شهر شعبان غزا قبيلة من هذيل يقال لهم الضبان فأخذ مواشيهم وحقن دماءهم حتى صار واله كالعبيد

٭(الوقعة الثامنة)٭

وفي شهر رمضان بلغ الشريف سرور ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمعا قبائل وأقبلا على الطائف واستعد لقتالهم وكيل الشريف بالطائف وجمع لهم جندا فانكصا على أعقابهما وهذه ينبغي ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

٭(الوقعة التاسعة)٭

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع فى ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار الفجار وصارت فى ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى على بك بن شاه وار أمير أمراء دلقار وانه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه على بك بن شاه وار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تخت ملكه الشريف اصطنبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل اليها فى آخر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة • وفى هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الامير جانم الجركسى عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة الماحسة وجماعة من عصاة العربان الاباليسة وأظهروا الطغيان فارسل اليهما بكاربكى مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالى وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿ الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان خان الى كفار انكروس ثانيا ﴾ فان ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه الحذق والجدال فتوجه اليه لقطع مادته ومحو آثره وعاديته السلطان المرحوم بالجيش الاعظم والجيش العرمرم وضرب أوطاقه للظفر فى حلقة لو بكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة • ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفى ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وغرقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت فى هذه الغزوة عدة من القلاع المشهوره والحصون الشديدة المعموره وصارت من

ثم رجعا وهجما على الطائف فى الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالمثناة فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بنى سعد الذين كانوا مع الشريف سعد مزودا من البارود فى بيت الوكيل فأراد واقسمته فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا هاربين واستقر الشريف سعد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر فى ليا وهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامى فوجده قد زاف عنه وما أمكن مقابلته فارتفع الى الحرة فبلغ خبره الشريف مسرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور من آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل فى طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف مسرور بحبسهما فى القنفذة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله وبقى السيد عبد الله الفعر مسجونا هنالك ستة أشهر ثم أرسل الشريف مسرور بطلبه فلما كان فى أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به الى اللحية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف مسرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول له ان هذا الفعل يورث بيننا حقدا وتضغنا فأرسل الامام للامير فرحان يأمره ان يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف مسرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان فأرسل عبد أبيه الوزير بشيرا فأخذه وحبسه فى القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله الى ينبع فسجن فى ينبع مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل فى السجن خنقا والله أعلم

•(الوقعة العاشرة)•

وفى أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف مسرور سرية من الركب والخيل وصبحوا بعض قبائل هذيل وفى سنة تسعين غزا بنفسه على الشيابين وصبحهم فأتوا صاغرين وفى أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادى نعمان فأرسل الشريف مسرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة فرجعت السرية وبقى الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

•(الوقعة الحادية عشرة)•

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب الشريف مسرور بنفسه الى العابدية وجمع معه

جملتها القلعة آونيلو وقلعة تبروان وقلعة أبلوق وقلعة راجة وقلعة برقاص وقلعة بوكاى وقلعة ولشوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها قلعة بودون محل تخت انكروس الملعون فانها قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تناطح الثريا وتسامى السها وتطاول الجوزاء فى غاية الثبات والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تخت سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعندما أحاط بها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيرا (٢١٢) من الاموال والانفس والارواح وقتل أعداء الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة فى أواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

(الغزوة الرابعة غزوة بيج)

اجتمعت كفار المان وغيره قرال وقردنوس وأغاروا على قلعة بدوس وأخذوها من المسلمين على غرة فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز من اصطنبول الى حلقة لو بكار للبلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى المخيم العالى امرأة من ملوك انكروس اسمها أردل ماتوا ودامت الساط الشريف السلطانى والتزمت باداء خراج بلاد انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها الحرة

فى أواسط ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطانى الى أن وصل العسكر المنصور الخاقانى الى قلعة بودون وأحاطوا بها احاطة الاطوق بالاعناق وبياض العين بسواد الاحداق فى أواسط ذى الحجة من السنة المذكورة الى أن فتح الله بدون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة ثم فتحت قلعة بتاق حصارى ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيج وهى محل تخت نمچه القرال الخائب الاآمل وأحاط بها بخيم سرادقات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب

كثيرا من الاشراف والقبائل وأقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

(الوقعة الثانية عشرة)

وفى أول ربيع الثانى من سنة احدى وتسعين ومائة وألف خرج السيد لباس بن عبد المعين الجودى أخو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوى جود وهذيل فاخذوا قافلة من طريق الطائف وفى شهر جمادى أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعابدية فجاءه الخبر فركب خلفهم فسار قليلا فلما رأوه طردوا ما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فحمله وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد لباس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية وقبضوه فى الشرفية وحبسه فوجه فى اطلاقه ذوو جود فلم يقبل رجاءهم وأرسله الى ينبع ليحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج مغاضبا ومعه السيد بركات ابن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجها الى جبال هذيل فوجدا الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده كثير من العربان فنزلوا جميعا الى وادى نعمان وخرج الشريف سرور الى المعابدة عليه من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفى ثالث شعبان من هذه السنة أعنى سنة احدى وتسعين عدا جماعة من ذوى جود فى طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد لباس فركب خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم ورابعهم قطعت يده برصاصة وفى ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرور أن جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن واقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة عن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الجودى والسيد عبد الله بن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجى وابنه فلما نزلوا بوادى نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعود العواجى وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم فحبسهم مدة ثم أطلقهم فسافر العواجى الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى اليمن ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف ورجعوا الى مكة وممن كان مغاضبا الشريف سرور السيد مبارك بن مزيين من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادى وتعب الشريف سرور فى أمره وكان يعطى النذور على القبض عليه وكان لا يستقر فى مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاءه الخبر فى رمضان بأنه مقيم فى اطراف

الهيب وهرب منها نجيه قزال وهو مدبر منكسر وطلب أهل القلعة الامان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة السلطان فأعطاهم الامان وأخذ قلعة بيج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرح الجديد فوصل الى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة غزوة المان﴾ لما وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان نجيه قزال جمع طائفة من كفار المان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام اصطنبول الى حالته لو بكالعشر بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وضبط السواحل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح وتطير اليم بأجنحة الرياح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الافرنج انفجار وأرعبوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل المخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني الى مملكة المان وغزوات وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الدراري ومن البنات والنساء خرائد كالكنس الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال ودهكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وسعلوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترفيع حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة السادسة سفر العجم﴾ أرسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبحر الغطمطم وفئة كبيرة كالخميس العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل

الحرة فركب الشريف بنفسه في معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقتله فشمت له المقطة وكان نزيلهم فعدوا على الشريف مسرور وقاتلوه وقتلوا أربعة من عبيده وفرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفي آخر شوال غزا الشريف على الحبلة من هذيل ويقال لهم القرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والمال وتحصنوا هم برؤس الجبال وفي عشرين من ذي الحجة اجتمع صنجق الحج المصري وبدوي بن عيد شيخ طوائف حرب في مجلس الشريف وأراد التوفيق بينهما في المعلوم المقرر لابي بدوي بن عيد وتهدد الصنجق وتوعده ثم علم انه أخطأ في ذلك فذهب الى أمير الحاج الشامي يطلب منه الترجي عند الشريف في العفو عما صدر منه في حق الصنجق في مجلس الشريف فأظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه وسجنه حتى مات بالجدري في السجن فتعصبت قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشيخ عليهم أخاه فرضوا به ظاهرا وسكتوا وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبران الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هذيل واجتمع معه خلق كثير

•(الواقعة الثالثة عشرة)•

فخرج الشريف مسرور بعسكره ورجاله الى الزاهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه أخذ واحد منهم جمرة ليختبر البارود فأحرقه وثار شيء كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هذيلا تفرقت عن الشريف أحمد فمكث باطراف نعمان ثم انتقل الى الثنية ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف رجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فأكرمه أهلها كما هي عادتهم في اكرام من وفد عليهم تصديقا لقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم وهذه الوقعة الثالثة عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان غزا مولانا الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مزيبن فأخذ مواشيهم ووقع بينه وبينهم قتال وبقيت رجاله وقتل له عبد ودرس وصوب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم سرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالخبت جماعة من هذيل بقصد قطع الطريق فأرسل اليهم سرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا ابلهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع غلطا على آل خالد وقتل منهم أربعة وصوب ثلاثة وأخذ أغنامهم وقتلوا لهم أغاة من أغاوات العسكر ومعه عبد فغضب لذلك جميع هذيل فبايتوه جهارا وصمموا على قطع الطرق فيه وأقفلا فيه قاضي الطائف في خريق الرأس وأخذوا قفلا آخر في وادي نعمان وقتلوا أربعة وصوبوا ثمانية

الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السلطانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطاني والخيم المكرم الخاقاني العثماني الى اسكودر آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها الى النصرة السنية الشريفة السنية وقمع طوائف الرفضة البدعية الى ان وصل مخيمه الشريف العالي الى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى آخذ سلطانه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني الى قصبة أبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو القادر ووصل الى لثم البساط الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر المنصور ونزل الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويقاتل فلزم التوجه الى بغداد لصون الرجال والابطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاؤا عفاتيحها الى الوطاق السلطاني فنزل بعسكره المنصور في بغداد وأعطى الامان لاهلها واستكنوا في سككها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حولها من جميع البلاد والبقاع وسائر الحصون والقلاع وكذلك المشعشع والجزائر وواسط وأمرت الحضرة السلطانية بتحصين قلعة بغداد وحفظها وصونها من أهل الالحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضي الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل وهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعمير هما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة وصلب في بغداد دفتردار المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر جلبي بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي أعدائه وحساده وبراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما جدا ولاحسن الخلق محسنا ماخاب من قصده ولاحرم من أمله مع الفضل التام والتكريم العام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الاعلى وبوأه من الجنات الدرجات العلى وبهم الوزير ابراهيم باشا برميه عار رمى به وما حال عليه الحول حتى ألحق به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم العدل

•(الوقعة الرابعة عشرة)•

ولما جاء وقت اقبال الحجوج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي فأبى فخرج من المدينة في اثره وانه يريد خلاص جهز الشريف مسرور ومسرته وأمر عليها السيد ناصر بن مستور وأكد عليه ان يتربص الشريف أحمد ويقبض عليه فادركته السرية على حين غفلة فخرجت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر في القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أغارت هذيل على شريف من ذوي حامل ونهبوا متاعه وضربوه ضربا أصاب منه المقاتل فمات بعد ذلك وفي السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوي جازان فنهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقتلوا معه رجلا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

•(الوقعة الخامسة عشر)•

الوقعة الخامسة عشر من الوقائع التي جرت بين الشريف مسرور والشريف أحمد بن سعيد وهي آخرها انه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الاولى بلغ الشريف مسرورا ان الشريف أحمد مقيم برهاط وهو موضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف مسرور بنفسه في قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار فاستسلم للقضاء فقبض عليه وعلى ولديه وتشتت عبيده وأصدقاؤه فاركبه خلف واحد وأمر بحفظه وأسرع السير ونزل به الى بندر جدة ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع وحبس معه ولديه السيد راجحا والسيد الحسن وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وغدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كاس الهوان وقد كان بالامس في ملك مصان والعجب انه لما على ملك مطاع كانت عند السمال منه يد وباع ملك ملك اقليم الحجاز وصار تحت قبضته بالحقيقة لا المجاز طال ما أمر ونهى وامتطى بأخمصه هام السها فصيرته في السلاسل والاغلال وأذاقته غاية الاذلال ان في ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهي الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام المقضية لقد صدق الحريري فيما قال في قصيدته التي هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنية انها • شرك الردى وقرارة الاكدار
دار اذا ما أضحكت في يومها • أبكت غدا تبا لها من دار

اللطيف الخبير • ثم توجه الركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء البلدين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم بها فقصده للقتال ومحو أثره من صحائف الايام والليال فلما وصل الى منزل صاروقامش وصل من الشاه ومن باج لوخان ايلجيا لطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فاظفر وابهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية بطرق باب الصلح وتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ماطلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه (٢١٥) الخيم الشريف السلطاني الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان في تلك السفرة أخذ البلاد وفتح عراق العرب والطف تاريخ قيل فيه ﴿فتحنا العراق﴾ وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العسكر المظفر العثماني الى محل التخت الشريف السلطاني مع النصر والتأييد الرباني والفتح العظيم السبحاني لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة السابعة غزوة ألونية المعروفة بكورفس﴾ وهي بلاد الكفار الفجار من أتباع اسبانيا الغدار توجه اليها في البحر ركابه الشريف العالي وأرسل في البحر لطفي باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب منصورة بعساكر البحر الى ان نزل بجيشه المنصور على أولونية في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا ونهبا وافتتحت في جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين مالا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره الجهزة برا وبحرا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين ﴿الغزوة الثامنة غزوة قرا بغدان﴾ توجه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلاد ان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم أموالا ومغانم كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح

وهي طويلة ذكرها في المقامات فسبحان المعز المذل الذي لا يزول ولا يحول يفعل مايشاء ولا يسئل عما يفعل

•(ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٩٥)•

وكث الشريف أحمد محبوسا في ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة ومازال محبوسا الى ان توفي في عشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحمد ولده مات في السجن وأما ابن أخيه الآخر ... عبد الله ... قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من ... وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يعس في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وانف من أفعاله الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم من منعهم عما يأتون

•(ذكر الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور)•

فاتفق جماعة على انهم يترقبون الفرصة لقتله واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعس وليس معه الا قليل من الخدم بان يجلسوا له في بعض الازقة والطرق وكان من هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد الله بن سعيد بن علي فنم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين وزعموا أنهم يقتلونك في ليلة خالتكة الحلاب ويلي مكانه الكاتب السيد دياب وان سالم بن علي ابن عبد الله هو الوزير وقد فرقوا المناصب على الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل ويتاجيك قبل فلم يصدقه في الحديث الذي رواه فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم فأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبر بانه وجد المذكورين في الازقة والاسواق حاملين السلاح فثبت عنده صحة الخبر وبادر في امساكهم من غير امهال فامسكوا بعضا منهم وهرب البعض فمن امسكوا السيد مسعود العواجي وابنه السيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبد الله بن سعيد وسالم بن علي ومحمد بن جابر الجخرج ونحو العشرين من العبيد فحبسهم نحو شهر ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن علي أن يصلب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذي هرب فمنهم السيد دياب وأولاد عبد الله بن مسعود فأقاموا بدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات بمصر ومنهم من مات بالروم

الجليد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة التاسعة غزوة أسطوبور من بلاد انكروس﴾ وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدلبالو بملك البلاد و بلغه انها توفيت وان نجعه قرال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال نجعه قرال لانه أراد أخذ بودون و سوست له نفسه ما يتخيله المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فرهاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعه الابطال ففر منهم في أطراف تلك الجبال فجالت العساكر المنصورة (٢١٦) السلطانية في تلك البلاد وقاتلوا أهل البغي والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وذخائر تختار وتصطفى وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت • وفتحت أيضا قلعة وشرة وقتل من الكفار مالا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية بعز في ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقر تختها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف ﴿الغزوة العاشرة غزوة بيج واسترغون﴾ توجه الركاب الشريف السلطاني والخيم المنصور السليماني الى افتتاح عدة قلاع في بلاد بيج لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد في سنة خمسين وتسعمائة وبرز من دار الملك اصطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة وبوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع السامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامك السماك وتوازن الميزان فافتتحنا في غرة ربيع الاول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الاسلام • ثم فتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام أشد في احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى في قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى

وفي شوال سنة ثلاث وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ ابلهم وواشيهم ثم ركب على هذيل فحذرتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكنوا له في الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فاندروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوى باطراف الفرق فأجلب بخيله وركابه وسبعهم في اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره عاطال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه فمن ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الادباش والسلاح وفي موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاي محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها للشريف سرور وأرسل معها أخويها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فتزوج بنت سلطان الغرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفاتي والعلماء وباشر العقد له مولانا الشيخ المفتي عبد الملك القلعي وفي هذه السنة حصلت منافرة بين مولانا الشريف ومراد بيك صنجق الحج المصري بعد تمام الحج فاراد مراد بيك عزل الشريف وتولية السيد سليمان ابن يحيى وجعل كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرورا فطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض عليه فخرج ذات ليلة متنكرا في زي سائس فقبضوا عليه في طريق الحجون وحبسه بمكة ثم أرسله الى ينبع وحبسه هناك ولما بلغ الصنجق القبض عليه اشتد غضبه وأراد القتال واستعد لذلك مولانا الشريف ثم ان الصنجق ثنى عزمه عن القتال وارتحل وتعرضه في الطريق جماعة من حرب وكان معه جملة من شيوخهم رهائن فحوزقهم بعد مامر تلك الجهات ولم يعطهم في ذلك العام شيأ من المعاليم التي لهم

•(ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤)•

وفي سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بأهله فتجهز وخرج من مكة في أحسن نظام كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة ومن العربان خمسة آلاف ومن مراحله ألفان وخمسمائة من السادة الاشراف ومن الخيل مائتان وخمسون وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال وتوجه من مكة ليلة الاربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه أهله برحب الصدر وعرضوا عليه وقدموا له الهدايا ثم وسوس لهم الشيطان فادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مرت بهم وقوانين وادعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمر ثلاث ساعات فانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا وفر من بقي فدخل بعض

شيوخهم

فامتنعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقرب بها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة أسة ولين بلغراد وهى قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها فى البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدارا وحصارية وقاضيا يجرى الاحكام الشرعية وسنجقا لاستحفاظ وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطانى الى سرير ملكه وتخته الخاقانى مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا ﴿الغزوة الحادية عشرة سفر القاس﴾ وهى تحتمل تفسيرا طويلا لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة • ومجملها ان القاس أخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما مشاحنة فى الباطن أدت الى توجه القاس الى الابواب الشريفة السلطانية وتقبيل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة علية وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بان ينصره على أخيه ويؤيده ويعلى كلمته ويواليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجليلة ففعلوا ذلك وجاروه وعظموه وناصروه وكان ذلك فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة واستمر ملتجئا الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوى والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويوالفه الى أن صمم العزم الجزم وشد نطاق انصرامه والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه فى اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاس ميرزا مكرما مكرما ومعززا معززا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أخذ تبريز وأمر القاس ميرزا أن يشتى فى بغداد الى أن يمضى زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة فى بلاد العجم فاستمر الركاب الشريف السلطانى سائرا بالعون السبحانى والنصر والفتح الربانى الى ان أخذ قلعة وان بعساكر أهل الايمان وجعل فيها بكلربكيا وعسكرا قويا فانها قفل ديار العجم وحصنها

شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه ربائط فاخذ منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الحمراء بلغه ان والد نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنك فأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم فى الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة فى اليوم التاسع من رجب فخرج أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالمناخة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف ونثر عليه من الذهب والفضة الكثير حتى التقط من ذلك الكبير والصغير وأمارات حرب فشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومه ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم فى رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن حربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقبضوا على من يجدونه منهم فوجد والليلة خارجا من المدينة ومعه كتب من الكواخى لقبائل حرب يحثونهم على الاقدام عليهم بصدد الحرب على انا نقاتله من داخل البلد وأنتم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخى وقرأها عليهم فانكروها وقالوا انها مزورة عليهم قال لهم ان كنتم صادقين فاعطونى القلعة حتى ينفصل الحال فامتنعوا فابقاهم عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصنها بمن يختاره فوجدهم قد ترسوها بالرجال وتعذروا من اعطائها لشيخ الحرم وتعذروا بانا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان ولا نسلمها ما لم تأتنا منه بالامان

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة﴾

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها فلم يفطنوا الا والرصاص سم كالمطر ففر هو ومن معه عنهم وأصابوا واحدا من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخى وشيخ القلعة وجعلهم فى الحديد فابتدروا بالرمى على بيته وقتلوا رجلا وجابين فنقل أهله الى بيت بعيد عن القلعة ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج الى مضى ثلاثة أيام وما تم لاحد من الفريقين مرام فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده فى ليلة من تلك الثلاث الليالى فتنبهوا لهم فلم يملكوها ورجعوا ثم أرسل لهم بانى قد سمحت عنكم فاخرجوا ولكم الامان فرضوا خديعة منهم وأخذوا امهلة ثلاثة أيام وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن داخل منهم فكف الرمى من الطرفين وأرسل عسكرا تترس البيوت التى حول القلعة من كل جانب وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول ومن أراد الخروج يتركوه فلما علموا انه ترس البيوت التى حولهم عرفوا انه تنبه لخديعتهم فاحرقوا السلالم التى صنعها فى الحال وشرعوا يرمونه بالرصاص فامر

بآلات الحصار والهدم واستمر القاس ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى دركزين ووصل الى همدان وتعدى الى اذربيجان ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والوطاق المحفوظ الخاقاني بما نهبه من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغلب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهز جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الاوطاق الشريف السلطاني بغنائمه * وأما القاس ميرزا فنابذ بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضبا وأظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يراع الايادي الجميلة السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعلم أخوه به فأرسل اليه وخدعه واستدعاه عنده وولاه في شروطه أثره ومحاذكره فرزق الشهادة ولحق بالشهداء والى الله المصير * ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية في ركاب الحضرة السلطانية الى دار ملكها السعيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد في أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية عشرة سفره الى الشرق﴾ لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تحرك طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السلطانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى أن تشتى في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء توجه الى أخذ قزلباش فبرز الوطاق الشريف السلطاني من دار الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكدار في أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى أن وصل الى اركلي بقطع المراحل والمنازل واستقر أوطاقه الشريف العالي خارج اركلي واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل أمره الشريف ووصل اليه ودخل الى حركاه العالي فأبرز الاقي تابوت حمل على الاعناق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه في بورسا أيضا عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والريحان وقع ذلك في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها أيام الشتاء وتوفى بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وغرة فؤادها

عسكره بقتالهم واستمر الحال يومين ثم ظهر عجزهم فربطوا حبلا وصاروا يتمسكون به ويخرجون من القلعة خفية فجاء الخبر فأمر برمي مدفع على بيت آغاة القلعة فانخرق وانهدم وأرسل خيلا تطلب الذين خرجوا من القلعة هاربين فطلب الباقون الامان فأعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا ما فيها من الاثاث والنقود وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم الثمينة في القلعة فذهبت شذر مذر وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم في السلاسل والحديد ووضع وزيره في القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين صحبهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقه

﴿ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق﴾

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى ساعة السفر ثم توجه على طريق الشرق قصر الشر ولما وصل الجريه قل عليه وعلى من معه الماء وحصلت لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه بأهله الى الطائف ودخله سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها في السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له خطاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر فأرسل اليهم سرية نجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب فاتفق ان الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فنزلت السرية خلف جبل أحد وأرسلوا الى الوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع في غرة ذي القعدة ووقع بينهم حرب فظيع وقتل وصوب جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة في الثاني عشر من ذي القعدة هذا حاصل ما كان في زيارة مولانا الشريف سرور بغاية الاختصار والا فتفصيل ذلك وبسطه طويل وفي هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصري قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين والمرجع من الطريق الشرقي فعدوا له في طريق الفرار فاقتتل معهم وقتل منهم أربعة وفاز وأما الحج الشامي فانه لما وصل الى المدينة اجتمع بأميره أهل المدينة وأخبروه بما صار واعترفوا بالذنب وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه السماح وأن يطلق المرابيط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامي في ذلك

لعشر ليال بقين من ذي الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهز تابوته الى اصطنبول في ذي الحجة سنة ستين وتسعمائة ﴿ ولما
انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني الى الجوان من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف
والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى أماسية وأقام ليكر على بلاد العجم ثانيا فجاءت رسل
الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله رحمة للعساكر السلطانية وصونا لدماء
الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما تمناه وأمرت بارسال أجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تحت
ملكها الشريف ممدودا ظل سلطانها الوريف واستقرت ذاتها العالية قريرة العين بالسعادة الباهرة

السنية على تخت الخلافة
البهية بدار الاسلام
قسطنطينية لا زالت
سيوف السلطنة العثمانية
محروسة محمية آمين
وذلك في سنة احدى
وستين وتسعمائة
﴿الغزوة الثالثة عشرة
غزوة سكتوار وهي آخر
غزواته الكبار﴾ لما كان
دأب جدنا السلطان الاعظم
المجاهد في سبيل الله
ونصرة دين الاسلام
كدأب آبائه وأسلافه
العظام ولكل امرئ من
دهره ما تعود وعادة
الجهاد في سبيل الله أعظم
ذخرا عند الله وأعود
تاقت نفسه النفيسة الى
الجهاد واشتاقت الى
قتال الكفار الفجار
وصممت على السفر الى بج
ودمشوار وكان مزاجه
الشريف متوعكا باستيلاء
مرض النقرس عليه
ويتألم ألما شديدا ويتصبر
صبر الرجال ويظهر غاية
التجلد والاحتمال فمنعه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المصري وكان من
أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء في سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بيني وبينه ملاطفات
ومراسلات أدبية ومطارحات تجتني ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من أكمام أغصان حياضها برد
الله مضجعه وأنزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يمتنع السلطان المرحوم عن
السفر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أن أموت غازيا وأبذل روحي في سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة
وجنوده ورايته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع

ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما بلغ الشريف ذلك أرسل المرابيط الى العابدية فلما وصل الباشا ترجى
في اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أخبرهم بما صار فقفلوا عذره وشاع عندهم
أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا
لقتاله فلما وصل الحج المصري أخبرهم بان ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفي سنة خمس وتسعين في غرة
جمادى الآخرة ورد خطاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على يد مرو أخبره أنه استضاف
نصار بن عطية ووعده انه اذا رجع ومر عليه يصحبه معه الى مصر فأرسل الشريف لوزيره في ينبع
بانه يترصد نصار بن عطية اذا رجع الخطاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عشرين على خيل وركاب
فأحاطوا بابن نصار ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاؤا برأسه لوزير ينبع وهرب ابنه
وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع وأحاطوا بالوزير
فقاتلهم ثلاثة عشر يوما وقتل من القوم نحو الخمسين ثم ركب البحر وترك لهم ينبع فملكوها فلما وصل
الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فأخبره الخبر

﴿ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزاته سنة ١١٩٥﴾

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يرسل
جملة من أغربة اليمن وشحنها بالذخائر وتوجه الى مكة في غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من
كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه في رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده
كثير من الشيوخ فأعطاهم الدراهم وألبسهم الجوخ ثم رجع الى مكة وأراد التوجه في رمضان
فتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطلق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين
وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيأ كثيرا من المال أعطى كل رجل اثنى عشر محبوبا وللخيال
عشرين محبوبا واستعد بشيء كثير من الذخائر والرصاص والبارود وأمر وزيره بجدة ان يشحن
الاغربة والسواعي والداوات بأنواع الذخائر ويرسلها الى ينبع مع شيء من العسكر ليخرجوا من فيها
ويملكوها فلما وصلوا قريبا من ينبع خرج لهم جهينة في داواتهم مستعدين للقتال فانهزمت
الاغربة وعادت الى جدة وفي الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة
بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن ثقيف
وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراجله نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثنى عشر ألفا ومعه من
الخيول الطوالع خمسمائة ومائة وخمسون من أرباب الصنائع من المعلمين والنجارين وعبيد العين
وغيرهم ومعه من الجمال التي تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى خليص وأراد التوجه منه

انقاضب حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطفت أبصارهم بوارق الأسياف والصواعق • وكان بروزه من القسطنطينية المحمية فى يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر عوج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة بنيت عليها وسفائن كالاطواد غرقت فيها لتدعم الجسور اليها الى أن أمكن تعديه ذلك بالجيش العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم ونزلوا بعد الحط والترحال ومعاناة الاهوال على قلعة سكتوار من أعظم قلاع الكفار وهى أعظم قلاع دمشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق وداروا حولها وعليها دوران الافلاك على الافق وهى مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء فى حضيض الماء شامخة الهواء الى عنان السماء فى غاية العلو والتحصين واعلاء درجات الاستحكام والتمكين وأقوى ما بيد الكفار من المكان الحصين كأنها فى الارتفاع والشهوق تناطح النطاح وتعانق العيوق وكان بريق نيران المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع محفوفة بالمكاحل الكبيرة والمقامع موسوقة بجيوش النصارى وابطالهم وموسومة بشبانهم الشجعان من رجالهم فحفرهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم ومنعوهم فتحصن الكفار فى قلعة سكتوار ورموا على المسلمين بقامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المناحيس وحمى الوطيس وتحمس الخميس وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المخبورين من أظهر بشجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار فى خزينة بارود

امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة فى المسير فامتنعوا وأغلظوا فى الجواب فضرب واحدا منهم عشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تعمدها قتله فسلمه الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فارسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الجودى وأمر ان يلاطفهم ويقول لهم قولا لينا لعله يفيد فلما خاطبهم قالوا له ان ترد ملك مكة فامش معنا ونحن نغار به الحرب الشديد فلما أخبره الخبر تحير فى أمره وتكدر وأمر برد الخزانة الى خليص وأبقى عندها بعض المراحل

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل﴾

وتوجه خلف هذيل بالعساكر والمراحل على خيل وركاب فادركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينه وبينهم ملحمة من الاشراق الى الغروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبنادق وسلاح ثم طلبوا منه الامان فاعطاهم وقتل فى ذلك الحرب من عتيبة الذين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادى وأقام به حتى لحقته الخزانة التى أبقاها فى خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأخر الغزو على حرب الى سنة أخرى وفى عشرين من ذى القعدة أرسل من بقى من محابيس أهل المدينة الى القنفذة ليكون حبسهم هناك وجاءت الحجوج وكان أمير الشامى محمد باشا بن العظم الذى كان فى السنة التى قبلها وجاء فى قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف فى العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته فى فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا من حصول الفتنة لكن لله الحمد لم يحصل شئ مما توهمه الناس فحج الناس فى أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامى على الطريق الشرقى والحج المصرى على طريق الفرع ولم يعطما هو مرتب لحرب وجهينة وفى سنة ست وتسعين عصى على مولانا الشريف آل على بن سالم وهم بطن من هذيل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا فى جبال شامخة لا يمكن الوصول اليهم فيها

﴿ذكر ابتداء عمارة القلعة التى فى جياد سنة ١١٩٦﴾

وفى هذه السنة شرع مولانا الشريف فى عمارة القلعة التى فى جياد بعد ان اشترى ما حولها من البيوت وأنفق فى عمارتها أموالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفى ذى القعدة طلب المحبوسين من أهل المدينة من القنفذة وحبسهم فى جدة ثم جاءت الحجوج وحجت بالامن والسلامة الا ان الحج المصرى فى رجوعه حصل عليه امطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفى سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان الغرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا لاهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد وزن الريال الفضة

الكفار وهي مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها لتكون موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة الى تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فضعفت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون في سبيل الله معتمدين على نصر الله بآلات الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار بمدافع أقوى من الصواعق واخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق وثبت المسلمون وأقدموا على النيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة الجنان لم يتأثر أحدهم والنار تحطمه وتدفعه ولم يبال على أي جنب في الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كما تتهادى الشهب وتترامى بالاحجار كما تترامى بوارق السحب وتوجهت المسلمون توجها خالصا لوجه الله وحملت على الكفار حملة واحدة بغاية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياة موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من أيدي الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على أعلى منار ووضعت السيوف السلطانية في جميع الكفار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرر مرفوعة في أعلى الجنان وأخفى حضرة الوزير الاعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء والبكلربكي الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل سرا يستدعي السلطان سليم خان الثاني ويستعجله في سرعة الوصول الى التخت الشريف العثماني وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامراء والوزراء وسائر الانام وأحسن التدبير في هذا الكتم وهو من اللازم الحتم في الامور العظام واستمرت أمور المملكة في غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطاني في أعلى درجات النظام وهم

الفضة مكتوبا عليها والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

﴿ذكر سجن أهل المدينة أمين الصرة﴾

وفي هذه السنة تمرد أمير الحج المصري عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا له ان لم تعط فانت مسجون فلما تيقن عدم الخلاص أعطاهم ما يملكه من النقود وأبقى رهونا في الباقي

﴿ذكر عزل وتولية﴾

وفي سنة ثمانية وتسعين عزل حسن النابتة من شهبندارية التجار وتولى أحمد القاري بأربعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدي عن نظارة السوق وتولاها محمد غزاوي بثمانية عشر ألف قرش وعزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدي بمبلغ من المال وتولى درويش بن صالح صبغة بيت المال بشئ من المال ومعه عشرة وجاب من عين سولة وفي سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصري ترك الزيارة ولما وصل الى رابغ مال الى خفوش ثم الى ينبع ولم يعط أهل المدينة ما هو لهم من الصر ولم يتفق ان الحج المصري ترك الزيارة الا ذلك العام وفي هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطالما ركب عليه المرة بعد المرة فلم يظفر به وفي هذه المرة ركب عليه وقبضه في المضيق وأخذ مراحه ومواشيه وأودعه السجن

•(ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠)•

وفي سنة ألف ومائتين توفي الوزير ريحان في الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها انه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجري منها مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا في وادي لية يقال له لبلاة ووقف عليه دارا بمكة في خط سويقة على قارعة الطريق مركا على الطلة التي تجاه دكة الرقيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول سفح أجياد وسماها زاوية الحداد وهي في الحقيقة مسجد بمصلاة وبيت من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

•(ذكر ابتداء بناء بيت عرفة سنة ١٢٠٠)•

وفي شهر ذي القعدة أرسل مولانا الشريف ستين من المعلمين غير أتباعهم الى عرفة فبنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت في عرفة وفي هذه السنة كان أمير الحاج الشامي أحمد باشا الجزار وكان ظالما غشوما وكان تارة يدعي انه شريف من الجانبين وتارة يدعي انه المهدي المنتظر ولم يحصل في الحج في هذه السنة ولله الحمد خلاف الا ان أمير الحج المصري وهو راجح وتم منه أمر عجيب نشأ منه

فى ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام وذلك من كمال العقد التام والرأى الثاقب الصائب التمام الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطنته وبقية عساكر بابه الى القسطنطينية العظمى كما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وأنشد لسان الاعتبار يقول فيه انظر ان ملك الدنيا بأجمعها • هل راح منها بغير القطن والكفن ووضع فى تابوت وحمل على الاعناق وقد قلدها فى حياته قلائد نعم حلت محل الاطواق وهو ممن يليق ان ينشد فيه

كم ذات الرجل المولى غسله (٢٣٢) • هلا أطاع وكنت فى نصائه وأزل أقاويه الحنوط ونحها • عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومن الملائكة الكرام حمله كلطفا لما حال من نعمائه

واستمروا به الى ان أتى به الى اسطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالى العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر أصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا نحيبا وعويلا وصلوا عليه وأمهم فى صلاة الجنازة المفتى الاعظم مولانا أبو السعود أفندى عالم بلاد الاسلام ودفن وتربته أعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طنانة سارت بها الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة حسنة حذفت بعضها رروما للاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى

أصوت صاعقة أم نفخة الصور • فالارض قد ملئت من نقر ناقور

أصاب منها الورى دهياء داهية • وذاق منها البرايا صعقة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها فتتابعوا وانهدما كان من دور ومن سور أمسى معالمها تماما مقفرة • مافى المنازل من دار ودور تصعدت قلل الاطواد وارتعدت كأنها قلب مرعوب ومذعور واغبر ناصية الخضراء وانكدرت • وكاد تعلو الغبراء بالمور فمن كئيب وملهوف ومن دنف عان بسلسلة الاحزان مأسور فياله من حديث موحش نكر • يعافه السمع مكروه ومنفور تاهت عقول الورى من هول وحشته فأصبحوا مثل مجنون ومسحور نقضت قطعا منه القلوب فلا • يكاد يوجد قلب غير مكسور أجفانهم سفن مشحونة بدم تجرى بهم فى العبرات مسجور أتى بوجه نهار لاضياء له • كأنما غارة شنت بديجور أم ذاك نعى سليمان الزمان ومن

مصيبة أى مصيبة وذلك انه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فاحمى المحاوير وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قورة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات لمن جعلت فى خدودهم العلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وحملت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار ففر ومعه تجريدة من الخيل وجعل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحاج فى تلك الفجاج واستولى عليهم العربان قتلا ونهبا واستأصلوهم عن آخرهم وما سمع ولا روى ان حجا استؤصل الا هذا العام

•(ذكر التجهيز الثانى لقتال حرب سنة ١٢٠١)•

وفى سنة ألف ومائتين وواحد عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل فى شهر جمادى الاولى لطلب القبائل من كل جهة فأقبلوا عليه فوجا بعد فوج وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير فلما حضروا أخبرهم انه يريد قبائل حرب ووقع أيام اجتماعهم قتال بين عتيبة وهذيل ولم يمسكوا عن القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وفرعهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا من جملتهم قبائل الشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فارسل غزية على جبل صبح فغنموا مواشى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كلما وصلوا بلدا رأيتهم يونه قبل وصول العسكر فاقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يقيموا بعيدا عن الجيش بسويعات فى محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة وكانوا نازلين بها مصممين على قتاله حتى وصلهم فاستبطؤه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه وظنوا انه لا يأتى حتى طالت المدة خوفا منهم وخطر ببالهم ان يدهموه فى محله فيظفروا به ويحرزوا ثمنه فحركهم داعى البغى والهوى فأقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولا لكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فاحاطوا بهم من كل مكان فاقتتلوا معهم ووقعت من كل الفريقين من دنا أجله فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف فنهض كما ينهض الاسد واستنجد الكماة من بنى عمه السادة الاشراف وكل من معه فى ذلك النادى من العسكر والبوادى وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم فى الموت الاحمر فلما رأوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا فله خمسة من المشاخصة

مضت أوامره في كل مأمور ومن ومن ملأ الدنيا مهابته • ومضرت كل جبار ونيهور مدار سلطنة الدنيا ومركزها
خليفة الله في الآفاق مذكور • على معالم دين الله مظهرها • في العالمين بسعي منه مشكور وحسن رأي الى الخيرات منصرف
وصدق عزم على الالطاف مقصور بآية العدل والاحسان ممتثل • بغاية القسط والانصاف موفور مجاهد في سبيل الله مجتهد
مؤيد من جناب القدس منصور بالهدي الى الاعداء منعطف • ومشرق على الكفار مشهور وراية رفعت للمجد خافقة
تحوي على علم بالنصر منشور وعسكر ملأ الآفاق محتشد • من كل قطر من الاقطار محشور له وقائع في الآفاق شائعة
أخبارها زبرت في كل طامور يا نفس مالك في الدنيا مخافة • من بعد رحلته (٢٢٣) من هذه الدور وكيف تشبين فوق الارض نائلة

ليس جميلة فيها عقور
حق على كل نفس أن تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدرة
تأتي على قدر في اللوح مسطور
وليس في شأنها للناس من أثر
ومدخل ما بتقديم وتأخير
يا نفس فاتئدي لا تهلكي أسفا
فأنت منظومة في سلك مقدور
اذ انت مأمورة بالصبر والجميل ولا
تعاسوي بذل مجهود وميسور
ولا تظنيه قدمات بل هو ذا
حي بنص من القرآن مزبور
له نعيم وأرزاق مقدرة
تجري عليه بوجه غير مشهور
ان المنايا وان عمت محرمة
على شهيد جميل الحال مبرور
مرابط في سبيل الله مغتنم
معارك الحتف بالرضوان مأجور

ما مات بل نال عيشا باقيا أبدا • عن عيش فان بكل الشر مغمور ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة الدنيا فاظفر بربح غير محصور
بل حاز كلتيهما اذ حل منزلة • من لم يقاربه في أمر ومأمور أماثرى ملكه الحمى آل الى • سر سرى له في الدهر مشهور
ولي سلطنة الآفاق مالكها • براوعر ابعين اللطف منظور ظل الاله ملاذ الخلق قاطبة • وملتجى كل مشهور ومدهور
فانه عينه في كل مأثرة • وكل أمر عظيم الشأن مأثور ولا امتياز ولا فرقان بينهما • وهل يميز بين الشمس والنور
معيد ع ما بجد زادت مهابته • تحت الخلافة في عز ومنصور جد الجديدان في أيام دولته • صارا كأنهما مسك وكافور
أضحى بقبضته الدنيا برمتها • ما كان من مجهل منها ومعمور بدا بطاعته والناس في كرب • ومن حال من الاحوال منكور

فتتابعوا القتال كانهم نشطوا من عقال فلم يكن الا كلمح البصر الا والرؤس بين يديه كالتلول وقتلوا
فيهم القتل الشنيع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط
دون المقتول على ما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم كالغنم
فربطوا ما ينوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقي أجله وكتب الله السلامة من الربط وبعد
فراغ القتال جعل يستعرض المرابيط ويسألهم عن أسمائهم ومن أي القبائل هم ويأمر بوضعهم
في الاغلال والسلاسل وجاءت البشائر الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر ودقت الزير
وبعد أيام جاءت المرابيط الى جدة في الزعائم مصفدين وكبكبوا في الحبس أجمعين ثم توجه مولانا
الشريف الى الفرع وملكه بغير قتال وهرب أهله فحرق بعض الدور وقطع بعض النخل ثم جاؤه
يهرعون اليه طالبين العفو والسماح فعفا عنهم ثم رجع الى مستورة ثم توجه الى بدر فلقيه أهلها
ذليلين طائعين فأعطاهم الامان ثم ارتحل الى ينبع النخل ثم الى السويق وطلب أهله الامان فأعطاهم
ووقع هنالك من بعض أتباعه مع بعض أهل السويق خصومة آلت الى القتال فلما علم بذلك كف
أتباعه حتى جعل يضربهم بالسيف فسكن الامر بعد أن قتل من الطرفين وقبض على سبعين ظهرله
عصيانهم وأرسلهم في الحديد مصفدين ثم ارتحل الى بدر ومنه الى الجيف فوجد أهله متترسين على
رؤس الجبال وقد جعلوا اردما بين جبلين صيروه كالسد لمنعه من العبور فأمر بهدمه وحرق بعض
الدور وقبض على عشرين منهم وجعلهم في الحديد ثم أرسل بشيرا آخر الى مكة بهذا الفتح الجديد
وطلب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي ليفوز بالزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره
وتوجه وكان دخول مولانا الشريف سرور المدينة في السابع عشر من شوال فالتقاه أهل المدينة
بالتعظيم والاجلال وأقام هنالك الى وصول الحج الشامي ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل ولا
توليه ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة في أوائل شهر ذي الحجة
بمن معه من القوم ودخلت الجوخ في سادس ذي الحجة وحج الناس في أمن وسرور وورد في هذه السنة
صدقة لاهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة أخرى من سلطان الغرب
وصدقة ثالثة من محمد على خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير
والغني والفقير

﴿ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنين فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه باقامة
فرح عظيم فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع

فاصبحت صفحات الارض مشرقة • وعاد آكافها نوراعلى نور سبحان من ملأت جات مفاخره • عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها وبراع الواصفين لها • بحر خميس الى منقار عصفور لازالت احكامه بالعدل جارية • بين البرية حتى نفخة الصور

﴿فصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام﴾ (اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان (٢٣٤) رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت احاطة البيان ذكرها ولا يسعه هذا الكتاب لكن نذكرها جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين ونجمل ما عداهما الى السماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التي هى الى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الفخام الا أن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذى زادها وضاعفها وأنماها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهى ترد ولله الحمد فى كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكاتب تقسم فى الحرمين الشريفين تجاه بيت الله المطهر المنيف وتقرأ الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني المرسوم بالشان الشريف العثماني فيصرفون ذلك فى قضاء ديونهم فان فضل فضلة صرفوها فى حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول فى محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة فى العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحققنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذى شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يتميزون بها على غيرهم فالله تعالى

الاول من العام المذكور وتم فى ذلك الفرح مالم يسبق مثله فالبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار وعرض عليه أهل الحارات وأنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة الاشراف فألبسهم الملابس الفاخرة وأعطاهم من العطايا ما تقر به العين وكذا حضر كثير من أهل البادية وعرضوا عليه وأنعم عليهم بالملابس والعطايا وأولم للسادة الاشراف وللعلماء وأعيان الناس وليمة منظمة وضع فيها أنفس المآكل وخيار الاطعمة ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة وأولم أيضا للعساكر وأشياعه وعبيده وأتباعه ثم أطلق فى الولائم ولم يخص أحدا فما بقى أحد الا وحضر تلك الولائم واستمر هذا الفرح من عشرة من ربيع الى السابع والعشرين منه وفى السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا وأرباب دولته وامارته وأمرهم أن يطوفوا بأكناف البلاد فى موكب عظيم وآلاى منظم فخرجوا بأفخر الملابس ركبانا على الخيول المسومة مصطفين كل أربعة خلف أربعة مقدما امام الجيش سبعة من المدافع تسير معه ولم يبق أحد من أهل البلد الا خرج يوم الزينة ولما رجعوا الى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل صعلوك وفى غرة ربيع الثانى جعل فرحا عظيما للنساء وصنع لهن وليمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء فهرع نساء البلد متفرجات وأكل من الوليمة من حضرها من بواديهم وحضرها والمغنيات يغنين بأنواع الالحان كتغريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم فى هذا الختان مالم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور فى المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه • ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

﴿ذكر مرض الشريف سرور﴾

فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثانى فاغمى عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فاعلنوا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجرى فى الاسواق والازقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

﴿ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى اليوم الثامن عشر من ربيع الثانى سنة ألف ومائتين واثنتين

واثنتين وحزن عليه الخاص والعام والكبير والصغير وجهز وصلى عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضي الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس واثنين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى وسعيدا وحسنا وأحمد ومحمدا

﴿ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام فيها أياما وقيل نصف يوم

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

ثم نزل عنها بلا حرب ولا قتال لأخيه سيدنا الشريف غالب بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي فاختاره الله لحماية هذا الحرم وجاءته الخلعة السلطانية في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من هذا العام وأدخلها مكة في موكب عظيم ولبسها بعد قراءة الفرمان السلطاني بالحطيم وأجرى ما هو معتاد من الملابس لأرباب الرتب والمناصب وأمر بالزينة ثلاثة أيام

(ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه)

وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فارقه بعض اخوانه وخرجوا خفية ليلا وتوجهوا باتباعهم الى جبال هذيل فغابوا خمسة وثمانية أيام وجاؤه بهذيل اليمن والشام وثقيف وجبال المفعر وتلك الجهات فعرج لقتالهم بمن عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامي بنزر من العسكر والتقى الفريقان في تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وحاربوا أميره وكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا بحصن في العقيق ثم رفعوا الى بسل وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين القتال فلما تحقق الخبر أمر بتجهيز العسكر وبرز بالابطح وجعل هو يخرج كل ليلة ويبيت في المعابدة ويرجع الى داره بمكة في الصباح وفي ثمانية من ربيع الاول سنة ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفزع الى داره يستصرخه ويخبره انهم وصلوا الى الميدان فركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادي الزيما ثم وادي لية ثم الاخيضر وأقاموا شهرا ويوما وفي نصف جمادى الاولى عاملهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة وأخبروا الشريف بأن اخوانه يجمعون له الجنود فارسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفي اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبيارق والعساكر ولما ثبت عنده انه في غد يكون القتال سلم لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر انه في غد يكونون في عرفة ثم مضى يومان وهم

يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام الخالد ذكر جميلهم في صفحات الايام أبقاهم الله تعالى الى يوم القيامة • ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من أنبار الخاص بالسلطان وأفرد لها السلطان سليمان قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلالها وريعها لأهل الحرمين الشريفين وكتب لذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة اردب لاهل المدينة المنورة يجهزها في كل عام الناظر المتولي على ذلك ثم ضاعفها وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة ألفي اردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين حسب دفتر مقيد باحكام شريفة سلطانية وتذاكر باشوية وتقريرات من القضاة ونظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر الى أواننا هذا والى ما بعده ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم وخير جليل عميم صار سبب المعاش أهل الحرمين الشريفين وتقويتهم ومادة حياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول في الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا الاحسان لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بعدما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق أيضا أوقاف يصل منها شيء دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها النمو وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأنماها وعمر من عمرها وزكى من زكاها • ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم

متغيوت في نعمان ثم لما سمعوا ما جمعه مولانا الشريف من الجنود رجعوا الى الطائف

•(ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه)•

وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن مستور ونائب قاضي الشرع والمفاتي الاربع يتوسطون في الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا فقبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ونزلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقابلوا بها ودخلوا مكة في الاى أعظم ولله الحمد على ذلك

•(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣)•

وفي هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم

•(ذكر قتل الخطيب)•

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي فتعرض له عند المنبر قبالي قيل مجنون قبل الصلاة وضربه بسكينا قطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعما قليل زال الالتباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف الماس رمضان فاغلق الباشا الفرضة والقبان وقلد قاضي الشرع بالمقاليد فجعل القاضي ينزل الفرضة لجمع العشور ويضبط ما يتحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجيء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

•(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)•

وفي خمس وعشرين من جمادى الاولى من سنة أربع بعد المائتين والالف حبس مولانا الشريف يحيى سلتوح وكان مقدما لاخيه المرحوم الشريف سرور فبلغ مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه في قبو تحت الارض في بيت ريحان الفروجي فأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوعة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور فكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم

يعلم

عنها وهي من أجل الاموال ان أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل في أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده وحفه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من جوالي مصر وحدها غير جوالي الشام وحلب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول الممالك في سائر ممالكهم المحروسة وغير ما يصرف ملوك بني عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائنهم العامرة في وجوه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الخلفاء في زمن من الازمان في دولة ملك أو دور سلطان فالله تعالى يبقي هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الآخرة• ومن خيراته الدارة اجراء العيون ومن أعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة هي عين حنين وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد واسمها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن• ومنها اجراء عين حنين الى مكة المشرفة وصرفت عليها الخزائن أموالا الى أن جرت الى مكة المشرفة وهي واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذي زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن سلك الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال وكانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه وألبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين

وبقي لها هذا الأثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين ، وكانت هذه العين ترد الى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال التيه (٢) من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حنين ليسقي به نخيل ومزارع مملوكة للناس والى انتهى جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت له الشعاحيد في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متصلة الى مجرى هذه العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شعاد عينا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين ثقبة والبارنيات وكل مياه هذه العيون ينصب بعضها في ذيل عين حنين ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على أم احدى هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة ، ثم انها أمرت باجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهي عين منبعها ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ عال جدا أعلاه أرض الطائف مسيرة نصف نهار من أسفله الى أعلاه من صعد فيه أو نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وينصب من ذيل جبل كرا في قناة الى موضع يقال له الاوجر من وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيها ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل أيا جبلي نعمان بالله خليا ۞ نسيم الصبا يخلص الى نسيمها (وبعده) فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على كبد حرى تجلت همومها فعملت القنوات الى أن جرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى البرك التي في أرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات ويقال له طريق ضب بالضاد المعجمة المفتوحة فالالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة

يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وتطلبه فلم يجده ثم أغرى يحيى سلتوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل اليه نحو الخمسمائة ورموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطواف فلما لم يظفروا بمرام أخذوا ذممهم وخرج أولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سلتوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا مختفين بناديهم فأخرج اليهم رتبة (٢) حاصروهم في بيت العابدية فخرجوا البلاد وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

•(ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)•

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة السلم وحصل بينهم وبينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهيعات ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاءه خبر انهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم اتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز فظفر بالقوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال هذيل ثم الى الطائف وعاملهم ثقيف غاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط بجمع بعض القبائل ثم قبلوا بهم وبقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالابطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد وتبدد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلتوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عرضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور وذهب بها الابواب السلطانية فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والالف غزا مولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشاقة لانهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم

•(ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥)•

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب في عقيدته الى كفر بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم

ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث • ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى فى قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية باحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهى عمل هذه القناة وهى من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن • ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار وتهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم على هذا المنوال فممن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كك كوكبودى بن ملى فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكبودى معناه بالتركى الذئب الازرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة فى وفيات الاعيان لقاضى القضاة أحمد بن خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور فى سنة خمس وستمائة • ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم فى سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا فى نصب حجارة مبنية فى قرب الموقف الشريف بعرفات • ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين فى أيام السلطان أبى سعيد خدابنده فى سنة ست وعشرين وتسعمائة فاجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا فى جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحمه الله تعالى أجزل الخير • ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد سادتنا أشراف مكة الآن أبقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدى الزمان فعلا وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه فى الجنان وكان تعميره لها فى سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت وأبلجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم • ثم انقطعت ولقى الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره الفاسى رحمه الله تعالى • ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها

وحقيقة حالهم فانه فتنتهم من أعظم الفتن التى ظهرت فى الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقراها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتى ذكر شئ من عقيدته التى حمل الناس عليها ومازال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حى بعد حى حتى قوى أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا فى مبدا أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام وكان ذلك فى دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه فى الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم بالكذب والمين وطلبوا الاذن فى الحج ولو بقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم فى الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فأمر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هى مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضى الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم فى السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبروا عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا فى مدته يستأذنون فى الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل فى المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة وأبى أن يقر لهم فى حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم فى الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت فى دولة الشريف مسعود فلما ان ولى الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه فى زيارة البيت المعمور فاجابهم بأنكم ان أردتم الوصول آخذ منكم فى كل سنة وعام صرمة مثل ما آخذها من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج فى مدته كلها فلما توفى وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول

الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعواله وأثنوا عليه بذلك وباحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة * ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير خير بك المعمار رحمه الله تعالى الى أن جرت وملأت برك الحجاج والمعلاة ثم جرت الى بازان ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من أسفل وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها العسيلات في علو مكة قريب من المعلا ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له الزاهد ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون أموالا من تلك الاماكن البعيدة أيضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ في اهتمامي خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كا حملناه من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعه بدينار ذهب والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة ثم تصدقوا بباقيه على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمانية باصلاح عين

فصلا لجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وستة وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخبث

٦٤ ١١٤٣ (أعني سنة ١٢٠٧)

منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم فقتله ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا يحكمونها فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يسمونهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي واضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد

حنين وأما اصلاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها الى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن وأصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سبب اجراء هذه الخيرات • ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج أتربتها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة بهذه الخدمة • ثم توجه (٢٣٠) مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض في أمر العين أحوالا عجيبة عرضها فأجيب في كل ما سأل فيه وعاد مجبورا الى مصر ثم ركب من بندر السويس الى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا وما غرق الا في رحمة الله تعالى وما مات بل هو حي عند الله تعالى • وكانت وفاته الى رحمة الله تعالى في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية الى مكة لكن بها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجري من نعمان الى عرفات الى أن صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس وصارت مرجة خضراء تجلى كالعروس الى أن قلت الامطار ويبست العيون ونزحت الآبار في سنين متعددة من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سني يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا أنها قل جريانها في تلك السنوات ﴿ولما عرضت﴾ أحوال العيون الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التفت الخاطر السليماني العاطر السلطاني وتوجه العطف الشريف السليماني الى تدارك ذلك بأي وجه يكون وأمر بالفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الأمين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة يومئذ والأمير خير الدين خضر سنجق جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا ودار واوتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها من بئر زبيدة الى مكة مبنية أيضا وانها مخفية تحت الأرض وانما تحتاج الى الكشف عنها والحفر الى أن تظهر لان زبيدة لما بنيت الدبول من عرفة الى بئرها

أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين وأشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها ان يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى بسماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيأ من القرآن حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيأ من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ له شيأ يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وتحيل في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري في صحيحه

المشهور خلف منى الذى جميعها ظاهر على وجه الارض والباقى أيضا من ذلك المحل الى مكة مبنى أيضا الا أنه خاف تحت الارض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه ونبشت وطمت وغفل عنها هكذا نظروا وخبروا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وبنوا ما وجدوا منهدما ورمموا الباقى احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعه وهذا الذى تخيلوه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم يوجد فى كتب التاريخ وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف فى أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية التمست صاحبة الخيرات الكاملة المخدرات تاج المصونات ملكة الملكات قدسية الملكات علية الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات {حضرة خانم سلطان} كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب أن تكون هى صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالى فمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت آراؤهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر الامير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والحلم {الامير ابراهيم بن تغرى بردى} المهمندار ثم الدفتردار بمصر بوّأه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا يطفئ كل أوام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهب على ما نخمنه ليصرفها فى عمل هذه العين فتوجه من البحر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم ورق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكلر بكية وكان ذا همة عالية وإقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطنة وكان بينى وبينه سابقة اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء والوزراء والبكلر بكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجل نظاما ولا أحسن ترتيبا

صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما ظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعى الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضى الله عنه كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد برىء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا يتقلدون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلى أجمعت عليه الامة وكان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشىء وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق ويقدح فى أتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تآليف فى الرد عليه واحتجوا فى الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضى الله عنه

انتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس الاعلى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الى فرأيته نزل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلني بالاجلال والاكرام وركب من جدة لي سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد أبي نمي خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه وواكله وأكرمه وباسطه وجابره (٢٣٢) فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقاني وانه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عنده ذخولا الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نمي صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأبد له الاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كل الاقبال وتعاديا بغاية الأدب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مخيم قايتباى وهو المحل الذي عين لنزوله ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماطا عظيما جليلا كبيرا جلس عليه وأكل الله منه هو وخواصه وأذن لاهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شيء أمر بتفريقه على الفقراء وألبس الذي مد السماط قفطانا من السراسر العال وأعطاه ذهبا كثيرا . ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله عزه واقباله وخلد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الامير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه أموره وأحواله واستشاره في سائر ما بدا له من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبة وأعلمه بما ينبغي رعايته ومرعى جانبه وما

وكان يخطب الجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذي كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطوا به ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له اذن جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذي جئت به متصل أو منفصل فقال له حتى مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فممن أخذته فقال وحي الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فيك كل أحد يمكنه ان يدعي وحي الالهام الذي تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه وسلم فلا وجه لك في التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبي صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك وان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقي على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلى

يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ﴿وأول ما بدأ به الامير ابراهيم﴾ تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها واخراج ترابها وزيادة حفرها لكثرماؤها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جمع ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه الى أعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومنافيها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصري وكان أمير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام عثمان بك بن بكار بكي اليمن بكار بكي الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكي الحبشة بعد وفاة والده وصار بكار بكي اليمن وأظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز ثم صار بكار بكي الحسائم البصرة ثم قره آمد وهو من ابكار بكية الكرماء العظماء المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة أبقاه الله تعالى يوصل الى مكة قاصدا في ذلك الموسم مع الركب الشامي وهو أعلم العلماء الى أفضل الفضلاء الاهالي مولانا فضيل أفندي ابن مولانا علي جلبي المفتي الجاني وهو من أجلاء العلماء العظام له التصانيف الحسنة المقبولة وهو الآن أوزاق في الباب العالي مد الله تعالى ظلال افضاله وأفاض على الطلاب سحائب فضله ونواله وحج الناس حجة هنيئة وحج الامير ابراهيم فرض حجه وعاد الحاج الى أوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلب ومأمول وشرع الامير ابراهيم في الكشف عن دبول عين عرفات وضرب أوطاقه في الاوجر من أودية نعمان في علو عرفات وشرع في حفر قعرها وتنظيف دبولها وهمة عالية جدا وكانت مماليكه القائمون في خدمته نحو أربعمائة مملوك في غاية الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقامهم في هذا العمل من الاوجر

الى مزدلفة وكتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واصطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم وأتى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساح ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها من الدبول لظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذي جاء بصدده فيما دون العام ويرجع الى الابواب

الله عليه وسلم وبلغه خبرهم فلما رجعوا امر واعليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعني جماعته يخافون معنا والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين ورد عليه في كل مسئلة من مسائله التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير الشان وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من

السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما أراد وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد وألسنة الاقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البئر التي انتهى عملها اليها لم يوجد بعدها دبل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير والعمل كثير وتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل اعظم كله زبيدة اضطرارا غير اختيار وعدلت عنه الى عين حنين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتاج من بئر زبيدة الى دبل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بدبل عين حنين وينصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر فانه يحتاج في النزول الى خمسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس السلطنة الشريفة فلما وجد الامير ابراهيم حيلة غيران يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا في اعلى ذلك ثم تعمل عملا يسيرا من جانب السفل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد الى أن يصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى الى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب ومارأى عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده وعمماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة السلطانية وغرقت له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان يزوف عن مائة ألف ذهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا

وجوه الاعجاز ومن طرق التحدي التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء علم بقدرة محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح

فيهم

ومات له ولدان مراهقان نجيبان فاضلان أخذ الحمام قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخداه وكان بمنزلة أمراء الصناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه وما بقي رمقه ولا دماه وزفه الامهال ورمته الأهوال وجاءه الأجل الذي لا يتقدم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات غريبا شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها ولديه وخلف طفلا وحلا وبنتا من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة كان ذكر لي أن مولده سنة اثنين وعشرين وتسعمائة رضي الله تعالى عنه وأرضى عنه خصماءه وأمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر • ثم أقيم بعده في هذه الخدمة سنجق جدة الأمير قاسم بك باقامة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية فبرز الأمر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أمينا على مصاريفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين الحسيني خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشرا التعاطي هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأميرين السابقين فطرقه الأجل وأدركه الحين وفاز بمرتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية قرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله أمين العين المزبورة واستوفت العين به ثلاثة من الامراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا • ثم توجه سيدنا ومولانا

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتي يتبعنه فاقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك أن تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني تعمي بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الاحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

شيخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل
مابقي من عمل عين عرفات باعتبار مابيده من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الاقطار والجهات وجد
في الاهتمام وعرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي
حسين المشار اليه بخدمته آنفا فأقدم بهمته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال
على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر بعد ان عجز عن اتمامه الامراء المذكورون قريبا من
عشرة أعوام وهلكت نفوسهم وأموالهم وخدامهم وماظفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم • فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في تلك الدبول والقنوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة • وكان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس وعمل في ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أسمطة عظيمة في الابطح ببستانه العظيم الافيح وجمع بين الاكابر والاعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر عدة من الابل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعيم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم
بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والاساطين شكرا لهذه النعمة ذلك
الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجليلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب منها خير بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة
وزمانا مسعودا • ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالي السلطاني
الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر في أعلى غرفات
الجنان والى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة الملكات بلقيس الزمان
﴿حضرة خانم سلطان﴾ أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية

الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم
قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي
الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي
نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء
في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان
واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية
ويل لليمامة ويل لا فراق له وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم
بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير
ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية بن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة
الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت في مبدا الرسالة أعرض
نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا اقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة قال السيد
علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت
بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فاخبرني أنه الف كتابا في الرد
على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في
قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه قال
السيد علوي الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال
النجدي من جمعه البدو وعلى الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط
ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ماذكرناه من
منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص
الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهار التجسيم للباري سبحانه وتعالى وعقده
الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمر في الاحساء ان
تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب
والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في
المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الفرغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم

بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجليلة على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية عبانه عثمانى وماعهد ذلك لاحد من الموالى العظام فى مدارسهم وجهزت اليه أنواع من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وانه دخل فى جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وانعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالى والايام والاعمال الصالحات الباقيات التى لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وماعند الله من تضاعيف الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند أولى الالباب ﴿ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الاربعة السليمانية﴾ وسبب ذلك ان الامير ابراهيم أمير امراء عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب للشأن الشريف السلطانى وقدره العلى السامى السليمانى أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك فى صحائف السلطنة الشريفة فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الامير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك فى أحسن الاماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبى من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصورى ومدرسة لصاحب كيبانة السلطان أحمد شاه سلطان بكرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصورى وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه واقباله ورباطا يقال له رباط الطاهر فاستبدل

ذلك من حشوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح فى مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه ويمنع من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوى الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اه ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار يتنقل فى قرى نجد من قرية الى قرية ويلقى اليهم تلك العقائد شيأ فشيأ من زخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبرى من الشرك فيصدقه الجاهلون ويتنبه لتلبيساته العالمون ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التى نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت فى قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبى فى أمته لا يتركون شيأ مما يقوله ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويبجلونه غاية التبجيل ومازال يطيعه حى بعد حى من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واذا أراد ان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فتجيبه العربان وتلبى دعوته من كل مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشئ واذا نهبوا شيأ من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته فى نقير ولا قطمير واذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها

البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا نخشى القرمانى ولم تثبت وقفيته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكتبانية واستبدل رباط الظاهر برباط آخر في سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه ﴿وأما الدول التى لسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته فقيد مهاجيها للسلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بضياع قرى فى الشام اختارها ذريه المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستنداتها وجعها وشرع الامير قاسم فى هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووضعوا الاساس فتقدم قاضى مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الاماثل وصفوة العلماء الموالى مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بك الشانجى عظم الله تعالى شانه ورفع قدره ومكانه ووضع بيده الشريفة الاساس وتبعه من حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا فى ذلك الاساس وكان يوما مشهودا مباركا محمودا وذلك لليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه حجارا كبارا جدا وأحكموا الاساس احكاما قويا واستمر قاسم بك فى بذل الجد والاجتهاد مشدود الوسط كأنه بعض العمال يجرى بنصاه من أول العمل الى آخره بقوة وجلادة من غير دهشة فهم ولا انقطاع مع الحلاوة والغلظ والاستبداد بالرأى وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى رأى أحد فأتم بناء المدارس الاربع فى غاية الاحكام فى بعض الجدارات من غير تعميق وعمل بها مأذنة عالية أحسن فيها ووقف سقوف المدرسة وجعل ولدوراتها انها خشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردىء مخطط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغى الى كلام أحد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل فى الاتمام والاهتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا فى كل يوم وعين للمعيد أربعة عثمانية فى كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها فى كل عام ناظر الاوقاف السلطانية

واقترب وسلط الاخرى على مابعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الحيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع مابين مدينة النبى صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التى حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التى حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الاصار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه بعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد على باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقى منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتى مكة المفتى عبد الملك القلعى لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

٨٤١	٢٠٧	١٧٩
	١٢٢٧	

﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء البلدة التى تسمى بالزبير يسمى الشيخ عبد الجبار يصلى اماما فى مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجاولا فى شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لابد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان فى غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ فى الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتى ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

•(ذكر الشبه التى تمسك بها الوهابية)•

ولكن ينبغى أولا ان نذكر الشبهات التى تمسكوا بها فى اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسكوا به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التى تمسك بها زعمه ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفى زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك

بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا في دولة لسلطان الاعظم مالك الممالك الترك والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأنعم بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الاربع وعلى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسة بمائة عثماني ثم أنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي (٢٣٩) الاعظم مولانا أبي السعود العمادي بوأه الله غرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت فيها درسا في الطب ودرسا في الحديث وأصوله والى الآن أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكمال بن الهمام الذي كمله لان علامة علماء الاعلام فهامة فضلاء الموالي العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانه وحائز قصبات السبق في حلبة رهانها فريد دهره في التحقيق والاتقان ووحيد عصره في التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان وتداولتها العلماء في سائر البلدان الكريم المحسن الى غريبه غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي قاضي العسكر بولاية أناطولي أظهر الله على قلمه ما خفي ودق عن الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ما روى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلائد درر متسق النظام ومد لطلاب العلم الشريف موائد فوائده ودونها لهم على طرف الثمام وأورد فيه من خاصية طبعه الشريف ثلاثة آلاف تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولاشك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم فشكر الله صنيعه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أحسن الي في أيام صدارته وربانى لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الاعظم

وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وامثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفي قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيأ ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة واعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي

والخاقان الاكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدى الزمان فصارت مدرستين بهمته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عنى أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء • وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا فدرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره في بحر الرحمة والاحسان • وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث الشريف (٢٤٠) وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الصحاح الستة فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنان والنظر الى وجه الله الكريم في اعلا مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذي ذكرناه بعض مافعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء مافعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات فعدلنا الى ما أثبتناه في هذه الورقات وكلنا ما سمعناه الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم الافخم العثماني صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وحفه بروائح الروح والريحان﴾ كان مولده الشريف في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنه حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف توجه الى سكتوار لحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين في سبيل الله في حلق بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى أن وصل ركابه الشريف السلطاني الى سمرد خد بقال له سرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هجوم

أوقعهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه فيما صنعوه ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل أمرا كما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكره أيضا كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف

الشتاء وتيسر فتح قلعة تكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستمر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الوزراء وأركان الدولة الى لثم الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون فى الخدمة الشريفة الخاقانية الى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى وأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل واقرار عليه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار اليه حضرته العليه وباقى الوزراء من أركان الدولة الشريفة السلطانيه وقبلوا الركاب السلطاني وهنوءه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا فى خدمة السلطنة الشريفة الى

اسطنبول غاية الامن والامن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول الى باب السراية السلطانية حصل من رعاع العسكر وغوغائهم سوء مدافعة وممانعة عن الدخول الى السراية الشريفة وطلبوا مادتهم عند تجديد السلطان فأدى الى سوء أدب من بعض جهالهم فخاطبهم المرحوم المفتى الاعظم رئيس العلماء الاعلام وكبير كبراء النواب العظام مولانا أبو السعود افندى العمادي تغمده الله تعالى بغفرانه وأسكنه فى الجنة وأفاض عليه سحائب الثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم عوائدهم وترقياتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة وصحوا من سكر الجهالة واهتدوا بعد الضلالة ودخل

حضرة السلطان الاعظم الى سرايه الشريف وجلس على تخته العالى المنيف ووفى للعسكر بما التزم لهم به حضرة الفقيه الاعظم وأفاض احسانه عليهم وأنعم وانصرف فى ذلك خزائن عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق ما لا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذا الغوغاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل النعماء وله الشكر على جميع الآلاء وله الحمد فى الآخرة والاولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان ودوام حسن النظام • ثم جهزت البشائر السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية

من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد فى الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضى الله عنها وكانت ربت النبى صلى الله عليه وسلم وهى أم على بن أبى طالب رضى الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التى جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابى مشهور رضى الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافينى فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى فعاد وقد أبصر وفى رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخارى فى تاريخه وابن ماجه والحاكم فى المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير فى هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبرانى والبيهقى ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى

فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون واستقرت الخواطر والظنون وكان سلطانا كريما رؤفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهو شاه زاده من تصل تشاريفه وكساويه فى كل عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الى احسانه وكسوته فى كل سنة وبعد أن ولى السلطنة الشريفة لم يقطع عادة احسانه واستمر يصل اليهم ذلك فى كل عام بحيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه السابق الى الآن فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طالما طافت بكعبته الآمال وصارع بأوامره الليالى والايام فأثمرت وغرس فى رياض السعادة غروس أشجار السيادة فبسقت وأثمرت وعمر بحسن نظره أرجاء البلاد فحدثت بعد الخراب وعمرت ودمر بسياسته أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت كم أظهرت سواد الكفر بصارمه البيضاء آية للناظرين وكم جهزت جيوش الجهاد فى سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين • فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس بسيف الجهاد • ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد • ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة البغاة أهل الالحاد • ومن خيراته تضعيف صدقة الحب وارساله مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكرها وذكره بطريق الاجمال لضيق المجال

﴿فتح قبرس﴾ فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام جزيرة فى البحر قال الفقيه العدل المفتى أبو عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواش وبها معدن الزاج القبرسى ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان فى البحر وقبرس على ممر الايام رخاؤها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبى شيأ كثيرا • وروى انه لما

الله عنه فجاءه البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لا للشك فى الرؤيا انما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث فى اليقظة فانه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبى صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقى لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هى توسله بالنبى صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى باسناد صحيح فى كتابه دلائل النبوة الذى قال فيه الحافظ الذهبى عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبرانى وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثانى من بنى العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوى وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضى عياض فى الشفاء وساقه باسناد صحيح

افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس اذ تركوا أمره فصار حالهم على ما ترى من السبي والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد واعظم مدينة جزيرة قبرس بوثن كان بها ان يسمى قاوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن الصفر ويجمع فيها اللاذن الحسن الرائحة الذي يغلب الورد في طيبه وهو الذي يجمع منه على الشعر خاصة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لانه أفضله وما يجمع منه مما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس وتوفيت بها وأهل قبرس يتبركون بقبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لها الله عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر في سبيل الله ففعل وهو حديث معروف وكان الاوزاعي يقول انا نرى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بأمر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصالح في حدث أحدثوه أن ذلك نقض لعهدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو اسحق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة الاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار • قلت وقد تقدم انها فتحت في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف برسباي الدقماقي وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس في أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم غير انهم أخذوا في المكر والخداع واظهار الاطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين واذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين

وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

فقتلوا الجميع من ذكر روانه في تلك السفينة لاخفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى
ان كثر اذاهم وعم ضررهم، فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتي الاسلام مولانا أبي السعود أفندي العمادي
رحمه الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان
سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا منيفا أرسلهم من الروم عمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردار الجميع حضرة الوزير
المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك
والسلاطين المخصوص بعناية رب العالمين ﴿حضرة مصطفى باشا اللالا﴾ زاده الله عزا واجلالا وسعادة
وسيادة واقبالا وأيده النصر المبين والفتح القريب اسعادا واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطاني وبرز محفوفا بالنصر الصمداني والعون الرباني ومعه عسكر جرار من كل بطل مغوار ملأوا وجه الارض برا وبحرا كأنهم قطعة نار مضطرمة أو أشد حرا آبائن سلكوا دكوا وملكوا ارابا صدقوا من الاعداء سفكوا وفتكوا ودمرت طبول النصر فكانت كنفخ الصور وانتشرت العساكر المنصورة منتشرة ليوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير مظفرا مؤيدا منصورا وسعى الى جهاد الكفار وكان سعيه مشكورا وطوى المراحل والمنازل وهو يطوي الارض طيا ويفري بسيف عزمه أديم المهامه والمناهل فريا الى ان
وصل بركابه العالي ومن معه من الجيش المنصور المتوالي الى جزيرة قبرس فأحاط بقلاعها احاطة الخاتم في
بالاصبع وفرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقلاعها وأحكموا
خنادقها وأوعروا مسالكها سهلها وجبالها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت
جبالها ورمالها وأصقاعها وبقاعها ، وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع في غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة
والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان ، وأقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران ولا توازن
أبراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس في العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازي بناء الاهرام في الاتقان والاحكام

مالك رضي الله عنه وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها واذا استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه
وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان
الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز
الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبي صلى
الله عليه وسلم لافهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى
بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان العباس حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات لان
الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بأدلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى
الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن
الحرث المتقدم وكما في توسل آدم ورواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد
وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح
التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من
الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما
تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه
كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي
الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زائدة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي
الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة
لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فلو تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف
الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت
الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة والاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة
التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين
والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا
خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا
للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق

بل تزيد عليها وتفوق لا تبالي بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة بأجلاف النصارى الابطال أهل الصيال والصراع وفيهم من الرماة من يرمي على الحدق ويحرر فلا يخطئ من الدرع الحلق وعندهم المياه والفواكه والاقوات والزرع والبساتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الارض محمية بالمدافع الكبار ترمي من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فأحاطت العساكر المنصورة السليمية بتلك البقاع والحصون وناوشوهم القتال وأذاقوهم كؤوس ريب المنون وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار وقابلهم الموحدون برمي المدافع الكبار بالاصائل والابكار فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود والبارق والليل ان ينقلب نهارا ببوارق قناديل البنادق الصواعق فحاصرهم المجاهدون في سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فحطمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم فافتتحت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهي ماغوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد في محاصرته أنواع النكد الى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر الى طلب الامان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الامان وشرط عليه أن يفلت من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطاني ليتم له التأمين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك وأطلق الاسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فأخبر بعض الاسرى أنه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه بين يديه وأهانه غاية الهوان وركب وحل غاشية السرج وأمره أن يمشي قدامه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرص دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة آرائه وتدبيره الصائب الاتم وما بلغني تفصيل ما وقع في هذه الغزوة وما أمكنني تحقيقها وأردت كثيرا افرادها بالتأليف

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادي في ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادي فانه لا تأثير له وحياة الانبياء في قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون في الكلام ويأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسند للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب في التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازي مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء أو الطبيب نفعني فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادي لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشيء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

ونذكر ما وقع فيها فلم أظفر بذلك فان أظفرني الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخا مستقلا وأسرح الخيال
الجيت المفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى ﴿وأما فتح بلاد اليمن﴾ فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كانت داخلة في الممالك
العثمانية في أيام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحف روضته
الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخاقاني على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكي مصر لما توجه الى
الهند لغزو الفرنج البرتقان في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكلربكيا واستمر كذلك في تصرف البكلربكي الذي يولى من الباب
الشريف السلطاني يتولاها واحدا بعد واحد الى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى في أعلاها في
الجبال من أعلاها الى تعز بكلربكي ويولى في التهائم وهي زبيد وسائر السواحل والبنادر بكلربكي آخر وكان هذا عين الخطا فان ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقبل عرضه في الباب العالي قصدا الى تكثير المناصب وتعديد البكلربكية فولي على اليمن وجبالها المرحوم مراد باشا وكان يقال له كور مراد لخلل كان باحدى عينيه وكان خرج من خزينة السلطانية وكان من أمراء السناجق وصار أمير الحاج الشامي ثم ولي سنجق غزة ثم أعطي نصف مملكة اليمن وولي جهة التهائم حسن باشا وهو أيضا من المماليك السلطانية بزمن الدراية السلطانية وانقسمت عساكرها وأموالها
وتحصوا لها الى نصفين وضعف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدي بعقله وسوات في
له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره فصادف انقسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان
فاظهر العصيان هو ولفيفه من العربان وجهز أميرا من أمرائه يقال له علي بن شويع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على
مراد باشا في محطة ذمار وهو غافل عن عصيانهم وكان قاصدا من تعز الى صنعاء وهي محصورة بالعربان الزيديين فعدموا علف
الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلما أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد به هذا الامر
وفطن بعصيان العربان رجع مراد باشا الى تعز وسلك وادي خبان وهو محل وعر بين جبلين عاليين في غاية الوعورة والصعوبة

المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة
ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل
المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى
اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف
يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام
أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة بل قال
بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على
ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فالالائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ
الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن
يقول المتوسل اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك
الصالحين ان تفعل بي كذا وكذا لا أنهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين
الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل
قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن
يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن يناديه باسمه وقياسا على ذلك
لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا
من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على
سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى
فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا
يقتضي منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فلا
وجه كونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب
والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه والمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة
التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء حيث
قال روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة
رضي الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى
لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من
الشحم فسمي عام الفتق قال العلامة المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة

عسير المسالك كثير المهالك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأت فقهما كالجراد المنتشر رموهم بالاحجار والصخور الكبار والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون في ذلك الماء وقد ازدحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجمال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم نجدة ولا لخيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستداروا القتل وقتل منهم من لا أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون نفرا سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم عريانا في اللباس وسائر بدنه مكشوفا وأوى الى مسجد يقال له مضرح وعيون المنايا تسرح اليهم وتطمح فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثار قديم عند الاروام كان سنان باشا صلب أباه لما افتتح عدن فصاح وا ثاراه وقتل مراد باشا وأرسل رأسه الى المطهر وقيد الامراء وقد مهم الى المطهر ولم يقتلهم بل حبسهم في مطامير تحت الارض ومات بعضهم من الضيق والضنك وخلص من له بقية عمر بعد ذلك واستمر أمر المطهر يأخذ حصون جبال اليمن الى أن أخذوا صنعاء وتعز وحصون حب وعدن وعجزوا عن أخذ زبيد حماها الله بالاولياء والصلحاء وبها تشير ذمة قليلة من الاروام مع حسن بإشاعة ظلمه وغشمه لاهل زبيد ومصادرته لكل زبيد ووصل لاخذها علي بن شويع ومعه فوق خمسين ألف مقاتل وحل خارج زبيد فخرج اليه بقية العسكر السلطاني وهم نحو مائتي فارس وبرزوا القتال هذا الجم الغفير وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وحملوا على علي بن شويع وقد ألقوا بأنفسهم الى التهلكة فزلت قدمه وبرهانا وسقط من فرسه في هروبه ولحقه جماعة من الاسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا بنفسه لاخفاء الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم من غير أن يرى شخص فنصر الله المؤمنين على أولئك الملحدين في الدين وقتل منهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وغنمت العساكر وطاقهم وأحمالهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد كأنما عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في اليمن برزت الاوامر السلطانية الشريفة الى بكلربكي مصر يومئذ الوزير المعظم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الامم فاتح ممالك اليمن الاعز من كوكبان الى عدن وفاتح قلاع حلق الواد وآخذ بلاد تونس الغرب ودافع الكفر عنها والمحن ليث

في أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودي وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هنالك وليس القصد الا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفي رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفرا ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي في الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه

هو بن الوطيس افترسا وأشدهم بأساو باشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود والدين الحنيفي انعاشا وأيد بنصره أهل السنة السنية وفرش الارض بعدله فراشا فانه أسد ضرغام وليث قمقام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود والاكرام جواد بذول لم ينص الهلال الا ليكون نعلا في حافر جواده ولا مدت الثريا كف الخضيب الا لتمسك بذيل افضاله وامداده ولافغرت الروى أفواهها الا لتنطق بمدحه ألسنة الاقلام ولا حبرا الحبر بياض الطروس الا ليشير أن الليالي والايام له من جملة الخدام طالما طوق الاعناق أطواقا من الافضال والانعام كأنها أطواق الحمام وكثيرا ما أحسن الى العلماء والصلحاء من جيران بلد الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وكنت ممن شملني بره وانعامه ووصل الي في أكثر الايام احسانه واكرامه فخلدت ذكر محاسنه في صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته في صفحات الاوراق لا يخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر وكنت باسمه الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليماني ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردي وطائفة الجراكسة ثم اللوند الى زمن الفتح العثماني على يد أبي زيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين على جيوش مطهر ابن شرف الدين ثم الفتح العثماني ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمي الطنان صارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها ههنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان تسابق أفراس الرهان بعد كل بيت منها بديوان وتسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان وهي هذه

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر ٭ على عزة الاسلام والفتح والنصر

كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ٭ به الهمم العليا الى شرف الذكر

جنود رمت في كوكبان خيامها ٭ وآخرها بالنيل من شاطئ مصر

يجرّ من الابطال كل غضنفر ٭ بصارمه يسطو على مفرق الدهر

عساكر سلطان الزمان مليكنا ٭ خليفة هذا العصر في البر والبحر

حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا ٭ وبيض المواضي والمثقفة السمر

له في سرير الملك أصل مؤثل ٭ تلقاه عن أسلافه السادة الغر

يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفي الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فرد وبما رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبي حنيفة أيضا ورد قول الكرماني انه يستقبل القبلة وقال ليس بشيء قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بانا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم زائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفق في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل

القبر

ملوك تسامو العلا وخلائف ● أولو العزم في أزمانهم وأولو الامر ● شموس تفيض النور عمو غياهبا ● من الكفر منهم يستمد ضيا البدر
هم ملؤا عين الزمان وقلبه ● فقرت عيون العالمين من البشر ● هم العقد من اعلى اللآلى منظما ● وسلطاننا في الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم ● سليم كريم أصله طيب الفخر ● عماد ملوذ المسلمون بظله ● وسد منيع للانام من الكفر
وحين أتاه ان قد اختل جانب ● من اليمن الاقصى أصر على القهر ● وساق لها جيشا خميسا عرمرما ● يدك جبال الارض في السهل والوعر
لهم أسد شاكى السلاح عرينه ● طوال الرماح السمهرية والبتر ● وزير عظيم الشان ثاقب رأيه ● يجهز في آن جيوشا من الفكر
بقوم باعباء الوزارة قومه ● يسد جيوش الدين بالايد والازر ● أباد له بالناس كاسرة العدا ●

ولكنها بالجود جابرة الكسر
به أمن الله البلاد وطمن العباد وأقصى الدين منشرح الصدر
سنان عزيز القدر يوسف عصره
ألمزه في مصر أحكامه تجرى
تدل الى أقصى البلاد بجيشه ●
ومهد ملكا قد غرق بالنشر
وشتت شمل المحدين وردهم
مثال قرود في الجبال من الذعر
وقطع روسا من كار رؤسهم
اتهم باطن السرحان والطير كالقبر ●
وكان عصى موسى تلقف كلما
مدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا
ولا برحوا في الذل بالقتل والاسر
وما عن الامصار الا تبع

وناهيك من ملك قديم ومن فخر ● وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت ● بنو طاهر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدى في ملك تبع ● ويأخذه من آل عثمان بالمكر ● أبى الله والاسلام والسيف والقنا ● وسمر أمير المؤمنين أبي بكر
﴿ولما تم الفتح الخاقانى العثمانى فى القطر اليمانى﴾ عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام وأثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام ● فمن آثاره الخاصة به فى المسجد الحرام ● تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة

القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول فى التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ما ذكره الالوسى فى تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكى نصوص المذاهب الاربعة فى استحباب التوسل فى كتابه المسمى شفاء السقام فى زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفى المواهب اللدنية للامام القسطلانى وقف اعرابى على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعنى من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقانى البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ● فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدى أولى بذا كرما ● قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودى يا هذا ما أذناك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغى وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله يا محمد للنهى عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبى فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروى عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقانى فى شرح المواهب اسمه محمد ابن اسمعيل بن مسلم الديلى مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبى فديك رواه عنه البيهقى وفى شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللهم انى أستشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه فى حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

انبعث فى عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة فى الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه وابس به على المؤمنين قال فى المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا • ونجى فى بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره • ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال فى المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته أكثر من ان يحصى أو يدرك باستقصا قال وفى كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر فى المواهب كثيرا من البركات التى حصلت له ببركة توسله بالنبى صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن أنس رضى الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها • وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

الى أن قال فى تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا • وأين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابى الابيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفى صحيح البخارى انه لما جاء الاعرابى وشكى للنبى صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان فى ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبى طالب من جملة قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فاغيث ودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فانشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال فى

الجوهر

بالحصى يدور بها دور حجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به فى أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص بذكره الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات • ومنها تعمير سبيل فى التنعيم أنشأها وأمر باجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجرى الماء منها الى السبيل فى ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يسقى من البئر ويصب فى الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه ويتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقاف له بمصر • ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة للقوافل الزوار فى وادى مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا • ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين لكل قارئ جزاء فى كل سنة تسعة دنانير ذهبا وكذلك لمفرق الاجزاء والداعى ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه التى من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبى عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضى حسين الحسينى أدام الله عزه واقباله وضاعف سعادته واجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى • وأما حادث الواد وبلاد تونس الغرب فهى من أجل الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة فى أيام السلطان الاعظم العثمانى السلطان سليم خان الثانى رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم • وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج ويأتى بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من فى تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون أولادهم ونساءهم ويبنون القلاع فى تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوى حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم

وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد أو وضع العادين
من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها
المراكب والاغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهبا وسلبا الى أن تعدى ضررهم على
طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الانام • وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من
جزيرة الاندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونها العوام اسبانية
تحريفا لكلمة اشبيلية جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس ودلس

على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي فاذله الله على سوء فعله بما يستحقه وأخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الاولاد والنساء والاطفال وباء أحمد المذكور باثمه واسود في صحائف الليالي والايام ديباجة وجهه واسمه وانقلب خاسئا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وازداد خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان بملة الكفر على الاسلام واستعد بعبدة الصليب والاصنام بتنصرهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وامتهن دار الاسلام تونس باقدام أولئك الكفرة اللئام والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانتشرت هذه الاخبار
المدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى أن وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الانام مالك
صهوة الملك من الذروة الى الغارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة
والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة
والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق مسمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما أصاب أهل
الاسلام من هذه المصائب العظام والامتحان الذي قصم الظهور وأوهن العظام استشاط سخطا وغضبا واضطرمت نار حميته
وتأججت لهبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر
القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا
بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في
خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته
وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري
في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بأرجى عمل له
فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من
النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذا توسل به انما يريد نبوته التي جمعت
الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا
فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا الوسيلة هي ذلك
فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم
باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في
الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم
من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب
العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج
المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله
تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها
ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها

فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل • وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا
من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى
الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

وهدد وأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكلربكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام وإذلال عبدة
الاصنام وينقذ من أسر من المسلمين بيد أولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير
المعظم والليث الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الاعز المكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألوية نصره
منشورة الذوائب مشرقة كالشمس يغشى ضوؤها المشارق والمغارب صاعدة الى أفق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب
وقال أنا لسد الثلمة أنا لها أفرج كربتها وأفتح مقفلها وأصلح خللها وأزيل عللها ولم تدخرنا السلطنة الشريفة الخاقانية ومارتبتنا
العواطف الكريمة العثمانية (٢٥٢) الا لبذل أرواحنا وأموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون
به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسآمته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفن الحربية قابودان الباب العالي فارس ميدان البحر السابق الى قلة أبراج المعالي الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الامراء العظام حضرة قلج علي قابودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشا فشرعا في أخذ أسباب السفر وأخذا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل أسد غضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر
وممن له في حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وشحنوا مائتي وما
غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المونات الكبار لحمل الاثقال ودفع
الاحمال الثقال وحمل مكاحل النحاس لحطم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة
القوة والباس . وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أظهرت يمنا وبركة
وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقبودان
والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر أقوى طيران

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكن بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها وأنت رجاؤنا ومع تلك المرتبة الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليها أحد
قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب
الامام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان
يتوسل بالامام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى
به في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن
الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام
الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام
الغزالي وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان
الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي * وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الأحباب في ترجمة الامام
أبي عيسى الترمذي صاحب السنن انه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه
عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن وأخيه
وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك
ان تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك
دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما
فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل
لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للنووي ان النبي
صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار قال في شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم
في قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع
وفي شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخيار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك

ته الفراء وقالوا اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى مالوكلبسا من مملكة البندقية ووصلوا في يوم الخميس مصبحين من شهر ربيع الاول كيمان اتخير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شيء قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم في اليوم الثامن جبال فلاوريه واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصارى وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت أرجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجية ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله في جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كتخداي القابودان سنجق قره جه ايلي محمد بك نزل من سفينته مشتاقا الى الجهاد في سبيل الله فأصابته بندقة في خده نفذت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش ثلاثة أيام ونالت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفائنهم للمسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا في اليوم الرابع عشر الى جزيرة مسينة استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سراقول حصلت فرتونة في البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محل يقال له كير ثم مروا بقال ابان فخوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة أولا ووصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا ينزلون كل يوم لاجل السقية الى جانب من ساحل صقلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر طائفة الكفار بادروا اليه وأخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل

وما أحبوك حتى أحببتهم فصبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

•(ذكر دعاء تنوير البصر)•

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الامر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها قال في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجيء السنة لبيان الحقيقة ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب

العادي الذي لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار التكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثني يا الله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار التكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه ما مر في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله استغاثوا بآدم فان الاسناد مجازي اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلى الله عليه وسلم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي والى موسى عليه السلام مجازي وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو حي صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور وفيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك أي ادع الله لهم فعلم انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدي الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فان التوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم باعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيري حيث قال

فصار واعسكرا وأقدموا على قتال من ينزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكروجية وبعض من في نيته الجهاد في سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم أطلق المسلمون النار في تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وعجلوا بأهلها الى نار جهنم وساءت مصيرا ٭ وفي اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة لبعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان آخذها فالا حسنا للمسلمين ٭ وفي اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهود اوامى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب في قرب تونس قريبا من قالبية بورقي وهي على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فزينت السفائن والاغربة بالرايات المصبوغة ألوانا اظهارا لهيبة الاسلام وعنوانا للعساكر المنصورة وأرسوا في اليوم الرابع والعشرين في جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصب وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل اليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار التي اذا رمى بها تزلزل الجبال وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطمها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون الاتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون خنادق فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر المنصورة بقلعة المتحصنات والمدافع ووجهت لصوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوفا بنصر الله يخوض حول الموت وهو رابط محتسبا نفسه في سبيل الله معتمدا على عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلاظ أكبادها من أشد الصواعق وأخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ما صادفت من النفوس والارواح وتغرق ما صادمت من الهياكل والاشباح وتفصل اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال

على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلربكى تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السليمية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكلربكى طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر الى مقدار نصف يوم من تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكلربكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد واشتغال العسكر المنصور السلطانى بالجهاد وصلا الى الحلفية مع قليل من الغلمان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتماعا به وفرح كل منهما كمال الفرح وحصل له الاطمئنان وطلبا منه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو ألف نفر مع التفكجية وبعض المدافع الكبار والضربزانات أن يتوجهوا مع البكلربكيين من السناجق فخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق بحر وسعد وسنجق فرستى محمود بك وسنجق قره حصار بالى بك ومقدار ألفى نفر من طائفة كوكلوا مع أغاهم حبيب بك فتوجهوا فى الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا وأحاطوا بتونس وكان سلطانها المؤانس مع النصارى أحمد الحفصى ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لسعتها ورأوا ان قلعتها أيضا خراب متهدمة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى مرحلة بقربها يقال لها قوملودكر يعنى بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب حشوه بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما خلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم فى قلعتهم التى أحدثوها وأحكموها بالاخشاب والالواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم اقاودان المعظم والبكلربكى المفخم قلج على فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكلربكى تونس حيدر باشا وبكلربكى طرابلس الغرب

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن فى ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثانى افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شئ من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ فى تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشئ من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد فى كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى لانها سبب فى الزيادة والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع فى اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلى لانها سبب فى حصول الاضلال والهادى والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لى صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلى لانه سبب آمر فهو يأمر ولا يبنى بنفسه والبانى اغا هم الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقى والمجازى فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موحد كاف فى حمله على اسناد المجاز لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواه لا لحى ولا لميت فهذا

مصطفى باشا ومن جهز معهما من العساكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التى تحصنوا بها الكفار الاشقياء والعربان المرتدون فرأى قلج على باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعددا ومدافع أخر من الوزير المعظم سنان باشا فارسل له ألف ينكجرى وصمصونجى اشى ومن سلحدارية الباب العالى على أغا وجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقابودان قلج على باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس فى غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس فى جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد فى ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى فى أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جأشهم وعين فى كل موضع طائفة وأشار على القبودان والبكلربكية بما رأى فيه الصواب وطمنهم وشدد قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه فى هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم قادمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلى الاعلى • ووصل فى هذا الاثناء فى بكلربكى الجزائر سابقا أمير الامراء العظام أحمد باشا لاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد فى الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وألقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا وصلوا به الى موضع كان كمركخانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الارض وملؤه من الرجال وآلات الحرب ففطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذى فيه حضرة الوزير

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع فى الاشراك وأما الفرق بين الحى والميت مع اعتقاد ان الحى يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلى ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفى حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج فى المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال

فتوجه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من النصارى المخذولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذى وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء ماء البحر فتشاور الوزير مع الأمراء وأصحاب الرأى فى ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب ويبنى عليه المتاريس فأمر الوزير المذكور وسائر العسكر بذلك فشرعوا فى نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييد الملة المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الامراء ذلك فبادروا بانفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فهموا غاية الاهتمام وأقدموا نهاية الاقدام وحملوا التراب كأمثال الهضاب ورموا به فى الخندق الى ان امتلأ فارتفع وزاد فى الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك الى أن اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط قلعة الكفار وتفتاهم وتحرقهم بالنار وتسوقهم الى جهنم وبئس القرار ووصل رمضان باشا ومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم وطلب منه خدمة يؤديها فأرسله بمن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التى بقرب تونس فتوجه اليها ونزل فى جهة من جهاتها واحاط بها مع من هناك من البكلار بكية والأمراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر حضرة الوزير فى محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والأمراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم وبئس القرار وغير ذلك واستولوا على صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أسرى سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصى وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل

فى كتابه العزيز من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبى صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة الصريحة فى حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فكل من مات مؤمنا فانه يدخل فى شفاعته صلى الله عليه وسلم فهى ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها والطالب للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل فى ذلك مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم فى المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذى يباح به الدم والمال ولا مستند لهم فى ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة فى بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس فى الدين وتضليل لاكثر الموحدين فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه فالذى يوقع فى الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد فى كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحى والميت فانهما مستويان فى ان كلا منهما لا تأثير له فى شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذى هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وسأذكر لك كثيرا من الاحاديث والآثار التى جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

الاسلام والمؤمنين واستبشروا بهذا النصر والفتح المبين فانه يعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التي أحكمها اللئام وأقواها في المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام • ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المذكورة بنتها النصارى في سنة ست وثلاثين وتسعمائة وكملوا استحكامها في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا في ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعدد السنين التي أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة • ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة جدواها لبعدها عن الباب العالي وطول مداها ورأى ان الأولى هدمها وتخريبها فهدموها حجرا حجرا وتركوها خبرا لا أثرا وأعملت المعاول في رأسها الى أن وصلوا الى أساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدى لاصباح يوم أو صدى ولم يبق بها أنيس الا اليعافير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالي الى جهة الباب الشريف العالي والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعو بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلد ملكه على الدوام

وهذا دعاء لا يرد لانه يزان به كل الورى والممالك تراه بلا شك أجيب لانه • اذا ما دعونا أمنته الملائك وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الخوافق مايدب وعلا أرايات الفرح أقطار المغارب والمشارق وكوكب الصبح نجاب على يده • مخلق غلا الدنيا بشاره ثم لما فرغ حضرة الوزير من مأربه من حلق الواد وفعل في تلك الوهاد والمهاد والاوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة الى تونس لتطمن طلعته الغراء من بها من المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون في أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله العسكر بكليه الذين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوي جأشهم على قتال المشركين كيف وقد نشؤا على الطعان والقراع كانشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضرارة الأسود والسباع بما افترسه من

كثير من ذلك فلا بأس باعادته فمنها حديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف رضي الله عنه فان فيه يا محمد اني أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضي الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقي لامته والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور في كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهي أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يا رسول الله اني جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وصح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه وصح أيضا ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه وفي الشفاء للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء في التشهد الذي يأتي به المسلم في كل صلاة وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربي وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء في آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا واذا أضل شيأ أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لا تراهم اهـ قال العلامة ابن حجر في حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي

﴿دعاء يؤتى به في السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر

الصيد وهن جياع وحل باقدامه حضرة الوزير المعظم على من في القلعة حلة الاسد الغشمشم وسابقت العساكر المنصورة الى استئصال أعداء الدين سبق السيل العطمطم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا في سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله في دار السلام واستمر عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزام وحد السيف والحسام الى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها ووضعوا السيف في الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مغافل من فرقه الى قدمه في سابغات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلى القلعة الى أسفلها وهم زهاء خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم في الرمل وهربوا فقد رمية سهم أو سهمين وشرعوا في التترس بأتربة ورمل أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقي في القلعة ونهب الأمتعة والاسلاب فوجدوا بها أخشابا وألواحا أعدها الكفار لاتقان القلعة واحكامها وبارودا كثيرا ومدافع ولبوسا وآلات الحرب وبكسماطا كثيرا لازوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء وعلمهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية عن اتمامها واتقان استحكامها ولو تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم في ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة اتقانا قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطائفة أيما خذلان بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الجيش العرمرم في هذا العام قبل استيفاء استحكام القلعة غاية الاحكام وكان ذلك بيمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الاعظم ولطف تدبيراته العلية ورقة آرائه الثاقبة الجلية ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا في عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه في الوجه والناب في الناب والسيوف المسلولة من القراب تغوص في الرقاب والخناجر تدق في اللبات والمناحر حتى سالت الدماء كالسيل العباب [illegible] ان أنبت كافور تلك الرمال شقيقا وصير أحجار الفلا عقيقا وضرب النقع في السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم

ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وذكر الفقهاء في آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح انه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبله ثانيا وقال واصفياه ثم قبله ثالثا وقال واخليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الاحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعي هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للعالم بموته تأسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة قالت في مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

الصاغرون وصب من دماء أولئك الارجاس ما نجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا وشكر المسلمون الله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام الى كافة الانام وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرا منصورا غانما مسرورا مثابا مأجورا وغنمت العساكر المنصورة السلطانية والجيوش الموفرة الايمانية ما يكل عن حصره أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الاساطير وجهزت البشائر الى الابواب الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانية وتطايرت أخبار البشارة الى سائر المسلمين فى الآفاق تخفق على الخافقين أجنحة السرور والبشر الخفاق ما بين حدود الغرب والاشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لكان البلاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الافخم السلطان سليم خان لو لم يهتم بدفع هؤلاء الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها وحصارها غاية الاحكام وكانت تزيد عن الاسلام عربان المغرب وتتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلغهم الله المرام وأنزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم وفرق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك والله تعالى يشكر لنا يد الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والايادى الحسان ويجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا دائم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الاعظم العالى الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان * وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل فى القلاع الثلاث من الكفرة الخباث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازى عشرة آلاف غاز فمن عين أمراء السناجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه لطفى مصطفى بك وسنجق ملكة مسعد لو برويز بك وسنجق برك مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخانة بايزيد وسنجق اسكندرة *

فى الميت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضى الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربى لا اله الا هو رب العرش العظيم ففى التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم فى القليب مشهور رواه البخارى وأصحاب السنن وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضى دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ قام على ثبوته البراهين وفى الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط فى ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى صاحب حواشى شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله فى الرسالة التى رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فانى أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـ والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة فى كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بخصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس فى انتسابه للمذهب

صفر بلغوكتخدا البنكجرية فرهاد ورأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الامان لطائفة من الكفار رأى فى ذلك مصلحة توازى زهاء مائتى نفر بر زوا فى أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مهمة كان يريد الاطلاع عليها منها أن عندهم من المعلمين الاستاذين فى عمل الطوب الكبار الذى يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتى نفر وخمسة أنفار ممن لا نظير لهم فى هذه الصناعة فأمنهم وطلبهم وأخذ خاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويعملوه مدافع كبارا ويعمل لهم علوفة ويوضع فى أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويستخدمهم فى الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وظافر حضرة الوزير المعظم فى قلعة حلق الواد وقلعتى تونس بمائتى مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليه العمائر فى كل حين ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير أنعم على من فى ركابه الشريف من الامراء والكبراء والبكلربكية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وبلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة فى المأمول والمسؤل وذلك فى مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وجاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بأنواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع فى كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد

لمذهب الامام أحمد رضى الله عنه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وجاء فى فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبرى كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطنى وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من زار قبرى وجبت له شفاعتى وفى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية لابن منده من زارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وفى رواية لابن عدى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافى لا أنه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفى رواية للدارقطنى من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد فى رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها وفى هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان بمرأى من التوفيق ومسمع وبمجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم ينتدب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد ومسرورا كلا منهم لم يأذن لاحد من أتباعه فى الحج

﴿ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥﴾

فلما تولى مولانا الشريف غالب استأذنوه فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ما أمكنه حتى عجز فجزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التى كانت بينه وبين هذه الطائفة فانها تنوف عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الامراء والبكلربكية بالعود الى أوطانهم وأما كن حكومتهم مجللين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني فقوبل بأنواع البشر والتهاني وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه السلطنة بعين القرب والتداني وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسرواني وقبل كل ماعرضه حضرة الوزير المعظم (٢٦٢) المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اصطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله في منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم وميمون غرته وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهد في سبيل الله ويطلبون الدعاء منه ومن معه من المجاهدين الغزاة والاسارى من النصارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين في الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفائن العمارة وأغربتها الى الاستانة مزينة مزخرفة بالبيارق والسناجق تخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان فلا تسمع الناس مقالها وعساكر الباب السلطاني وردت صفوفا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد عبد آلوفا بعد ألوف ودخل أيضا القابودان المعظم المجاهد الاكرم الافخم حضرة قلج علي باشا المكرم لازال في حرب البحر مظفرا منصورا مسعود التقدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية مايتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ماحازوه من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل في صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي

﴿الغزوة الاولى﴾

فاول غزوة كانت في سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فساروا بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل ويملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عرية الدسم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك ضرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها ماسكة فهرب أهلها فصيرها ملكه ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى اثلة ثم الى قرية وضاح فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكبريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكانت أهلها في حصن حصين فحاصرهم اياما ثم انتقل عنها لان المدة طالت وسئم من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزوة الاولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن المارقين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات

﴿الغزوة الثانية﴾

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية فهي ان سيدنا الشريف غالبا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الاولى شمر عن ساعد الجد وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى اناخ على الشعراء وهي قرية محصنة فاحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقنبرة والمدفع والحرب يزداد كل يوم ثم طلب أهلها الامان فأمنهم وأراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء واما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فانهم قابلوا مولانا الشريف غالبا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة

﴿الغزوة الثالثة﴾

كانت في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد

والايام ويحمى بحمايتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقى سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا ادار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد تلحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ولقد حكت علماء أئمة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها الا ارسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضى الله عنه في المرتدين وسيف القصاص بين المسلمين وأقول وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفي عقبهم الى يوم القيامة ان شاء

الله تعالى اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم من اول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن يجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويقيمون شرائع شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ويؤيد بهم أهل السنة ويقمع بهم كادة الملحدين وهذا دعاء يجب أن يدعو به طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لاهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع جادرة الالحاد وقمع جميع أرباب البغي والفساد ﴿فصل فيما جدد المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان﴾ وذلك في أول سلطنته الشريفة أمر لاهل الحرمين الشريفين أن يزاد لهم سبعة آلاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الانبار الخاصة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع في سفائن الدشائش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر جدة والى ينبع وتوزع على الفقراء وكان بروز أمره الشريف العالي ان يضاف ثلاثة آلاف اردب الى الدشيشة العامرة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بينبع العاجزين فيها عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على

عبد العزيز لقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود فوصل بها الى تربة ثم الى رنيه ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وخلعوا طاعة عبد العزيز وسبب أن انهم سيعودون الى طاعته ثانيا واقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة

﴿ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف وكواخي البلكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧﴾

وفي سنة سبع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي على البلكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفي هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسن ابن عبد الله الجودي والسيد حسينا مفتي المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه

﴿الغزوة الرابعة﴾

كانت في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك الغزوة أيضا على من دخلوا في طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزوة عثمان المضايفي فصبح جماعة ابن قحيان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هضيمة وانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قحيان وطلع الفجر وجاء صال ابن قحيان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فتمنع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفي سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

﴿ذكر السيل الذي كان بمكة سنة ١٢٠٨﴾

وفي شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذي خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور

﴿الغزوة الخامسة﴾

في شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة فيه هادي بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل في دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أخذ به

التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة اردب على فقراء جدة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لاداء حج الفرض والنفل وذلك مقصد جميل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم فى كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جميلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى فى الدرجات الآخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها أيضا ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاهزاده قبل أن يلى السلطنة العظمى فانه كان يرسل ألف دينار ذهبا توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لأداء الحج الشريف فى كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم فلما ولى السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطانى كان يرسل لهم عوائدهم السابقة فى كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا فى القدس الشريف وفى الشام وفى حلب وفى مصر بجامع الازهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بنى فى بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى

﴿فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكى فى أيامه رحمه الله تعالى﴾ اعلم ان عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشراف أكابر السلاطين العظماء وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيها فى أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الافخم خليفة الله فى أرضه القائم باقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بنى عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان أمطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل ومن

وفر هاربا فقصد الشريف عبد المعين رنية بمن معه من العربان وكان فى رنية من تبع ابن سعود ابن قطنان فحصره فى قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده فى القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل قاصدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منها موضع يقال له بريم ثم قصد بيشة وغزا على موضع يقال له سياح الخيل نزل به أناس دخلوا فى دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فاما مطير فجاءهم نذير فارتحلوا وأما هتيم فصكهم صكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة فى ثامن رجب الاصم من العام المذكور فهذه غزوة مشتملة على غزوات

﴿الغزية السادسة﴾

كانت فى شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف غالب غزية من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره بقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا فى دين ابن سعود فغزاهم وتنقل فى مواضع كثيرة منها الشامية عدا فيها على آل روق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذ لهم قطائع من الابل ورجع سالما

﴿الغزية السابعة﴾

كانت فى الثالث من شهر ربيع الثانى من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد وأمره بقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أولا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه البقوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنو هاجر على رأس شينان وقبض وهو فى ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادى بن قرملة فقطع رؤس اثنين منهم واخبره الثالث بموضع القوم مخافة ان يقتله فعفا عنه وارتحل واجد فى السير بمن معه وفى اليوم الثانى وصل الى الموضع الذى فيه هادى ابن قرملة فادار عليه الرحى وأخذه أخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة وانهزم من بقى من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قحطان ومعه كثير من الابل فاغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الا من فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قحطان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ٢

قبرهما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية فى عقبهما الى يوم الحشر والميزان الى أن يعود القارظان كلاهما • ويحشر فى القتلى كليب لوائد ﴿وسبب الامر الشريف﴾ بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار مدرسة الافضلية التى هى الآن من أوقاف المرحوم ابن عباد الله فى شرقى المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا بيّنا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون المحل الذى قد فارق خشب السقف اما بتبديل خشب السقف بأطول منه أو نحو ذلك من العلاج

ومن جياد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصلهم الى رنية وأمر بقطع خصائهم ثم رجع الى القرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذ ذاك بالطائف

﴿الغزوة الثامنة﴾

كانت فى الحادى عشر من شوال سنة عشر أيضا جهز جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا لما سمعوا بهذا الغزو فابق رنية فى تربة أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالب فى الرجوع وأذن له فرجع فوجد مستقبله فى الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

•(الغزوة التاسعة)•

كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ بعران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشماس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراحل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشى البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة

•(الغزوة العاشرة)•

كانت فى ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فتوجه بمن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيد حسن بن غالب فأغار على أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكشب وأغار على قوم من حرب دخلوا فى دين الوهابى وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الجيلانى أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد بمن معه الى الحناكية وهى قريبة من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بنى حسين أهل السويرقية ثم انتقل الى موضع يقال له صلبة وغزا بمن معه على هادى بن قرملة بموضع يقال له الذفرة فصكهم صكة أى صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ فرس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صلبة ثم أراد غزوا آخر

وأما الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد فرسوه بأخشاب كبار حفروا لها فى المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى متماسكا على الاسلوب فى أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أخبر بميلان الرواق المذكور وعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قببا دائرة بأروقة المسجد الحرام ليأمن من التآكل فان خشب السقف كان متآكلا من جانب طرفيه بطول العهد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه

بخشب أخرى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه • وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب لتمكنها ودفع مواد الضرر عنها وصلت أحكام شريفة سلطانية الى بكلربكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستحفظين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخير والصلاح فأمر البكلربكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها واشتغالهم بأمور دنياهم والتوغل فيما

يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة * وكان من جملة الامراء الحافظين بمصر كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكلر بكى مصر سابقا فخر الامراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك بارك الله فيه وفى ذويه وأناله من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب المعدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة وان السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى فى دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للامير أحمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف الى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشأنه وتوفير القدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه أخذ فى أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهتما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكانت الاوامر الشريفة السلطانية للمتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الانام بدر الملة والدين حسين الحسينى خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق حزمه على مناطق عزمه وقام فى ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظر والامير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله فى الوفاق والشر جميعه فى الشقاق ولم يكن الرفق فى شئ الا زانه ولم يكن العنف فى أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله رفق الله تعالى به وأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويش الديوان العالى وهو انسان من أهل الخير

فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة

(الغزوة الحادية عشرة)

كانت فى العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يغزوا اهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما مما هم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه انهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفى هذه السنة أعنى سنة احدى عشرة توفى السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى ودفن فى قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور فى قبره وفى شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بنى عمرو وأهل القاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن الغزوات المتعلقة بالوهابى

(ذكر الحريق الذى فى دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)

وفى سابع عشر محرم من سنة اثنتى عشرة حرقت دار بباب القطبى لاولاد الشريف سرور وفيها من الادباش ما تضيق عنه السطور وهى خراب الى يومنا هذا وفى سنة اثنتى عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا الى ذلك ولم يكترثوا به فما زال قائما بدفاعهم وحده

(الغزوة الثانية عشرة)

كانت فى الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب فى عرق الدمم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما

(الغزوة الثالثة عشرة)

كانت فى الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنتى عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فأغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا فى موضع يقال له العلم فأخذ مراحهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابيين خارجين ببضاعة اشتروها من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم فى الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش

آخر

عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأى منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والامين والمعمار على الشروع فى هدم مايجب هدمه الى أن يوصل الى الاساس فشرع أولا فى اكمال الدبل المستقل لاجراء عين عرفات وبناء من جهة المدعى ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير واكمله الى منتهاه وبنى قبة فى الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب فى جداره برابيز من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى الابطح فى قبلى بستان بيرم خواجه الصاير الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين طاب ثراها وبنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ فى انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة فانعمت على الامير المشار اليه بسبعين ألف عثمانى زيدا فى علوفته فى مقابلة هذه الخدمة ثم شرع فى تجديد أروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة وأخذت المعاول تعمل فى رأس شرفات المسجد وطبطاب سقفه الى أن ينكشف السقف فتنزل أخشابه الى الارض وتجمع فى صحن المسجد الشريف وتنظف الارض من نقض البناء وأتربته ويحمل على الدواب ويرمى فى أسفل مكة فى ناحية جبل الفلق ثم تمام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمر وافى هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب على الى باب السلام وهو الجانب الشرقى من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا فى الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاساطين وانه على تلك القاعدة فشرع أولا فى موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور فى هذا الخير العظيم وقرئت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء

آخر فى جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرمطة فتكون هذه

(الغزوة الرابعة عشرة)

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة بتلك الجنود وارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابى جمع لهم جموعا لا طاقة لهم بقتالها فأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهى

(الغزوة الخامسة عشرة ويقال انها غزوة الخرمة التى كان فيها الوقعة العظمى)

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت فى الحادى عشر من شعبان سنة اثنتى عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جموعا عظيمة من ابطال الرجال وادخر الخزائن كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادى العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة فى القنصلية ووقع فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فاطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وسالمهم ثم ارتحل الى بيشة فاقربها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أتى فيها رتبة وارتحل الى الخرمة فبادها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففى بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لؤى وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر فاتهمه ولم يصدقه ظنا انه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال فوقع القتال بينه وبينهم فكانت هنالك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين مايزيد عن الالفين وقتل من أغلب بدو الاشراف نيف وأربعون شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انقضاء القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذى القعدة وفى شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة وأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمى وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال

(ذكر الصلح سنة ١٢١٣)

وفى غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التى تحت طاعة مولانا

الحسن في المبدا والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها اذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الاربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخر تبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام ليكون متحملها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صنف من أساطين الاروقة الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي أول ركن من الرواق الاول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسي ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشميسي وعلى هذا المنوال الى آخر هذا

الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبنيت القبب على تلك الدعائم والاساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط مستو وأزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة الى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهي حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صغار تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة مسافة ما دون ليلة فكان في ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الاساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت تبنى بجوانبه الاربعة لان الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل من أمرائه الامير سيف الظاهري الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الابيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الاخر الآن وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث أساطين من الرخام الابيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الاصفر الشميسي وذلك في غالب الاروقة من الجوانب الاربعة من المسجد الشريف

الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والخواو وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شان وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل أميره علي بيك كتخدا الوزير المذكور فجاء العرضي وأحاط بهم وحصرهم أشد الحصار فضاقوا وأذعنوا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا فوسطوا وسائط أفسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب علي بيك نجائب الدهري ولم يطب له القعود وفر هاربا فتبدد شمل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيئا لانهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

﴿ذكر حج سعود سنة ١٢١٤﴾

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كامثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لها بالابطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة ومعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بجنابه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالابراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج ورتب جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود بجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فما زال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الجري الى مكة وفي كل ناحية وسكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد ما حصل

كلها قائمة على أقدامها بغاية الاحكام كأنها صفوف واقفة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاتها الاربع وهي أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وتطول

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الامير أحمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه في غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضر بحاله بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بماله مع كمال الدقة في الاموال السلطانية والحرص على حفظها وعدم التبذير فيها وأما مال نفسه فيوسع به على الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس في جميع المهام والمشي في تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستجلاب رضاهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فأحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تحمله ولطفه ولقد جاءني الى منزلي متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبة في الله أحبه الله لا لأمر يناله مني فانه أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وتخلقه وتأنسه بالاوصاف الجميلة وتحققه فلا جرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية في حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات فالله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده في أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وحصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه في الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه في عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور

ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ شمائل كاتبهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذة أبي بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من الذخائر ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ شمائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في واديهم ثم أضرم النار في واديهم ثم عاد الى القنفذة

﴿الغزوة السادسة عشرة﴾

وهي الغزوة السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقنفذة أنهم رجعوا وتجمعوا بالاساود وصاروا راسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم يتهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف وعرفه حقيقة الامر

﴿الغزوة السابعة عشرة﴾

فكانت الغزوة السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل ابن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى قوز أبي العير وعرض عليه بنو هلال وبنو زيد ورحمان وزبيد فغزا بهم على بني كنانة وقتلوا فيهم قتلة شنيعة ورجع الى قوز أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلي دخلوا في دين الوهابي فأرسل غزوة أخرى معينة للسيد منديل

﴿الغزوة الثامنة عشرة﴾

وهي الغزوة الثامنة عشرة جهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلي ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلي تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بأرضهم وتعهدوا انهم يؤونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبي طالب

﴿الغزوة التاسعة عشرة﴾

فكانت هذه الغزوة التاسعة عشرة فلما أناخ بحلي استحسن أن يجعل عليها سورا ليحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فأذن له فبناه وجمع عنده من الذخائر والطرائف شيأ كثيرا لخوفه هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أميرهم حشر وكان

مستعينا بالله ولى الامور ﴿فصل فى وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثانى وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفانى﴾

لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى فى أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا جنود ولا سيد ولا مسود ولا ينجو منه شئ خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود هو الموت سلطان البرايا العاجز • لديه وغلاب لكن لم يغالب ودرع الفنا فى حكمه درع عارة • وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن كل ما يخالف أمره ورضاه وغلب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نورا روحانيا وجوهرا علويا سنيا وهيكلا شريفا ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى الى رحمة ربه الرحيم فائزا بالملك الاخروى فى جنات النعيم مخاطبا من الحضرة الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى • وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أياصوفية بتربة طيبة غراء وروضة نضرة غناء تنوح بها ورق الاطيار وتبكى فيها سحب الامطار وتشق أثوابها أكمام الازهار وتلطم خدودها أوراق الهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما • سرى جوده فوق الركاب ونائله
أفاض عيون الناس حتى كأنما • عيونهم مما تفيض أنامله منهم
فيا عين سحى لا تشحى بسائل • على ملك لا يعرف النهر سائله
فان دفنوا تحت التراب جماله • فما دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثا هالت عليه ترابه • أناملهم مع الغمام ووابله

﴿الباب العاشر﴾ فى سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين المحترمين المنيفين أعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر مليك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر • ملك اذا ضاق الزمان بأهله •

فاجروا احتيالا وقد أرسلوا الشيخ حلى واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا لقتالكم نمنعهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غالب المراجل وبقى بنفسه فى البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون عن حديقة وتقرر وجعلوا لهم كمينا فلما جد واخلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وعجز بين الفريقين حر النهار وقيل انه لما ظهر الكمين كانت الغلبة لهم ثم أظهر أهل حلى الخيانة وأمروا السيد منديل بالخروج من البلد وترسوا الاسوار فامعن السيد منديل بفكره ورأى ان العود أحد فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

﴿الغزوة المكملة عشرين﴾

الغزوة المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربا بساحل اليمن تجاه الاحسبة دخلوا فى هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها غامد الفرعاء فارسل غزوة من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والبوادى وأمر على هذه الغزوة السيد سعد بن زيد القتادى فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

﴿الغزوة الحادية والعشرون﴾

الغزوة الحادية والعشرون كانت من وزير القنفذة أبى بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان قد آذاهم الوبيل فى قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله فواطاعه ثلاث قبائل مكرا وخديعة وهم بالقرن وبنو سهيم وبالمنتشر وتجمعوا فى مواضعهم وكانوا يوهمون انه يقبل عليهم ليقاتلوا معه الوهابيين والمجاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه باليد فاقبل عليهم بمن معه من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادى ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفذة وفرقة تقاتله خارج القنفذة فلما بلغه هذا الخبر توجه فى الاثر فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذى هو فيه عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التى أقبلت على القنفذة

﴿الغزوة الثانية والعشرون﴾

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم

بجلال توسع في المكارم وانفسح   تكبو السحائب اذ تجارى كفه • فالغيث من راحاته عرق رشح   ومكلف الاسد الهصور بخدله
في القفر أن يرعى الغزال اذا سنح   المنصوب له على أعلى أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى   المرفوع في أرجاء بساط
البسيطة لواء الملك الاسنى العظيم الاسماء حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان
ابن السلطان سليمان خان   نسب كان عليه من شمس الضحى • نورا ومن فلق الصباح عمودا   لازالت أعلام خلافته مرفوعة
على هام الثريا   ولابرحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا   مادام الجديدان   وطلع النيران ولمع الفرقدان
• مولده الشريف في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف   في عاشر رمضان المبارك

منهم الاطو يل العمر ثم رجع الى القنفذة وينبغي أن تجعل هذه الغزية ثانية لما قبلها فتكون هي الثانية والعشرين ثم ان معدي بن شار شيخ قبائل جمع جموعا من كنانة وأهل الحوا وعامد الفرعاء وقبائل يبلغون اثنى عشر ألفا وعزم هو ومن معه على انهم يملكون القنفذة واقبلوا بمواشيهم وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك على حين غفلة من الوزير وذلك في أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

﴿ الغزية الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣ ﴾

فتكون هذه الغزية هي الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذي هم فيه قبل الفجر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب في الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هي داهية الغفلة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة والجرحى مائتين واخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافساد هم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الطين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود   فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من العربان يرمي بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فارسل مولانا الشريف السيد فاخر ابن سلطان بن حازم وأمره أن ينزل عند زهران   ويعرفه بما شان وزان   فاقام عندهم أياما فظهر له تحقيق الخبر فعرف بذلك مولانا الشريف غالب فارسل مولانا الشريف الى الدرعية رحيمه عثمان ابن عبد الرحمن المضايفي ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا الشريف اذذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتقوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب   فقابلهم بالبشاشة والترحيب   فاول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرني بالامارة وأبشرك بمكة تملكها وأطلب منك أن تخلي لي المجلس لامور سأبديها فاختلى معه وحدثه بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العربان   ولم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد في مجلس آخر الايوم السفر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذي فيها على ظاهره لكلامه في كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه   وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ

سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة وسنه الشريف
حين ولي الملك المنيف
ثلاثون سنة وهو ملك
همام وأسد ضرغام
وهزبر مقدام وسيف
صمصام وبحر طمطام
وملك بقائم سيفه ملوك
الاملاك وأدار على حسب
مراده الافلاك وملأ
بصيت عظمته ما بين
السماك والاسماك وخاطبه
الصبح والليل أسعد
الله صباحك ومساك
خداوند كار العالم وسلطانه
وامام المسلمين الذي اذا
اجلس على كرسيه فما
قدر كسرى وايوانه وهو
منذ عهد المهد والرضاع
مجبول على كرم الخصال
وشرف الطباع مشغول
اللسان بالذكر والقرآن
مشغوف الجنان بالسيف
والجان   ممدود الهمة
الى معالي الشان معقود
الامنية بعلو القدر وسمو
المكان لم يزل قائما بنصرة
الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين   واني أشرح في هذه الرسالة سيرة معدلته في الرعايا وأتحدث بما طبعه الله عليه
من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا   والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب والعطايا   وحسن نظره الى
الحرمين الشريفين   واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين   وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام
عمارة فائقة   حسنة رائقة باقية   في صفحات الايام   فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام وسائر سلاطين الانام   وكافة ملوك
الاسلام فلقد آتاه الله مالم يؤت أحدا من العالمين   وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين   وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما
ومنحه ملكا جليلا عظيما   واقفا عند مراد ربه سبحانه فلا يتعداه   عاملا في أمره بتوفيق الله   مراعيا العدل والاحسان فيما استرعاه

معانی بنی عثمان غیر خفیة • وکل الی شأو المفاخر سابق وقد تخمد الشمس النجوم بضوئها • تفاوتت الانوار والکل رائق
بامم مراد ینجلی کل مشکل • عویص وتنقاد الجبال الشواهق ویوهمنا فی ان آدم لم یمت • حنو علی أولاده منه صادق
والطاف تساوی الخلق فیه فضمهم • کما ضمت الحصر الرقیق المناطق بقاؤک فی الاسلام عز مؤید • فدم وابق للاسلام ماذر شارق
طالما غمرنی وغمرنی باحسانه وهو شهزاده قبل جلوسه الشریف علی تخت السلطنة والسعادة وشملنی لحظه الشریف السلطانی
بالحسنی وزیادة واستمر ذلک اللحظ الشریف السلطانی یشملنی بلطفه واکرامه ویکرمنی بحسن التفاته الشریف وانعامه
فوق ما یبدی من المدرسة (٢٧٣) الشریفة السلطانیة السلیمانیة مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانیة وأنعم علی
أولادی بالتدریس وأولادهم بکل اکرام واحسان لطیف نفیس

فلو أن لی فی کل منبت شعرة • لسانا یبث الشکر کنت مقصرا

وما یبدی الا الدعاء لنصره • لیملک قسرا ملک کسری وقیصرا

وانی لاخدمه أنا وأولادی وأجنادی فی بلد الله المنیف بالدعاء بطول عمره الشریف وخلود ظل عدله الوریف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذکره الشریف فی صدور الدفاتر والکتب وانشر طیب عرف شکره علی مرور الاعصار والحقب وانی وان أعطیت فی القول بسطة • وطار عنی هذا الکلام المحبر

لاعلم انی فی الثناء مقصر • وان الذی أولاه أوفی وأوفر

فذی جبل من عطایاه ینتهی • وفی کل حین فضله یتکرر

ولکننی مادمت حیا لشاکر • ویشکره بعدی کتابی المسطر

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سلطنته وشید وأدام ملکه السعید وخلد مفارنة والمدفع
هذا الوزیر المعظم الاکرم الافخم ظهیر السلطنة الشریفة العثمانیة وعضد الدولة المرادیة الخاقانیة مدبر الامور برأیه المصیب الثاقب
ومهد مصالح الجمهور بفکره الدقیق الصائب أعظم وزراء السلاطین العظام وأکبر الصدور والکبراء الفخام فی دواوین أعظم
ملوک الانام ﴿حضرة محمد باشا﴾ المشار الی حضرته العلیة سابقا فی وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله صدارته
بسعادته وجده وأدام صدارته فی ظل اقبال هذا السلطان الاکرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزیر حسن التدبیر حتی أجلس
حضرة هذا السلطان الاعظم روح هذا العالم علی السریر وقام بأعباء هذا الامر الخطیر ودبر ذلک برأیه السدید أحسن تدبیر وأعانه

القبائل التی یرید التأمر علیهم فکتب الیهم کتابا یخبرهم فیها بانه أقام عثمان المضایفی أمیرا علیهم
وسلمها بیده والجماعة الذین معه لا علم لهم بذلک کله الا انهم لما خرجوا من الدرعیة متوجهین الی
مکة أنکروا علی عثمان فی کلامه فانه صار یمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطین ویثنی علیه
ویرغب فی اتباعه والدخول فی طینه ومازالوا سائرین الی أن وصلوا العبیلاء وهو موضع بینه وبین
الطائف یوم وله به حصن علی جبل فجلس هنالک وأمرهم بالتوجه الی مکة وأظهر لهم انه یجیء فی
أثرهم ودخل الحصن ونصب له بیرقا ودق الزیر وأظهر الامارة وأرسل بعض الکتب التی معه لبعض
شیوخ القبائل القریبة منه فاطاعوه وعزم علی شن الغارة وکان بالطائف الشریف عبد المعین
وکیلا عن أخیه ولم یکن مع عثمان من الخیل سوی ثمانیة جمعها من الطریق وافقها تلفیقا ثم أرسل
عثمان کتابا للشریف عبد المعین یأمره بالدخول فی الطین وأول من أطاع عثمان من القبائل
الطفحة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم علی الزوران فاطاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادی لیة علی
عوف وطال بینهم وبینه القتال فکسروه فرجع الی حصنه ثم خرج بمن معه علی العرج فقاتله أهل
العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشیهم وعاد الی حصنه ولما تحقق مولانا الشریف غالب
أمره استدعی القبائل وأمرهم بالحضور فی الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ما ینوف علی ثلاثة
آلاف

﴿الغزیة الرابعة والعشرون﴾

وهذه الغزیة الرابعة والعشرون وکان عثمان قد خرج من حصنه فی رمضان قاصدا قتال من بالطائف
بمن معه من العربان فخرج الشریف عبد المعین لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم
کثیر من أهل الطائف والتقی مع عثمان وقومه بوادی العرج واقتتلوا قتالا شدیدا من أول النهار
الی غروب الشمس فکان النصر للشریف عبد المعین وقتل من قوم عثمان نحو الستین ولولا أنهم
تحصنوا فی جبل منیع ما سلم منهم أحد وأخذوا ما کان معهم من الابل والذخائر ورجع الی الطائف
واستشهد من جماعة الشریف عبد المعین جماعة وهم السید ابراهیم بن سعید بن علی وخمسة من
أهل الطائف وثلاثة من ثقیف وأربعة من هذیل ثم رجع عثمان الی حصنه ومازال یراسل القبائل
فعزم مولانا الشریف غالب أن یتوجه الیه بنفسه فجمع کثیرا من الجنود وأحضر کثیرا من الذخائر
والمهمات وخرج من مکة لیلة الثامن عشر من رمضان

﴿الغزیة الخامسة والعشرون﴾

فکانت هذه الغزیة هی الخامسة والعشرین فسار بالجنود قاصدا العبیلاء والتقی باخیه الشریف
عبد المعین قبل وصولها فلما نزلوا العبیلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا علیه بالقنبرة

والمدفع فامتنع عليهم فقتها وأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هناك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها

﴿الغزية السادسة والعشرون﴾

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولي عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بمن معه من العربان وجاء مددا أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فأحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقتال

﴿الغزية السابعة والعشرون﴾

وهذه ينبغي أن تكون الغزية السابعة والعشرين ولما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف الأحزاب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعد ان قتل كثير منهم الى خيامهم

﴿الغزية الثامنة والعشرون﴾

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يتحير فيه العاقل اللبيب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا واشتد زمه دروعالجهم على العقود ويعطيهم ما أرادوا من المال فما وافقوه وظهر خلل كثير في السور والأبراج واتفق السيد عبد الله بن سرور ومع جملة من الأشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبر مولانا الشريف غالب بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فأرسل من يكشف له الخبر فجاء ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع التمارة فتحقق الأمر عنده فعزم أن يجد السير الى مكة من الطريق الثاني فجاء من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة شاخصة وتوجه الى مكة على طريق المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انشغل أهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون والأسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فأسرع مجدا في طلب الوهابيين واسترجاعهم بعد ان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله المحيت وكان من كبارهم عهد لهم الأمور ويخبرهم عمن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغناها فاتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد

﴿ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية﴾

على ذلك تقدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير والله على كل شيء قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج لسانها وعظم في عين الدولة الشريفة فحل محل انسانها وكبر شأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جلبا للمزيد وربطا للتليد بالعتيد وأشرقت شمس سعادته في الآفاق وأورقت رياض صدارته أنضر إيراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود منته السامية المنيفة فكانت كالأطواق في الأعناق والنور في الأحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والأمراء والبكلربكية الأعيان من لم يضرب بسهم وافر من عطاء ولم يخدمه الافاز بانعامه وحباه وأحسن الى السادات

والمشايخ والعلماء والموالي وسائر العظماء والأهالي والى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين المطهرين المنيفين وأكثر فيهما الصدقات وأجرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الأعمال الصالحات مستجلبا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خاطر الأولياء والأصفياء بدوام دولة هذا السلطان الأعظم وقيام دولة سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم فهم واظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الأعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكسى ديباجة وجهه الشريف قبولا يدوم بدوام الصبا والقبول في ظل مراحم هذا السلطان

الحقوق بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة مدا الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام الفرقدان وأضاء النيران ومن سعادة هذا السلطان الأعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخواجا المعظم الأسعد الأكرم الأفضل الأكمل الأعلم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن على من كان في فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحور وان نثر نثر أزاهر المنثور من الروض الممطور بعبارة رائقة وألفاظ البراعة في الألسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيما حازها كسبا ووراثة طال ما بهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض

القدسى ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانسى وانه كتب الخط الحسن وما يقل خط عذاره الانضر وتميز فى الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه فى عمر شبابه الازهر باحث العلماء فى دقائق العلوم ورجح عليهم فى تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه فبهر العقول والالباب وأتى بالتصانيف الفائقة فى كل باب وآتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثانى سعد الدين مكنه الله من العز المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذى الطبع السليم والخلق الكريم وهو شهزاده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال

فانطبع فى مرآة قوته الدراكة نقوش صور العلم والكمال وانتقش فى صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولى السلطنة العظمى عرف لمخدمته السابقة ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته ومكانه وعز قدره وأعظم شانه فانثالت العلماء والموالى العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان صعدوا الى جنابه فاحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم بمزيد الحنو والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجميل مذكور وبوفور التلطف والتكرم معروف مشهور طالما شملنى باحسانه الكثير الوافر وعضدنى بلطفه وجميله المتواتر وأخذ بيدى أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان الى وتفضل بأنواع التفضل على وشمل بفضله أولادى وذوى نظر الله عزيز بعين عنايته وألطافه اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعده فى ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وأبد خلافته الكبرى وأيد وهذا دعاء للبرية نافع ودعاء رجاء للسعادة جامع وقد حفه حسن القبول لانه عليه مجاع الصدق والله سامع

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته ورحمته علماء العالم كثرة العلماء العظام الاعالى والفضلاء الفخام الموالى والمشايخ الاولياء الكرام والاهالى فى بابه الكريم العالى وتحت ظله الظليل المتعالى فمنهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته رفعته فى العلم ومحله واغترفت من بحر فوائده وتقلدت

فخرج ابو نحيت على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من فى البيوت جميعا ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل فى المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فويل لهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الا شرذمة قدر نيف وعشرين انحازوا البيت الفتنى وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة فى بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم ذلك الى وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم فى اليوم الثانى والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم فى وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال وادخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما امتثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقوز يسمى دقاق اللوز وكان جماعة مفرقون فى بيوت ذوى عيسى فى والحسين كانوا مترسين برموهم برصاص فاخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادى وج وتركوهم فى البرد والثلج وما زالوا مكشوفى السوآتين حتى رموا عليهم اطمارا بالية من الكساء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المخدرات فى أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول فى الطين وصاروا يستكففون المسلمين فيعطون السائل الحفنة من الذرة ملء الكف يقضمها وصار العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاساس والفراش وتهافتوا على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال فى مخيمهم كامثال الجبال الا الكتب فانهم شروها فى تلك البطاح وفى الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والربايع ألوف مؤلفة ومن نسخ البخارى ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شئ كثير ومكثت أياما يطؤنها بارجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عز الاموال مدفونة فى الخابى فحفروا حفيرة فى بعض المحال فوجدوا فيها

بدر رفرائده ومنهم من كانبني بفضله وكاتبته لفضله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أحطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا في الفضل والكمال فانقين علماء الدنيا في هذا العصر على كل حال فاني أتتبع علماء كل اقليم وأسأل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم وأكثر التفحص عن أحوالهم وتصانيفهم وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم وأستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكنني طلبه وأنشر ذلك بين العلماء في كل البلاد وأبذلها لطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا دأبي منذ أميطت عني التمائم ونيطت بمنارق عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بلقائهم والتيمن ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم فكنت أكثر الناس خبرة بأحوال العلماء ودرجاتهم فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم الفائقين في هذا العصر في هذه العلوم ونظرهم فيها أدق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله جلالا وكمالا وفضلا باهرا وافضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الامم جمل الله بوجوده الايام وأكرم بعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالي العظام فرفلوا في أيام سعادته في حلل المناصب العالية الفخام وأحرزوا قصب السبق في ميادين المراتب في ظل ظله الظليل المستدام أدام الله تعالى له ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام ٭ وأما زمرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأدخلنا ببركة محبتهم في عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرا ٭ وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا أصحاب الذكر والتكايا وكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقد فيهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منهم ما ينكر حمل نفسه على قصور فهمه فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه يخفي حاله على الناس فحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل ٭ وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا ويدخلنا في زمرتهم ويعدنا

عن المال مخبأ فظنوا ان جميع الدور كذلك فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات فأخربوا تلك الربوع التي كانت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شيء يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما هذه الدنيا الا موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا ان نعيمها زوال وزخرفها محال أي محال وان القاطن فيها على جناح سفر فليتخذها جسر عبور ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف اخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود بما صار على الطائف من القضاء الموعود فسر بذلك غاية السرور وكان مبرزا بالدهناء قاصدا العراق بقريب سبعة أيام عن الدرعية فأسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فأعاده معه بمن معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العبيلاء وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق واشتد كربهم لاسيما لما سمعوا بما صار على أهل الطائف وجاء للحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألف حاج امامهم ملك سلطان بن سعيد وحج أيضا نقيب المكي ولما وصلت الحجوج كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك فرجي معه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملأت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا بجيوشه خيم بعرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما سمع الحاج للوقوف وهي خائفة لم يتعدوا أحدا من هذه الطائفة فخرج الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحجاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الوصول زمن الحج ولله تعالى في كل شيء حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى منادي سيدنا الشريف ان يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والالحاد فأول من خرج شريف باشا الى جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف امراء الحجوج وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فما وافقه

عن المنكرين عليهم ﴿فصل﴾ ومن أعظم مآثره الجليلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم المندرج في رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى أن انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فاعمر الى أن تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم فبرز أمره الشريف العالى الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا افتخار الامراء الكرام أحمد بك ان يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام و يسرع في انجاز عمارته بكمال

السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك سائر خدامها الى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرفاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم وأيد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل والنعم فتم ولله الحمد بيمن طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبغية للخاطر وجلاء للنواظر وصفاء للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان هذا البناء الشريف أمكن وأزين ولا وأعلى وأشرف فكان الآن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب القلال الشداد وشرفات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلى وأشرف وأجمل وألطف وأرفع وأتحف فبنى ذلك بالرخام الابيض المرمر والحجر الشميسي المنحوت الاصفر كانه سبك الذهب أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطان المستطاب بحلى الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة المانوية الفائقة الجميلة وخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان

أحد على الخروج والركوب وتعللوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فتضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير ثمن فما قبلوا قوله بل قالوا يكاتبه كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان رأى فهو المطلوب والا فنحن عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وتعنت عراها فأعاد لهم الجوابات وشحنها بكثير من ترويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك فأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عز وفخر وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لابد من اعادة المراسيل ورأوا حصول أمر مستحيل فأرسلوا رسلهم بمكاتيب مرة ثانية فأعاد جواب كل بخلاف ما أمله وأخافهم حتى عالت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعالجهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثماني عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة فبقي الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار ونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير فقد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الا أفسدها ولو لم يكن الا قصة الطائف وما فعله بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم أغا على فرس وطلب منه أمانا لجيران بيت الله الحرام وان لا يخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل صيانة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت

واخترت أتممها لانه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت جدد المسجد الحرام مراد • دام سلطانه وطال أوانه ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هنا لحسن انشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه و بلاغة معناه وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى (٢١٧) أولئك أن يكونوا من المهتدين ... في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستغني بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بناه وأكمله وأتقنه وحسنه وجعله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد عجم الرعايا وعربها وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب وملكا مكاما قوطا على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان بن السلطان الخنكار الاعظم مراد لازال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا برح الايمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد عالأ كنه الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء ﴿أطال الله لمن أتمه عمرا﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم درالنحور وغرب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنثور بخطبة وتعريفات السلطان الاعظم في آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورصعه وورد معه حكم شريف سلطاني يتضمن الامر بكتابته

ولا نشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله قد لهم بيده وقال عاهدنكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف وانشرح وقال أحمد الله شكرا فقد أولانا أرضه فعز الناو نخر او أمر كاتبه ان يكتب كتاب الامان ليصل لاهل مكة الاطمئنان في كاغد لم يزد عن الخمس الاصابع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا احبا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدا ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء ومازالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد باعلى درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فاخذ المفتي عن يمينه والقاضي وعن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم فتح بيته وجاءته سكنته ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها الا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشترح امنهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص

على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الى باب على
رضى الله عنهما فى الجانب الشرقى من المسجد ونقر له فى الحجر اشميسى وطلى محله بالذهب فى ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام
و يبقى ذلك النقر فى الحجر على صفحات الليالى والايام وهو هذا الحمد لله الذى أسس بنيان هذا الدين المتين بنبى الرحمة والارشاد
وخصه بمزيد الفضل والكرامه والاسعاد وجعل حرم مكة مطافا للطائفين الحاجين من أقاصى البلاد صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الاحكام الشريفه وتشييد أركانها على وجه المراد المدخر ذخر الآخرة
المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود (٢٧٨) على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان
مراد جعل الله الخلافة
فيه وفى أعقابه الى يوم
التناد تجديد معالم
المسجد الحرام الذى سواء
العاكف فيه والباد فتم
فى افتتاح سلطنته العظمى
لازال للحرمين المحترمين
خادما ولاساس الجور
والاعتساف هادما بتجديد
حرم بيت الله عز وجل
بامره المعزز المجل وعمر
عامر جوده ما تضعضع
من أركانه بعد ما كان
ينقض والى جدرانه فجدد
جدران البيت العتيق
وسوره باكمل زينة
وصورة بعد ما أبلاه
الحدثان وأكل عيدان
أرضها الارضة والديدان
ورفع القبب موضع
السطوح المبنية بالاخشاب
وابتهج بهذه الحسنة
الكبرى كل شيخ وشاب
وادعوا لدولته الباهر
والمجد الفاخر تالين قوله
تعالى انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم
الآخر وداعين له من الله بالجميل والذخر الزاخر قائلين اللهم أدمه فى سرير الخلافه محروسا بحفظك الملك
من آفة وظاهرا على من يريد خلافه مشيد المساجد والمدارس مجدد الكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرما آمنا
وجنابه للمحتاجين كهفا لا ضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا
الدعاء الحرى بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان جاء مشيد الاركان ككار وضات الجنان وصار عنوان
خلافته و براعة استهلاله لمنشور سعادته فى أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر
والده الدارج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن

والعام وقد كنت فى هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا
عليكم بغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذى هداكم للاسلام وأنقذكم من
من الشرك وأنا أدعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذى كنتم عليه وأطلب منكم
ان تبايعونى على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه فى السراء والضراء والسمع
والطاعة ثم جلس ومد يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتى عبد الملك ثم
القاضى ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم فلما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى
المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظرونى بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام
لابين لكم الدين وشرائع الاسلام فلما كان العصر اجتمع الخلق وصعد المقام الذى على ظهر زمزم
والمفتى معه فنبههم و يفقهم و تشدق و تكلم والناس تحته ملؤا الحرم وصار يعلمهم دين رعاة الغنم
وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتى عبد الملك و يعلمه الدين لا يتوقف فى قوله
ولا يرتبك كلما علمه مسئلة يقول له علمها الناس حتى يعرفها الجاهلة فكان أول ما علمه من كلامه فيلقنه
هو قوله اعلموا أيها الناس ان الامير سعود ايقول لكم ان الخمر حرام والزنا حرام الى آخر الكلام الذى
يعلمه البهائم والانعام

﴿ذكر هدم القبب﴾

ثم قال له قل لهم فى غد اطلعوا القبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم
معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فما أصبح الصباح الا وهم سارحون بالمساحى لهدم
القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولا ما فى
المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا أبى بكر
الصديق رضى الله عنه ومولد سيدنا على رضى الله عنه وقبة السيدة خديجة رضى الله عنها وتتبعوا
جميع المواضع التى فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون و يضربون الطبل و يغنون وبالغوا
فى شتم القبور التى هدموها وقالوا ان هى الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر
السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم لما حرضوهم على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة
وارتكبوا أخف الضررين فبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشى خلف أولئك الفجرة فما
مضى ثلاثة أيام الا ومحوا تلك الآثار وفى اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال
تكرار صلاة الجماعة فى المسجد الحرام فكان يصلى الصبح الشافعى والظهر المالكى والعصر
الحنبلى والمغرب الحنفى والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلى بالناس الجمعة المفتى عبد

السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد بن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر في دار الجنان وأثل خلافتهم في مسند الخلافة الى انقراض الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ما هيأ الله له في الجنة من القصور قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله الاتمام بطلعة اقباله الموجود في الليالي والايام وأنام الانام في مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا (٢٧٩) يليق ان يكتب في هذا المقام وهو هذا

جدد السلطان مراد بن سليم
مسجد البيت العتيق المحترم
سر منه المسلمون كلهم
دار منشور اللواء والعلم
قال روح القدس في تاريخه
عمر سلطان مراد الحرم

انتهى * ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الذي هو مجرى السيل الا ان سفلت الارض علت وامتلأ المسيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى أن لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التي في تلك الجهة الا ثلاث درجات بعد ان كانت خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فجاءت سيول طائفة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء في الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف والفقهاء والاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم تنشفت وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفي ثم أخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين

الملك القاهر وفي اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالشيش وآلات اللهو وذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه لحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحابها ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ثم معهم يقولون يا أرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا عقيدته التي ألفها محمد بن عبد الوهاب ومعناها كشف الشبهات ووضع فيها شيئا من التكفيرات فقرؤها وأوّلوا ما فيها من التلبيس الذي هو من وساوس ابليس ولم يقدروا على الانكار ثم طالب قبائل العرب التي حول مكة فبايعوه وأخذ منهم من المال شيئا كثيرا زعم انه نكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا فهدا أخا سالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع علي بن عبد الرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم الدخول في طاعته فأجابوه بأنا رعية سيدنا الشريف غالب فطاعتنا من طاعته واذا رضي انا نطيعك ونعصيه هل تطلب منا شيئا من الدراهم أم يصح الدخول في دينك بدونها فلما قرأ الكتاب فرح عافيه من الجواب وظن انه حق وهم يسخرون به فأرسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه الى تلك الاموال من يقبضها في الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثماني عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعد له مولانا الشريف غالب بالمدافع والقتال فصار يشتمهم ويفرقهم بذلك شذر مذر فهموا أجمعهم رجل واحد وراموا ان ينفروا على السور فاذا رمي عليهم بالمدفع ينهزمون لموضع شاسع ويعودون الى مخيمهم وفي اليوم الثاني يقدمون على السور ويفعلون كما فعلوا بالامس فيجدون مثل ما وجدوا بالامس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فمضى عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المضايفي يوبخه ويشتمه لكونه هو الذي أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادي ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادي السيد ابراهيم بن سليمان البركاتي ثم توجه من الوادي الى الزعم الى الشرق وبعد ارتحاله من الوادي ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادي لكونهم دخلوا في الطين فقتل وأسر وأما أميرهم فانه فر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

﴿الغزية التاسعة والعشرون﴾

وهذه الغزية التاسعة والعشرون وفي أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال في كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند ما يدفعهم به وفي أيام امارته

أكوامافى المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب فى ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع فى قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبى من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو ممر سيل أعالى مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو ممر سيل قيقعان وحواليه ويجرى الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العنبة ويجرى فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع المسيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأى سديد وعمل مهم نافع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى أن تتعهد فى كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ماعلا من الارض قبل ان يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زائد فاللازم على ولى الامراء سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقنن لذلك قانونا فيقطع هذا المسيل فى كل عامين مرة ليستمر المسيل متهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه فى كل سيل يأتى ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين ويسطر ثواب ذلك فى صحائف هذا السلطان الاعظم نصره الله تعالى ● وكانت اليد البيضاء فى هذه المرة فى هذه الخدمة الشريفة للامير المعظم أحمد بك المشار اليه أتم الله عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى ان الكبرى ● وأخبرنى الامير المشار اليه أعظم الله شأنه وأحسن اليه أن الذى صرفه فى عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا الارض المسيل من جهة الجنوب الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمجارف والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الروافين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة

ورد عبد الرحمن أبو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها عن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا فقال فى كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدى أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومذ حللت بهذا الوادى نجع زادى فعندلى بخمسة ريالات دقيقا وبخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات علفا فلربما يطول علينا زمن الحصار ويلحقنا من عدم الزاد مضار وأرسل لنا قدر مائة سلم ننقز عليها السور ونهجم على البندر المذكور فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بحضرة من أهل مكة وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب فوصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم تأخر وامتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال فقال قد أسلم على يدى كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فضحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبو نقطة هذا قتله الشريف حمود الخيراتى بعد مدة حمل عليه فى وسط مخيمه فقتله وخلف ولدا يقال له دوسرى أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقى بها مدة ثم لما جهز محمد على باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسرا المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقى بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث آل وخلف من جماعته أربعمائة أسكنهم فى بستان سيدنا الشريف غالب الذى بالابطح وفى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبى نقطة

﴿الغزية المكملة ثلاثين﴾

فكانت هذه الغزية هى المكملة ثلاثين قال بعضهم وهى حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التى بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التى تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم ينازعه الشريف عبد المعين فيما يروم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم

أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من خلفهم أبو نقطة وثار الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصنع لهم لغما تحت الارض فلما أثاروه رفع البرج الى الجو عن فيه من الجند ومع ذلك ما ردوا عن القتال فطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصار في كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منه شئ كثير فطلبوا الامان فأعطاهم الامان واستأجر لهم جمالا يتوجهون عليها الى بلادهم وأما الذين في القلعة فافتر العسكر عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما في ضحوة النهار ونهبوا أغناما فتسارعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فوضع مولانا الشريف لهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد بن مثقال وبعد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالخيبة والويل وما طلب الامان الذين كانوا في البستان الا بعد علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار للجميع خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت قبائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف فأبى أن يعطيهم الامان الا ان باينوا عثمان فاظهروا واصدق دعواهم لعداوته وتكثوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب رتبة لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف اعانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبي طالب

﴿الغزوة الحادية والثلاثون﴾

فكانت هذه هي الغزوة الحادية والثلاثين فاحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد بن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير الغزوة هذا الجند مقبلا ارتحل الى قرن وأقام به اياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن

﴿الغزوة الثانية والثلاثون﴾

وهي الغزوة الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزوة أخرى

﴿الغزوة الثالثة والثلاثون﴾

وهي الغزوة الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزيره القنفذة أبا بكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة حتى أناخ ركبه فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم ذلك اليوم وأخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفي شهر رمضان من سنة ثماني عشرة توجه عثمان ومعه سالم بن شكبان لقتال هذيل الشام نزلوا بوادي الزيماء والمضيق وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك الوادي وسلبوا النساء واهلكوا الرجال ثم ارسلوا لبني مسعود وهم مجتمعون بجبلهم المعهود وطلبوا منهم الدخول في هذا الطين فما قبلوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوا فقاتلوا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنو مسعود منهم جانبا عظيما قيل انهم سبعمائة ومع ذلك ما تركوهم حتى صعدوا خلفهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكبان فصاروا يتناسلون اليه من كل حدب ويطلبونه بطالب وغير طالب ولما علا منهم طالب النكال في أمكنهم الخلاف فأخذ منهم شيأ كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمرو أهل اللقاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين شريفا ونهبوا حلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأطاعوه وودخلوا في طينه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبا نقطة يأتيهم من أي ناحية وسكه لكونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما وجدوه في طريقهم من المواشي والنعم وقسموه كما تقسم الغنائم ثم عقبهم

القبب التي عملت بمصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت على أعلا القبب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف الاساكف من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالا وأثمان ذلك خارجة عن القدر المصروف في العمارة الشريفة وكان عمل آخر قبب المسجد الحرام بمصر بأمر بكاربكي مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان أمير الامراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي البلاد والعباد بعدله الاعلى محمد روح الله المسيح والاسمى نزل من السماء زاد الله شأنه عظما وأنعش باحيائه لعلماء العظماء والسادات الاجلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه انفياض ما يزيد على القياس ويزرع بسحائب سما ئله ومرحمة بذر محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الاسوا وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والآخرة ولما كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمر ما فيها من الخيرات وأبر أجيجما بها وبأهلها من الاوصاب وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح وجهز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المترادفة

ووصل الى الليث أبو نقطة بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الربطة فأخذ أبو نقطة يشكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الجادلة وهم في الجبال لكونهم لم يصلوا اليه بشئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبلهم الشاهق تصيدهم الجادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين وكسروهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفي موسم سنة ثماني عشرة كان أمير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف ان يبقى جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقرر صيانة لحماية هذا البيت الامين فابى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لابد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة ان يبقى مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فأرسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفي شهر المحرم من سنة تسع عشرة اقبل سالم بن شكبان وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها بزعمهم الفاسد فأراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لايمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال

•(الغزية الرابعة والثلاثون)•

فهذه الغزية الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفي كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فيفرق جمعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل وامتلأت من جيفهم الحفر والقنوات حتى صاروا يجدون العشرة والعشرون مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادي واصبح بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم فقتلوا عربانا في طريقهم وأخذوا البلاد مولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزية فيها مائتان من الخيل الجياد

•(الغزية الخامسة والثلاثون)•

فهي الغزية الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلونهم فلم يصادفوه فعند ذلك جهز مولانا الشريف غزية أخرى

•(الغزية السادسة والثلاثون)•

وهي الغزية السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائد مفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

•(الغزية السابعة والثلاثون)•

فهي الغزية السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين أغا تفكجي باشا فتوجهت غزية البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزية البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول غزية البر لم يسبق مثلها وهي ان بعض الاوباش أغرى حسين تفكجي باشا ان يحوز ثلاثة من الاشراف المناديل ؟ فجعل لكل واحد خازوقا وأجلسه عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا في الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم

ومرحها اليهم أحسن تسريح فهم داعون (٢٨٣) بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان حيث ولى رعاياه من رأفته ما يتم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته واقباله ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

﴿فصل في ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن﴾ اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام في جوانبه الاربع غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستون اسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة اسطوانة وستا وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة في الصف الاوسط عند باب علي فانها من الحجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص • وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة اسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ماعدا أربع عشرة اسطوانة من آخر الصف الاوسط مما يلي باب العجلة وباب الندوة فانها حجارة منحوتة • وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة وأربعون اسطوانة كلها رخام ماعدا خمسا وعشرين اسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند أبواب أم هانئ

الشريف وبنى عمه فقتلوا ظلما وجورا وكان أمر الله قدرا مقدورا فمضى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جند زهاء أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة اسفرت عن انهزام الوهابيين بعد ان قتل منهم شئ كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسن بن غالب أمير الغزية الثانية التى أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مفرح أغا وحسين أغا وكان مجى حسين أغا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه فى الليث لكونه مشهورا بالشجاعة فاعتذر بان باعثه على الوصول نفاد الزاد فجهز مولانا الشريف غزية أخرى

﴿الغزية الثامنة والثلاثون﴾

وهى الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الاروام وجعل الامير عليها السيد حسن بن على بن سعيد فتوجه عن معه الى الليث فوجدوها صفصفا ليس فيه أنيس ولا من اليعافير والعيس فعادوا من يومهم الى مكة فتعجب منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى الى جهة الوادى

﴿الغزية التاسعة والثلاثون﴾

وهى الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شبير بن مبارك بن شبير المنعمى وأمرهم ان يقيموا بقرية المدرة ليمنعوا العدو من الوصول لذلك النادى ويطمئن بهم أهل الوادى ففعلوا ما أمرهم به الا ان الماء والهواء تغيرا على الاروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حامون تلك الحوزة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادى الا نحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقاتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذى جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الزيما هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لاذاقوهم كاس الويل

﴿الغزية المكملة أربعين﴾

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعود هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل واستغربه غاية الاستغراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر ثم رجع القوم من الوادى الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفى مدة هاتين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك انه فى خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة فاذا اغفل عنهم بادية الحرم نهبوا ما يجدونه من النعم فجهز غزية عدتها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة

﴿الغزية الحادية والاربعون﴾

وهى الغزية الحادية والاربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمرو الشنبرى فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الزيما فلما أقبل على سولة بدا لهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين فرأوا عيانا جماعة يذودون عن الحصانة فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضارى واستنجد بمن معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت

فانها كانها حجارة منحوتة وكان فى الجانب الغربى سبع وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة فى نصف الدائرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتان الى أن يطول فى شكل اسطوانة الرخام مسبوك بينهما من الرصاص فى داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة منحوت مكانه فى وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك فى أيام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربى من المسجد الحرام فى آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه فى محله فيكون جميع ما أدركناه من الاساطين غير الرخام مائة وتسعا وعشرين اسطوانة واما أساطين دار الندوة فادركناها ستين اسطوانة من جوانبها الاربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلية بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها فى الجانب الشرقى اثنتا عشرة اسطوانة وفى الجانب الشمالى عشرون ثم فى أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أمر أميرا من أمرائه يجده هو الامير خوش كلدى فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن

يهدم مقام الحنفى الذى كان بناه الامير مصلح الدين فى ابتداء الفتح العثمانى لما كان انه ربر أن يبنى مكانه مربعا على وضعه الباقى الى

الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأذوا الكثير من ذلك الحرب وماسلم الامن فر منهم وانهزم واهزعه شنيعة وقتل فى ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمرو الشنبرى وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ماغنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومها السيد راجح فى يده عضو باخيفا ومع هذا قتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفى شهر صفر جاءت الاخبار ان بداى شيخ حرب دخل ومن معه فى الطاين واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدعاوزيرها بعد قتال وحصار واغارة وكان وزير ينبع محمد الجرى من عسكر اليمن ولم يكن له بمكايد الحرب دراية فحاصروه بالى مع أيام فلم يتم لهم ارب ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الرويتى فمازال يخرفه ويصعب عليه الامور حتى طلب بواسطته الامان وهو فى غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداى وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلاعقل ولادين وتمكن من البندر ثم توجه وزير ينبع الى جدة فى الداوات ثم طلع الى مكة ورماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة فى تسليم البندر فاجرى عليه ماحكم بالقضا وانقدر وأمر بسلبه ثم سلبه فساب وصلب وتوجه يومها مولانا الشريف الى جدة لاخذ الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للسفر فتكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو أخذ ماطلبه من المال فاطاعه ورضى ثم خان وغدر وسافر بمركبيه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكر أهل الاقدام

﴿الغزية الثانية والاربعون﴾

وهى الغزية الثانية والاربعون وجعل الامير على الاروام رسول أغا وعلى العرب القائد مفرح وفى ليالى اقامته بجدة وردت رعية من ينبع واذا فيها ابراهيم الرويتى المتقدم ذكره الذى كان سببا فى أخذ ينبع وخديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداى يفسد بها الرعية فاجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لايخلو عن التهم فالان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولم تتم مولانا الشريف ارسال الغزية رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا مراسى ينبع وأحاطوا بها ورموا عليها المدافع الى مضى ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداى قتلا ذريعا ولم يكن ابن بداى هنالك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عم له وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا له بالبشائر وارسل الخلع الفاخرة لمفرح أغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول أغا بفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود

﴿الغزية الثالثة والاربعون﴾

الغزية الثالثة والاربعون كانت فى شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف فى الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن منقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفى محصورا فى الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وجاءت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تنقبه بالمعاول فى أحجاره فلم يرد الله عز وجل بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفى أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار

آ نناهذا الخاطر فى فكره الشريف ان يجعل فى المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد واخشابه وآلاته وان يجعل الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه فعمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقى منها حاصلين حجرة وبنى عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى أيام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العلم نائل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود فاعيد ذلك المحل المحجور من المسجد الحرام كما كان وأما زيادة باب ابراهيم فقد كان منها فى الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين فى الرواق القبلى الذى يلى المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزى على يسار المستقبل ٭ وفى الجانب الشمالى ست أساطين احداها لاصقة بالمنارة التى كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربى من هذه الزيادة أساطين ٭ ثم فى أيام السلطان الغورى أرسل أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم فى حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصرا مرتفعا مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد منازل ومساكن ... [illegible]

بان عبد الوهاب أبا نقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند فاستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرفية

﴿الغزية الرابعة والاربعون﴾

وهى الغزية الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال فالتقى الجمعان بعاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت النصرة فى أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاترالك تقطع فى روس أولئك القوم قطع روس الكباش حتى فنى من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاترالك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وطرد خلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفى الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفى الى الزيماء بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل فى طاعتهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عين زبيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف فى جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادى مر فى عاشر ذى القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى غدا طريق جدة أيام اقامتهم أيام نحر وتشريق ولما جاء الحج الشامى لم يدخل الا من طريق جدة ولم يصل الوادى وكذلك الحج المصرى ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج فى هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان فى الحج الشامى والمصرى بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمنى كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامى ابراهيم باشا والى الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجى فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر وجالا الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفى ليلة من الليالى التى هو مقيم فيها بالزاهر جاء خمسة من الخيل فصاحوا فى أطراف العسكر وكبروا وجالوا بخيلهم ففزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفى وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ هو فى الاكرام وفى ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان فى الانتقال الا بعد أن دفع له مائتى كيس من المال وقد تقدم انه فى سنة ثمانى عشرة أبقى أمير الحج الشامى طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فاخذهم ابراهيم باشا فى هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فازداد الاعتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الاثقال وسكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال وترس البلاد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس بقطع السارق الجوع ووقع الغلاء الذى تسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس فى بلاء مبين

﴿ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذى الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذى القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم فى ازدياد حتى انه فى آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز منحصين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلى والثياب والاثاث يبيعونه بابخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحرو شرب أناس الدم المسفوح وأكل

تشتمل على مراحض وبركة ماء وقف ذلك جميعه على جهات خير وبنى من داخل باب ابراهيم على يمين الداخل حاصلا فى أرض المسجد وفى علوه سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل فى الجانب اليمانى من هذه الزيادة حاصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يمتلئ من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلى والجانب الشمالى على حالهما وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك فى حدود سنة عشرين وتسعمائة . وأما عدد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرفة وسبع أنصاف شرفة . وأما الشرفات التى كانت على جدر المسجد من خارجه فهى اثنتان وخمسون شرفة متفرقة على أبواب المسجد الحرام فليس فيها شرفات وكانت فى زيادة دار الندوة من جوانبها الاربعة التى تلى بطنها اثنتان وسبعون شرفة ولا شرفة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت فى زيادة دار ابراهيم مما يلى بطنها فى ثلاث جهات منها وهى القبلية واليمانية والشامية بضع وأربعون شرفة . وأما أبواب المسجد الحرام فهى تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهى باقية على حالها ما عدا بابا واحدا فى زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية سليمانية

بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغني
وجعل الغلاء يطول ويشتد وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى
وقاسى أهل مكة في هذا العام مالم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفي أثناء هذه المدة وقعت الخيانة
من بعض الناس من الاشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان في الجند من الامراء وانساب
بعض منهم اسباب السبل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم في الخيانة بعض
شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة وأطلع مولانا الشريف على
بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لاولئك الفجار فامر
بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الاشراف من
العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل في طاعة الوهابي كثير من الاشراف من ذوي
بركات وذوي عبد الله وذوي الحرث والمناعمة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت
عزائم الخارجي بطاعتهم له ومازال الناس يتهالكون ويتسللون ويخرجون من مكة ويدخلون في طاعة
الخبيث لاسيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات في جيوش الخارجي كثيرة تباع بأبخس
الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ومال بعض الاشراف من الحبس والاهانة ركب فرسه
ليلا وفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادي مر وعامل القوم كما عاملهم غيره ففرحوا به فما أقام عندهم غير
ثلاثة أيام حتى جاءه عقودة من الخيل على رأسه ووصل بهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على
الزاهر فجاء الخبر لمولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

﴿الغزوة الخامسة والاربعون﴾

وهي الغزوة الخامسة والاربعون ففروا هاربين ولم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها
وأتكنوها وحصل في ذلك اليوم ضجة أي ضجة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم
سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادي ونزلوا الحسينية
واقبلوا على أطراف مكة وهم منتقلون فاشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وما كان منهم
هذا الانتقال الا ظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون في الابراج التي حول مكة
ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر الى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة
فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشي أهل الحسينية وتوجهوا
الى العابدية لانه بلغهم ان أبراجها حصينة وهي خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب
الزاد فلما وصلوا الى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعادا الجميع مبادرة في
الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سراة من الفرسان ان يجدوا ويجعلهم مسرعين
ليسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولي العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين
اليها فسبقوا الوهابيين وولجوها ومنعوهم عنها بالطبنجات لتأخر أهل البندق والرماة

﴿الغزوة السادسة والاربعون﴾

وهذه الغزوة السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادي مر ثم ارتحل عثمان
بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة
من قومهم وأمر عليهم ابن جحى من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا في مدة اقامتهم
بالوادي بايعهم أكثر العربان الذين باطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والجحادلة ولحيان
وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ماحل بأهل مكة من القحط والغلاء
والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد في جمع ما أمكنه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتي بالذخائر
والاحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل

وارسل

طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعا وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان

وسيأتي تفصيلها بعد ذكر
الاسطوانات المتجددة
في عصرنا • والذي اشتمل
عليه المسجد الحرام الآن
من الاساطين الرخام
والاساطين الصفر الشميسي
والقبب والطواحين
والمصابيح وشرفات
المسجد الحرام فهي ما نذكره
• وأما الاسطوانات الرخام
فعددها ثلثمائة واحدى
عشرة اسطوانة في جهة
شرق المسجد الحرام وهي
ما يقابل باب البيت
الشريف اثنتان وستون
اسطوانة رخاما وفي جهة
شامية ويقال له الجانب
الشمالي وهو ما يقابل الحجر
الشريف احدى وثمانون
اسطوانة رخاما وفي جهة
غربية أربع وستون
اسطوانة من ذلك وهو
ما يقابل المستجار العظيم
ست اسطوانات من الحجر
الصوان والباقي من الرخام
• وفي زيادة دار الندوة
خمس عشرة اسطوانة من
ذلك واحدة من الحجر
الصوان وفي زيادة باب
ابراهيم ست اسطوانات
• وأما الاسطوانات الصفر
الشميسي فجملتها مائتان
وأربع وأربعون اسطوانة
وهي عبارة عن شكل مثمن
أو مسدس أو مربع على
حسب ما اقتضاه المكان
وهي في طوال الاسطوانة
انعلها مقدار الثلث من
الحجر الصوان المنحوت وثلثاه من الحجر الشميسي المنحوت • وفي ذلك في شرق المسجد الحرام ثلاثون

وأرسل معه أحمد كتخدا وهرع معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة سبعين قرشا الى ثمانين وفي ثاني يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فألحقهم بما ينوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضي بن سليمان

﴿الغريبة السابعة والاربعون﴾

وهذه الغريبة السابعة والاربعون ثم جاء الخبر ان الذين خرجوا أولا لجلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقي بعض منها لحراسة القافلة فتبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة فأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتطعوا حصانا وقتلوا فرسين وفر بقية الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنحنى وهو جبل معروف وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فصعدوا اليهم بخيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفي اليوم الثاني من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكروا كل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال فاستولى عليه بمكة الناظر عثمان بلجه وفرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيأ من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وجعل الشكاية في منظومة طويلة مذكورة في التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة أخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضي بن سليمان وهرع كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع في الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذي سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثر الجمالة تحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر بشئ قليل من جدة ويبيعونها في مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم في هذا الرد خلائق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان اولا والامير عليهم السيد ماضي المذكور وسمع أهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شاقا في الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا تضايقونا في الارزاق فتعب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والاراذل وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شئ من ذلك بل كانوا ينالونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البناني مفتي المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لاهل مكة من بعض أولئك الاراذل وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت لحمى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسري الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب في شعبان ورمضان وفي تاسع شهر صفر أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من

اسطوانة وفي جهة غربية ست وثلاثون اسطوانة وفي جهة جنوبية ست وسبعون اسطوانة وأربع في أركان المسجد ۞ وفي زيادة باب ابراهيم ثماني عشرة ۞ وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة ۞ فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفي الجانب الشامي ست وثلاثون قبة واحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفي زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفي زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة ۞ وأما الطواجن فعدتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنا وفي الجانب الشمالي تسعة وخمسون طاجنا وفي الجانب الغربي ثلاثة وأربعون طاجنا وفي الجانب الجنوبي أربعة وستون طاجنا واثنان في مأذنة باب السلام وواحد في ركن المسجد من جهة باب العمرة وفي زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنا ۞ وأما المصليات فعدتها ستة وخمسون مصلى في جهة شرقي المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفي جهة شامية ثنتان وعشرون وفي جهة غربية ستة عشر وفي جهة جنوبية خمسة عشر ۞ وأما الشرفات فعدتها ألف وثلثمائة وثمانون شرفة فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام مائة واثنتان وستون شرفة فمن الرخام سبع وعشرون في وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشميسي مائة وخمس وثلاثون

بني لحيان دخلوا في الطين

{الغزوة الثامنة والاربعون}

وهي الغزوة الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري أمره أن يقصد بغزوه قوما من بني لحيان دخلوا في طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادي الطرفاء يسمى شعب الذئب فأغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقي من القوم فر حين سمعوا سنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة

{الغزوة التاسعة والاربعون}

وهي الغزوة التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفي السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذي في المدرة فيه جملة من الوهابيين

{الغزوة المكملة خمسين}

وهي الغزوة المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بني لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا خلفهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل اليهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بني مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا وتعلقوا برؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفي هذه الايام هرب من مكة السيد ماضي بن سلمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ما هم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فعاملهم بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذ زامهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز اليهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن مثقال ومعه مدفع كبير

{الغزوة الحادية والخمسون}

وهذه الغزوة الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره في الطريق خمسة أيام وانكسر العجل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفي أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد في يده وباخذيه فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قدمتم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسنابك الخيل في عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من

خيلهم

• ومن جهة شامية ثلثمائة واحدى وأربعون • فمن الرخام ثمانية وسبعون منها ثلاث طوال والباقي من الحجر الشميسي • ومن جهة غربية مائتان وأربع • فمن الرخام اثنان وعشرون في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشميسي وفي زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسي لا غير • وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان فيها خوخة تفتح منها بالجانب الشرقي أربعة أبواب وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات • الاول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شئ لكونه عامرا محكم البناء وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يقصد المسجد ويخرج منه • الثاني طاقان ويعرف بباب الجنائز وبباب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجدد في هذا الباب غير الشرفات التي عليها وعدتها أربع وعشرون شرفة • الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس لمقابلته لدار

خيلهم خمسة من أنجب الكحائل ورجعوا الى مكة وفى ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم بن شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخرجوا الى القرب من جبال بنى سفيان وأرسلوا اليهم يأمرونهم بالدخول فى الطاعة وخوفوهم وتهددوهم فأطاعوهم خوفا بعد ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليعرفوا المطلب لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا جسيما جعلوا على كل سنبانى عشرين ريالا وأخذوا سلاحهم فعندما سمعت بذلك هذيل طارت قلوبهم من الخوف والفزع فأرسلوا اليهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه لهم من النكال مع انهم لم يقاتلوه قط وغيرهم اعطا تبعه بعد قتال شديد فقبلوا منهم الدخول فى الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا فى الدين فارتحلوا من جبالكم واسكنوا تهامة فى العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتحجر على المشركين فى زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار أمر ببناء أبراج فى الحسينية زيادة فى تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هذين القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بانفذين ارتحلا من الموضع الذى كانا مخيمين فيه وتوجه سالم بن شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التى تأتى من جدة بالميرة مرة بعد أخرى

﴿الغزية الثانية والحسون﴾

وفى شهر ربيع الثانى من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد فى الطريق بجموع اجتمعت لاخذها فجهز غزية زيادة فى الحفظ والحماية وهى الغزية الثانية والحسون فأصبحت الغزية بالركانى وجاءها الخبران القوم بصروعة فالبثوا ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كالغمامة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الحملة على ظهور الخيل وانحاز ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أوغان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قطعة من خيلهم وقتل أميرهم جحى وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين فى الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف فجاءه من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفى الرد الذى بعده خمسون وفى شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود مجمعا عاما وطلب جميع الامراء فحضروا عنده منهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفى أمير الطائف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم ان يحاصروا أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد وبالغ فى منعهم الاقوات وانصرفوا من المجمع على ذلك وفى عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المضايفى فاستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين فى الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول فى حاشية كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى فقروا عينا وطيبوا نفوسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر لبقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التى هدمها فأخذ يتجهز بشغل المعاول وحرق النورة وجمع المكاتل والرمل بطلب من القبائل لعمارة العين فما مضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الاقوام وتوجه بهم وخيم فى المضيق ثم ارتحل بهم ونزل فى حدود الحرم وفى شعبان أرسل عشرين خيالا

العباس رضى الله عنه ويعرف أيضا بباب الجنائز ه الرابع ثلاث طاقات ويعرف بباب على وبباب بنى هاشم وقد جدد هذا الباب والذى قبله على أحسن وضع ه وعدد ما عليهما من الشرفات مائة وخمس عشرة شرفة وبالجانب الجنوبى سبعة أبواب ه الاول طاقان ويقال له باب بازان لان عين بازان قريب منه وقد جدد هذا بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرفات ست عشرة شرفة ه الثانى طاقات ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يعمل عليه من الشرفات ه الثالث باب الصفا لانه بابه ويعرف أيضا بباب بنى مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرفاته تسع وعشرون ه الرابع طاقان ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرفاته تسع عشرة شرفة ه الخامس طاقان ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته عشرون ه السادس طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرفاته عشرون ه السابع طاقان ويعرف بباب أم هانئ وقد جدد هذا الباب ببناء حسن لطيف وأسلوب ظريف وعدد شرفاته ثلاث عشرة شرفة ه وبالجانب الغربى ثلاثة أبواب ه الاول طاقان ويعرف

فانتهت ركضا الى جبل المنحنا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا
ولم يجدوا الهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور
ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم
بعد وضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندق والمدفع
وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى
المدرة بمن معه من القصرة وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا يتسللون اليه من كل مكان
فرتبهم لقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها راهس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل
الكبد فخيموا اتجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم
قتلوا واجتاحوا من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر
ويقطعون من يرد البلد وكثر العطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب وما برحوا على هذا المنوال
حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الجادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية
ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادي نعمان ومعهم العرب
النازلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذي شيده
بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من يمر عليهم
من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من المحرمين المعلنين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه
لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الا ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لاجل أخذ ماله

﴿الغزية الثالثة والخمسون﴾

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا ابل الشريف التي كانت في
العكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي الغزية الثالثة والخمسون
وساقوا خلفهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس
من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل النمد ويدان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا
عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من يمر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا
الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وحملوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا
سلمانيا طاعنا في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع ومما فعلوه في هذا الشهر المعظم انهم
منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاعراب حتى انهم قتلوا
شخصا معتمرا عند الزاهر

﴿الغزية الرابعة والخمسون﴾

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك
جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي الغزية الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان
باسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وصالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على
أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سلمان ودخل قوم الشريف برأسه
محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد
فواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على
الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فلملكوها قيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم
اياها والا فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم
على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يبشر

باب الحزورة ولم يجدد في هذا الباب شئ أصلا لعمارته • الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد هذا
الباب أيضا العمارة قصره
لان قصر الغوري مبني
عليه • الثالث طاق واحد
ويعرف بباب العمرة لان
المعتمرين من التنعيم
يخرجون منه ويدخلون
في الغالب وكان قديما
يسمى باب بني سهم وقد
جدد هذا الباب وعدد
شرفاته ثلاث شرفات
• وبالجانب الشمالي خمسة
أبواب • الاول طاق واحد
ويعرف بباب السدة
وكان يقال له باب عمرو بن
العاص رضي الله عنه وقد
جدد هذا الباب أيضا
وعدد شرفاته ست
شرفات • الثاني طاق
واحد ويعرف بباب العجلة
ويعرف بباب الباسطية
لاتصاله بمدرسة عبد
الباسط المتقدم أيضا وقد
جدد هذا الباب أيضا
وعدد شرفاته سبع • الثالث
طاق واحد بزيادة دار
الندوة في ركنها الغربي
ولم يجدد هذا الباب أيضا
• وطيقانه ثلاث طاقات
بالزيادة المذكورة بجانبها
الشامي وقد كان هذا الباب
قديما طاقين الى أن أمر
المرحوم الامير قاسم بك
ببناء المدارس السلطانية
ففتح طاقا ثالثا ثم هدمت
الطاقات الثلاث عند بناء
المسجد الحرام وأعيدت
كما كانت وعدد شرفاته
اثنتان وعشرون شرفة
• الخامس طاق واحد يعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك

سعود اذ ذاك وفي هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وشمران وغامد وزهران وقحطان وغيرهم من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا في الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذي لا مزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذي تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان هذه المدة وأما الغلاء الذي كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت في هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشمع أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر والبن ريالا ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بايديهم من النقود فاشتروا بالاثاث والثياب والحلي ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى في القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية والنطاط بعد حرقها بالنار ويأكلون شيئا يسمى الاخريط وهو نوع من النبات فأثر في وجوه الناس وأرجلهم نفخا وأوراما ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون في الاسواق وترى كثيرا من الاطفال موتى في كل زقاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الهرات والكلاب وكل ما يجدون من الحيوانات ومضى على الناس شيء لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربي ونوى التمر والجمر وكل شيء لين من الجرف فهلك الضعيف وافتقر الغني فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكتسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها رخيصة وصاروا يمشون في الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم في الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها محمولا حتى لم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة في المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذي القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن نامي أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكرا في الصلح وانصرام هذا الحرج ورجع في يومه الى الحسينية بخبر ما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى في أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر

﴿الغزية الخامسة والخمسون﴾

وهي الغزية الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمر والشنبري فعند ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا

﴿الغزية السادسة والخمسون﴾

وهي الغزية السادسة والخمسون فلما وصلوا لذلك الموضع لم يجدوا أحدا

﴿ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة﴾

ثم رجع عبد الرحمن بن نامي من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم في الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون في الطاعة ويكون أمر

المذكور سابقا عند بنائه للمدارس السليمانية (وأما منائر المسجد الحرام) فهي الآن ست منائر يؤذنون عليها في الاوقات الخمس ♦ أولها منارة باب العمرة عمرها أبو جعفر المنصور ثاني ملوك بني العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني في سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها في زمن الفاكهي ويتبعه سائر المؤذنين ♦ ثم صار في زمن التقي الفاسي يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا ليالي رمضان في التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في التسحير واحدا بعد واحد وكذلك في التمجيد والتذكير والتوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهي عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحد الا انهم غيروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم وكانت على أسلوب منائر مصر يعلق عليها في رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك في احدى وثلاثين وتسعمائة ♦ وثانيها منارة باب السلام عمرها

مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكان لاربع بقين من ذي القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ثم خيموا بالابطح وفي اليوم الثالث من ذي الحجة وصل عبد الوهاب أبو نقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفي اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامي يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زيادة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة خيال وكان في مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه في الطريق فجلس له بداي شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير في جبال النازية يمينا وشمالا فقاتلهم ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكر ان تصعد لهم في الجبال يحيولهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبي نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالمحصب وفي هذا الاثناء جاء أبو نقطة لمنزل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا أمرختا وألبسه فروا سمورا وشالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادي عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدري فافنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويضعون الموتى بعضهم لبعض ويدفنونهم في الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يستأجرون أنفسهم في ما يحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمامة ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبي أطفالهم وأخذ أموالهم فمنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف في افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محافظه فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب البغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة وفي غايبه هذا وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم حمد بن ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فنزلوا الملاواته واجتمعوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها اتمام أمر الصلح ونزل حمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع في حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لاداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التي ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرار الجماعة في المسجد الحرام وان لا يصلي الا امام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم وانما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا لشرهم وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبته والي جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد ابن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يعرفهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين

المهدي بن المنصور العباسي الذي وسع المسجد الحرام في سنة ثمان وستين ومائة وهي بدورين ثم تهدمت في زمن الناصر فرج بن برقوق في ست عشرة وثمانمائة وهي باقية الى الآن وثالثها منارة علي وأول من عمرها المهدي العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد في أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه التحية والروح والريحان فهدمت وأعيدت من الحجر الاصفر الشميسي وجعل لها دوران أعلى وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم • ورابعها منارة الحزورة وهي بدورين أول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت في سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتتح محرم الحرام سنة اثنين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهي باقية الى الآن • وخامسها منارة باب الزيادة وهي قديمة بدورين بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الاشرف برسباي في عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو في حجر بجنب المأذنة والله أعلم • وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بناها على

ورجع

ورجع بالجواب وسيدنا الشريف مازال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محسنا الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضي العميري وكان أخوه بجدة فجاء مكة لاخذ الثار فوجد تركيا فطعنه برمح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان الفائت في تلك الفتنة نحو عشرين ما بين قتيل وجريح وكانت مدة الحرب أربعة أيام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عمن كانوا أصول هذه الفتنة وانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي لجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١﴾

وفي السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبني له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكين فشمر مولانا الشريف ساعده لاطفاء هذه الفتنة وما خرج الناس من صلاة المغرب الا وقد خمدت ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس

﴿ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السويرقية﴾

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعد ان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل ما بين الحرمين لم يطب له دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فتوجه الى الدرعية واجتمع بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين ايس من امارة مكة فلم يعطه أيضا فطالت اقامته هنالك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الا الى السويرقية فرجع اليها كأنه محبوس فمكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه في الرجوع الى مكة فاذن له بعد مضي ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الجالية وأبي الدود أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه ما يخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه أنه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الحال أكثر المدة والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد علي باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالحال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له

عقد باب مدرسته الذي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعها مهندس عصره على مهندسي زمانه وبني نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى في حدود سنة ٩٦٠ والسابعة منارة السلطان الأعظم المغفور له الاقدس السلطان سليمان تغمده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها في احدى مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشميسي الاصفر مسبوكة بسبك الذهب الأحمر لها ثلاث دوائر مرفوعة وأساسات محكمة موضوعة رأسها على أسلوب بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الأرض الى مدارج التخوم بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسنجق جدة المعمورة فرغ من بنائها في التاسعة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه هي المنائر السبعة التي هي حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين في الاوقات الخمس وفي رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخر ذكرها أصحاب التاريخ ٥ منها على باب ابراهيم منارة شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي رحمه الله تعالى ٥ ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي أصغرها

مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد على باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا خفية ورجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام بها الى ان توفى سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في تولية شرافة مكة وما نفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مايروم بل اعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمته فان قدر له شئ يهيئ الاسباب لذلك الشئ حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطرق مشاققة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود امارة العربان ففعلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فارسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فارسل سعود لعثمان ومنعه مما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذى كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام فزالت ولله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التى كان فيها تغلب الوهابى على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكابر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التى قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويهيئ لهم الضيافات الكثيرة وفى سنة عشرين لما جاء الحج الشامى والمصرى الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ماهذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم يعنى المحمل الشامى والمحمل المصرى فقالوا له قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونهما علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما فانى أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لا يصحبوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ذكر رجوع الحج الشامى من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١﴾

وفى سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامى عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابى لا تأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك في العام الماضى فلما قرؤا تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصرى سنة ١٢٢١﴾

وأما المحمل المصرى فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادى لا يأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادى في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجىء الحج الشامى والمصرى من هذا العام

﴿ذكر أخذ الوهابى ما فى الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١﴾

وفى سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابى كل ما كان فى الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضى مكة وقاضى المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ

وهى علم لباب الصفا ولا يصعد عليها لضيقها انتهى * ومنها منارة على الميل الذى يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة وذكرها الفاكهى وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبأعلى مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدى بن مطعم ابن نوفل يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهى منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار فى رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن وذكر التقى الفاسى رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة فى الشعاب والمحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجرى عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هرون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعى على جبل أبى قبيس منارة وعلى القلة منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها ولعبد الله بن مالك منارة تشرف

عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا لقضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد علي باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢﴾

وفي سنة اثنتين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد علي باشا صاحب مصر ان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابي واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد علي باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان في ارتباك كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فما تيسر له ذلك الا في أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل صاري عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي محشي الدر المختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقي

﴿ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي سنة ١٢٢٦﴾

فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بدر ولما ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد علي باشا ثم في شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد علي باشا في تجهيز جيش آخر فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وأمره ان يكون هو وابنه طوسون باشا في ينبع لمحافظتها وجهز في شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالح آغا السلحدار وجعله صاري عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالي ارسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الاموال أخذوا في تألف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وعلى ما اعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فأكرموه وخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فالبسوهم الفراوي السمور والشالات الكشميري ففرقوا عليهم من الشالات ملء أربع مواعين وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسة عينا ففرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك ثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدمهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذي كان متأمرا في المدينة وجاء الامير سعود في هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما أتم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة في أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا في القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة في الليل وأصبحت القلعة

تعليقه انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ثم قال التقي وقد ترك الأذان على جميع هذه المنائر وما بقي شيء منها والله أعلم

﴿خاتمة في ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة﴾

فمنها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصري رضي الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخر فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهي مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم وخلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات وعند الثلاثة مواضع غير ان علماءنا ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة [illegible] بدعي هنالك فقد ذكر الحسن البصري ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الاولتين

ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العساكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما
بلغ خبرهم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب في قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان
المضايفي ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت
المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام في الاقطار المصرية في شهر صفر سنة ثمان
وعشرين وأرسل محمد على باشا بشائر الى دار السلطنة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندي
ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لمقابلته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما
مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف
ووضعوها على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب
وخلفهم الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندي
وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد
على باشا بخلع وأطواق وخنجر مجوهر وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده
ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء
مدة الوهابي فاجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعد ذلك من بدائع المفتي عبد الملك
ولا يدرى هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه
كان عالما متفننا متضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف
شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع
العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا
على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفي ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف
غالب فوضعه في الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد على باشا
في مصر بالقبض على عثمان المضايفي في شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد على باشا قد تهيأ
الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه في الرابع عشر
من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة في أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة
لمقابلته وكان عثمان المضايفي قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد على باشا الى
جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفي الى مصر في منتصف ذى القعدة فاركبوه على هجين
وأدخلوه في ألاي ليراه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما في اسلامبول
ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد على باشا وحادثوه ساعة
فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب
وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على
مثل هذا انه ذاهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام
عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد على باشا الى جدة
جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفي ويفتديه سعود بمائة ألف ريال
وقالوا ان الامير سعود اريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فقابل هؤلاء الرسل أولا
مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أوصلوهم الى مقابلة محمد على باشا
فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفي فقد توجه الى أبواب
السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء
الامر الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التي كانت بالحجرة الشريفة

وعد أبو سهل النيسابوري من المواضع التي يستجاب فيها الدعا باب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحرير
وباب القفص وعد منها
باب الصفا وباب السلام
وعد القاضي مجد الدين
الفيروزابادي في كتابه
الوصل والمنى في فضل منى
مواضع أخر يستجاب
الدعاء فيها نقلا عن
النقاش المفسر في نسكه
فقال يستجاب الدعاء في
ثبير وفي مسجد الكبش وزاد
غيره فقال وفي مسجد
الخيف وزاد آخر وفي مسجد
النحر وهو موجود الآن
حتى غير انه داثر عمر الله
من عمره نحر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم في
حجة الوداع ثلاثا وثلاثين
بدنة وأمر أمير المؤمنين
على بن أبي طالب أن
يكمل نحر تتمة مائة بدنة
عنه وهو موضع مأثور
مشهور وزاد الحافظ ابن
الجوزي وفي مسجد
الخيف على يمين الذاهب
الى عرفات في هذا الغار
تجويف في سقفه تزعم
العامة انه لان لرأس
النبي صلى الله عليه وسلم
فأثر فيه تجويفا فيضع
الزائر رأسه فيه تبركا
بموضع رأس النبي صلى
الله عليه وسلم ولم أقف على
خبر أعتمده في ذلك الا أن
الأثر وارد بنزول سورة
والمرسلات وقال النقاش
ويستجاب الدعاء في دار
خديجة رضي الله عنها
أم المؤمنين وهي معروفة
بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها لانها ولدت فيها هي وجميع اولاد خديجة رضي الله عنها من النبي

وكذلك

وكذلك ثمن ما استهلك منهم او ان يأتي بنفسه و يتلاقى معي و أتعاهد معه و يتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصب ديوانا وأجروا فيه تعليما على صورة الحرب وتابعوا الرمي بالبنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد علي باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله في الشامية في بيت القطرسي المعروف الآن ببيت باناعمة وأنزل ولده طوسون باشا في الشامية أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت السيد علي نائب الحرم الآن وكان محمد علي باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم ويقبل يده ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد علي باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع ومن تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغي انها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن آر بعمائة ومثلهم من الحضارمة ومثلهم من يافع ومثلهم من المغاربة ومثلهم من السليمانية الجميع نحو الالفين مفرقين قلعات في اطراف مكة لاجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الالف لمحافظة القلاع ولا يخفى حسن حذره عن قدر وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحفظ مولانا الشريف هذا التحفظ ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد على زعمه فاظهر ان بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد علي باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع بينه و بين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه و يجمع بينه و بين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد أكثر عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهاليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما اقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه و باب الديوان مغلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ما هو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ما قالوه

صلى الله عليه وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا فيها الى أن هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلى فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده بصوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا المحل الشريف فعمر فيه مسجدا يصلى فيه ويزار يجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة ثلاثاء من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارتها في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة قال و يستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن وفي خلفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمعية يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف بازدحام

فأدخلوه فى مخلوان الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار فى داخله وكان ذلك فى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة أعنى سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون فى قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفى وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شئ مما حصل ثم ان طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وارسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركى عند محمد على باشا حين مجئ الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركى ان الشريف غالبا له أولاد ثلاثة كبار فيخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بايدى عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلابد من الاحتيال على أولاده حتى نقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركى الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لاتهتموا ولا يكون لكم فكرة فى شئ والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم فى أقرب زمن ويكون فى مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم فى مكة وقائما مقامكم فاذا طلبتموهم يحضرون عندكم وأخبروهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وختمها وارسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا ادخلوهم فى موضع لائق بهم قبل ان يصلوا الى والدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا الى والده يخبره بذلك فتشاور محمد على باشا مع الشيخ أحمد تركى فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخى الشريف غالب بن مساعد فارسلوا من أحضره فالبسه محمد على باشا فروا سمورا وشالا غينا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التى تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شئ من تلك الفتنة التى خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هى الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فارادوا احداث فتنة فارسل اليهم محمد على باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركى وقال لهم لم يكن هنا بأس واعلموا الدكم مطلوب فى مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا فى موضع غير الموضع الذى فيه والدهم متحفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التى بجياد وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر فى شهر المحرم فى سابع عشرة من سنة تسع وعشرين فضربوا لهم مدافع اعلاما بوصوله واكرامه وقابله كبار رجال محمد على باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه فى منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الا السيد

ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون الى المسجد الحرام ويجلسون صفوفا فى وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدى ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلى الناس على عادتهم ثم يمشى الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذى يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذه من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتى الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الاودية فى تلك الليلة ويفرحون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونها عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه زعما انه يجتمع فيه من الملاهى والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وافضاء ذلك الى ما لا يصح شرعا فيكون بدعة ولم يحك عن السلف شئ من ذلك والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت عن ما ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهى فهى بدعة حسنة تتضمن تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم

البحر وفى وفاته كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد على باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح لزواج اسمعيل باشا ابن محمد على باشا فاعدوا امكانا على حدته فى بيت الشرايبى واحضروا فيه مولانا الشريف غالبا وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى أنزلوا فيه أولا وصنعوا فى ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل فى شهر صفر حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكن مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس الحافظون وتجرى عليهم النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوى من مقصبات وقشمير وتفاصيل هندية وفى التاسع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور وأرسله الباشا محمد على منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى قيل انه اذا جاء عند أخيه يتهاون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويخاطبه بغلظة وبكلمات فيها احتقار له فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد على باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فأنزلوه فى منزل ولم يجتمع بعمه الشريف غالب ثم اجتمع به وفى الحادى عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور فى وقت الفجر ولم يشعر وا به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بيك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات فظفر وا به بعد ثلاثة أيام فمن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذى هو فيه ويذهب الى بيت عمه ويعود وحده فبعد هذا الهرب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفى التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من خمسمائة كيس التى أعطوها اياها وزودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية وفى شهر ذى القعدة جاءت مكاتيب من محمد على باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه الشريف يحيى فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا قضى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول قد تقدم ان الشيخ أحمد تركى كان يشاوره محمد على باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركى كان رجلا مطوفا وله دراية بأحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة وكان أولا من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه فى مهمات أموره وكان يبعثه الى دار السلطنة فى المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد على باشا الى الحجاز جعله ملازما له فوجده محمد على باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره فى كثير من الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل النجاح بتدبيره ولما أراد الرجوع الى مصر أقام حسن باشا بمكة قائما مقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركى فى مهماته وان يعتمد على مايقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركى وله أخبار وحكايات مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وبقى الى ان توفى سنة خمس وثلاثين وصار له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى امارة مكة وهو ابن أخى مولانا الشريف غالب لانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبى نمى وكانت ولايته فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب ولما ولاه محمد على باشا امارة مكة رتب له المرتبات الكثيرة

الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وسلم للذى سأله عن صوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى هو فيه فينبغى أن يحترم غاية الاحترام ليشغله بالعبادة والصيام والقيام ويظهر السرور فيه بظهور سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام * وأما المبتدعات السيئة والمنكرات فهى محرمة فى كل مقام والله ولى الاعتصام وقال بعض العلماء قد اجابة الدعاء فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم عند الزوال * وفى دار السيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد وذلك لسكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ولكثرة نزول الوحى عليه بها وفيها مولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها * ومنها دار الخيزران وهى بقرب الصفا كانت تسمى دار الارقم المخزومى ثم عرفت بدار الخيزران والمختبا وهو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضى الله عنها لكثرة مكث النبى صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس للاسلام مستخفيا عن أشرار قريش الكفار ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام * وقد وقت بعض العلماء الدعاء فيها ما بين العشاءين والمختبأ قبة تزاروهو الموضع الذى كان صلى الله عليه وسلم يختبئ فيه من الكفار ويجتمع فيه من امن به ويصلى بهم الاوقات الخمسة سرا الى أن

من الدراهم والذخائر الا ان محمد على باشا كان يعتمد فى تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شنبر بن مبارك المنعمى وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركى لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتى وفى شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد على باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بيك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة فى القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العربان لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت طباعهم من محمد على باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا فى النواحى ومنهم الشريف راجح بن عمرو الشنبرى وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقلت الجمال عند محمد على باشا وصار يشتريها من العربان المسالمين له بأغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفى شهر ربيع الثانى من هذه السنة توفى سعود أمير الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبد الله وفى شهر ربيع الثانى أرسل محمد على باشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة برا وبحرا واستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها غير أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامى أبا نقطة وساروا الى القنفذة بعد مضى ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون فى سفينة فغضب الباشا فأرسل نجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفى شهر جمادى الثانية توجه محمد على باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأبقى حسنا باشا بمكة ومازالت العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة فى هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التى أخذها الباشا أربعة وعشرين لكا فصار محمد على باشا يرغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبرى وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتى كيس ورتب لهم مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا وبقى محمد على باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التى بالطائف وما فوقه فى افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر فيها له عليهم فملك تربة وزنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبرى وكان يستشيرهما فى كثير من الامور ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل فى محاربة كلها كثير من العرب وقبض على طامى كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل ينصب الحبائل لطامى حتى قبض عليه فوضعه الباشا فى الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لابن أخى طامى وطلب منه القبض على عمه

أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فظهر بالاسلام وبالصلاة وأعز الله الاسلام به . ودار الخيزران هى دور حول المختبأ ملكتها الخيزران أم الرشيد ثم الماجت وتناقلت فى يد الملاك الى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليقته من بنى آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الاعظم مراد خان الاكرم الافخم عمر الله بعدله الربع المسكون وأسعده فى كل ما يظهر منه من الحركة والسكون ومنها فى جبل ثور عند الظهر وجبل ثبير وحراء مطلقا ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التى هى حد منى مقدار غلوة سهم أو أكثر وهو مسجد منهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك فى أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدها العباس ابن عبد المطلب وانه بنى فى سنة أربع وأربعين ومائة والمشار اليه أبو جعفر المنصور العباسى وعمره أيضا المستنصر العباسى كما فى حجر آخر بناه فى سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الاحجار ملقاة بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضياع فيندثر أثر هذا المسجد . وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا أمين فصنع

فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفى رقبته الجنزير موطأ على عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا مدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به فى البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد على باشا يجول فى بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء فى كل موضع يستولى عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهى باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالى مكة وكانت انقطعت فى مدة الوهابية ووجد محمد على باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهى باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطى قبل توجهه الى مصر ووصل اليها فى النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفى شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وانه يذعن بالطاعة وتحقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد على باشا فلم يعجبه هذا الصلح ولم يرض به ولم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز وانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا فى أيام الامير سعود ومعظم الامر للشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذى أمر بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أى محل أرادا فكانا يركبان ويمران فى الشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا فى الجامع الازهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا فى الحجاز الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر فى شهر ذى الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود فى مدة غيبته سموه عباسا وهو الذى تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتى ان شاء الله تعالى وتوفى طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقى أمر محمد على باشا نافذا بالحجاز وعساكره فى كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركى والشريف شنبر المنعمى ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد على باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز فى المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية والاستيلاء على الدرعية وهى دار الملك لعبد الله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضى الى الدرعية وملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا فى الطاعة الى ان وصل الى محل يقال له الموتان فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا

عرفات رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع فى تجديد هذا المسجد وأسسه وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفى الى رحمة الله تعالى قبل ان يتمه وما وفق أحد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المساجد المأثورة النبوية وهو الذى بايع فيه النبى صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الانصار قوائم سيوفها وقالوا انتالن الاسود والاحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه الى المدينة لما أذن لهما فى الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا فى تجديده وعمارته • ومنها مسجد المتكا يستجاب فيه الدعاء يوم ٢ وأنكر الازرقى وجوده وقال القاضى أبو البقاء بن الضياء الحنفى فى البحر العميق ان بأجياد الصغير موضعا يقال له المتكا وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بنى شيبة • قلت وهذه الدار درست الآن وما بقى منها الا بعض أحجارها وطالما سألت كثيرا من الاعيان أن يعمروها ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد

٢ بياض بالاصل

لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية فلما جاء ابراهيم باشا الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر جملة وافرة وأحرقوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوي اهتمام محمد علي باشا وأرسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضها بعضا وأصحبهم كثيرا من الجبخانة والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر المرسلة ازدادت قوته وقوي عزمه ووقع له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت البشائر الى مصر فرح محمد علي باشا بذلك وسار له سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك شنكا وزينة وقيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد علي باشا قبل ذلك مهتما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب والفضة بالاحمال حتى انه في مرة من المرات حملوا خيرة على جمال العرب خاصة من ينبع الى المدينة بلغت أجرة تلك الجمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه محمد علي باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شيء لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن فاستبدل من بقي من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على هجين وأمامه كثير من العساكر وخرج الناس أفواجا للتفرج ركبانا ومشاة رجالا ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف ما وقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ببولاق فاقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرى فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى فقال الباشا أنا ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسمعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

وفي

وروقت لكل بقعة أوقاتا معينة • قال أما خلف المقام وتحت الميزاب ففي السحر وعند الركن اليماني وقت الفجر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وعلى ليلة البدر آخر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة وهي غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس كذا ذكره النقاش ومنها جبل أبي قبيس وانما سمي به لان رجلا من اياد يكنى أبا قبيس صعد فيه وبنى فيه بناء فعرف به • قال الفاكهي ان الدعاء فيه يستجاب وان وفد عاد قدموا الى مكة للاستسقاء لقومهم فأمروا بالطلوع الى أبي قبيس للدعاء وقيل لهم لم يعلم خاطئ يعرف الله منيبه الا تابه الاجابة الى ما دعاه اليه وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام وقال الذهبي في جزئه في تاريخ آدم وبنيه ما نصه وخلافه بعده شيث ابنه ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس • وقال وهب بن منبه قبر آدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام

وفي هذه السنة أرسل محمد علي باشا خليل باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظ مكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه في نواح متفرقة وفي شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم وأولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه فاسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود واخوانه بدار عند جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل خبر رجوعه اليها في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ووصل هو في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودي بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل في موكب حافل وفي أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفي خليل باشا بالحجاز فخلع محمد علي باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب أخيه بالحجاز عوضا عنه ثم صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفي سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا هربوا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وتركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز وولد عم سعود ومشاري بن سعود لكن مشاري كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه في الحمراء وهي قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فر حين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا في تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد علي باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات في الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فاعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا له الا تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشاري فقتله وكان لتركي ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه في الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاريا الذي قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتي ان شاء الله تمام الكلام عليه وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفي هذه السنة جهز محمد علي باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسمعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد علي باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين في أواخر ذي القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد علي باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمي بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفي الشيخ أحمد تركي سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقي الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف

وجعله في تابوت معه في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير ذلك وفي أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وايس ذلك بقبر آدم عليه السلام وانما هو صهريج كان بعد للماء لما كان على رأسه قلعة قديما وزعم الناس أن من أكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا سلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك في كل صبح يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كما ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى فقال وهو أول جبل وضعه الله في الارض وذكر بعض العلماء انه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة يسمى رباط الموفق وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا ذكرت ووقع في نفسي كل ولي وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب بارز فبني عليه قبة من الحجر الشميسي

والعرب وما يتعلق بهم فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما
معارضات ومنافسات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس
يوشون بينهما بما يوغرون انفسهما بنقل كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدير النفوس فعزم
الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاءه الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا
بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين
ومائتين وألف فارتج المسجد والبلاد وغلقت الاسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة
فاحضر أحمد باشا العساكر وصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى في داره
التي عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد
على الشريف يحيى لقربها منه وتهدده بان يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله
الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف
بانه هو الذي قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له انكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال
بل قتلته بيدي ولا أنكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ في التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه
ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام
رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم
يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه فاغتر بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة
ثلاث وأربعين أخذ في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد مقتل الشريف
شنبر أنهى الامر الى محمد علي باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن
الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار
القبض على أبيهم صغارا فكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم
فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى
تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجيء للقتال استحسن
أن يعجل بتولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد
مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان بولاية
الشريف عبد المطلب ونودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس
فجاؤه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور
وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بان محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة
للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي
وانه أرسل يطلب له الفرمان السلطاني من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وكان
الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد علي باشا في عزوا كرام لانه لما كان محمد علي باشا
بالحجاز كان قد أقام الشريف محمدا المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن
يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم
وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد علي باشا
عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه
الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل في ذلك
القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقي بها الى افتتاح
سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد علي باشا في عزوا كرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر
المنعمي استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية

الامير الكبير السعيد الشهيد محمد بن سليمان جركر دفتردار مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في
أيام السلطان الاقدس
المرحوم المقدس السلطان
سليم خان عليهم الرحمة
والتحية والرضوان بناه
في سنة خمسين وتسعمائة
وكسى التابوت الشريف
كسوة فاخرة وعين له خادما
ورتب له علوفة من خزائن
الصدقات الشريفة
السلطانية العثمانية جارية
عليه الى الآن وكان من
أهل الخير والجميل
والمعروف كريما جوادا
بذولا له احسان كثير
وجميل وافر أحسن الله
اليه كما أحسن الي وضاعف
حسناته ومحا سيآته حج
الى بيت الله تعالى وهو
أمير الركب الشامي
وأحسن الى الناس كثيرا
وعم احسانه وكان يحب
العلماء والصلحاء ويكرمهم
ويحسن اليهم ويقضي
حوائجهم بحيث كانوا
يعدون أيامه تنفسات
الدهر ثم قتل مظلوما وعند
الله تجتمع الخصوم والله
غفور رحيم ومنها عند قبر
سيدنا الفضيل بن عياض
رضي الله عنه وهما في
محوطة فيها جماعة أولياء
أجلاء كبراء منهم الشيخ
تقي الدين السبكي والشيخ
عبد الله بن عمر المعروف
بالاواشي وكثير من
مشاهير الصلحاء آخرهم
مولانا الشيخ عبد اللطيف
النقشبندي الرومي رحمه
الله تعالى ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي

والباقة لامارة مكة ففعل الامر مكتوما وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولى أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد العزيز الحرث أمير المضيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الزيمان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجيها من الشريف علي بن غالب وطلب منه ان يسير معه الى أن يوصله الى مكة ففعل الشريف علي ذلك ولما وصلوا وقربوا من الزيمان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث في الزيمان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف علي وارسل اليهم يقول ان أحمد باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا انما كانوا أرادوا ان يقتلوه وبعد ان وصل أحمد باشا الى مكة رجع الشريف علي بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحمد باشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى القبائل التي كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بهم الى مكة فوقع بينه وبين أحمد باشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكانت تلك الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادى الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وأيس أحمد باشا من النصر وطلع القلعة بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة وبعضهم في الباشية وبعضهم في بيت بنت جعفر الذي عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التي كانت مربوطة في اصطبل خيل أحمد باشا الذي في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقلل على القبائل التي في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم في المخابئ تحت الارض وبنى بعض الناس متارس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على أن تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتي من طريق الوادي ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها وان دخولهما يكون في صبح التاسع من جمادى الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الهدالية وفي أثر ذلك الخبر دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاخبروه ان الحرب على مكة فحين نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا في بيت أحمد باشا الذي عند باب علي وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة في الباشية وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المعابدة وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذي يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقلل على قبائل العرب التي انتشرت في

الشولى رضي الله عنه ذكر الشيخ خليل المالكي ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر سمامرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا أراد أن يدعو عند سمامرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره وقد اندرست تربة الملك المسعود الآن ومحلها فوق البئر المعروف ببئر أم سليمان الموجودة الآن مرتفعا عن طريق السيل ومنها عند قبر الداوودي بالقرب من الجبل قال المرجاني في بهجة النفوس الدعاء عند قبره مستجاب ومن المواضع التي جربتها أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرماني النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياه توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة في الطريق أجلها كتاب منظوم في مقابلة المثنوي رحمه الله وفي مكة مواضع مباركة وموالد متبركة ومساجد مأثورة غير هذه فمنها مولد سيدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي قبيس من قفاه في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولد يزار الا أنه منهدم

الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الخيالة الذين جاؤا معه صار كثير من الناس يسخرون به ويقولون أين يذهب هؤلاء السبعة الى هذه الجنود المجندة فبينما الامر كذلك اذ جاء الشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف يقال له مساعد الوحشي وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يكن ذلك من أحد منهم وانما هو شئ أراده الله وأنطقه به فصدق الشريف عبد المطلب مقالته وركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى وترك القبائل والقتال وركب معه بعض خواصه وأتباعه فلما علمت القبائل ذلك أمسكوا عن القتال وأرسلوا للشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان فأمنهم وأرسل الى أهل القلعتين وأمرهم بالكف عن رمي المدافع والقتال ونصب له صيوان بالابطح وجلس فيه فجاءه شيوخ القبائل مع قبائلهم وعرضوا عليه فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوائز ثم ركب وتوجه الى مكة والقبائل يعرضون بين يديه وكان رجوعه قبيل الظهر ونزل في دار الشريف يحيى ابن سرور التي عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف أمنا وسرورا وكانت تلك الفتنة لم تكن في لمح البصر وكان الشريف يحيى بن سرور قد أقبل بقبائل من الحربية على الامر الذي اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادي تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن عون في آخر النهار الذي وصل فيه الشريف محمد بن عون الى جدة فقيل له لو تقدمت بالقبائل التي معك الى طريق جدة لمنعته العبور الى مكة فامتنع وقال حيثما وصل الشريف محمد بن عون فالامارة له ولا أتعرض له ولا أمنعه العبور الى مكة ثم لما تحقق عنده هزيمة الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف فكاتب الشريف محمد اذ ذاك والشريف عبد المطلب وبعقد الصلح مع الجميع فلما وصل الى الطائف جاءتهم المكاتيب من الشريف محمد ابن عون بالتأمين والاستعطاف وانه يرجى منه محمد علي باشا العفو عن الجميع وانه يرتب لكل منهم حاله الترتيب اللائق وان يكونوا في ذمته حيثما أرادوا اما بالطائف أو بمكة أو المدينة المنورة واستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيننا وبينه الا الحرب وحصن الطائف وتحصن به وأمر أهل الطائف بحمل السلاح وان يقوموا معه فلم يقدروا على الامتناع وبعث أخاه الشريف عليا الى الحجاز ليجمع له قبائل بني سعد وناصرة وأهل جبلة وغامد وزهران وأظهر كل الجد والاجتهاد في ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته لقلة من معه بالنسبة اليه فبقي معه بالطائف ومعه ولداه الشريف منصور والشريف حسن وبعض أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد ابن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوي زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف زيد بن سليم بن عبد الله المغربي ووضعه في الحديد وحبسه في القلعة مع من قبض عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار للشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاءته عساكر كثيرة من مصر من الخيالة والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما استكمل وصول العساكر والذخائر وخزائن الاموال في صناديق كثيرة وصحاحير كثيرة فيها الجوخ والشيلان والفراوي السمور والعمائم وكان استكمال وصول الجميع في شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة توجه بهم ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما اليه وكانوا معهم فأكرمهم الشريف محمد بن عون بالكساوي والجوائز والضيافات فنزلوا العرضي بالعقيق وهو قريب من الطائف بحيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف

الآن عمر الله من عمره ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في أسفل مكة لاسيق عوضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين الجديدة كما بين قال السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى لم أر شيئا يدل على صحة أن هذا المكان مولد السيد حمزة رضي الله عنه لان هذا المحل ليس محلا لبني هاشم وطول هذا المحل خمسة عشر ذراعا أو ثلث وعرضه سبعة أذرع وربع وفي صدره محراب وبابه في الجدار الذي الى جهة بركة ماجن انتهى وقد خرب الآن وامتلأ بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب ولا جدار وهو قد سمي بمولد سيدنا حمزة فرحم الله من أحياه وعمره ومنها موضع في أعلا جبل يقال له جبل النوبي يقال انه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلع الناس اليه للسير والتفرجة لاشرافه على مكة ومن الناس من يقصده للزيارة قال التقي الفاسي رحمه الله لا أعلم في ذلك شيئا يستأنس به غير أن جدي أبا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في الليلة الرابعة عشر من شهر ربيع الاول من كل سنة انتهى وقلت وهذا

عبد المطلب يعرضون عليه الامان وامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية فى قلعة الطائف فامرهم بالرمى بالمدافع المتصوبة بالقلل على العرضى فلم يقدروا على مخالفته ففعلوا ذلك وثار الحرب بين الفريقين ورمت المدافع أيضا من العرضى على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بنى سفيان وهذيل أهل الشفا من الطائف والى خالد فتسللوا وخرجوا الى ان وصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا أهل الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم حتى الشيخ عثمان الفارسى حمل البندق ولبس السلاح وكان من العلماء وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر الشريف عبد المطلب فكان مع أهل الطائف فى جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا متفرقين فى الطائف وعند السور والابراج ليلا ونهارا وأصابهم فى ذلك غاية الجهد والعناء والشريف عبد المطلب يعدهم بحضور القبائل الذين ذهب أخوه الشريف على يجمعهم من الحجاز فمضت الايام والليالى ولم يحضر أحد منهم وكان للشريف محمد بن عون بيت بالطائف فيه عيال من حين توجهه الى مصر سنة تسع وثلاثين وكان له معهم ابنه الشريف عبد الله وعمره اذ ذاك نحو ست سنين وذلك البيت الذى كانوا فيه فى حارة وسط وهو المعروف ببيت محمد على باشا فتوسط الشريف محمد من أتاه بابنه الشريف عبد الله خفية وأخرجوه اليه فى العرضى ولم يشعر بذلك الشريف عبد المطلب واستمر الحرب والرمى بالمدافع نحو اثنين وعشرين يوما وضجر أهل الطائف وقلت أقواتهم ونفدت بالكلية المشقة فخرج أناس منهم خفية ووصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لانفسهم ولاهل الطائف ووعدوا بانهم يفتحون الابواب لدخول العساكر فلما علم الشريف عبد المطلب بذلك تدارك الامر قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معه فاعطاهم الشريف محمد بن عون وسليم بيك ذلك وأطلق الشريف يزيد بن علي البقعرو كل من كان محبوسا معه ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهما الى العرضى وتقابلوا مع الشريف محمد بن عون وسليم بيك ووقع بين الجميع عهود ومواثيق وتم الصلح ووعدهم الشريف محمد وسليم بيك بانهم ما يشفعان عند محمد على باشا فى عفوه عن كل ما يريدون ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك فى شهر رجب من السنة المذكورة فلما كان الليل عزم الشريف عبد المطلب على الهرب والخروج من الطائف فشد بعض ركائبه وبعض خيله وركبها وخرج ومعه أخوه الشريف يحيى بن غالب وبعض أتباعه وكان خروجهم خفية من باب السور الذى عند ضريح ابن عباس رضى الله عنهما ولم يكن عنده شئ من حرس العسكر وبعد خروجهم بقليل علم بذلك الشريف يحيى بن سرور فارسل واحدا من أتباعه يقال له ناصر بن رشيد وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم بيك يخبرهما بذلك فلما أخبرهما بذلك أمرا بركوب العساكر الخيالة ليسيروا على الطريق ليلحقوا الشريف عبد المطلب ومن معه فساروا الى ليلة فلم يدركوهم ثم رجعوا الا انهم قبضوا على الشريف يحيى بن غالب لانه عثرت به فرسه وسقط عنها فظفروا به وقبضوا عليه وأتوا به ثم دخل الطائف الشريف محمد بن عون وسليم بيك وحصل الامن والاطمئنان للبلاد والعباد وعزلت الاهالى وبعد أيام رجعوا الى مكة ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن عون وسليم بيك لمحمد على باشا بجميع ما صار فلما كان شهر شوال من السنة المذكورة صنع سليم بيك ضيافة للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهما وكانت الضيافة فى دار سليم بيك التى كان ساكنا فيها من حين وصوله مع العسكر من مصر وهى دار السيد محمد العطاس التى فى الشبيكة عند المحجوب فحضروا الضيافة وبعد تمام الطعام أبرز لهم سليم بيك أمرا جاءه من محمد على باشا مضمونه انه يطلب حضورهم الى مصر فامتثلوا الامر فقبض عليهم ووجههم الى مصر وهم

باق الى الآن يجتمع بعض القراء فى الليلة الرابعة عشرة من كل شهر يذكرون الله تعالى فيها احياء لتلك الليلة ومنها موضع بقرب باب العلقة يقال انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن أبى طالب يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم دخله والله أعلم بحقيقة ذلك ومنها فى زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه كان لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويقال انها داره وبناه نور الدين بن عمر ابن على بن رسول الغساني صاحب اليمن قبل أن يؤول الملك اليه فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة وقابل هذه الدار حجر يتبرك الناس باسمه يقال انه كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم من احجار قال التقى الفاسى رحمه الله مالى هذا الحجر أن صح كلامه للنبى صلى الله عليه وسلم انه هو الحجر الذى عناه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على ليالى بعثت الآن قلت ويقرب هذا الحجر وقبل أن يوصل اليه فى مقابلته على يساره صفيحة حجر مبنى فى الجدر فى وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فى

الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف حسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك أكرمهم محمد على باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيره ثم بعد مضى سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته الشريفة حزينة عرضت لمحمد على باشا تترجى عنده فى ارجاع أخيها لقوم بمصالحهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقى بمكة الى أن توفى سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقى بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفى سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفى بمصر أيضا سعد ومسعود وسرور أبناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقى الشريف منصور بن يحيى بن سرور فى بلاد عسير الى أن توفى والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مر على الحجاز واجتمع بأخيه الشريف على بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير على بن مجثل فأكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا فى بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامى بعد توجهه من المدينة ورافقوه وكان أمير الحاج الشامى فى تلك السنة رؤف باشا فصار لهم صحبة معه وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى دار السلطنة فأقاموا بها فى عز واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد على باشا ومولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذى تملك الشام بعده محمد على باشا ولى فى تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان فى كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفى السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد على باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى لعثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتى اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام فى مشيخة السادة العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجرى فيه المذاكرات فى كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فأجازهم عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد على باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد على باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولى محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذى كان مجيئه أولا مع العساكر التى جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فأقام سليم بيك فى محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد على باشا وولى عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفى بمكة سنة ست وأربعين بعرض الوباء بالاسهال والقىء وكانت تلك السنة هى أول السنين التى حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم

ذلك الحجر وهو يكلم الحجر الذى أمامه على شماله قال القاضى أبو البقاء بن الضياء فى البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفراينى فى كتاب زبدة الاعمال ان أهل مكة يمشون اذا رأوا الموالد من دار خديجة رضى الله عنها الى مسجد يقولون انه دكان أبى بكر الصديق كان يبيع فيه الخز وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان رضى الله عنه وطلحة والزبير رضى الله عنهم قال وفى جدار هذا دكان أثر مرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء دار أبى بكر رضى الله عنه ذات يوم ونادى يا أبا بكر انتهى • قلت الجدار الذى فيه المرفق بعيد عن دكان أبى بكر رضى الله عنه الى ناحية القبلة بينهما دور وما رأيت فى كلام أحد من المؤرخين من حقق شيأ من ذلك والله أعلم بحقيقته • ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العباس رضى الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الاخضرين وهى الآن رباط يسكنه الفقراء ومنها موضع بلحف جبل قيقعان بلصق دار سيدنا ومولانا قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام القاضى حسين بن أبى بكر الحسينى أطال

يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في التكرور والجبرت فلم يكترث الناس به ولم ينزعجوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه راكبا ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ فكان ممن توفي في منى من ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد على باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغلظوا عليه في طلب جوامكهم ولم يكن عنده ما يقوم بمطلبهم فحاصروا خورشيد بيك المذكور وتخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسمعيل بيك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بيك أيضا من كبار عساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركى بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركى بلماز وأرسل محمد على باشا من مصر على أغا رزقي لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية فلم يتمكن له ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك اشتد خوفهم من محمد على باشا في اخذ انهم تلك الفتنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ولم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في الباضية وفي بيت بنت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من الباضية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقى من الاتراك الى جدة فتراءت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا خان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضى هذه الفتنة أعطى محمد على باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيأ كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان تركى بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميرى وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد على باشا فأطلعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وتملكوا الحديدة والمخا بالتغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد على باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد على باشا ولى أحمد باشا الجبازى محافظة مكة كما كان فيها سابقا فجاء في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف على وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد على باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان

الله بقاه وأدام علاه يقال له مسجد الجنيد أحيا المشار اليه ما ثره قال سعد الدين الاسفرايني انه مسجد الجنيد ومسجد ابراهيم بن أدهم رضى الله عنهما

* ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة منونا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره في أشعارها فمن ذلك قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

ويقال له جبل النور لنور أيضا لظهور أنوار النبوة والكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك في غار أعلاه صهريج ماء يجتمع فيه أيام المطر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني أخاف ان تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء الى يا رسول الله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبا من المشركين في غار ثور فيحتمل ان يكون النبي

قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وأقيم بعده أميرا عليهم عائض بن مرعي وكان أيضا
من بني مغيد واستقل بملكه وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي بقيت تحت طوع الدولة مثل
بني شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف
محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه بالعساكر وبقي أحمد باشا بمكة يمدهم بارسال الذخائر
والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها الى حكم الدولة
فصارت بلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه وتقدم الى بلاد عسير ليخلصها منهم
ويرجعها كما كانت عند تجهيز محمد علي باشا الى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير في ارسال الذخائر
والخزائن وما يحتاجون اليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع
الفشل في الجيوش وأدى ذلك الى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون الى مكة
وكذلك العساكر وكان ذلك سنة احدى وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب
التقصير الى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا ليحضرا عنده بمصر ليتحقق ما في ذلك
فتوجها الى مصر في سنة اثنتين وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف مبارك
ابن عبد الله الحمودي العبدلي وأبقى أحمد باشا وكيلا عنه أمير اللواء أمين بيك فلما وصلا الى مصر
تحقق عند محمد علي باشا وثبت أن التقصير انما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف
محمد شيء من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع الى مكة فوسط أحمد باشا
وسائط لمحمد علي باشا وبذل لهم في ذلك مالا جزيلا على انه هو الذي يرجع الى مكة ويبقى مولانا
الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا بأنه يستولي على عسير بالعسكر في ثلاثة أشهر فحضر مولانا
الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره بأن أحمد باشا يطلب الرجوع الى مكة وانه يتعهد بأنه يستولي
على عسير في ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا بعد ثلاث سنين فقال محمد علي
باشا نجربه وننظر ماذا يصير وتبقى أنت عندي بمصر حتى يتوجه هو فقال مولانا الشريف محمد لا بأس
بذلك فبقي مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمدا على بعض الأشراف مثل
الشريف منصور بن زيد الشنبري فانه كان مصطحبا مع أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا
الأمر وكان قد تولى امارة غامد وزهران في بعض السنين ويريد رجوعه الى امارته وكان أحمد باشا
أيضا معتمدا على سلطان بن عبدة العسيري والمذكور كان أميرا على قبيلة من قبائل عسير يقال
لهم علكم وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير اختلاف فأراد أن يقتله فهرب وجاء الى مكة ملتجئا قبل
هذه الوقائع بسنين فسعى له أحمد باشا عند محمد علي باشا في ترتيب معاش جزيل ومرتبات جزيلة فبقي
بمكة مصطحبا مع أحمد باشا ويبدي الميل الى مولانا الشريف محمد ظاهرا وميله في الباطن مع أحمد باشا فكان
يعده ان قبائل عسير تخرج عن طوعه وانه اذا توجه مع أحمد باشا والعساكر ملكه بلاد عسير فلما
رجع أحمد باشا من مصر أبقى أمين بيك قائمقامه وتوجه هو بالعساكر الى الحجاز بلاد غامد وزهران
ومعه الشريف منصور بن زيد وكثير من الأشراف وسلطان بن عبدة العسيري فوقع بينه وبين عسير
وقائع في الحجاز وانتصر أحمد باشا في وقعة منها في سنة ثلاث وخمسين تسمى وقعة النباحة واستخلص
منهم بلاد غامد وزهران ثم رجعوا بعد ذلك وأخذوها ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر الى
مكة وضربت المدافع وعملت الزينة بمكة وجدة والطائف ثلاثة أيام وأرسلوا الى مصر لمحمد علي باشا
وعظموا هذه النصرة مع انهم ما قدروا أن يتقدموا بالعساكر الى بلاد بني شهر ولا الى بلاد عسير بل
في سنة أربع وخمسين رجع العسيري الى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل أن الأمر استمر
بلا نتيجة ولا فائدة الى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده
الشريف عبد الله والجميع في عز واكرام وولد لسيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين في

صلى الله عليه وسلم اختبأ
عن المشركين في حراء في
واقعة ثم اختفى منهم في غار
ثور وقت الهجرة * فلم
ينقل وقوع ذلك له صلى
الله عليه وسلم مرتين
وليس في حديث السهيلي
ان حراء لما نادى النبي
صلى الله عليه وسلم الى أن
اختبأ من المشركين
خصوصا وقد قال السهيلي
لما نقل هذا الحديث في
الهجرة قال وأحسب في
الحديث ان ثورا ناداه لما
قال له ثبير اهبط عني
﴿ومن الجبال المباركة
المأثورة جبل ثور﴾ وهو
جبل أكبر من حراء وأبعد
منه بالنسبة الى مكة سمي
بثور بن عبد مناة لسكناه به
وصح أن النبي صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر الصديق
دخلاه واختبآ فيه عن
المشركين لما قصدوه
بالقتل فنجاه الله تعالى
منهم * قال صاحب الدر
العميق يروى ان أبا بكر
رضي الله عنه لما خرج مع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوجها الى الغار جعل
طورا يمشي أمامه وطورا
يمشي خلفه وطورا عن
يمينه وطورا عن شماله
فقال صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا أبا بكر فقال
يا رسول الله بأبي أنت وأمي
أذكر الرصد فأحب أن
أكون أمامك وأتخوف
الطلب فأحب أن أكون

أواخر سنة أربع وخمسين وأرسله الى مكة ليكون عند المراضع فوصل الى مكة في المحرم سنة خمس
وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبد المجيد ومحمد علي
باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويفوض الجميع لمولانا
السلطان ويبقى له ولاولاده ملك مصر وأعمالها فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد ان يرجع
الى مكة في امارته كما كان وان يجهز له عساكره التي بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة
بالحجاز والحربية أعني بلاد حرب وخشي انه اذا شاع زوال حكمه عن الحجاز يحصل اضطراب بالحجاز
فيقع ضرر على عساكره ورأى انه لا يحصل التمكين والامن في الحجاز ويتسهل ارسال العساكر
الا بمولانا الشريف محمد بن عون وكانت العساكر التي في حرب مجتمعة على باشا لقبه أطرير وكان
مخيم العساكر في الغارية والخيف وكان قد ملك تلك البلاد والحيوف ومضايق قبائل حرب أشد
المضايقة وقطع كثيرا من نخيلهم وفروا هاربين الى رؤوس الجبال وصاروا متحصرين فيها وقطعت
الطرق وحصل لاهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم المأكولات واشتد الغلاء عندهم حتى بلغ
الاردب القمح ثلاثين ريالا فالتمس محمد علي باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولا الى
بلاد حرب لازالة هذه المشكلات وارسال عساكره التي هناك فتوجه من مصر في سنة ست
وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر شاع خبر وصوله عند قبائل حرب المتحصرين في الجبال
فحصل لهم خوف شديد وأيقنوا بالهلاك والاستئصال فأرسلوا له يطلبون الامان وانهم يكونون
تحت الطاعة على حسب ما يشترطه عليهم فامتنع من اعطائهم الامان حتى يقهرهم بالسيف وطلع
بالفقرة فتهور تلك العساكر وقصد الفقرة وهي أعظم جبل لهم يتحصنون فيه ولهم في الفقرة
نخيل ومزارع وأموال كثيرة فلما أقبل على الفقرة ما قدر أحد على قتاله بل فروا في الجهات فدخل
الفقرة وأحرق فيها أماكن وقطع بعض النخيل وصارت قبائل حرب في غاية الذل والهوان ثم أرسلوا
يطلبون منه الامان فأمنهم فقبلوا عليه أقداما وجاؤوا وعاهدوه واشترط عليهم شروطا فقبلوها ثم رجع
من الفقرة وأرسل العساكر الى مصر بغاية الامن والراحة ثم توجه الى المدينة وسلكت
الطرق وارتخصت الاسعار وزالت تلك الشدة ولما دخل المدينة كان بها عثمان باشا من طرف الدولة
شيخا على الحرم النبوي وشريف بيك مديرا على الحرم ثم صار باشا بعد ذلك ولما دخل على مولانا
الشريف محمد يوم قدومه المدينة للسلام عليه والتهنئة بالقدوم قال له أنت غوث الحرمين أغاثك
الله بك أهل مكة في سنة ثلاث وأربعين وأغاث بك أهل المدينة في هذا العام فأجابه ارتجالا حالا
بقوله وأنا ابن عون ٣ وابن عون اذا اتصف بكون أنت غوث فتعجبوا من استحضاره لهذا الجواب ثم
انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة وطلب أهله فأرسلوا اليه الى ان شفاه
الله تعالى من المرض وتمم الاصلاحات المتعلقة بالمدينة وأعمالها ورجع الى مكة في آخر سنة ست
وخمسين وفي آخر شهر ذي الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة ابنه الشريف عون الرفيق
كانت أمه حملت به وهم في المدينة فهو مدني مكي وسماه السيد اسحق شيخ السادة في الدار التي
بالشامية لسيدنا الشريف محمد بن عون المشهورة بدار الجيلاني وحضرت تسميته وكان في مدة
مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان ارساله له من مصر حين عزم على
التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور الى بلاد حرب بل قدم الى مكة وصار قائما مقامه
وكان عمره اذ ذاك نحو عشرين سنة فقام بالامر وكالة عن أبيه أتم القيام وحصل بعد قدومه تجهيز
العساكر المصرية التي بالحجاز وأرسلت الى مصر في غاية الامن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا وأمين
بيك الى مصر ثم وجهت الدولة ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي لعثمان باشا الذي كان شيخا للحرم
النبوي ووجهت مشيخة الحرم النبوي لشريف بيك الذي كان مديرا بالمدينة وصار شريف باشا

خائفا فدو آخذا الطريق
يمينا وشمالا فقال لا بأس
عليك يا أبا بكر ان الله معنا
وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مخصص
القدم بل كان يطأ الارض
بجميع قدمه وكان حافيا
فحفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحمله أبو بكر
رضي الله عنه على كاهله
حتى انتهى به الى الغار
فلما وضعه أراد النبي صلى
صلى الله عليه وسلم أن
يدخل الغار فقال أبو بكر
والذي بعثك بالحق لا تدخل
حتى أدخل فاستبرئه لأجلك
فدخل أبو بكر رضي الله
عنه فجعل يلمس بيده الغار
في ظلمات الليل مخافة أن
يكون فيه شيء يؤذي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لم ير شيئا أدخل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغار وباتا فيه فلما
أسفر بعض الاسفار رأى أبو
بكر رضي الله عنه خرقا في
الغار فألقمه قدمه حتى
الصباح مخافة ان يخرج
منه شيء يؤذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وأمر الله العنكبوت
فنسجت على فم الغار وأرسل
حمامتين وحشيتين
فعششتا عليه وباضتا
وأقبل فتيان قريش من
كل بطن رجل بعصيهم
وسيوفهم ومعهم كرز بن
علقمة القصاص فقص
الاثر حتى انتهى الى الغار

وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا
الشريف محمد بن عون قائما مقامه فصار قائما لمقام الامارة والولاية جامعا بينهما ولما رجع سيدنا
الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه
واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع
بينهما الخلاف سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد على
باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والجبخانات فقومت جميعها بالقيمة واستقبلتها الدولة لتخصم
من الخراج المقرر على محمد على باشا في مقابلة ولاية مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شئ لا يمكن
حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف العدس بمكة وحده ثلاثة وعشرون ألف اردب
وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد على باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير
من الاشراف وغيرهم فاستقل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه
وصيرته في دفاترها وكذلك تقدم ان محمد على باشا جدد دفاتر الجراية المرتبة لاهالي مكة ورتبها على
ترتيب غير الذي كانت عليه لانه وجدها بأيدي التجار والاغنياء بالفراغات وليس بأيدي الفقراء
منها شئ فأبطل تلك الدفاتر ورتبها على ما هي عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة
أبقى دفاتر الجراية على الترتيب الذي رتبه محمد على باشا وينبغي ان يذكر هنا تجهيز محمد على باشا
على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز والد سعود فيكون عبد
الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركي تملك نجدا بعد أبيه ثم قوي
واستفحل ملكه ورجع الى اشهار الدعوى التي كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد على باشا
أمر بتجهيز العساكر الى قتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة
سبع وأربعين ووقعت الفتنة بينه وبين تركي بلماز كما تقدم بيان ذلك فجهز خورشيد باشا
بالعساكر الكثيرة للمسير الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى
نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر
بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر
لمحمد على باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بيك ابن سعود وكان خالد من
الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود
وتربى بمصر فاستحسن محمد على باشا ان يجعله أميرا في نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب
له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركي وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود
أميرا في الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن
سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد فثار عليه
رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وعاهده
الناس وأراد الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان
توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد على باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل
ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل
الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد
على باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد على باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شئ من الامر
الا انه كان محببا عند جده محمد على باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا
بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجدا صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص
من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لافندينا تحت أمره فوعده

فقال لهم ان هنا انتهى
أثره فما أدري بعد ذلك
أصعد السماء أم غاص في
الارض فقال لهم قائل
ادخلوا الغار فقال لهم
أمية بن خلف ما أربكم في
الغار وان عليه لعنكبوتا
من قبل ميلاد محمد ثم بال
حتى سال بوله في الغار بين
يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وأبي بكر رضي الله
عنه فنهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن قتل العنكبوت
وقال انه جند من جنود
الله تعالى والراشصرة انها
زهر دقاق بيض يحشى به
المخاد وحمام الحرم من نسل
تينك الحمامتين ذكره
السهيلي ● وفي الصحيحين
والترمذي عن أبي بكر
رضي الله عنه قال نظرت
الى أقدام المشركين وهي
على رؤسنا فقلت يا رسول
الله لو أن أحدهم نظر الى
قدميه أبصرنا تحت قدميه
فقال يا أبا بكر ما ظنك
باثنين الله ثالثهما انتهى
وكان خوف الصديق
رضي الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا على
نفسه فانه قال يا رسول الله
ان قتلت فأنا رجل واحد
من أمتك وان أصبت أنت
هلكت الامة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسكن
روعه ويقوي جأشه
ويقول له لا تحزن ان الله
معنا فرجع المشركون
خزايا وعصم الله تعالى نبيه

عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال فى اخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا فخرج فى ليلة ووصل الى المواضع التى فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو فى الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا فى الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفى سنة اثنتين وثمانين وأصابه فى آخر عمره غشاوة فى عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفى فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعنى سنة ألف وثلثمائة الا ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوى ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما التنافر والخلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفى تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون فى مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول فى مقابلته وكان كرد عثمان يأتى اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف على بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فأذنت الدولة للشريف على بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد على باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد على باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب فى أصل ولايته امارة مكة فصار محمد على باشا مجتهدا فى نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف على بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتى بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف على بن غالب الى مصر أكرمه محمد على باشا غاية الاكرام

وصاحبه منهم وقد ثبت فى صحيح البخارى انهما مكثا فى الغار ثلاثا وعن طلحة البصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضى الله عنه بضعة عشر يوما ومالنا طعام الا غير البرير قال أبو داود البرير الاراك وفى حديث الهجرة ان أبا بكر رضى الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلا بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما فى الغار اذا أمسى وكانت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه تأتيهما اليلا ء ما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبى بكر يكون نهاره فى قريش يتسمع ما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة يرعى غنمه فى رعيان مكة واذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبهما لهما فاذا راح عبد الله بن أبى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فقفاه حتى يعمى أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما

واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفى وانتقل الى رحمة الله تعالى بمصر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة و يرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريفا باشا الذى فى المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكى فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه و بين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفى سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركى أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استفحل ملكه و يخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركى دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له فى عقد صلح و يضعوا عليه خراجا فاجتهدوا وامعموا مولانا الشريف محمد فى الصلح الى ان رضى ووضعوا على فيصل بن تركى خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضى بذلك فيصل وتم الصلح و رجع مولانا الشريف محمد بالعساكر فى سنة ثلاث وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفى فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفى سنة أربع وستين تخلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقلده ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفى فى ذى الحجة من السنة المذكورة فاقيم فى ولاية مصر عباس باشا بن طوسون باشا ابن محمد على باشا وفى رمضان سنة خمس وستين توفى محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفى سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا مير ميران بنيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء بنيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفى سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفى هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة و بنى شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفى هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد و بيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات فى مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف فى المخا وكان قد أعطى رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى أن توفى بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها معاونه توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

الذى استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضى الله عنها بسفرتها وارتحلا وبقية أخبار هجرتهما فى السير فليراجعها من أرادها

• ورحم الله الابوصيرى حيث قال فى بردته

وماحوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم

قال المرجانى فى بهجة النفوس ذكر لى ان رجلا كان له أموال و بنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روى انه من دخل غار ثور الذى آوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزنا

• وقال المرجانى رحمه الله تعالى هذه الخاصية من

أئمة صنعاء فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على ما رتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنته وكان رجوع ابنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام بتصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجراءها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبد الله المرغني لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الازهري وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخي السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس في دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقاء ما كان على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد ابن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوى في الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا وجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغني بعد ان سجل في سجل قاضي مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولي بدله عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا لانه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقي بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجيء آقه باشا المكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لقضاء بعض أشغال لهما فضرابوما عند آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فابرز لهما أمرا ساميا من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون بمضمون ذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المركب

تأثير قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى * وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقل أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لان الدخول عسير ويحتاج الى فطنة والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد تعوق فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأخذ لهم حجارون من مكة وقطعوا عنه ونكرر ذلك كثيرا في كل عصر ومع ذلك لم يتسع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان شخصا بطينا * وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأما من لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه ويتمدد الا باقي جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويضغن بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه وكلما شدد في الدخول

وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا في مكة الشريف
منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائما مقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه
الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة
للشريف منصور بن يحيى فكتب في ذلك وأصحبه محضرا من الاشراف وغيرهم من أعيان الناس
مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة
لمولانا الشريف عبد المطلب في شهر رمضان ووصل الى مكة في ذي القعدة من السنة المذكورة
ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وأنزلوا في
المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف
عبد الله بمكة وهو في دار السلطنة مولود ترك في بطن أمه سموه شرفا كانت ولادته في آخر سنة سبع
وستين وولد لأخيه الشريف علي بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفي
شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب وابتناء
قلاع في الحريبة وقابله قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عساكر ثم
توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة في آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا
اختلاف وتنافروا دعى على آقه باشا انه ضاره مدة اقامته في الحريبة في ارسال الذخائر والخزائن
والمهمات وانعقد بينهما مجلس في شهر الحج في دار أمير الحاج الشامي الذي جاء في ذلك العام وهو
أحمد عزت باشا الارزنجاني فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا
الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لأحمد
عزت باشا الارزنجاني فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما
رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وعزل آقه باشا فجاء
أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامي في شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومائتين
وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذي بنى البيت الذي بالزاهر بالقرب من شهداء فخ في مدة ولايته
هذه وفي سنة سبعين توفي عباس باشا صاحب مصر وأقيم في ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد علي باشا
وفي سنة سبعين كان الشروع في عمارة المسجد النبوي عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم
ير الراؤن أحسن منها واستمر في تعميره نحو أربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان
قايتباي سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولي ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين
الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة
وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا
المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما على ما يزعمه كثير من
الناس والصحيح أن عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه
رمي بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها
فوقع في ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة
بينهما فنزل الى مكة ولم ينزل الشريف عبد المطلب في تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى
الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكايات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كامل باشا فوصل الى
مكة سنة سبعين في شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه
وصار بينهما محبة وألفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب في دار السلطنة ثم
بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب
وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفي أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره

بأنهم

تعوق وانحبس فيحتاج الى
حجار يقطع قليلا يخلصه
ولا يتفطن للميل الى
جهة ليخلص بسهولة
ولكن الخرق قد
اتسع كثيرا الآن • ومن
الجبال المباركة في الحرم
جبل ثبير وهو على يسار
الذاهب الى عرفات في منى
وهو الذي أهبط عليه
الكبش الذي فدى به
سيدنا اسماعيل عليه
السلام قال مجد الدين
الفيروزابادي في كتابه
الوصل والمنى في فضل منى
ان أبا بكر النقاش المفسر
قال في مناسكه ان الدعاء
يستجاب في ثبير الاثبرا
الذي بحضه مغارة الفتح
لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتعبد فيه قبل
النبوة وأيام ظهور الدعوة
وذكر ان بقرب المغارة
التي أنشأها بحضيض ثبير
تعتكف عائشة رضي الله
عنها • قال التقي الفاسي
ويعرف هذا الموضع بصخرة
عائشة انتهى • قلت هذه
الصخرة غير معروفة
الآن • قال رحمه الله
تعالى حدثني محمد بن يحيى
قال حدثنا عبد العزيز بن
عمران عن معاوية الازدي
عن معاوية بن قرة عن
الخلد بن أيوب عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما تجلى
الله عز وجل للجبل تشظى

بانهم يريدون القبض عليه فى هذا اليوم فقام كانه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ماهو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذى يلقى العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره فى كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقه باشا وتولية عزت باشا وأقام فى مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقريبهم له ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة يتوالى تكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزيادة على ذلك ان الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء تتوغر منها الصدور ويشيعونها بين الناس فى سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحق والاتيان به الى الطائف فجاؤا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالهدالية فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق الحقائر ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا اسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا ذا هيئة بهية فكان ذلك تعزيرا له وطافوا به فى الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه فى القلعة التى فى المثناة المسماة مشرفة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التى بناها فى العام الذى قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمزى أفندى مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر فى ذلك القيل والقال وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف ومازال ولا فى وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر ابن فواز بن عون قائمقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا ببنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله فى مدة غيبته واتفق فى تلك الايام التى قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالى الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك ارتجاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذى أجازه الشارع وهاج الناس هيجانا شديدا

فظارت من قطعه ثلاثة أجبل فوقعت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور ووقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ومنها الجبل المقابل لثبير الذى يلحقه مسجد الخيف لان فيه غارا يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف وبقربه على يمين المار فى الطريق حجر مسند الى سفح الجبل مرتفع عن الارض يظل ماتحته ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلا ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤسهم فى هذا الموضع تبركا بوضع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كيلا تمس رؤسهم النار برحمة الله عز وجل وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو عن يمين مسجد الخيف وذكر المحب الطبرى فى كتابه القرى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينا نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت

فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضي ونذاكره في ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة في ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضي خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا على القاضي فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطرابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا في دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح ويقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمي بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمي البندق في الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد في المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق وقتل في المسجد أناس من ذلك الرمي ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو في داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فأطلق مناديا في مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر في دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر في الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال اني أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التي حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة في أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجيء بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصورا توجه الى جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قائد العساكر فأقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم اني انما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كاملا باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العساكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضا راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل ولأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره وعند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوي وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشميسي فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقي معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من

الشريف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخاري • قال السيد التقي الفاسي رحمه الله بلغني عن شيخنا المجد الفيروزابادي انه قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التي اتفقت للنبي صلى الله عليه وسلم • ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبي قبيس • قال الفاكهي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد المليكي حدثنا عبد الله ابن عمرو بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المرواني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان للخندمة غرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبيا انتهى وهي مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة • وأما المساجد المأثورة المباركة فمنها ما فقد اعمي أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد • منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبي صلى الله عليه

الشريف عبد الله بن ناصر وانى أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك فى آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسى ودخلوا مكة وأطلقوا المنادى بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا فى تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضى الذى فيه العسكر الذين جاؤا معهم فى الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع فى الليل يبيت فى العرضى فى صيوان نصب له هنالك ويجلس فيه فى النهار أيضا فى بعض الاوقات وفى بعضها ينزل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبنى سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبنى سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان فى قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا فى القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر فى بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تخطفهم الاعراب فى الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فاعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هنالك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين ابن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متاريس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور ومظهرين الزينة فى العرضى حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجىء برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار

وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويصونونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا (ومنها مسجد بأعلى مكة) يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسمية أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك وانما سمى مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا قال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اهـ قلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن الفرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة زقاق الحجزرة

السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف على باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذى كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبنى سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة فى أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوى من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي فى العقيق فى الموضع الذى نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبرى وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضي وقابلوا سيدنا الشريف محمدا وأخذوا امنه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين ابن منصور الشنبرى ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التى كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاط به الشريف على باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك فى شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون فى داره التى بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفى شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجهه الى سلانيك فارسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا طالبا ان تكون اقامته بدار السلطنة فاجيب الى ذلك فجئ به الى دار السلطنة ونزل بالدار التى كان فيها أولا فبقى فيها فى عز واكرام ولم تعاقبه الدولة على شئ مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون فى مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس فى أمن وأمان وسرور وقدم لمباشرة أكثر الامور ابنه الشريف على باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفى سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردى وكان واليا على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقا قائدا للعساكر بمكة فلما ولى اليمن أعطى رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطى ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة فى أوائل سنة أربع وسبعين

﴿ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤﴾

وقبل وصوله بأيام توفى الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤﴾

وفى الثالث عشر من شعبان فى هذه السنة توفى سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن فى قبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلى وحسين وعون وسلطان وعبد الله وكلهم فى غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفى أقام نامق باشا الشريف عليا باشا وكيلا للامارة الى أن يأتى الخبر من دار السلطنة

• قال السيد الفاسى رحمه الله تعالى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ماهو مكتوب فى حجر بجدار المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى وفيه انه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة • وفى الآخر انه عمر فى سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقى أيضا فى المواضع التى يستحب الصلاة فيها بمكة • قلت هو مسجد لطيف جدا موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور الا الجهة الجنوبية منها التى هى الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك • ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى • ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضى الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد ومابقى منه الا آثار

(ذكر

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر بقائه هناك بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيرا بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيئا كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة

﴿ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤﴾

وينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها اجمالا ان صالحا جوهرا أحد التجار بجدة كان له مركب منشور فيه بندرة الانكليز والبندرة هي البيرق فأراد ان يغيرها ويجعل فيه بندرة من بندرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بندرة الدولة العلية وكتب له منشورا بذلك فوضعها ونشرها وأزال بندرة الانكليز فطلع قنصل الانكليز البحر ودخل المركب المذكور ونزل بندرة الدولة التي نشرت ونشر بندرة الانكليز وشاع انه لما أزل بندرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف على باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة لمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب اليهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الانكليز وبضربه القلل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير وانكم لو تعطون الناس

جدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما ليعتمرا منه ولا يصل اليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضي الله عنها انما يتعين تجديده وتعميره لانه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرضومة بالاحجار بمحاريب مرضومة من الاحجار الصغار تتهدم ويرضم غيرها وكلها من وراء الاميال عن يسار الذاهب منها وهناك صهريج عظيم قديم يمتلئ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة

رخصة ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الالكوك فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون
ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل
يوجد مثله أضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه انما غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى
مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى
تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى
اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر
ولا جبخانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مرادنا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع
هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلابد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض
التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جاء يرمى بالمدافع المشحونة
بالقنابل على جدة فان كثيرا من أهل البصرة الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق
المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا
فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل
الامر ولا يزول الضرر وأيضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام
وانما الاحسن فى تدبير هذا الامر انا نتداركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة أنا وكثير
من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه
فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال
والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة
الذين كانوا جاؤا للصلح فلما وصلوا الى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار
القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة
ويكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب مما يأمرون به ورضى الجميع بذلك
وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى
جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة
فعقدوا مجلسا معه واتفقوا على انهم يحضرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة ويقررونهم
ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا
والذين هيجوا الفتنة فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر
هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مرسلين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على
كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه
ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول
فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب
قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وعينوا أناسا
منهم وقال الحضارم أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد
العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك
منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا
القائم مقام نامق باشا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم
تسببوا فى ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا
وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم سرا ويقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير
عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة

• سنان باشا يسر الله له
ماشا فى سنة ثمان وسبعين
وتسعمائة اعمر من استنعيم
وكان هذا الصهريج خاليا
لانه لم يكن أيام المطر
حينئذ ورأى المعتمرين
يحملون ماء الوضوء معهم
من مواضع بعيدة يتعبون
فى ذلك وكانت هناك بئر
بعيدة مهدمة مملوءة
بالتراب فامر سيدنا ومولانا
شيخ الاسلام ناظر المسجد
الحرام السيد القاضى
حسين الحسينى أن يحصل
له من يحفر ذلك البئر ويبنى
له مجرى يجرى فيه الماء
من البئر الى الموضع الذى
يعتمر الناس فيه بقرب
الاميال وعين جاذبا يجذب
الماء من البئر فى كل وقت
ويسلكه فى ذلك المجرى
فيسيل الماء الى موضع
يتوضأ فيه المعتمرون على
الاتصال والدوام ويشرب
منه الناس والدواب

والانكليز والفرنسيس كانوا يتلاطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم
اخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشئ مخالف للواقع يقولون له
ان فلانا وفلانا أخبرا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام
غيره فلما انتهت الاسائلة كلها الى ابراهيم أغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه فأنكر جميع
ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشئ فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشئ فحبسوه فى موضع وحده ثم
حكموا عليه بالنفى مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم
وحبسوهم ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما
بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودى ونحو اثنى عشر نفسا من عوام
الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضى جدة وبعض التجار بعضهم
مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما
أخذوه وان ما بقى من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما تم قرار مجلسهم على ذلك
كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها النامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاءه به من
الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله
المحتسب وسعيد العامودى من الحبس وقتلوهما فى سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثنى
عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا فى جدة اشتد فيه الكرب على
جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفى فمنهم من قضى السنين التى أقروها له ورجع الى جدة
ومنهم من مات ولم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضى جدة والشيخ عمر بادرب
والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد
الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان
شيأ كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من
أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولى امارة مكة بعد تمام
هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا يناله شئ من الدخول فى هذه
القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين
حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا
عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له صرنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد
الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا
أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما
طلبوا منى ذلك تحيرت ولا يقبلون منى فى الجواب انى أقول لهم ان ذلك ممنوع فى شرعنا ولا يرضى
المسلمون بذلك فألهمنى الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة فى الخرائط
والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شئ من الزخارف وانما هى واد غير ذى زرع بين الجبال
فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علمتموه من صورتها التى رأيتموها فى الخرائط والجغرافيات
فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها
وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من
الدولة يسمى زكى باشا فى مرتبة فريق وفى سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين
وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك فى مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا فى آخر هذه السنة
وتولى بدله على باشا الكاهيلى وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف على *

﴿ذكر زيارة سعيد باشا والى مصر المدينة سنة ١٢٧٧﴾

والمعتمرون وأهل القوافل
المارون منه هناك وابناء
السبيل وينتفعون بذلك
انتفاعا عاما ويدعون
لصاحب هذا الخير وهذا *
أثر عظيم لهذا الوزير المعظم
من جملة خيراته الجارية
دائما ان شاء الله تعالى
أجرى الله تعالى على يديه
الخيرات وأثابه عليها أعظم
الاجر وأسنى المثوبات
وبلغه من ألطافه وعنايته
ما يتمنى وختم لنا وله أجمعين
بالحسنى * هذا آخر ما أردنا
جمعه فى هذه الاوراق من
كل خبر لطيف وأثر مبارك
شريف رق معناه وراق
ولطف مؤداه فى الاسماع
والاذواق كله نخب درر
ونصائح وجميعه تحف غرر
ومنائح يثنى بها الراكب
العجلان حاجته ويصبح
الحاسد الغضبان يطيرها
كأنها النجوم فى سماء اللطافة
زاهرة أو زهور فى رياض

وفى سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والى مصر ابن محمد على باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة فى شهر شوال من هذه السنة

﴿ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز﴾

وفى آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذى الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم فى السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولاية اسمعيل باشا وفى سنة ثمان وسبعين عزل على باشا الكاهيلى عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله عزت حقى باشا

﴿ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا﴾

وفى سنة تسع وسبعين توفى سعيد باشا والى مصر وأقيم بعده اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ولما تولى عزت حقى باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة فى شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهى باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف محمد وأحضرنى فى التسمية فسميته

﴿ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١﴾

وفى هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسمعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التى فى مكة على طريق الليث ثم وصل الى القنفذة وجعل العرضى فى ناحية الخواق والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم فى ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والى مصر يطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يمهل فى تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة فى بلاد غامد

﴿ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣﴾

وفى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفى بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد ابن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ذكر وفاة محمد وجيهى باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤﴾

وفى سنة أربع وثمانين توفى بالطائف وجيهى باشا والى جدة وشيخ الحرمين فى ربيع الثانى وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهى باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفى وجيهى باشا دفن فى قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بجانب قبر الحبر رضى الله عنه ولما توفى أقام سيدنا الشريف عبد الله عزت أفندى الحاجى مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله فى شهر شوال من السنة المذكورة وفى سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا

﴿ذكر ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦﴾

الاناقة زاهرة تحت كل ذرة منها درة فاخرة وتحت كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أصبحت للقلوب قوتا وأضحت قرط أذن وللمواعظ قرة ولعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحمرة فدونك أيها الفاضل اللوذعى الكامل الفطن الالمعى الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذارى الكعاب ما أودعته من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملك الحسد الذى جبلت عليه الاقران على انكار ما يجد لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلك استصغار مؤلفه الى نبذ فرائده والاستهال بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وفي سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسمعيل باشا والي مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه عوائد معلومة على قدر ما فيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى اتصل البحران كان هرون الرشيد أراد ان يفعله لينتهي الى غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تختطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور التي على البحر في جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجلس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطي رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وغلقت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شيء بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨﴾

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من المحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والمخا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديف باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر وفي شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك المسراة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

وما عبر الانسان عن فضل نفسه
بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

ومع ذلك فلا أدعي رتبة الكمال فوق كل ذي علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم ولقد قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في الميل الى نقصه ولقد كتب أستاذ البلغاء القاضي عبد الرحيم الفاضل البيساني الى العماد الاصفهاني الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك اني رأيت أن لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال

﴿ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيراً من العلوم ويحب فيها الحزن عليه حزناً كثيراً رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنين وعشرين سنة

﴿ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بدله الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظ الجدة فأقام مقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقاً ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأزيل معه الطريقة والكتيبة ومكث سنة

﴿ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكر سنة ١٢٨٩﴾

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا ويلقب اكر وفي سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين في اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿عزل محمد رشيد باشا الاكر وتولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١﴾

فعزل وولي بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني وكان عالماً متفنناً لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقاً للصدر الاعظم فؤاد باشا فأعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولي الصدارة بعد عالي باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطي ولاية الحجاز فقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتولية تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١﴾

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتياً في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية وأعطي رتبة الوزارة وترقى وولي ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطي ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمد اعبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان﴾

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفي السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبنادق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضر والهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤﴾

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف

في عده لو غير هذا المكان أحسن ولو زيد هذا المكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فالاليق بالفاضل اذا عثر بشيء مما كافيه المؤلف وعثرات يستر الزلل ويقيل العثار ويسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكاً وأنظم له الجواهر المنثرة سلكاً فأختمه كما بدأته بالدعاء بدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكبر الافخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

فى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن فى قبة المعبر رضى الله عنه قريبا من قبر الحبيب وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفى منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا فى العربة ولا يستطيع المشى الا قليلا بشئ يعتمد عليه فى يده وما انقطع فى جميع المدة عن جلوسه فى الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الاحكام وفى هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بايام أعطى ابنه الشريف على رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف على باشا وجاء الامر من الدولة بذلك ولما توفى سيدنا الشريف عبد الله أقام تقى الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائمًا مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

﴿ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه فى شعبان سنة ١٢٩٤﴾

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم فى شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة فى شوال من السنة المذكورة فاعطى رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

﴿ذكر عزل تقى الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦﴾

وفى شهر ذى القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقى الدين باشا من ولاية الحجاز وولى بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفى بجدة فى شهر جمادى الآخرة وولى بعده ناشد باشا ووصل الى مكة فى شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين فى امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة فى أوائل ربيع الثانى فعند دخول جدة وهو سائر فى موكب حافل جاءه رجل أفغانى وقصده وهو راكب كانه يريد تقبيل يده

﴿ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧﴾

فطعنه بسكين فى أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التى يريد النزول بها وهى دار عمر نصيف تتعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الافغانى حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفى سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها فى قبر والده فى قبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغانى الذى طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

﴿ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧﴾

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها فى الحادى عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة والى جدة اذ ذاك ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان فى هذا الوقت طعن فى السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على ما يقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انهم يأخذون من الناس رشوة فى مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر

الاعيان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان الذى تتصاغر فى أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر وتسعى الى لثم اعتابه ملوك الشرق والغرب وامثال دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والآمن فى ظل أمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذى هو بحر كرم تحدث الالسن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ باعتابه الشريفة من نالته شدة الافتقار يدخل اليه السعادة من باب الفرج لدولة أسمى لها الله فى العلى

بينه و بين ناشد باشا فمن تلك الاشياء التي أوجبت التنافر انهم أخبروه باختصاص انهم يقع منهم كلام غير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن قو يحص ومحمد تركي ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله ابن قو يحص ومحمد تركي وشق مساعد الهابط فكثر كلام الناس في هذه القضية ومن ذلك انه رأى دارا تجاه داره التي في الشرارة في مدة غيبته بناها الشريف مهدي بن أبي طالب الجودي وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تنكشف على داري وفي بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان في بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدي وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال في مقابلتها وكتب في ذلك حجة عند القاضي ببيعهم اياها لله فكانوا يقولون انهم مكرهون في ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس في ذلك ومن أسباب التنافر بينه و بين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دخيل الله العواجي في دلالات الحلقة التي يباع فيها الفواكه والخضر فمنع دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشتر وامنه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك في دلالات الفحم والحطب والحشيش وقررفيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك في خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الحاوي فكثر كلام الناس في ذلك كله وحصل أيضا اختلال في الطرق وعدا كثير من الاعراب في طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشد باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة في أوائل شهر ذي الحجة من السنة المذكورة أعني سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه و بين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات في بعض القضايا واتسع الامر بينهما

﴿ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨﴾

وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجاني التي كانت ولايته سابقا في سنة تسع وستين في مدة الشريف عبد المطلب في الولاية التي قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قمندانا على العساكر وقائمقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة في أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا في المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا في جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن في السن وبلغ نحو التسعين الا انه قوي البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قمندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب في كثير منها

﴿ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعني سنة تسع وتسعين فجاء الامر في التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو في رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة وبقي عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف في شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس في ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

مقاما وأعلاها جنابا
وأسماها
لقد أعربت عن سيرة
عمرية
تبوأها عثمان بالعدل
مبناها
﴿السلطان ابن السلطان
ابن السلطان الملك المؤيد
مراد خان بن سليم خان﴾
نصر الله تعالى عزائمه
وأمضى في رؤس الاعداء
صوارمه وشيد به بنيان
الاسلام ودعائمه وجعل
مغارمه في سبيل الله
مغانمه ولا زالت ألوية
نصره منشورة الذوائب
مشهورة القواضب
مشرقة كالشمس يغشى

﴿ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا فى ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوى عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا فى الجبال التى فى المثناة المحيطة بالدار التى فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه وردنا تلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذى قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضى أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التى طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربية وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التى فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للتحفظ عليه محيطة بالموضع الذى نزل به ثم أطلقوا مناديا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك واختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لولم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولوقالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الا اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك استحسانا منه وأظهر انه انما فعله بامر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة فى النصف من ذى القعدة وكذلك الوالى عثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة فى داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾

ثم فى أواخر شهر ذى القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه فامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف على باشا والشريف على باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقى الناس فى انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذى الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوى وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقى معهم بجدة وفات الجميع الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذى قدم به معه ثانى يوم النحر على مثل العادة التى جرت فى كل سنة فانه فى كل سنة فى مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لامير مكة يجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم

ضوءها المشارق والمغارب
صاعدة فى أفق السماء حتى
تزاحم منا كبهم مواكب
الكواكب ولا برحت
أسباب سعادته تقوى
وأحاديث المكارم اليه
تسند وعنه تروى
والقلوب تتمسك من
عبوديته وصدق رأيه
بالسبب الاقوى فى عز مديد
ونصر مشيد وعمر مزيد
وسلطنة ثابتة لاتهز

توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ذكر فتنة عرابى بمصر سنة ١٢٩٨﴾

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظمى التى وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابى وكان انتهاؤها فى شوال من هذه السنة أعنى سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها فى سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذى نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضى بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها للمقابلة لديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون فى أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب الملك منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالى مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالى والعمد من مشايخ البلدان فشرع فى ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم فتفطنوا لذلك فسعوا فى خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون فى ذلك حتى تم لهم

﴿ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦﴾

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولى من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض الامتيازات التى كانت لوالده اسمعيل باشا وتجدد فى الفرمان التى تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شئ واجتهدت فى ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة فى ذلك الى ان استخرجتا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابى بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابى باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا فى النصف من شوال سنة سبع وتسعين ولم يزل الامر فى اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر فى مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التى للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومنع عرابى باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التى شرع فيها وبقى الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابى وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابى وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع ٭ ومن الحوادث الغريبة التى وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التى هى فى حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدى وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التى فى تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وملك من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنار امدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة فى الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفى شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف على باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت

ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد واقبال يلازم ركابه السعيد ما لاح نجم على أفق السماء وما هب النسيم على العشاق بالطيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين

رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر
رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته
البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن
الشريف على باشا والشريف على ابن الشريف عبد الله وصارا فى مثل الرتبة التى كان فيها
الشريف عبد الله وفى شهر رمضان من هذه السنة أعنى سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة فى أطراف
مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم خرجوا فى طريق جدة وصاروا ينهبون
الجمل الذى يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة فى ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب
كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل فى أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم
ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاز الطائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق
وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ به وان الحامل على ذلك
أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التى يجلبونها لمكة ويدفنونها فى الارض لان فيها أثر الوباء
الذى يسمونه بالكليرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم
ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس
الشريف عبد الله بن زين أحد الاشراف ذوى حسين فانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض
عليه وعلى الشريف على بن سعد السرورى وحبسا وطالت مدة حبسهما ويدعى عليهما بدعاوى الله
أعلم بصحتها وفى شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بأن محمد بن حمد
القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع
قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز فى برسواكن وكان المقدم على جيش محمد بن حمد فى ذلك
القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز فى وقائع وكلها يكون النصر فيها له على
الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة فى برسواكن وهذا آخر
ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك منقول بقلم راجى
عفو ربه المنان الطيبى محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به وبوالديه ومشايخه وجميع
المسلمين وغفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه
للخير أينما كان وختم له بالايمان بجاه سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم

(فان لى ذمة منه بتسميتى • محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله رب العالمين

الطاهرين وسائر الانبياء
والمرسلين وآل كل
والتابعين ومن تبعهم
باحسان الى يوم الدين • وقد
فرغ مؤلفه من تحريره •
ووقفت أنامل أقلامه من
تحبيره فى ليلة يسفر
صباحها عن سبع مضين
من شهر ربيع الاول
سنة خمس وثمانين
وتسعمائة